جرى تعديل التصويبات التي لاحظتها لجنة المناقشة
المشرف عضو اللجنة عضوا اللجنة

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الطالب
محمد بن صامل السلمي

منهج كتابة التاريخ الإسلامي

حتى نهاية القرن الثالث الهجري

بحث مقدم لنيل
شهادة
الماجستير
في التاريخ الإسلامي

إعداد
محمد بن صامل العلياني السلمي

إشراف الأستاذ الدكتور
حسام الدين السامرائي

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ...

آل عمران آية رقم ١٣٧

وقال تعالى :

أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون.

الأعراف آية رقم ١٠٠

وقال تعالى :

ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون .

العنكبوت آية رقم ٣٥

وقال تعالى :

أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وءاثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون .

غافر آية رقم ٨٢

* بسم الله الرحمن الرحيم *

المقدمـــة :

الحمد لله القائل في كتابه الكريم ((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون))(١) والذى طلب منا في غير آية من كتابه النظر والتفكر في أحوال الماضين والسير في الأرض للاعتبار بأحوالهم ومصائرهم مثل قوله تعالى : ((أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ،كانوا أشد منهم قوة ، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون))(٢) .

ومثل قوله تعالى : ((فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أوآذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور))(٣) ، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين الموحى اليه قول الله تعالى ((تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين))(٤) وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعـــد :-

لما التحقت بالدراسات العليا التاريخية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، كان على بعد انهاء السنة المنهجيـــة

---

(١) سورة يوسف آية ١١١ .

(٢) سورة الروم آية ٩ .

(٣) سورة الحج آية ٤٥-٤٦ .

(٤) سورة هود آية ٤٩ .

أن أختار موضوعا في التاريخ الاسلامي لأتقدم به لنيل درجة الماجستير"
فكان من توفيق الله لي أن اخترت هذا الموضوع ((منهج كتابة التاريخ الاسلامي))
رغم ادراكي لصعوبة الكتابة المنهجية ،غير أن شعوري بأهمية الموضوع ومـــــدى
الحاجة اليه في هذا العصر كانت حافزا على المضي في الموضوع .

أهميـــة الموضـــوع :

التاريخ دراسة في أحوال الانسان وحركته على هذه الأرض والنظـــر في معاملاته المختلفة .

- معاملته مع الحق ومع رسل الله ، ومدى استقامته وانحرافه عن المنهج الذى جاءوا به .
- معاملته مع الناس من حوله أفرادا أو جماعات وفى مختلف الحالات .
- تفاعله مع الكون من حوله ومدى استفادته مما سخر الله له من المخلوقات وما أعطاه من المواهب والقدرات .

ان ثمرة هذا العلم تأتى من التفكر في أحوال الدنيات والدول وعوامـــل سقوطها ، ومن النظر في سنن الله في الآفاق وفى الأنفس والمجتمعات ، ومـــن الاطلاع على تشابه مواقف الأقوام المختلفة من دعوة التوحيد ودعاتها وأن ذلك يكون نسخة مكررة على تطاول الأزمان وتباعد الأمكنة وتعدد الأجناس .

كما تأتى من التأسى بمواقف الأنبياء عليهم السلام وجهادهم في تبليـــغ الرسالة وثباتهم على الحق وصبرهم على تحمل الأذى في سبيل الله .

والتاريخ الاسلامى هو تاريخ دين وعقيدة قبل أن يكون تاريخ دول ومعارك ونظم سياسية ، لأن العقيدة هى التى أنشأت هذه الكيانات من الدول والمجتمعات بنظمها السياسية والادارية والتعليمية والاقتصادية وغيرها .(١)

ولأجل هذه الصفة في تاريخنا الاسلامى ، فانه لابد من دراسته وفهمـــه وفق منهج علمى صحيح منبثق من التصور الاسلامى والعقيدة الصحيحة عن الله والكـــون والانسان والحياة .

---

(١) هذا بصرف النظر عن الأخطاء والانحرافات التى تقع أثناء التطبيق .

وبهذا تظهر أهمية الالتزام بالمنهج الاسلامي في كتابة التاريخ وتدريسه وضرورة المعرفة بقواعد هذا المنهج وأهدافه ووسائل تحقيقه ، حتى لا تنحرف الدراسات التاريخية عن خط العقيدة ومقتضياتها ، فتأتي بآراء وتفسيرات مضادة للتصور الاسلامي عن الكون والحياة وسير الأحداث .

ولقد أنصب أهتمام المؤرخين في القرون الثلاثة الأولى على تدوين الأحداث والوقائع ، وكان معظمهم يذكر أسانيده وأسماء رواته ، ليتأكد القارئ لتلك الأحداث بنفسه من صدق ذلك من عدمه . ولم يشاؤا التدخل بالتفسير والتعليل - كما تفعل الدراسات التاريخية المعاصره - حتى لا يفرضوا على القارئ رأيا معينا ولكي لا يتسلطوا على فكرة بتوجيه أو تعليل معين لحدث .

كما أن القارئ في وقتهم كان عنده من الفهم لاسلامه وعقيدته وادراك مقتضياتها ما يجعله يدرك الحق من الباطل ويزن الأمور بميزان الكتاب والسنة ، اضافة الى أن الفرد المسلم كان يشعر بعزته وعلو ثقافته ومبادئه ويؤمن بأن هذه المبادئ لا يدانيها شئ من مبادئ الجاهلية وتصوراتها ، ويظهر هذا واضحا في أسلوب المؤرخين المسلمين وطريقة عرضهم لتواريخ الامم الكافرة . ولذلك لم يحتاجوا الى التأليف والكتابة في بيان المنهج الاسلامي لكتابة التاريخ لأن المنهج غاية في الوضوح في ذهن الكاتب والقارئ على السواء .

أما في العصور الحديثه فقد كثرة الانحرافات في كتابة التاريخ الاسلامي واتبع في كتابته وتدريسه مناهج وأفكار ومبادئ غريبة عليه . وهذه الانحرافات راجعة الى الانحراف في التصور عند من تولوا كتابته مع الجهل بحقيقة الدين الاسلامي وشموليته اضافة الى القصور في فهم دلالة المصطلحات الاسلامية مثل الدين والعبادة والألوهية ، ان الفصل بين الدراسات الشرعية والدراسات التاريخية قد أدى الى أن تقوم الدراسات التاريخية المعاصرة - في البلاد الاسلامية - على هدى المدرسة الاستشراقية اذ تلقفت مناهجها وأساليبها في عرض المادة التاريخية وتفسيرها .

فنشأ عن ذلك - جيل من خريجي الجامعات وأساتذة التاريخ لا يعرفون أحكام

دينهم ، ولا يشعرون بأية صلة تربط هذا التاريخ بدراسة الشريعة وأحكام الاسلام .

مع أخذهم الاسلام على أنه أجزاء وتفاريق لا رابط بينها وأن في مقدور الانسان أن يكون مسلما في جانب الاعتقاد المستكن في القلب دون السلوك العملي ، أو أن يقوم بالشعائر التعبدية دون الالتزام بالاسلام في منهج العلم والتلقي وهذا تطبيق للمبادئ العلمانية . بجانب ذلك ، الشعور بالتبعية وروح الانهزامية أمام الحضارة الأوربية مع عدم الاعتزاز بالاسلام وتحقيق مفهوم الولاء والبراء ، اضافة الى الامتناع عن متابعة مناهج العلماء المسلمين في التوثيق العلمي .

ومن أجل ذلك فقد أصبح من الواجب على القادرين من العلماء المسلمين المساهمة في تصحيح الأفكار والمفاهيم والعودة الى المنابع الصافية لهذا الدين ومن الواضح أن ابراز المنهج الاسلامي في كتابة التاريخ وتدوين قواعده وبيان ركائزه ومنطلقاته من أهم وسائل التصحيح المتشود ، خاصة وأنه قد كثرت في هذا العصر المناهج المطروحة لتفسير التاريخ ، كما كثرت المذاهب الفكرية التي أرادت أن تجعل من تفسير التاريخ سندا ومبررا لوجودها واستمرارها . ومن المعلوم أن لكل من المذهب المادي والمذهب الاشتراكي والمذهب القومي ، والمذهب الرأسمالي الغربي ، والمذهب العلماني ، والمدرسة الاجتماعية الفرنسية والمدرسة الأمريكية التاريخية والمدرسة الانكليزية ، والمدرسة الالمانية ، منهجه في دراسة التاريخ وفي تفسيره .

سبب اختيار الموضوع :

من أيام الدراسة في المرحلة الجامعية وأنا أقرأ عن دعوات صادرة عن كثير من الكتاب والمفكرين الى " اعادة كتابة التاريخ الاسلامي " ثم مالبث الأمر أن طرح من قبل هيئات علمية ورسمية .

وأول من علمت أنه دعا الى اعادة كتابة التاريخ الاسلامي ، الشيخ محب الدين الخطيب ثم الاستاذ سيد قطب في كتابه في التاريخ فكرة ومنهاج .(١)

وقد طرح الموضوع على مجلس اتحاد الجامعات العربية عام ١٩٧٤م ، وقرر تشكيل لجنة تحضيرية لدراسة ((اعادة كتابة تاريخ العرب والاسلام)) وانشاء معهد للتاريخ العربي ودائرة معارف تاريخية عربية ،(٢)

ثم عقدت في جامعة الكويت ((حلقة عمل لمشروع اعادة كتابة تاريخ العرب والاسلام)) .(٣)

كما أن الموضوع قد طرح على المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي في عام ١٤٠٢هـ وعلى هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية .

وقد ناقش هذه الدعوة غير واحد من الباحثين بين مؤيد ومنتقد(٤) ولا شك أن المقصود بالاعادة عند من دعو لهذا العمل لأول مرة هو تنقية الكتب من

---

(١) ذكر في آخر هذا الكتاب ص ٦١ في الهامش أنه تألفت جماعة لاعادة كتابة التاريخ الاسلامي وهي تتألف من الشيخ صادق عرجون ومحمد يوسف موسى وعبدالحميد يونس ومحمد النجار وسيد قطب .

(٢) تتألف هذه اللجنة من الدكتور عبدالعزيز كامل ، وأحمد بدوي ، ومحمد مرسي أحمد وعبدالعزيز النوري ومحمد الطالب وحسين مؤنس وشاكر مصطفى (أنظر جريدة الجمهورية القاهرية ١٨/١٢/١٩٧٤م .

(٣) مجلة المجتمع الكويتية عدد ٢٢٢ محرم ١٣٩٥هـ .

(٤) من الذين عارضوا هذه الدعوة الاستاذ أحمد محمد جمال في محاضرة له مطبوعة بعنوان ((تاريخنا لم يقرأ بعد ، وأيضا الشيخ عثمان صافي الذي يرى أن طرح =

الأخطاء والروايات المكذوبة وإعادة الصيغة وفق المنظور الاسلامي (١) للاستفادة من دراسة التاريخ في مجال التربية والأسوة الحسنة . ولكن يبدو أن هذه الدعوة قد استغلت وأريد لها أن تنحرف ، حيث تلقفها بعض الكتاب المنحرفين فكريا كالماركسيين ... من الاشتراكيين والعلمانيين والمنزلقين في مدارج المستشرقين والمنصرين الذين أرادوا الاستفادة منها في تفسير التاريخ الاسلامي - وفق أفكارهم ودعواتهم المنحرفة . (٢)

فلقد حضر الدكتور عبد العزيز الفدا مدير جامعة الرياض آنذاك حلقة العمل التي أقامتها جامعة الكويت عام ١٩٧٤م ونشرت مجلة المجتمع مقابلة معه أبدى فيها تحفظات وانتقادات على المشروع وقال انه ينقصه العلماء المتخصصين في الشريعة .

ولقد استهوتني هذه الدعوة فأخذت أبحث عن أسبابها ، وسألت نفسي هل أن تاريخنا الاسلامي حقا بحاجة الى ((اعادة كتابته)) فعكفت على قراءة الكتب التاريخية القديمة منها والحديثة ، وعندها شعرت بضخامة الانحراف الذي وقع فيه كثير من المؤرخين وخاصة المعاصرين ، من سوء الفهم لتاريخ الاسلام ، ومحاولة تفسيره وفق منظورات ومناهج غير اسلامية ، مع قلة التحقق العلمي ، والتركيز الشديد على ابراز تاريخ الصدر الأول بصورة مشوهه .

فأخذت أبحث عن سبب هذه الانحرافات فوجدته يكمن في سوء القصد وارادة التحريف والتشويه عند البعض .

= الموضوع بهذا العنوان ((اعادة كتابة التاريخ)) ينطوي صراحه على تخطئة السلف في كل ماكتبوه و يرى أن اعادة كتابة التاريخ ضرب من الخيال ، أنظر مجلة المجتمع الكويتيه محرم ١٣٩٥هـ عدد ٢٣٢ .

(١) أنظر سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج ص ٥٥ .

(٢) قامت مجلة المعرفة التي تصدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي بسوريا بطرح أسئلة على مجموعة من الباحثين بعنوان اعادة كتابة تاريخنا القومي ثم طبعت اجاباتهم وأصدرته في كتاب بعنوان كيف نكتب تاريخنا القومي ؟ في عام ١٩٦٦م ضمن سلسلة كتب قومية التي تصدر عن وزارة الثقافة السورية .

أما البعض الآخر فيكمن انحرافهم فى انعدام الالتزام بالاصول المنهجية فى الفكر والتصور ، والأصول المنهجية فى النقد والتحقيق . وبهذا يتضح أنه لابد من صياغة التاريخ الاسلامى وتعليمه على وفق التصور الاسلامى الصحيح ووضع أسس ومناهج صحيحة لتدريسه منطلقة من العقيدة الصحيحه والفهم السديد والمنهج العلمى الموثق غير أن هذا العمل يحتاج الى رجال مؤمنين بهذه المعانى ، عالمين بأساليب البحث العلمى ومزودين بالثقافة التاريخية والحس النقدى وفق الموازين الشرعية مع الخبرة العملية والمعايشة الطويلة لمصادر هذا التاريخ .

فمن أجل المساهمة فى تحقيق هذا المطلب وبغية تصحيح التصور الخاطئ عن تاريخنا الاسلامى ومواقف رجاله خاصة جيل الصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعين وتابعيهم من سلف الأمة أهل القرون المفضلة ومن اقتدى بهداهم الى يوم الدين .

واقرارا للحق الواجب على القادرين بيانه اخترت هذا الموضوع وجعلت عنوانه ((منهج كتابة التاريخ الاسلامى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى))

وهو فى قسمين :

القسم الأول : فى بيان الشروط الموضوعية والقواعد المنهجية التى تحكم دراسة التاريخ الاسلامى وما يشترط فيمن يتولى كتابة التاريخ الاسلامى ، مع بيان المنهج العلمى فى النقد والتحقيق .

والقسم الثانى : عرض لمناهج المؤرخين المسلمين فى القرون الثلاثة الأولى . وذلك انه بعد تقرير المنهج الاسلامى فى كتابة التاريخ أردنا أن نعرض لما تم تطبيقه عمليا فى واقع الدراسات التاريخية ، واقتصرنا فى هذه الفترة على القرون الثلاثة الأولى .

وقد جاءت خطة الموضوع في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة تعرضت في المقدمة الى أهمية الموضوع ، وسبب اختياري له ، ومحتوياته ..

الباب الأول : مدخل لدراسة التاريخ الاسلامي وفيه فصلان :

الفصل الأول : مفهوم العلم في الاسلام ومنهج تلقيه .

الفصل الثاني : مفهوم التاريخ وثمرة دراسته .

الباب الثاني : منهج كتابة التاريخ الاسلامي وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : تعريف المنهج وبيان أهميته .

الفصل الثاني : بيان مصادر منهج كتابه التاريخ الاسلامي .

الفصل الثالث : خصائص منهج كتابة التاريخ الاسلامي .

الفصل الرابع: غاية منهج كتابة التاريخ الاسلامي ووسائل تحقيقه .

الفصل الخامس: قواعد في منهج كتابة التاريخ الاسلامي .

الباب الثالث : دراسة لمناهج مؤرخي القرون الثلاثة الأولى من الهجرة وفيه تمهيد وثلاثة فصول .

التمهيد : عن دوافع التدوين التاريخي وكيفيته ومراحله .

الفصل الأول : عن أنواع التأليف التاريخي ونطاقه .

الفصل الثاني : عرض لمناهج مؤرخي هذه الفترة ودرست فيه سبعة عشر مؤرخا .

الفصل الثالث : تراجم لبعض الاخباريين والرواه في نفس الفترة .

الخاتمة : وتشمل [illegible]

- تعليقة عن الانحرافات الواقعة في كتابة التاريخ الاسلامي .
- نتائج البحث .

وقد عانيت من قلة المصادر (١) في بحث القسم الأول من الموضوع لأنه من الأبحاث الجديدة التي لم تبحث عند العلماء السابقين ، وانما شعر الباحثون المحدثون بالحاجة اليه مدونة مسائله ومجموعة قواعده في بحث متكامل بعد أن رأوا الانحرافات الخطيرة في كتابة التاريخ الاسلامي نتيجة تقليدها للمناهج الأوربية في بحث التاريخ وكتابته وتفسيره .

ان ما وجدته يتمثل في اقتراحات وملاحظات يسيرة وضعها بعض الباحثين في مقدمات كتبهم وقد أفدت من بعضها .

ولكني ولله الحمد رجعت الى القرآن الكريم والسنة المشرفه لأنهما المرجع الأصيل لهذا المنهج وحاولت التعرف من خلال نصوصهما على هذا المنهج وضوابطه وغاياته ووسائله .

كما أنني قد قابلت بعض الشخصيات العلمية داخل المملكة وخارجها وحاولت الافادة من تجاربهم وتوجيهاتهم .

وبعد : فانى أشكر الله سبحانه وتعالى وأحمده وأثنى عليه الثناء كله على ما أولاني من نعمه الكثيرة المتجددة ومنها اتمام هذا البحث ، وانى أسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم وأن لا يحرمنى ثوابه .

وما كان في هذا البحث من صواب فهو من توفيق الله وحده وأحمد الله على ذلك وما كان فيه من خطأ فهو من نفسي واستغفر الله من ذلك .

---

(١) هناك بعض الدراسات ولكنها لم تطرق موضوع المنهج بشكل متكامل وانما هي أبحاث أولية ودراسات مقتضبه وسريعة ، وفيها مقترحات وأفكار جيده . مثل
- سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج . ـ عبد الرحمن الحجى ، نظرات في دراسة التاريخ
- عبد [illegible] يقي ، تفسير للتاريخ .
- عماد الدين خليل ، التفسير الاسلامي للتاريخ .
- أكرم ضياء العمرى ، [illegible] تاريخ صدر الاسلام .

كما توجد بعض الدراسات التطبيقية :
- أبو الحسن الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .
- محمد صادق عرجون ، عثمان بن عفان ، وخالد بن الوليد .
- الدكتور جمال عبد الهادى ، الجزيرة منذ أقدم العصور ، تاريخ مصر والعراق ، تاريخ الرومان ، تاريخ اليونان .

ثم أشكر استاذى الجليل الاستاذ الدكتور حسام الدين السامرائى على ما أوسعنى من كريم خلقه وبذل معى من جهد فى الاشراف على هذه الرسالة. وما وجهنى به من توجيهات سديدة .

كما أشكر كل من ساهم بجهد أورأى في هذه الرسالة من الأساتذة والزملاء وأسأل الله أن يجزى الجميع عني خير الجزاء ،

وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم وتسليما وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الطالب / محمد بن صامل العلياني السلمي
مكة المكرمة

يوم الجمعة ٢٦ من ربيع الأول ١٤٠٤هـ

من المفاهيم ذات الصلة المباشرة بمنهج كتابة التاريخ الاسلامي ...

- مفهوم العلم ومنهج تلقيه ..
- ومفهوم التاريخ وثمرة دراسته ..

وذلك أن المنهج الاسلامي في الدراسة والبحث يرتبط بالمقاصد والغايات ... انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ..(١)

فهو منهج جدي عملي بعيد كل البعد عن الترف العقلي أو التلقي الذهني المجرد عن الواقع ..

فكل عمل أو حركة لا يستفاد منها في واقع الحياة الاسلامية أو ليست وسيلة الى ما فيه فائدة لحياة المسلم في دنياه أو آخرته . فان بحثها يعتبر ترفا بل لعلّه من العمل الضائع الذي لا يثاب عليه صاحبه .. والانسان معروض للمسائلة عن عمره فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به .(٢)

والمسلم يربأ بنفسه عن تبديد طاقاته وضياع أوقاته ومواهبه فيما لا يعود عليه بالخير . ولا ريب أن من منهج الاسلام العمل على استثمار الطاقات وتجميعها وتنمية المواهب واستخدامها فيما يعود بالنفع على الانسان في ذاته أو على مجتمعه .

---

(١) رواه البخاري من حديث عمر بن الخطاب أول حديث في كتاب الوحي ١ / ٢ .

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . أنظر جامع الترمذي ٤/ ٦١٢ . وجامع الأصول ١٠ / ٤٢٦ و ٤٢٧ .

(١٠م)

البـــــــــــاب الأول

مدخـــل لدراسة التـــاريـــخ الاســـــــلامى

الفصـــل الأول : مفهوم العلم ومنهج التلقى .

الفصل الثانـــى : مفهوم التاريخ وثمرة دراســـته .

* الفصـــــل الأول *

* مفهوم العلـم ومنهج تلقيـه *

مفهـوم العلم ومحتـواه : ..

العلم ضد الجهل وقد وقع خلاف طويل في وضع " حـد "[(١)] له كما يقول الزبيدي.[(٢)] حتى قال جماعة انه لا يحد لظهوره وكونه من الضروريات . وقيل لصعوبته وعسره .

والعلم من وجه ضربان . نظري وعملي . فالنظري: هو الذي اذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم .

والعملي : هو الذي لا يتم حتى يعمل به "[(٣)] كالعلم بالعبادات وكافة الأوامر الشرعية .

والعلم من وجه آخر شرعي وغير شرعي . واذا ورد مطلقا في الكتاب أو السنة فانما يراد به العلم الشرعي مثل قوله تعالى " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات "[(٤)] وقوله تعالى " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون "[(٥)] ومثل قوله صلى الله عليه وسلم : " طلب العلم فريضة على كل مسلم "[(٦)] وقوله فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة "[(٧)]

---

(١) أي تعريف .

(٢) الزبيدي هو محمد بن محمد بن مرتضى ، لغوي محدث كثير التصانيف من أجودها : تاج العروس شرح القاموس ، توفي سنة ١٢٠٥ هـ . أنظر الأعلام للزركلي ٧٠/٨ .

(٣) الزبيدي ، تاج العروس ٤٠٥/٨ .

(٤) سورة المجادلة آية : ١١ .

(٥) سورة الزمر آية : ٩ .

(٦) حديث حسن رواه ابن ماجه رقم ٢٢٤ ، وأنظر شرح السنة للبغوي ٢٩٠/١ .

(٧) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٦٩٩ ص ٢٠٧٤/٤ .

فلفظ العلم فى هذه الآيات والأحاديث يراد به العلم الشرعى (١) أو ما يكون خادما وموصلا للعلم الشرعى كعلم العربية ، والعلم قد يكون نافعا وقد يكون ضارا . كما قد يكون حقا وقد يكون باطلا . . فالذى يرد فى القرآن الكريم أو السنة النبوية أو فى كلام السلف فى سياق المدح والحث على طلبه هو العلم الشرعى والعلم النافع والعلم الحق . أما غير ذلك فقد يكون ضارا أو غير نافع لأصحابه عند الله تعالى . قال تعالى " فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم . . (٢) " الآية . وقال تعالى " يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون " (٣) ، وقال تعالى : " فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم . . (٤) " الآية . فقد أثبت الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة أن عندهم علما ولكنه لم ينفعهم . ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أسألك علما نافعا ورزقا طيبا . وعملا متقبلا " (٥) وكان يقول فى دعائه " اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها " (٦)

فالعلم الذى يطلب من العبد تعلمه سواء على سبيل الوجوب أم الاستحباب هو العلم النافع الذى يوصل الى الحق ويبعد عن الضلال والباطل .

وأشرف العلم ما كان دالا على الله سبحانه وتعالى وموصلا الى معرفته وتوحيده يقول الامام ابن القيم (٧) " ان العبد لو عرف كل شئ ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئا .

---

(١) يراجع فى هذا . ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، باب معرفة أصول العلم وحقيقته وما الذى يقع عليه اسم الفقه والعلم مطلقا .

(٢) سورة النجم آية : ٢٩ و ٣٠ .

(٣) سورة الروم آية : ٧ . (٤) سورة غافر آية : ٨٣ .

(٥) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ص ٢١ ويشهد له الحديث الذى بعده .

(٦) رواه مسلم . أنظر الصحيح ٤ / ٢٠٨٨ .

(٧) هو شمس الدين محمد بن أبى بكر ، امام معروف له مصنفات نافعة منها اعلام الموقعين وزاد المعاد واغاثة اللهفان . توفى بدمشق سنة ٧٥١ هـ .

ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها ولم يظفر بمحبة الله والشوق اليه والأنس به فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرة عين" (١)

والعلم النافع هو الذى يتوسل به الى عبادة الله سبحانه وتعالى حسب مفهوم العبادة الشامل كما يحدده قوله تعالى "قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين" (٢)

- فالعبادة حسب المفهوم القرآنى منهج حياة كامل شامل (٣). فهى تشمل الى جانب شعائر التعبد من الصلاة والصيام والذبح لله الحياة كلها بل والممات . وقد جعلها الله سبحانه وتعالى الغاية من خلقه للجن والانس ، فقال تعالى " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون" (٤) وقال تعالى " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا" (٥)

فالعلم اذا لم يكن مؤديا الى هذه الغاية فى وسائله وأهدافه ونتائجه لا يعتبر علما نافعا . بل اذا اجتمع فى العلم خير وشر ولم يمكن حصول الخير الا بوجود الشر فانه يغلب جانب الحظر والمنع عملا بالقاعدة الشرعية الأصولية " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح" (٦)

واذا كان العلم فى ذاته غير ضار لكنه يكون وسيلة الى محظور وممنوع شرعا فانه يترك لكونه يؤول الى محرم شرعا ، والوسائل تأخذ حكم الغايات . وقاعدة سد الذرائع من قواعد الشريعة الواجبة الإعمال فى مثل هذه المواطن .

---

(١) ابن القيم ، اغاثة اللهفان ١/٦٨ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٦٢ .

(٣) عرف شيخ الاسلام ابن تيميه العبادة بقوله " هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، أنظر رسالة العبودية له ص ٣٨ .

(٤) سورة الذاريات آية ٥٦ . (٥) سورة النساء آية ٣٦ .

(٦) لبعض الفقهاء تفصيل فى هذه القضية وهو أنه اذا اجتمع الخير والشر وكان الشر غالبا فهنا يقدم المنع أما اذا كان الخير غالبا فانه يتساهل فى الأمر عملا بقاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد " أنظر العز بن عبد السلام ، قواعد الأحكام ١/ ٨٣ ، والآمدى ، الأحكام فى أصول الأحكام ٢/ ٢٧٤ .

فاذا تقرر أن الغاية الأساسية لحياة المسلم هى تحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى وذلك باقامة منهجه فى الأرض وتحكيم شريعته كما هو مقتضى شهادة أن لا اله الا الله [١] محمد رسول الله . فان كل علم يؤدى الى هذه الغاية ويتعلق بهذا الهدف هو علم مطلوب وواجب على الأمة تعلمه وجوب كفاية وقد يكون منه ما هو واجب عينى كمعرفة التوحيد وأحكام العبادة . والأمة تأثم بعمومها اذا لم يتوفر العدد الكافى من أبنائها المقابلة سد حاجاتها من المتخصصين فى أى فرع من فروع العلم اللازم لها .

وينبغى الأنتباه الى أن فساد المنهج الذى يتلقى به العلم يؤدى الى فساد الثمرة المرجوة من العلم . فلا بد من استقامة المنهج العلمى لكى نحصل على ثمرة العلم وفائدته . وهذا أمر واضح فى كثير من الدراسات التاريخية المعاصرة بسبب تشويه المنهج العلمى فيها أو بسبب سوء القصد فى القائمين عليها أو بسبب الجهل بالشريعة .

لذا يجب على طالب العلم اتباع المنهج العلمى السديد الذى يؤدى الى الثمرة المطلوبة من العلم وهذا يحصل باخلاص النية والقصد لله سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته وبتجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الفضيل بن عياض [٢] فى معنى قوله تعالى " هو الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا " [٣] أخلصه وأصوبه ، فان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل . واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا . والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة " [٤] وعلى هذا دل قوله تعالى " ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى " [٥] وقوله " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " [٦]

---

(١) للاستزاده فى مفهوم العبادة ، أنظر ابن تيميه ، العبودية ص٣٨-٥٠ ، وسيد قطب ، معالم فى الطريق ، فصل لا اله الا الله منهج حياه ص٨٢ - ٩٦ .

(٢) هو فضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى من سادات التابعين ورعا زاهدا عابدا جاور بمكة حتى توفى سنة ١٨٧ خرج حديثه البخارى ومسلم وغيرهما . " أنظر ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٨ / ٢٩٤ .

(٣) سورة تبارك آية : ٢ . (٤) ابن تيمية ، شرح حديث انما الأعمال بالنيات ص٢١ . ضمن مجموعة الرسائل الكمالية ، المجلد الثانى حديث . (٥) سورة لقمان آية ٢٢ .

(٦) سورة الكهف آية ١١٠ .

وذلك أن طلب العلم النافع عبادة من العبادات وقربة من القرب التى يتقرب بها العبد من ربه .

وهناك تلازم بين العلم والعمل . فالعلم لازم لصحة العمل ، والعمل لازم للحصول على ثمرة العلم . قال تعالى " فأعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم " (١) .

وقد بوب الامام البخارى رحمه الله على هذه الآية فى صحيحه بقوله " باب العلم قبل القول والعمل " (٢) فالعلاقة بين العلم والعمل فى القرآن الكريم وثيقة جدا كما أن لفظة العلم فى القرآن والسنة ليست قاصرة على مجرد العلم بمعنى المعرفة . بل تشمل العلم والعمل معا . كما قال تعالى " انما يخشى الله من عباده العلماء " (٣) وليس المقصود بالعلماء هنا أولئك الذين يعلمون لمجرد المعرفة ولا يعملون بل الذين عملوا بما علموا . وما الخشية التى حصلت لهم الا ثمرة العمل بالعلم .

يقول الدكتور محمد أمين المصرى " ان شأن العلم أن يستلزم الايمان والايمان يستلزم العمل . فان لم يكن هنالك عمل كان العلم ناقصا وكان الايمان مختلا . فلقد ذم الله سبحانه وتعالى الذين لا يعملون بعلمهم فقال " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا الآية " (٤) فالآية تعطى صورة حية ناطقة لمن لا يعمل بعلمه . وتشير الى أن من العلم ما يخالط القلب ويمازج أجزاء النفس ومنه نوع يدخل الى النفس لكنه لا يؤثر فيها ولا يتأثر بها بل يبقى كسقط المتاع فى زاوية من زوايا النفس . وهذا أكبر من الجهل لأن صاحبه يخدع الناظر اليه ويخدع نفسه فهو فى ثوب العلماء ونفسه تنطوى على جهالة عمياء " (٥) .

---

(١) سورة محمد آية : ١٩ .

(٢) الجامع الصحيح : كتاب العلم باب رقم (١٠) أنظر ١/١٥٦ من فتح البارى .

(٣) سورة فاطر آية ٢٨ . (٤) سورة الجمعة آية ٥ .

(٥) محمد أمين المصرى ، المجتمع الاسلامى ص ٧٨ .

وقد ذم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يطلب العلم لغير العمل به كما فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو هريرة " قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف (١) الجنة يوم القيامة" (٢) فكل سعى المسلم يجب أن يبتغى به وجه الله حتى لا يكون يوم القيامة هباء منثورا كعمل الكفار الذين لا يؤمنون بالله .

ولقد جاءت النصوص الكثيرة المنقولة عن الصحابة رضى الله عنهم وغيرهم من علماء السلف فى الربط بين العلم والعمل وأن العلم يقتضى العمل (٣) وذلك منهج من مناهج حياتهم .

ولهذا كان فهم السلف "للعلم" فهما يتميز بالشمول ويقترن بحاجات الأمة ومصالحها . ولم يكن أخذهم للعلم للتزين والتجمل به . أو الأخذ الترفى المفصول عن الواقع أو التلقى الذهنى البارد المجرد عن العمل والحركة بل كان متسقا مع آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى " هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فأمشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور" (٤) وقوله " قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير" (٥) وقوله " قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون" (٦) وقوله تعالى " والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض وأستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب " (٧)

---

(١) عرف الجنة : أى ريحها .

(٢) رواه الخطيب البغدادى فى كتاب "اقتضاء العلم العمل" ص٦ وصححه الألبانى وقال أخرجه أحمد فى المسند ، والحاكم فى المستدرك وصححه .

(٣) كتب الخطيب البغدادى كتابا لطيفا بعنوان "اقتضاء العلم العمل" جمع فيه الآثار المروية عن الصحابة والسلف الصالح فى هذا المعنى .

كما كتب الحافظ ابن رجب الحنبلى رسالة جيدة بعنوان فضل علم السلف على الخلف ذكر فيها كثيرا من الآثار حول هذا الموضوع .

(٤) سورة تبارك آية : ١٥ . (٥) سورة العنكبوت آية : ٢٠ .

(٦) سورة يونس آية : ١٠١ . (٧) سورة هود آية ٦١ .

فالله يدعونا في هذه الآيات وغيرها الى السير فى الأرض وعمارتها والى النظر فيهـا نظر تدبر وتفكر يؤثر فى النفس وتنعكس آثاره فى السلوك . ولم تفصل الآيات بين العلم والعمل ولا بين الدنيا والآخرة وانما كل ذلك ينبغى أن يعتنى به ويعمل له شريطة أن يكون وفق منهج الله وشريعته ، لأن هذا هو مقتضى شرط الاستخلاف الذى أعطى لأبينا آدم عليه السـلام ولذريته من بعده . وهو عبادة الله وحده لا شريك له وتلقى الهدى منه .

والعلم لا خير فيه ان لم ينبنى عليه سلوك مستقيم ويورث فى النفس عملا صالحـا . يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه "ان الناس أحسنوا القول كلهم فمن وافق فعله قولـه فذلك الذى أصاب حظه . ومن خالف فعله قوله فانما يوبخ نفسه" (١) ، وقال أبو اسحاق الشاطبى (٢) بعد أن ساق قول ابن مسعود الآنف وغيره من أقوال السلف "والأدلة علـى هذا المعنى أكثر من أن تحصى . وكل ذلك يحقق أن العلم وسيلة من الوسائل ليـس مقصودا بنفسه من حيث النظر الشرعى . وانما هو وسيلة الى العمل وكل ما ورد فى فضـل العلم فانما هو ثابت للعلم من جهة ما هو مكلف بالعمل به" (٣) ، وقال الحسن البصـرى (٤) فى معنى قوله تعالى "وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم" (٥) علمتم فعلمتم ولم تعملوا فوالله ما لكم بعلم" (٦)

---

(١) الشاطبى ، الموافقات ١/٦٥ .

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى الشهير بالشاطبى عالم أصولـى حافظ من أهل غرناطة له مصنفات أشهرها الاعتصام والموافقات كانت وفاته سنة ٧٩٠ هـ "أنظر الأعلام للزركلى ١/٧٥ .

(٣) الشاطبى ، الموافقات ١/٦٥ .

(٤) هو الحسن بن أبى الحسن البصرى نشأ بالمدينة وحفظ القرآن وسمع عثمان يخطب مرارا ولازم الجهاد والعلم والعمل وكان من الشجعان الموصوفين . ومن العباد المشهورين توفى سنة ١١٠ عن ثمان وثمانين سنة" الذهبى تذكرة الحفاظ ١/٧١ .

(٥) سورة الأنعام آية : ٩١ .

(٦) الشاطبى الموافقات ١/٧٥ .

وقال سفيان الثورى (١) "العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل" (٢)، وقال الفضيل بن عياض "لا يزال العالم جاهلا بما علم حتى يعمل به فاذا عمل به كان عالما" (٣)

وبهذا يتضح بطلان المنهج الجاهلى القائم على قاعدة "العلم للعلم" و "الأدب للأدب" و "الفن للفن" ونحوها . والتى تعنى تجريد العلم عن العقيدة والتصور ، وتفصله عن العمل والثمرة ، وترسم للبحث العلمى دائرة مستقلة لا دخل للعقيدة والدين أو الغايات النبيلة فيها . مع أن هذه العبارة خاطئة من الناحية الواقعية اذ لا يمكن للانسان أن يعمل شيئا الا وهو مدفوع بغرض معين خارج عن مجرد العمل .

وفى ظل هذا المنهج لا حرج على الانسان أن يتعلم أو يبحث فى أى شئ ولو كان حراما ضارا أو عقيما لا خير فيه ولا غاية سامية له .

وقد نشأ هذا المنهج فى ظروف تاريخية خاصة بأوربا الشاردة من طغيان الكنيسة ورجالها الذين كانوا يفرضون على الناس اعتقاد ما يطلونه عليهم من الخرافات والتأويلات المحرفة ويعاقبون كل من وصل الى نظرية مخالفة أشد العقاب وان كانت حقا فى ذاتها أو مما جعل الله تعالى شأنه موكولا الى الجهد البشرى والتجربة البشرية .

---

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق امام حافظ ثقة فقيه ولد سنة ٩٧هـ وتوفى سنة ١٦١هـ "أنظر تذكرة الحفاظ ١/٢٠٣ .

(٢) الشاطبى ، الموافقات ١/٧٥ .

(٣) الخطيب البغدادى ، اقتضاء العلم العمل ص٣٧ .

- ضوابط منهج العلم -

في المبحث السابق حاولنا تحديد مفهوم العلم في الشريعة الاسلامية والتعرف على بعض الشرائط الواجب ملاحظتها ليكون العلم نافعا ومفيدا . وفي ظل هذا المفهوم للعلم نحاول تحديد الضوابط التي يتقيد بها المنهج العلمي .

والمصدر الأول للمعرفة في التصور الاسلامي هو الوحي الذي يبلغه الله لرسول من رسله . فالقرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران اللذان يرجع اليهما في ضبط الموازين والقيم ومعرفة الحق من الباطل والحكم على معطيات العلوم ونتائجها . نقلية كانت أم عقلية . فهما مصدر الحق في هذا الوجود . قال تعالى "ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" (١) وقال تعالى "ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم" (٢) ، وقال تعالى : " .. ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين" (٣) .

فالوحي الرباني هو المصدر المأمون الذي يتميز بالثبات والشمول ويقدم التفسير الشامل للحياة والكون والانسان وحقيقة الألوهية والعبودية ، لأنه كلام رب العالمين العليم الخبير المطلع على كل شيء والمبرأ مما يعترى البشر من القصور والظلم والجهل وسوء الفهم والارتباط بالمصلحة وبالبيئة التي نشأ فيها ، والتربية التي تلقاها ، والمفاهيم والتصورات المتوارثة .

---

(١) سورة فصلت آية : (٤١ - ٤٢) .

(٢) سورة الاسراء : آية ٩ .

(٣) سورة النحل آية : ٨٩ .

فهو الله سبحانه الخالق لكل الخلق وهو أعلم بهم وبما يصلحهم . وقد وضح هذا المنهج في كتابه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم .

فما دام الوحي بهذه الصفة من التكامل والشمول والعدالة . فانه لابد للمسلم أن يتخذه منهجا وميزانا يزن به القيم والأحداث ويضبط به التصورات والمفاهيم ويتخذه حكما في هذه القضايا يرجع لحكمه ويتلقى منه .

فلقد وضع الاسلام ضوابط المنهج العلم وتلقيه كما وضع ضوابط لأدوات العلم والمعرفة . فالعقل والسمع والبصر أدوات زود الله بها الانسان ليحصل عن طريقها على المعرفة . فهي أدوات لا مصادر مستقلة للمعرفة . واعتبار أن الوحي الرباني هو المصدر الذي يرجع له لضبط المعرفة ، هو أهم قضية عاشتها الانسانية . وبسبب الاختلاف فيها وقعت البشرية في حيرة واضطراب ، واختلاف شديد .

ولو اتفقت البشرية على ميزان موحد لضبط العلم والمعرفة لما وقع بينها هذا التباين الشديد في الاتجاهات والمناهج والمذاهب التي لا توجد بين أغلبها قواسم مشتركة أو نقاط التقاء .

والا فوقوع الاختلاف من طبائع البشر تبعا لاختلاف المفاهيم والقدرات حتى داخل المذهب الواحد .

والبشرية اذا لم يكن لها منهج موحد ترجع له عند الاختلاف وتزن مفاهيمها ونتائج أبحاثها بميزانه فانها ستختلف ويشتد اختلافها . فمثلا في المجال التاريخي نجد أن الروايات والمصادر تتفق على حدث تاريخي معين رغم اختلاف أديان أو مذاهب الرواه . لكنها لا تتفق في تفسير هذا الحدث وفلسفته . لأنه في رواية الخبر التاريخي وتدوينه ينقل الراوي ما شاهد أو ما سمع وتتفق الروايات اذا كان الرواة صادقين ، أما في فلسفة هذا الخبر وتحليله فان كل شخص يأتي بتفسير بناء على مفاهيمه وعقيدته وبيئته التي تربى فيها . فاذا لم يكن هناك مصدر موحد يرجع له في ضبط المفاهيم والأحكام والتفسيرات فستبقى البشرية في اختلاف .

وأشد أنوع الاختلاف اختلاف المناهج والتصورات والقيم.وان الاهتداء بهدى الكتاب والسنة في منهج الكتابة التاريخية يعود على البحث والباحث بكثير من الفوائد .

فانه يورث للباحث جدية في العمل وصفاء في الفكر واهتماما بالكليات والأصول ويبعده عن الأغراق في الجزئيات والفروق التي تستغرق جهدا كبيرا ووقتا طويلا في مناقشات قد لا تكون ذات قيمة .

كما أنه يوجه الطاقات والقوى الى جذور القضايا راسمات لمسائل وبشكل حاسم .

ويتضح ذلك فيما قصه القرآن الكريم من تاريخ الرسل والأمم السابقة . كما أن من ثمرات ذلك النظر في سنن الله في الأنفس والآفاق والتأمل في أحوال الأمم عبر التاريخ وما وصلت اليه من الرخاء والتقدم وما انتهت اليه مصائرها وأسباب ذلك التقدم وعوامل هذا الانهيار - قال تعالى "قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين"(١) وقال تعالى "أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالها"(٢) وقال "قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين"(٣)

ومن ثمرات ذلك أن يكون سعي الانسان في طلب الأحسن والأقوم والأخذ به هو هدفه ورائده كما قال تعالى "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب"(٤)

ومن نتائج ذلك اهتمام الباحث بالقضايا الكبرى للأمة وأن يعمل جهده فيما يؤدي الى رقيها وتقدمها ، وبذلك تكون أبحاثه ودراساته مما يمس واقع الأمة واحتياجاتها الفعلية ، وهذا أمر حيوي ولا غنى للباحث عن مثل هذه الدراسات والا كانت أبحاثه من باب الترف العلمي المجرد الذي يستهدف اشباع غريزة حب الاستطلاع وحب الظهور .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١١ .

(٢) سورة محمد آية : ١٠ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٧ .

(٤) سورة الزمر آية : ١٨ .

كما أن الاستمداد من المصدر الرباني يؤدي بالانسان الى الابتعاد عن الظنون والأوهام وتخليص الفكر من كل المبادئ والمعتقدات التي قامت على الظن أو التقليد وعلى الأفكار والتصورات الباطلية .

أضف الى هذا ما يوفره الاعتماد على الكتاب والسنة من الابتعاد عن مصطلحات المتكلمين ومذاهبهم المختلفه وكافة المصطلحات الأجنبية ذات المفاهيم المرتبطة بالوضع التاريخي المحلي الغريب عن تاريخنا . وذات المعاني غير المنضبطة والتي تحجب الرؤية الصحيحة عن القارئ .

فمصطلح مثل الديمقراطية ، الاشتراكية ، الانسانية ، المساواة ، الحرية الوطنية لها دلالات ومفاهيم مرتبطة ببيئتهم وتصورات المجتمع الذي نشأت فيه . (١) ونقلها الى ثقافتنا الاسلامية وتاريخنا يعطي أحكاما مضللة . والمؤرخ ينبغي له أن يسمي الاشياء بمسمياتها الحقيقة وأن يحكم عليها حسب الميزان الشرعي .

وكما أن المنهج الاسلامي قد وضع ضوابط لمنهج تلقي العلم ولوسائل التلقي فانه أيضا وضع ضوابط محددة في من نتلقى منه العلم .

---

(١) فمثلا مصطلح "الديمقراطية" من المصطلحات الأوربية التي شاعت على ألسنة كثير من الكتاب والمؤلفين ويستعملونها في زعمهم على ما تدل عليه لفظة الشورى بينما لو نظرنا لتاريخ هذا المصطلح الذي جلبوه واستعملوه بدلا من الشورى لتبين لنا بعد ما بينهما .

يقول الكاتب الانجليزي "برتراند رسل "الديمقراطية كانت تعني حكم الأغلبية مع نصيب قليل غير محدد المعالم من الحرية الشخصية ثم أصبحت تعني أهداف الحزب السياسي الذي يمثل مصالح الفقراء على أساس أن الفقراء في كل مكان هم الأغلبية . وفي المرحلة التالية أصبحت تمثل أهداف زعماء الحزب . وها هي الآن في أوربا الشرقية وجزء كبير من آسيا يصبح معناها الحكم المستبد لمن كانوا يوما ما نصراء للفقراء وأصبحوا اليوم يقصرون نصرتهم هذه للفقراء على ايقاع الخراب بالأغنياء الا اذا كان الأغنياء من الديمقراطية بالمعنى الجديد " العقل والمادة ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

فقد أخرج الامام مسلم فى صحيحه عن محمد بن سيرين (١) قال "ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم" (٢) فنظرة المسلم الى العلم على أنه عبادة من العبادات توجب عليه الاحتياط والتثبت فى تلقى العلم وأن لا يأخذ الا عن الثقات فى دينهم وعقيدتهم خاصة فيما يختص بحقائق العقيدة أو التصور العام للوجود أو بالخلق والسلوك أو القيم والموازين أو النظم الاسلامية أو ما يختص بتفسير بواعث النشاط الانسانى أو بحركة تاريخه .
فلا يجوز للمسلم أن يتلقى العلم فى هذه الأمور الا عن مسلم يثق فى دينه وتقواه .

أما غير المسلم فلا يؤخذ عنه العلم فى هذه الأمور ولا كرامة بل لقد حذرنا الله أشد التحذير عن الأخذ والتلقى من الكفار بكافة طوائفهم وملتهم وبين لنا مصدر الهدى الذى نتلقى منه ، فقال تعالى " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير " (٣) ،

وقال تعالى " ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق" (٤)

وقال تعالى : " ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم " (٥)

وقال تعالى : " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا" (٦)

---

(١) هو الامام الربانى محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك ولد فى خلافة عثمان بن عفان وسمع جمعا من الصحابة ، كان فقيها اماما غزير العلم ثقة ثبتا علامة فى التعبير - أى تعبير الرؤيا . رأسا فى الورع ، كانت وفاته بعد وفاة الحسن البصرى بوقت يسير فى سنة ١١٠ هـ " الذهبى ، تذكرة الحفاظ ١ / ٧٧ " .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١ / ٨٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٢٠ . (٤) سورة البقرة آية : ١٠٩ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٠٥ . (٦) سورة البقرة آية : ٢١٧ .

وقال تعالى : " ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون "(١)

فهذه الآيات اخبار من الله تعالى عن موقف الكفار من الأمة الاسلامية وتحذير لنا من الركون لهم أو حتى احسان الظن بمواقفهم تجاهنا . بل انها تستجيش فينا مشاعر الحمية للحق وتوقظ قلوبنا وتدعونا للحذر الشديد أثناء التعامل معهم وعدم الطمأنينة لهم وهذا هو مقتضى الولاء والبراء الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم "أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله "(٢)

وموقف الكفار هذا من المسلمين لم يكن فى فترة تاريخيه من الزمن ثم تنتهى بل هو موقف ثابت دائم طالما داموا على الكفر ودمنا على الاسلام . كما هو دلالة الآيات السابقة ودلالة الوقائع التاريخية عبر الزمن المتطاول منذ أن كان هناك كفر وايمان والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. لأن من طبيعة الفسق أنه لايقبل بوجود الحق ولا يستطيع المعايشة معه كما قال تعالى " هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون"(٣) فطالما أن هذا هو موقفهم وهذه هى توجهاتهم نحو الأمة المسلمة فان كل مسلم عاقل يحترم عقله ودينه لا يقبل التلقى منهم فى أصول عقيدته ولا مقومات تصوره ولا منهج تاريخه ولا نظام حكمه أو سياسته أو مجتمعه وعاداته وتقاليده .(٤)

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٩ .

(٢) رواه ابن أبى شيبة فى كتاب الايمان ص٩٩٤ وقال الألبانى حديث حسن أخرجه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك .

(٣) سورة المائدة آية ٥٩ .

(٤) بل لقد بحث العلماء حكم السفر الى بلد المشركين والاقامة بينهم فضلا عن التلقى والأخذ منهم ولهم تأليف فى ذلك موضحة فى مظانها "أنظر على سبيل المثال رسالة الشيخ سليمان ابن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب " حكم موالاة أهل الاشراك ، وحكم السفر الى بلاد الشرك ص٢٧٧ - ٣٠٢ منشورة ضمن مجموعة التوحيد .

يقول وليم جيفورد بالكراف " متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها الا محمد وكتابه"(١)

ويقول المبشر تكلي ما ترجمه نصه " يجب أن نشجع انشاء المدارس وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي . وان كثيرين من المسلمين تزعزع اعتقادهم حين تعلموا اللغة الانجليزية،(٢) وان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس - يعني القرآن - أمرا صعبا"(٣) فهذه نماذج من شهاداتهم وخططهم التي يعدونها لاخراج المسلمين عن دينهم فهل يحق لنا بعد هذا أن نأخذ عنهم ونثق فيهم ..

ثم هم جهلاء لا علم عندهم في هذه الأمور التي ذكرناها وذلك بشهادة الله رب العالمين وتقريره ذلك في كتابه العزيز، قال تعالى : " أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى . انما يتذكر أولوا الألباب "(٤) فيقرر سبحانه وتعالى في هذه الآية(٥) أن الذين لا يستجيبون للحق هم عمي وأنهم لا يتفكرون ولا يعقلون ، وأن الذين يستجيبون له هم أولوا الألباب الذين اطمأنت قلوبهم بذكر الله .

((وان الانسان ليجد مصداق ذلك في كل من يلقاه من الناس معرضا عن هذا الحق . واذا كان الذين لا يؤمنون بهذا الحق عميا كما قرر الباري جل جلاله فانه لا ينبغي للمسلم أن يتلقى العلم ويأخذه عن مَنْ هذه صفته وبخاصة اذا كان ذلك العلم تعلقا بالنظام

---

(١) أ - ل شاتليه - الغارة على العالم الاسلامي ص ٤٩ ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي .

(٢) تعلم اللغة الانجليزية وغيرها من اللغات بقصد معرفتها لا يوصل الى هذه النتيجة الا اذا كان تعليمها موجها لهذا القصد . وهذا هو الحاصل في أغلب معاهد تعليم اللغات والكتب الخاصة بتعليمها حتى في مدارس المسلمين مع الأسف .

(٣) محمد أمين المصري ، المجتمع الاسلامي ص ٨٦ .

(٤) سورة الرعد آية : ١٩ .

(٥) راجع تفسيرها في تفسير القرآن الكريم لابن كثير ٤ / ٣٧١-٣٧٢ ، وأنظر الظلال ٤ / ٢٠٧٤ .

الذى يحكم حياة الانسان أو القيم والموازين التى تقوم عليها الحياة . أو بالسلوك والتقاليد والآداب التى تسود المجتمع المسلم . وهذا هو موقف المسلم من نتاج الفكر غير الاسلامى بجملته فيما عدا العلوم المادية البحته وتطبيقاتها العملية . وانه لا ينبغى لمسلم يعرف هدى الله ويعرف الحق الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقعد مقعد التلميذ الذى يتلقى من انسان لم يستجب لهذا الهدى ولم يعلم أنه الحق . وان هذا الدين جد لا يحتمل الهزل وحزم لا يحتمل التميع وحق فى كل نص فيه وفى كل كلمة.(١)

وهذه الضوابط لمنهج العلم ووسائل تلقيه وفى من يتلقى منه العلم توجب علينا الاشارة الى بعض أهداف تعلم العلم والوسائل المؤدية الى ذلك .

---

(١) أنظر سيد قطب ، فى ظلال القرآن ٤ / ٢٠٧٤ "بتصرف" .

أهـــداف تلقـــى العلـــم : . .

فى الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رســـول اللـــه صلى الله عليه وسلم يقول " انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى . . . الحديث" (١)

لما كان مدار الأعمال على المقاصد والغايات فان النية تصحح العمل أو تفسـده ولذا وجب أن يرتبط تلقى المسلم للعلم بهدف محدد وغاية واضحة . وأن يحاول تحقيـق شرطى العمل الصالح فيما يتعلمه وهما الاخلاص . والصواب. (٢)

فالاخلاص أن يبتغى الانسان بعمله وجه الله وحده ولذا جاء فى الحديث القدسى "أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه" (٣) .

أما الصواب فهو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ولزوم سنته ودليله الحديـث الصحيح الذى روته عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من عمـل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" (٤)

ولقد مرّ معنا فى مبحث مفهوم العلم طائفة من أقوال علماء السلف الصالح حـــول فهمهم لمعنى العلم وأنه يقتضى العمل وأن العالم لا يكون ربانيا حتى يعمل بما علم .

قال تعالى : " وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للنـــاس كونوا عبادا لى من دون الله . ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون" (٥).

---

(١) حديث صحيح سبق تخريجه .

(٢) هذان الشرطان مأخوذان من قوله تعالى " فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " كما أوضح ذلك الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية من سورة الكهف ، أنظر تفسيره ٥ / ٢٠٠ .

(٣) رواه مسلم رقم ٢٩٨٥ ص ٤ / ٢٢٨٩ .

(٤) رواه مسلم رقم ١٧١٨ ص ٢ / ١٣٤٤ .

(٥) سورة آل عمران آية : ٧٩ .

ذلك أن تلقي العلم للعمل به يثير في نفس المتعلم الحماس والاستعداد فيستنفر كامل طاقات نفسه ومواهبها . وبذلك يكون فهمه الأمور واستيعابه أكثر فضلا عن استظهاره للنصوص وحفظها للاستشهاد بها عند كل مسألة ، وهذا الأثر لمنهج التلقي واضح في حياة السلف ومؤلفاتهم . حتى كثر فيهم الحفاظ وصار ذلك من الألقاب الشائعة بينهم . وكان اتقانهم في الحفظ واستظهارهم للمسائل عجيبا . ولعل هذا مكمن السر في ابداعهم وتأصيلهم للمسائل وشمول بحوثهم وتعدد تخصصاتهم وموسوعيتها رغم قلة الوسائل العلمية المتوفرة لهم (١) .

ومن المعلوم أن كل فرع من العلوم يختص بأهداف محددة يسعى لتحقيقها . ومع ذلك فان بالامكان أن نلخص الأهداف العامة التي يتوخاها المسلم في تلقيه "للعلم" على عموم المصطلح وشموله ويتمثل ذلك في معرفة أحكام الشريعة : أوامرها ونواهيها ، حلالها وحرامها والعمل بذلك ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة .

كما يتمثل ذلك في اعداد الانسان المؤمن الذي يعرف وظيفته ودوره في هذه الحياة وذلك بتنمية مواهبه واستعداداته وتوجيهها التوجيه السليم المتفق مع الفطرة (٢) ولتحقيق كامل انسانيته بالعبودية لله وحده واتباع منهجه .

ومن أهداف العلم . التفكر والتدبر في الكون وما حواه من سماوات وأرضين وكواكب ونجوم وعوالم متعددة . . والنظر في السنن الربانية ، وقوانين التآلف والانسجام في هذا الكون . لمعرفة عظمة خالقه ومبدعه وعظيم منته على خلقه ، وللاستفادة من ذلك في واقع

---

(١) لقد توفر لنا في العصور الحديثة وسائل علمية متقدمة لم تكن متوفرة لهم مثل الطباعة وأجهزة التصوير والتسجيل وحفظ المخطوطات . وسهولة المواصلات والاتصالات ورغم هذا لم نصل منزلتهم في العلم والحفظ .

(٢) قال صلى الله عليه وسلم " ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " البخاري ٢/ ٢١٦ .

الحياة واستمرار الخلافة فى الأرض . كما أن من أهداف العلم الاطلاع على معالم تاريخ الأمة الاسلامية عبر الأزمان المتطاولة والمتمثل فى تاريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم مع معرفة مواقف الجاهليات تجاههم . فان فى معرفة ذلك عبرة وعظة كما قال تعالى " لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " (١)

---

(١) سورة يوسف آية : ١١١ .

وسائل تلقي العلم :-

قال الله تعالى : " هو الذى أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا فجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون "(١) ، وقال تعالى : " قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون "(٢) ، وقال تعالى " ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا "(٣)

فمن نعمة الله سبحانه وتعالى أن زود الانسان بهذه الوسائل والقدرات اللازمة لتلقى العلم والمعرفة .

ثم تفضل عليه مرة أخرى فعلمه ما لم يكن يعلم وأرسل له الرسل وأنزل معهم الكتب قال تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم "(٤) .

وهكذا فالتعليم هبة من الله فهو الخالق لهذا الكون ولهذا الانسان هو الواهب له هذه القدرات والوسائل وهو الذى علمه عن طريق رسله ما يصلح حياته ويقوم فطرته ويمكنه من تحقيق عبوديته لله . ويبعده عن ضلالات البشرية وانحرافاتها المتمثلة فى الأفكار والفلسفات والنظم الجاهلية التى قطعت صلتها بالله وكتبه ورسله .

وهذه الوسائل من السمع والبصر والفؤاد (العقل) مشتركة بين البشرة كلها مسلمها وكافرها لكن المسلم يتميز عن غيره بالمصادر الربانية التى تصحح له فكره واتجاهاته ويزن على هداها نتائج تجاربه وأبحاثه واستقراءاته وقياساته . كما يتميز عن غيره بأهدافه فى تلقى العلم اذ يسعى الى مرضاة الله وتحقيق العبودية له وتطبيق المنهج الربانى فى واقع الحياة .

---

(١) سورة النحل آية : ٧٨ .
(٢) سورة تبارك آية : ٢٣ .
(٣) سورة الاسراء : آية ٣٦ .
(٤) سورة البقرة آية : ٣١ - ٣٢ .

ولأجل ذلك فان المسلم أقدر من غيره على استخدام وسائل المعرفة الاستخدام المثمر الصحيح الذى يوصل الى نتائج علمية مستقيمة لأنه - مع توفيق الله له بسبب استقامته على أمر الله - يعرف كيفية استخدام وسائل المعرفة الاستخدام الصحيح وفق الوظائف التى خلقت لها ويحافظ عليها ويصونها ولا يستعمل مايؤدى الى تعطيلها كلها أو بعضها. ولهذا جاء فى الأثر "اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله" (١).

أما غير المسلم فانه يتسبب بأعماله فى تعطيل بعض هذه الوسائل فلا تؤدى وظيفتها كما ينبغى يقول الله تعالى "كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون" (٢). وفى تفسيرها - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ان العبد اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه . فان تاب منها صقل قلبه وان زاد زادت فذلك قول الله كلا بل ران على قلوبهم .. الآية" (٣).

وقال تعالى عن اعتراف الكفار يوم القيامة بأنهم لم يستخدموا هذه الوسائل الاستخدام الصحيح "وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير" (٤) أى لو كنا نسمع سمع من يعى ونعقل عقل من يميز ولذلك قال فى الآية التى بعدها "فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير" (٥)

---

(١) رواه الترمذى مرفوعا من حديث أبى سعيد الخدرى عند تفسير قوله تعالى "ان فى ذلك لآيات للمتوسمين"، وقال حديث غريب، أنظر تحفة الأحوذى ٨/٥٥٥، وفى سنده عطية العوفى وهو ضعيف، أنظر جامع الأصول ٢٠٦/٢ وذكره الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ٨٧/١.

(٢) سورة المطففين آية : ١٤.

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح، أنظر تحفة الأحوذى شرح الترمذى ٢٥٤/٩، ورواه أحمد فى المسند ٢٩٧/٢، وأنظر فى تفسير الآية ابن كثير ٣٧٢/٨ - ٣٧٣.

(٤) سورة الملك آية : ١٠.

(٥) سورة الملك آية : ١١.

وقال تعالى : " ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس . لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون "[١] فهؤلاء لما عطلوا وسائل المعرفة عن وظيفتها التى خلقت لها شبههم الله بالأنعام العجماوات . بل جعلهم أضل وأحط درجة ومنزلة . ذلك أنهم عطلوا وسائل المعرفة عن وظيفتها الصحيحة وهى معرفة الخالق وافراده بالعبادة ولزوم شريعته . والمعاصى - فضلا عن الكفر - تحجب الرؤية الصحيحة حتى تنتكس المفاهيم والتصورات فترى المعروف منكرا والمنكر معروفا . كما فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تعرض الفتن على القلوب عودا عودا .[٢] فأى قلب أشربها[٣] نكت فى قلبه نكتة[٤] سوداء وأى قلب أنكرها[٥] نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين . على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض . والآخر أسود مربادا[٦] كالكوز مجخيا[٧] لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ما أشرب من هواه "[٨] .

ولقد ضبط العلماء المسلمون طرق الحصول على العلم سواء كان التلقى عن طريق السمع والرواية وهو النقل بدرجاته المعروفة كالأخبار المتواترة والمستفيضة أو الآحاد سواء كان نقلتها ثقات أم ضعفاء . ولعلماء الحديث فى هذا الشأن جهد بارع بلغ الغاية فى التدقيق والتحقيق وقد ضبطوا طرق التحمل[٩] ونقل العلم من جيل الى جيل .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٩ .

(٢) أى مرة بعد مرة وهو بضم العين .

(٣) أى دخلت فيه وأحبها .

(٤) أى نقط نقطة .

(٥) أى ردها .

(٦) كناية عن شدة السواد .

(٧) أى مائلا ومنكوسا .

(٨) أنظر صحيح مسلم ١ / ١٢٨ - ١٢٩ .

(٩) عن طرق التحمل والأداء ، أنظر ابن كثير ، اختصار علوم الحديث بشرح الشيخ أحمد محمد شاكر ص ١٠١ - ١٢٢ ، وزين الدين العراقى ، التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ص ١٦٦ - ٢٠٢ .

أو كان عن طريق الاستنباط والنظر مثل السير فى الأرض بقصد التدبر والتفكر والاطلاع على عجائب قدرة الله ومثل اجراء التجارب للكشف عن القوانين العلمية . أو كان عن طريق الاستقراء والتتبع فى محاولة للوصول الى قواعد علمية مقننة ، فكل هذه الطرق تؤدى للحصول على العلم والمعرفة . وينبغى ترشيد استخدام الوسائل التى زود بها الانسان والحفاظ عليها باتباع المنهج الربانى الذى يصلحها وتحقق على مداه أقصى ما يمكن أن تحققه .

- الفصـــل الثانـــــى -

مفهـــوم التاريـــخ وثمـــرة دراســـته

مصطلح التاريخ ودلالتـــه : ..

التاريخ لغة هو الاعلام بالوقت . قال الجوهرى (١) "التاريخ تعريف الوقـــت والتوريخ مثله يقال أرخت وورخت " (٢)

وقد فرق الأصمعى (٣) بين اللغتين فقال بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخـــا . وقيس تقول أرخته تأريخا " (٤)

وهذا القول من الأصمعى يؤكد أن لفظة التاريخ عربية أصيلة وليست معربة عـــن الفارسية كما ذهب الى ذلك بعضهم (٥) وقال ان أصلها " ماه روز " " وماه " بالفارسية تعنى القمر " وروز " تعنى اليوم .

وبعضهم قال ان أصل كلمة تاريخ سريانى (٦) ، ومعناه الشهر .

أما تعريف التاريخ فى الاصطلاح فقد اختلفت عبارات العلماء المسلمين فى تحديـد تعريف له ولعل ذلك راجع الى سعة الموضوعات التى تدخل فى مفهوم التاريخ .

---

(١) هو اسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى امام العربية كان من أعاجيب الزمان ذكـاء وفطنة وعلما له مصنفات أشهرها كتاب الصحاح فى اللغة . واعترته فى آخر حياته وسوسه فصعد الى سطح جامع نيسابور وعمل لنفسه جناحين وحاول الطيران فسقط ميتـــا . وقد كانت وفاته سنة ٣٩٨ هـ . أنظر ياقوت معجم الأدباء ٦ / ١٥١ .

(٢) الجوهرى ، الصحاح مادة أرخ ١ / ٤١٨ .

(٣) ستأتى ترجمته فى طبقة الاخباريين .

(٤) السخاوى ، الاعلان بالتوبيخ ص ٦ .

(٥) السخاوى المصدر السابق .

(٦) راجع عبد الحميد العبادى ، علم التاريخ عند العرب ص ٣٤ .

كما أنه من الملاحظ أن المؤرخين في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية لم يضعوا تعريفا لعلم التاريخ وانما كانوا يكتفون بذكر فوائده وأغراضه . والعلم قد يعرف ببعض أنواعه أو أمثلته أو بذكر غايته .

قال خليفة بن خياط " هذا كتاب التاريخ . وبالتاريخ عرف الناس أمر حجهم وصومهم وانقضاء عدد نسائهم ومحل ديونهم" (١) وقال قريبا من هذا الطبري في مقدمة تاريخه . (٢)

أما أول من حاول أن يضع تعريفا محددا لعلم التاريخ - فيما اطلعت عليه - فهو عبد الرحمن ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ حيث يقول في مقدمته "ان التاريخ في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول . تنمو فيها الأقوال . وتضرب فيها الأمثال وتطرق بها الأندية اذا غصها الاحتفال . وتؤدى لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال . واتسع للدول فيها النطاق والمجال . وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال . وحان منهم الزوال . وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق" (٣)

لقد نظر ابن خلدون الى علل الحوادث وأسبابها وحاول اكتشاف السنن التي تنتظمها ، وأكد على بدايات الحوادث وقيام الدول وتعليل سقوطها .

أما المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ فقد عرف التاريخ ببيان موضوعه فقال "الأخبار عما حدث في العالم في الزمان الماضي" (٤)

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ٤٩ .

(٢) تاريخ الطبري (١/٤-٥) .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣ ، ٤ ، ط دار احياء التراث العربي بيروت .

(٤) أنظر فرانز روزنثال . علم التاريخ عند المسلمين ص ٦٢ .

كما عرفه محمد بن سليمان الكافيجي (١) المتوفى سنة ٨٧٩هـ بقوله " هو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته" (٢)

كما عرف المؤرخ الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى التاريخ بقوله " هو التعريف بالوقت الذى تضبط به الأحوال من مولد الرواه والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم فى ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليله من ظهور ملة وتجديد فرض وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب وفتح بلد . وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم وأحوال القيامة ومقدماتها " (٣)

قال " والحاصل أنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان فى العالم" (٤)

وقال " أما موضوعه فالانسان والزمان " (٥)

فتعريف السخاوى لا يبعد كثيرا عن تعريف الكافيجي اضافة الى أنه ركز على مفهوم التاريخ عند علماء الحديث . . وذلك بالنص على " علم أحوال الرجال " وضبط تواريخ ولاداتهم ووفياتهم .

وفى العصر الحديث عرفه سيد قطب بغايته فقال " التاريخ ليس هو الحوادث انما هو تفسير هذه الحوادث . واهتداء الى الروابط الظاهرة والخفية التى تجمع بين شتاتها

---

(١) هو محمد بن سليمان بن سعد الرومى الحنفى أشتهر بمصر ولازمه السيوطى أربعة عشر عاما وعرف بالكافيجى لكثرة اشتغاله بالكافية فى النحو له تصانيف كثيرة أغلبها رسائل منها المختصر فى علم التاريخ كانت ولادته سنة ٧٨٨هـ ووفاته سنة ٨٧٩ هـ .
أنظر الاعلام للزركلى ٦ / ١٥٠ .

(٢) المختصر فى علم التاريخ ص٣٢٧ .

(٣) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٧ .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) نفس المصدر .

وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات متفاعلة الجزئيات ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان"[1]

ولقد ركز هذا التعريف على اللب والغاية من دراسة التاريخ وتدوين أخباره والا فالحوادث والأخبار مهمة بلا شك وهي لبنات البناء التي لا يقوم هذا العلم بدونها . وهذا التعريف قريب من تعريف ابن خلدون . لكن يبدو أن تعريف ابن خلدون أشمل حيث نص على وجوب النظر في الأخبار وتحقيقها كما أكد على النظر في العلل والأسباب الا أنه ينحو منحى فلسفيا . في حين أن سيد قطب كان أوضح في ادراك غاية التاريخ حسب المنظور الاسلامي .

فالحاصل أن التاريخ علم نظري انساني يبحث فيه عن حوادث الزمان من حيث التعيين والتوقيت . ويشمل جانبين هما نقل الحدث - بالرواية أو المشاهده - وتحليله .

---

(١) سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج ص ٣٧ .

أهداف دراسة التاريخ وثمرته :

التاريخ فرع من فروع العلم وقد صنفه العلماء الذين كتبوا في مراتب العلوم ضمن العلوم التي تخدم الشريعة الاسلامية. (١) يقول ابن عبد البر النمري (٢) " ويلزم صاحب الحديث أن يعرف الصحابة المؤدين للدين عن نبيهم صلى الله عليه وسلم . ويعنى بسيرهم وفضائلهم ويعرف أحوال الناقلين عنهم وأيامهم وأخبارهم حتى يقف على العدول منهم من غير العدول" (٣) كما أن التاريخ قد نشأ ضمن العلوم الشرعية وعلى أيدى رجال الحديث (٤) وصلته بالشريعة وخدمته لها واضحة سواء في ميدان التربية والسلوك أو في ميدان علم الرجال والجرح والتعديل . ولهذا قيل "لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ" (٥) فهو وسيلة من الوسائل التي استخدمها علماء السنة لمعرفة صدق الرواة من كذبهم .

قال سفيان الثورى "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ" (٦) ولذلك أعتنى كبار المحدثين مثل البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والترمذى بجوانب من علم التاريخ وصنفوا كتبا في ذلك .

وطالما أن علم التاريخ بهذه المنزلة من عناية العلماء به وخدمته للشريعة الاسلامية فانه ينبغى على دارسه أن يتحرى الافادة منه وأن يتلقى تعليمه على منهاج سليم . ولدراسة

---

(١) أنظر ، الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ص٤ ، ٥ حيث جعل علم الأخبار من العلوم الملحقة بعلوم الشريعة .

(٢) هو الامام يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى أبو عمر ولد سنة ٣٦٨ هـ وساد أهل زمانه في الحفظ والاتقان له كتب كثيرة منها التمهيد في قصة الحديث والاستيعاب في معرفة الأصحاب وجامع بيان العلم وفضله وغير ذلك كانت وفاته بمدينة شاطبه بالأندلس سنة ٤٦٣ هـ "أنظر تذكرة الحفاظ ٣/١١٢٨ .

(٣) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ص٤٦ .

(٤) كتب الدكتور عبد العزيز الدوري رسالة لطيفه بعنوان "أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين" طبعت في بغداد سنة ١٩٦٦م .

(٥) السخاوى ، الاعلان بالتوبيخ ص .

(٦) نفس المصدر السابق .

التاريخ فوائد وثمرات متعددة ، يقول ابن الأثير " ومن رزقه الله طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم أن فوائدها[1] كثيرة ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة غزيرة "[2]

ولذا ازدادت أهمية التاريخ في العصر الحديث واستخدم كأداة لتوجيه الشعوب وتربيتها كما استعان به أصحاب المذاهب الفكرية في فلسفة مذاهبهم وتأييدها وإيجاد سند تاريخي لها . بل ان الأوربيين ينظرون له نظرة تقديس وإجلال ويطلبون منه تفسير الوجود وتحليل النشأة الانسانية .

ولما كان المرء المسلم لا يطلب العلم الا لغاية وهدف يخدم دينه وعقيدته فانه لا بد أن يحدد ما هي الأهداف والثمرة المرجوة من دراسة التاريخ . وهل يكون ذلك لمجرد المعرفة أو التسلية أو حفظ الحكايات والأخبار أو اشباع رغبة وغريزة حب الاستطلاع . ان دراسة التاريخ بوجه عام وتاريخ الأمة المسلمة على وجه الخصوص لا ينبغي أن يكتفي في دراسته بتحقيق هذه الرغبات والحاجات القريبة . لأنه علم أجل من أن ينظر له هذه النظرة . والا لما ذكر الله سبحانه وتعالى تاريخ السابقين وقصص النبيين في القرآن الكريم الذي هو كتاب هداية وإرشاد .

ان لدراسة التاريخ ثمرات وفوائد متعددة يمكن أن نلخصها فيما يلي :-

الأهـــداف التربويـــة : . .

ان وظيفة المسلم في هذه الحياة هي تحقيق العبادة لله سبحانه وتعالى بمفهومها الشامل لكافة جوانب النشاط البشري وحقيقتها التي هي كمال الخضوع لله مع كمال المحبة . فالعبودية لله هي الهدف النهائي للتربية . ودراسة التاريخ مجال واسع لتحقيق هذا الهدف وذلك بما فيه من العبر والعظات والأسوة الحسنة فيمن يقتدى بهم مثل الأنبيـــاء

---

(١) أي فوائد التواريخ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١/٦ .

عليهم السلام ، فان الله قال لنبيه "أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده" (١) وقال للمؤمنين "لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" (٢) وكذا الأسوة بالخلفاء الراشدين لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ" (٣) . وكذا الاقتداء بالعلماء العاملين والدعاة المسلمين فى صبرهم وجهادهم وتحملهم المشقة فى سبيل نصرة العقيدة .

فدراسة التاريخ الاسلامى وبالأخص السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين والفتوحات الاسلامية وسير العلماء والمجاهدين والقادة من سلفنا الصالح اذا أحسن عرضها وأبرزت خصائصها وبطولات رجاله وأوضح الدور الذى قامت به الأمة الاسلامية فى سبيل هداية البشرية الى الحق اذا أحسن عرض ذلك للناشئة فانه يبعث فيهم روح الجهاد فى سبيل الله ابتغاء مرضاته . والزهد فى هذه الحياة الثانية مع العمل المثمر البناء والتمسك بالاسلام والاعتزاز بتعاليمه ورجاله وتاريخه . كما أن ذلك ينمى فيهم روح الولاء لله ولرسوله وللأمة الاسلامية . وأيضا فانه يدفع هممهم الى معالى الأمور ويكشف عن طاقاتهم المذخورة ويستثمرها .

فاستخدام التاريخ فى المجال التربوى من أنفع الوسائل لتربية الأجيال . والتربية بالأحداث من أهم الوسائل التى استخدمها القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الانعام آية : ٩٠ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

(٣) رواه أبو داود ٤ / ٢٠١ والترمذى ٥ / ٤٤ وقال حديث حسن صحيح وأحمد ابن حنبل فى المسند ٤ / ١٢٦ ، وأنظر شرحه فى جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الحنبلى ص ٢٤٢ .

فى اقرار الموازين والقيم ، ونظرة الى التعقيبات القرآنية على غزوة أحد فــــى أخر سورة آل عمران (١) تكفى للدلالة على أهمية استخدام التاريخ فى التربية وعظـــيم الثمرة التى تجنى من وراء ذلك .

((ولدراسة التاريخ قيمة تربوية من حيث تأثيرها فى عقل الدارس واكسابه عادات خاصة فى التفكير فتنشأ لديه العادة التاريخيه فى تناول الحقائق ، والاسلوب التاريخــى فى التفكير فيها . لأن التاريخ طريقة بحث تقوم على النقد والمقابلة والتحقق ووزن قــيم الأدلة وربط السبب بالنتيجة مع التعليل للحوادث وارجاعها الى دوافعها)) (٢)

---

(١) من الآية ١٢١ وهى قوله تعالى وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتـــال والله سميع عليم الى الآية ١٨٠ ، وراجع تفسير الحافظ ابن كثير ٢ / ٩٠ وما بعدها وسيد قطب فى ظلال القرآن ١ / ٤٥٧ وما بعدها .

(٢) محمد أمين المصرى ، لمحات فى التربية ص ٢٢٨ .

ادراك السنن الربانيـــة :..

من أهم ثمرات دراسة التاريخ التعرف على السنن الربانية فى الكون فان لله سـننا فى خلقه . أرشدنا اليها وطلب منا التعامل معها قال تعالى " قد خلت من قبلكم سـنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين "(١) وقال " فهل ينظرون الا سـنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا "(٢) . وقال تعالـى : "سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك المبطلون "(٣)

فالمطلوب من المسلم هو التعرف على هذه السنن الربانية .

والتاريخ بما يحوى من الحوادث المتشابهة والمواقف المتماثلة يساعد على كشـف هذه السنن التى هى غاية فى الدقة والعدل والثبات ، وفى ادراكنا للسنن الربانية فوائـد عظيمة حتى لو لم نقدر على تفادى حدوثها والنجاة منها حيث يعطينا هذا الادراك والمعرفة صلابة فى الموقف ، بخلاف من يجهل مصدر الأحداث فان الذى يعلم تكون لديه بصيرة وطمأنينة أما الذى يجهل فليس لديه الا الحيرة والخوف والقلق .

والسنن الربانية نوعان سنن خارقة وسنن جارية

فالسنن الخارقة هى التى يجريها الله على خلاف مألوف الناس على يد رسـول من رسله تأييدا من الله بتلك المعجزة . كما حول العصا حية فى يد موسى(٤) وكما أنبع الماء من الصخرة عند ما ضربها موسى بعصاه(٥) وكما شق القمر نصفين معجزة لرسول اللـــــه

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٧ .

(٢) سورة فاطر آية : ٤٣ .

(٣) سورة غافر آية ٨٥ .

(٤) قال تعالى " قال ألقها ياموسى فألقاها . فاذا هى حية تسعى " طه آية ١٩-٢٠ .

(٥) قال تعالى فى سورة البقرة آية ٦٠ واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصـاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا .. الآية .

صلى الله عليه وسلم (١) .

والسنة الجارية نوعان سنة متعلقة بالأمور الطبيعية كسنة الله في تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر فهي تجري وفق ناموس محدد قدرة الله لها . وسنة متعلقة بدين الله وأمره ونهيه ووعده ووعيده (٢) فهي ثابتة لا تتبدل مثل نصره لأوليائه وإهانته لأعدائه . كما أنه سبحانه وتعالى اذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم فان ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول . فهو سبحانه لا يفرق بين المتماثلين واذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل . كما أن من سنته التفريق بين المختلفين كما دل على ذلك القرآن ، قال تعالى "أفنجعل المسلمين كالمجرمين" (٣)

يقول ابن تيميه " ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها . لأن الاعتبار انما يكون اذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن " (٤) فهذه السنن الشرعية انما تدرك من خلال النظر في التاريخ وملاحظة مصائر الأمم وقيام الحضارات وسقوطها وأسباب ذلك .

" والسنن الربانية تجيء في القرآن غير محددة لكي تشمل أكبر قدر من الوقائع وتلامس أكبر عدد من التفاصيل والجزئيات" (٥) .

" كما أن معرفة السنن الربانية تفرض على الجماعة الواعية المدركة والملتزمة أن تتجاوز مواقع الخطأ التي قادت الجماعات البشرية السابقة الى الدمار والهلاك وأن تحسن التعامل مع تلك السنن ومع قوى الكون مستمدة ذلك من منهج الله الذي سار عليه أنبياؤه ورسله" (٦)

---

(١) رواه البخاري من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس ، أنظر فتح الباري ٦١٧/٨ .

(٢) الامام ابن تيميه رسالة بعنوان " لفظ السنة في القرآن " منشورة ضمن " جامع الرسائل بتحقيق رشاد سالم .

(٣) سورة القلم آية : ٣٥ .

(٤) ابن تيميه ، جامع الرسائل ص٥٥ .

(٥) عماد الدين خليل . تفسير التاريخ ص١٠ .

(٦) المصدر السابق ص١١ .

والسنة الربانية قد تستغرق وقتا طويلا لكي ترى متحققة في حين أن عمر الفرد محدود ولذلك فلا يمكنه رؤية السنة متحققة بل قد يرى الانسان جانبا من السنة الربانية ثم لا تحقق نهايتها في حياته مما قد يدفعه الى عدم ادراك السنة أو التكذيب بها وهنا يكون دور التاريخ في معرفة أن السنة الربانية لا بد أن تقع ولكن لما كان عمرها أطول من عمر الفرد بل ربما أطول من عمر أجيال . فانها ترى متحققة من خلال التاريخ الذى يثبت أن سنة الله ثابتة لا تتبدل كما قال تعالى : " سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا " (١)

فمن خلال دراسة التاريخ يعلم الانسان أن الحاضر الذى يعيشه - اذا كان فيه ما يتصور أنه مخالف لسنة الله (٢) الشرعية - غير مستثنى من السنة الربانية بل هو جزء منها ولكن للسنة الربانية أجل ووقت محدد . قال تعالى : " ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم . فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين " (٣) .

قال سيد قطب عند تفسير هذه الآية هناك حقيقة ينساها البشر حين يمكن الله لهم في الأرض . ينسون أن هذا التمكين انما تم بمشيئة الله ليبلوهم فيه . أيقومون عليه بعهد الله وشرطه ، من العبودية له وحده ، والتلقى منه وحده ، أم يجعلون من أنفسهم طواغيت تدعى خصائص الالهية وخصائصها ، انها حقيقة ينساها البشر فينحرفون عن عهد الله ويمضون على غير سنة الله . ولا يتبين لهم في أول الطريق عواقب هذا الانحراف . . ويقع الفساد رويدا رويدا وهم ينزلقون ولا يشعرون حتى يستوفي الكتاب أجله ويحق وعد الله . ثم تختلف أشكال الأخذ والنهاية .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٦٢ .

(٢) كما هو واقع في عصرنا الحاضر من التمكين المادى والتقدم الصناعى للدول الكافرة مع انحطاط المسلمين وتأخرهم .

(٣) سورة الأنعام آية : ٦ .

فمرة يأخذهم بعذاب الاستئصال ، بعذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم كما وقع لكثير من الأقوام .، ومرة بالسنين ونقص الأنفس والثمرات كما حدث لأقوام آخرين ، ومرة يذيق بعضهم بأس بعض ، فيعذب بعضهم بعضا ويدمر بعضهم بعضا . ويسلط الله عليهم عبادا له - طائعين أو عصاة - يخضدون شوكتهم .

ثم يستخلف الله العباد الجدد ليبتليهم بما مكنهم . وهكذا تمضى دورة السنة فالسعيد من وعاها والشقى من غفل عنها ، وانه لمما يخدع الناس أن يروا الفاجر الطاغى أو الملحد الكافر ممكنا له فى الأرض غير مأخوذ من الله . ولكن الناس انما يستعجلون انهم يرون أول الطريق أو وسطه ولا يرون نهاية الطريق . لأن السنة تستغرق وقتا طويلا ، لكنها تلاحظ من خلال التاريخ " (١)

وهذا المعنى جاء مصرحا به فى قوله تعالى " فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون " (٢) فقد فتح الله عليهم أبواب كل شئ عندما نسوا ما ذكروا به من أوامر الله ونواهيه - فلما فرحوا بهذا الفتح وهذا الرزق أخذهم الله بغتة ، فادرار الرزق عليهم كان من باب الاستدراج قال تعالى : "فمهل الكافرين أمهلهم رويدا " (٣) وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعرى " ان الله عز وجل يملى للظالم فاذا أخذه لم يفلته " (٤) ثم قرأ " وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد " (٥) .

وهذه الأبواب التى تفتح للكافرين هى من تمام عدل الله الذى يقضى بأن يعطى كل عامل جزاء عمله . " من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد " (٦) فانهم لما

---

(١) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ٢ / ١٠٢٧ - ١٠٢٨ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٤٤ .
(٣) سورة الطارق آية : ١٧ .
(٤) رواه البخارى ومسلم وهذا لفظ مسلم ، أنظر صحيحه ٤ / ١٩٩٧ حديث رقم ٢٥٨٣ .
(٥) سورة هود آية : ١٠٢ .
(٦) سورة الاسراء آية : ١٨ .

عرفوا القوانين المادية للتقدم نالوا ثمرة جهدهم في الحياة الدنيا . مع أنه لن يكون كرخاء المؤمنين المستقيمين على منهج الله وطمأنينة نفوسهم بل هو رخاء موبوء كله آفات واختلال اجتماعي وانحدار خلقي واهدار لكرامة الانسان وقيمته المعنوية في مقابل المادة . ونظرة فاحصة في أحوال المجتمعات الجاهلية في عالمنا المعاصر ترينا ذلك واضحا .

وثبات السنن الربانية يقابلها ثبات في طبيعة الانسان وخلقته .

فالحوافز الانسانية لم تتغير منذ أن خلق الله آدم عليه السلام . كما أن دوافع الانسان الفطرية - وهي منطلق نشاطه - لم تزل قائمة كما كانت في الماضي وما يصلح البشر في الماضي هو الذي يصلحهم في الحاضر .

ونورد فيما يلي بعض السنن الربانية على سبيل المثال فمن سنن الله سوء عاقبة المكذبين . فالذين يكذبون بآيات الله ورسله ويظلمون ويعيثون في الأرض فسادا وعدهم الله بسوء العاقبة ، قال تعالى : " وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال . وكلا تبرنا تتبيرا " (١)

فما جرى من تحقق هذه السنة في الماضي سيجري مثله في الحاضر والمستقبل لكل من أعرض عن ذكر الله وشرعه ومن فضل الله على الناس وعد له فيهم أن يبقي نعمته المادية والمعنوية عليهم كالأمن والاستقرار والرزق الوفير والصحة الى غير ذلك اذا هم شكروه على ما أعطاهم ولم يتجبروا ويتسلطوا ولكنه يسلبهم اياه بعدله وقدرته اذا هم عصوا وجحدوا وبدلوا نعمة الله كفرا ، قال تعالى " واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد " (٢) ، وقال تعالى " ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم " (٣)

---

(١) سورة الفرقان الآيات : ٣٧ - ٣٩ .

(٢) سورة ابراهيم آية : ٧ .

(٣) سورة الأنفال آية ٥٣ .

ومن سنن الله الخالدة أن البشر يتحملون مسؤليتهم في الرقي والانحطاط وفي اتباع الخير أو الشر حيث أنهم قد منحوا قدرا من الحرية والاختيار ومع ذلك جاءهم رسل الله بالهدى من عنده . فاذا وجدت الأسباب فان النتائج تتبعها " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (١) ، فالتغيير يبدأ من النفس سواء بالارتقاء والارتفاع الى أعلى أو بالانتكاس والهبوط الى أسفل . وهذه السنة الربانية في تغيير النفس والمجتمع مهمة جدا وتحتاج الى دراسة نفسية واجتماعية (٢) ، وهي تعطي للباحث التاريخي مشكاة يستضيء بها في دراساته وأبحاثه . وهي سنة اجتماعية يستفيد منها المربي والمصلح . ويلاحظ أن في الآية ترتيبا اذ أن حدوث التغيير من الله مترتب على حدوثه من البشر سواء في السلب أو الايجاب ، وهذا الترتيب يضع البشر أمام مسؤليتهم في أحداث التاريخ . وهذه السنة لا يمكن ادراكها ادراكا صحيحا الا باتباع المنهج الرباني لأن هذا المنهج يجعلك تنال خير السنة وتدرك العلاقة السليمة بين الأحداث التاريخية ، ذلك أن خير السنة لا ينال الا بالهدى ، والهدى لا يكون الا عن طريق الرسل وما أنزل اليهم من ربهم قال تعالى : " قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (٣)

ومن السنن الربانية مداولة الأيام بين الناس من الشدة الى الرخاء ، ومن الرخاء الى الشدة وهذا اختبار وامتحان لكي يتميز الصابرون في المحن والضراء والشاكرون في النصر والرخاء من أولئك الذين تطغيهم الشهوات أولا يصبرون على الضراء ، قال تعالى : "ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين" (٤)

---

(١) سورة الرعد آية : ١١ .

(٢) كتب الاستاذ جودت سعيد رسالة بعنوان " حتى يغيروا ما بأنفسهم " ركز فيها على بحث القضايا النفسية والاجتماعية وسنن تغير المجتمعات .

(٣) سورة البقرة آية ٣٨ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٤٠ .

كما أن من السنن الالهية أن زوال الأمم يكون بالترف والفساد ، فاذا ما تجبرت أمة من الأمم وعلت في الأرض وأصابها البطر والكبرياء ، هيأ الله لها أسباب الانهيار والزوال قال تعالى : " ألم تر كيف فعل ربك بعاد . أرم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذى الأوتاد . الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب . ان ربك لبالمرصاد "(١) وقال تعالى : " واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا "(٢) أى أمرناهم بالأمر الشرعى من فعل الطاعات وترك المعاصى فعصوا وفسقوا فحق عليهم العذاب والتدمير جزاء فسقهم وعصيانهم ، وفى قراءة "أمّرنا"(٣) بالتشديد أى جعلناهم أمراء . والترف وان كان كثرة المال والسلطان من أسبابه الا أنه حالة نفسية ترفض الاستقامة على منهج الله وليس كل ثراء ترف .

ومن السنن أن هلاك الأمم يكون بفشو الظلم وعدم اقامة العدل فلقد أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل وحرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرما كما فى الحديث القدسى " ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا "(٤)

فاذا اختلت الموازين وانعدمت القيم وتحكم الأقوياء فى الضعفاء ووزع المجتمع الى سادة وعبيد ، وأخذ الأقوياء يتلاعبون بحدود الله على هواهم فقد أذن لهم الله بالهلاك ووقعت القاصمة . قال تعالى : " وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين "(٥) وقال صلى الله عليه وسلم : " انما أهلك الذين قبلكم . أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها "(٦) .

---

(١) سورة الفجر الآيات من ٦ - ١٤ .

(٢) سورة الاسراء آية : ١٦ .

(٣) أنظر تفسير ابن كثير ٥ / ٥٨ .

(٤) رواه مسلم ، أنظر صحيحه ٤ / ١٩٩٤ حديث رقم ٢٥٧٧ .

(٥) سورة الأنبياء آية : ١١ .

(٦) رواه البخارى ١٢ / ٨٧ ، ومسلم ٣ / ١٣١٥ .

ومن السنن الربانية أيضا أن انهيار الأمم وزوالها يكون بأجل .

فقد يرى الناس موجبات العذاب والانهيار قد حلت بأمة من الأمم ثم لا يرون زوالها بأنفسهم . وقد أوضحنا فى أول الكلام عن السنن أن سنة الله لا تتخلف . لكن عمرها أطول من عمر الافراد ولا تقع الا بأجل محدد لابد من استيفائه قال تعالى : " ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون" (١) ، وقال تعالى : " وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا" (٢)

وقال تعالى " ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون" (٣)

ومن سنن الله الجارية استحقاق المؤمنين لنصر الله . فقد قضى سبحانه وتعالى بأنه ينصر أولياءه المؤمنين اذا قاموا بشرط استحقاق النصر وهو الاستقامة على منهج الله وتحكيم شريعته واتباع رسله . قال تعالى : " انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد " (٤) وقال تعالى : " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون" (٥) ، وقال : " ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم" (٦) وقال : " وكان حقا علينا نصر المؤمنين" (٧) وقال : " كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز" (٨) وعوامل النصر موضحة فى قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فأثبتوا واذكروا الله كثيرا . لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط" (٩) .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٤ .
(٢) سورة الكهف آية : ٥٩ .
(٣) سورة المؤمنون آية ٤٣ .
(٤) سورة غافر آية ٥١ .
(٥) سورة الصافات الآيات ١٧١-١٧٢ .
(٦) سورة محمد آية : ٧ .
(٧) سورة الروم آية : ٤٧ .
(٨) سورة المجادلة آية : ٢١ .
(٩) سورة الأنفال الآيات : ٤٥ - ٤٧ .

ومن السنن المهمة معرفة أن الابتلاء للمؤمنين سنة جارية .

قال تعالى : " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب "(١) فهذه سنة الله في تمحيص المؤمنين واعدادهم لينالوا بصبرهم وثباتهم المنزلة العالية عند الله وليرفع درجاتهم بما يصيبهم من الأذى وبما يحصل لهم من الشهادة في سبيل الله . فقد قال الله تعالى للمؤمنين بعد موقعة أحد وهزيمتهم العسكرية فيها " ان يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس . وليعلم الذين آمنوا . ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين"(٢) فوقوع الهزيمة في أحد كان سببه مخالفة طائفة من المؤمنين لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الرماه . وحب الدنيا من طائفة أخرى .

ولكن كان لذلك فوائد مهمة للجماعة الاسلامية مثل تربيتهم على الثبات في المحن ومثل اتخاذ الشهداء وكذلك تمحيص الأنفس واختبارها وتعريفها بسرائرها والابتلاء من سنن الله الملحوظة عبر التاريخ فما من نبي الا وقد أوذى وحورب فمنهم من قتل ومنهم من ألقى في النار ومنهم من أخرج من أرضه ، وكذلك أتباعهم نالهم من الأذى والقتل والتشريد صنوفا . فلما نجحوا في الابتلاء وثبتوا على الحق تنزل عليهم نصر الله فأبدلهم من بعد خوفهم أمنا ومكن لهم في الأرض وجعلهم هم الوارثون وأشفى صدورهم في الدنيا بهزيمة أعداءهم وهلاكهم فضلا عما أعده الله لهم من الدرجات العلى في الجنة .

ومن أهم السنن الربانية الجارية التي ينبغي على دارس التاريخ ملاحظتها هي سنة "التدافع" أو الصراع بين الحق والباطل .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١٤ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٤٠ - ١٤١ .

قال تعالى "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" [١] وقال "ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" [٢].

وقال تعالى : "الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور" [٣] وأعظم معروف يؤمر به هو اخلاص العبودية لله واقامة شريعته ، وأول منكر ينهى عنه هو عبادة غير الله من الطواغيت والأهواء والشهوات والاعراض عن شريعته وعدم تحكيمها .

وهذا الأمر والنهى لا يتحقق الا بجهد بشرى يتقابل فيه الحق مع الباطل ويكون بينهما الصراع والتدافع . فاذا ثبت أصحاب الحق وصبروا وصابروا تحقق لهم وعد الله بهزيمة الباطل واندحاره . وهذا الصراع لا تنهيه معركة واحدة ولا حتى مئات المعارك . أنه يتخذ عدة أشكال ويمتد فى مساحات طويلة ومتعددة تجعل الانسان يقضى حياته كلها فى هذا الصراع . الا أنه قد يهدأ فى بعض الجوانب ويشتد فى اخرى . وهكذا تمضى الحياة . فاستمراره يأتى من كثرة الاعداء من الداخل ومن الخارج ومن النفس والأقارب والأموال والأزواج [٤] - ومن الشيطان وجنوده ومن الكفار .

ويأتى استمراره أيضا من سنة الله فى ارادة تركيب الحياة بهذه الصورة لكن الانسان مع هذا قد وهب من القدرات والامكانات والقوى ما يستطيع به مع توفيق الله وهدايته - من السيطرة والانتصار وان كان الصراع بين الحق والباطل كما أراد له الخالق سبحانه لن ينتهى حتى تنتهى هذه الدنيا ، انه بدأ منذ أن خلق الله آدم وأمر الملائكة بالسجود له .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٣) سورة الحج آية : ٤١ .

(٤) قال تعالى : "يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا فان الله غفور رحيم . انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم" التغابن ١٤ - ١٥ .

فأبى الشيطان أن يسجد له ... فاحتال على آدم حتى أوقعه في المعصية ... ولكنه تاب الى الله وقبل الله توبته ثم أهبط آدم الى الأرض وكذلك الشيطان ليواصل حركة الصراع والعداوة مع ذريته قال تعالى : " وقلنا أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين "(١)

ولكن الله سبحانه لم يكل الانسان الى قدراته الذاتية فقط وانما زوده بالوحي والهدى الذى يستعين به على تحقيق العبودية لله والتخلص من كيد الشيطان الذى يريد صرفه عن هذه العبودية " قلنا أهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون "(٢) وقال تعالى : " محذرا بنى آدم من غواية الشيطان وفتنته " يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما "(٣) ، وقال تعالى : " الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون "(٤) ، وقال تعالى : " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق "(٥) ويستمر الصراع بين الأنبياء وأتباعهم وبين الشيطان وجنوده وتنقسم البشرية الى فريقين اثنين والى أمتين اثنتين أمة الحق وأمة الباطل ، أتباع الأنبياء يدعون الى عبادة الله وحده الى الحكم بشريعته .

واتباع الشيطان من الزعامات والجماعات الضالة يرفضون ذلك ويتمسكون بالعادات والتقاليد والأعراف الجاهلية ، قال تعالى : " أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون "(٦) وقال تعالى :

قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا "(٧) " بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون ".(٨)

---

(١) سورة البقرة آية ٣٦ . (٢) سورة البقرة آية : ٣٨ . (٣) سورة الأعراف آية ٢٧ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٥٧ . (٥) سورة الأنبياء آية ١٨ . (٦) سورة المائدة آية ٥٠ .
(٧) سورة الأعراف آية ٧٠ . (٨) سورة الزخرف آية : ٢٢ .

فالتدافع بين الحق والباطل سنة ربانية ملحوظة من خلال آيات الكتاب الحكيم ومن خلال الواقع البشري عبر التاريخ .

قال تعالى : " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة" (١)

وقال : " وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون" (٢) ، وقال " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم" (٣) تأمل هذه الآية الأخيرة وخاصة ختامها " ولذلك خلقهم".

ولكن ما الحكمة والهدف في هذه السنة وهذا التدافع وما هو الصراع المحمود الذى تركز عليه الآيات . . . هل هو الصراع الذى بنيت عليه النظرية (الديالكتيكيه) الهيجلية في مجال الأفكار وحركة العقل الكلى حتى تصل الى مرحلة " تجلى المتفرد " كما يزعم أو الصراع الطبقى فى النظرية المادية عند ماركس والذى يفرضه كما يزعم تبدل وسائل الانتاج حتى يبلغ سيطرة (البرولتياريا) (٤)

ان كثيرا من الفلاسفة قديما وحديثا يحلمون بالمدينة الفاضلة والعالم الذى يسوده السلام وينتهى منه الصراع وكل منهم قد تخيل تلك المدينة حسب أفكاره وثقافته وما وصلت اليه تخيلاته ، فحين يراها أفلاطون مدينة للفلاسفة ، يراها ماركس مدينة للعمال (البروليتاريا) لكن ذلك لن يكون ، كما أراد الفلاسفة ومن نحا نحوهم فى هذه الأعصر من الزعماء والسياسيين ممن حرموا نعمة الهداية الربانية فلم يدركوا أن الصراع والتدافع سنة ربانية لا سبيل للخلاص من شرورها ونيل خيرها الا بتحقيق العبودية الكاملة لله ، ويكون الدين كله لله فى الأرض كلها فاذا كان الدين كله لله فى كل الأرض فان البشرية ساعتئذ تخلص من الشرور ويسودها الأمن والسلام . وبقدر ما يسود هذا الدين من الأرض والبشر بقدر ما يسود من الخير والأمن وتاريخ الأمة الاسلامية عندما كان الدين كله لله خير شاهد على ذلك ، والصراع أو التدافع الذى يعنيه

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٢) سورة يونس آية : ١٩ .

(٣) سورة هود آية : ١١٩ .

(٤) أنظر عماد الدين خليل ، تفسير التاريخ الاسلامى ص ٢٤ .

القرآن ليس هذا الذى يقع بين الناس من التكالب على أغراض الدنيا وشهواتها التافهة سواء فى المستويات الدنيا بين الأفراد أو المستويات العليا بين الجماعات والدول والمعسكرات .

ان التدافع الذى يعنيه القرآن من خلال هذه السنة هو الذى يكون لخير البشرية وذلك بتحقيق العبودية لله وحده وازالة كل طاغوت يعبد من دون الله فانه كما قال تعالى : " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"(١)

فالصراع المحمود هو الذى يطرد الفتنة بكل أشكالها وصورها من الأرض ويتيح الحرية الانسانية وهو المعنى

بقول الله تعالى : " الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله . والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت . فقاتلوا أولياء الشيطان أن كيد الشيطان كان ضعيفا .(٢)

فهذا هو التدافع الذى عناه الله سبحانه وتعالى بقوله : " فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين .(٣) وبقوله : " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز"(٤) ، فالله يدفع بأهل الحق أهل الباطل ، وقيام المسلمين بهذا الواجب هو الذى ينفى عنهم شرور ذلك الصراع الرخيص وتركهم له يجلب هذا الصراع فانه ما ترك قوم الجهاد الا ذلوا ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : " اذا تبايعتم بالعينه وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم"(٥) والواقع المعاش دليل لا يحتاج لأكثر من التدبر .

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٩ .
(٢) سورة النساء آية ٧٦ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥١ .
(٤) سورة الحج آية : ٤٠ .
(٥) رواه أبو داود فى سننه ٣/٢٧٤ ، ٢٧٥ وهو حديث صحيح أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى حديث رقم ١١ .

" والهدف من هذه السنة هو شد العزائم لتحقيق المجتمع المسلم الذى ينفذ أمر الله وشرعه فى الأرض كلها وفق قاعدة " الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر "(١) وهذا الصراع يكون ميدانا للكشف عن مواقف الجماعات البشرية والتعرف على أصالة المؤمنين ولتمييز الخبيث من الطيب كما قال تعالى : " ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم "(٢) وكما قال : " ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم "(٣) ، وقال تعالى : " أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون "(٤) وقال تعالى " ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون "(٥)

فالتدافع سنة جاريه فى هذه الحياة والله سبحانه وتعالى يوجهنا الى استثمار هذه السنة وأخذ خيرها ودفع شرها وهذا الشر كما قلنا لا يدفع الا بالجهاد فى سبيل الله . وعندما يكون الدين كله لله فى كل الأرض وهذا لا يكون الا بالجهد والجهاد واقامة المعروف والنهى عن المنكر. قال تعالى : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون "(٦) والجهاد فى سبيل الله واقامة الدين هو وظيفة الأمة المسلمة على مر العصور وتوالى الأنبياء ، وان الأمة الاسلامية كلما استعملت سلاح الجهاد فى سبيل الله فان نصر الله سيأتيها ويتحقق لها بوعد الله الصادق ، قال تعالى : " كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز "(٧) ، وقال : " هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون "(٨)

---

(١) أنظر ، عماد الدين خليل ، تفسير التاريخ ص٢٤٣ .

(٢) سورة محمد آية : ٣١ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٣٧ .

(٤) سورة التوبة : ١٦ .

(٥) سورة العنكبوت آية : ١ - ٢ .

(٦) سورة البقرة آية : ٢١٦ .

(٧) سورة المجادلة آية : ٢١ .

(٨) سورة الصف آية : ٩ .

" ان الجهاد يضع الآمة الاسلامية أمام مسؤوليتها الحركية الكبرى فى العالـــم ويمنحها فاعليةدائمة ازاء التجارب والمواقف البشرية تتجاوز حدود الزمان والمكان ويرفعها الى موقع الشهادة على الناس ذلك الموقع الوسط المميز المنفرد الذى لن ترتفع اليه عندما تمارس جهادها الدائم فى كل الجبهات ، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وقتالا بالكلمـــة وكفاحا مسلحا . . " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " (١) (٢)

ومن أهم الثمرات التى ينبغى أن يطلبها دارس التاريخ التعرف على معالم تاريـــخ الانسانية . كيف بدأت . وما هى الأطوار التى مرت بها ؟ وما هى أهم المعالم فى تاريخها ؟ وان من أهم المعالم التى يلزم التركيز عليها . (٣)

معرفة تاريخ الأنبياء عليهم السلام ودعوتهم لأقوامهم ومواقف هؤلاء الأقوام منهـــم وجهاد الأنبياء لتبليغ الرسالة وتحملهم الأذى فى سبيل ذلك ومعرفة المصير الذى أل اليه من صدن الأنبياء والرسل ومن كذبهم وخالفهم .

وكذلك التعرف على سيرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره خاتم الرســـل وصاحب الشريعة الخاتمة والناسخة لغيرها من الشرائع ، والعامة للثقلين الانس والجن . ولكون سيرته صلى الله عليه وسلم تطبيق عملى للشريعة المكلفين بالعمل بأحكامها . ولكـــى نتعرف على كيفية التربية التى مارسها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه حتى أخـــرج

---

(١) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

(٢) عماد الدين خليل - تفسير التاريخ ص ٢٤ .

(٣) كتب هـ.ج ويلز كتابا فى أربعة مجلدات وسماه معالم تاريخ الانسانية وترجمة الى العربية عبد العزيز توفيق جاويد وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر. واذا تصفحت الكتاب لترى ما هى معالم تاريخ الانسانية فما تجد فيه سوى تاريخ الجاهليات فقد خصص الكتـــاب الأول عن العالم قبل الانسان فبحث فى تاريخ الصخور وعصر الزواحف والثدييات ، والكتـــاب الثانى عنوانه . كيف تكون الانسان ومن مباحثه ، القردة وأشباه الانسان والانســـان " النياندرتالى " وانسان العصر الحجرى والفكر المبكر. والكتاب الثالث عن المدنيات الأولى ومن مباحثه الشعوب الزراعية والبحرية والالهة والنجوم والكهنة. ودرس فى المجلد الثانـــى بلاد اليهود والاغريق و... والهند والفرس والامبراطورية الرومانية . وفى المجلـــد =

منهم ذلك الجيل الفريد الذى خوطب بقول الله تعالى "كنتم خير أمة أخرجت للناس"(١) وكيف وصلوا الى هذه القمة السامقة من التربية المتكاملة والتى تعتبر بحق معلما عاليا فى تاريخ الانسانية كلها .

ولنستفيد من ذلك فى اعداد الجيل المسلم وتربيته على منهاج النبوة ،

ومن المعالم التعرف على تاريخ الخلفاء الراشدين بوجه أخص وتاريخ الصدر الأول من الصحابة والتابعين وتابعيهم لأنهم الذين قام تطبيق أحكام الشريعة لأول مرة على جهودهم ونشروا الاسلام فى مشارق الأرض ومغاربها وهم خير القرون وهم الذين دونوا العلوم ورووا لنا السنن والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أننا قد أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين والاهتداء بهديهم ؛

ومن أبرز المعالم فى تاريخ الانسانية سير العلماء والمجاهدين والدعاة والمصلحين وجهادهم فى سبيل الله واقامة شريعته فينبغى العناية بها والتعرف عليها .

ومن أهم المعالم فى تاريخ الانسانية معرفة أثر الاسلام فى حياة البشرية وذلك يتبين بمعرفة التجارب التى انتهت اليها الجاهليات المتعددة وبيان أحوالها الاجتماعية وكيف رفعها الاسلام بمنهجه المصلح الى المستويات السامقة عندما انضوت تحت لوائه وطبقت شريعته . قال تعالى ممتنا على هذه الأمة "هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين"(٢) ، ويتبين ذلك بتتبع أعمال الهدم والبناء التى قام بها الاسلام فى حياة المجتمعات التى حكمها وما مصير الأفكار والنظم والعقائد التى كانت سائدة . وكيف بنى تلك المجتمعات بناء جديدا منطلقا من العقيدة الاسلامية وقائما على العدل والحق والحرية .

= الثالث د ري المدرسية كتب عن الاسلام فصل واحد فى ٣٠ صفحة بعنوان محمد والاسلام والمجلد الرابع عن العصر الحديث. فأين تاريخ الأنبياء والرسل ؟ وأين تاريخ الاسلام ودوره وأثره فى حياة البشرية ؟!!

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٢) سورة الجمعة آية ٢ .

ومن ثمرات دراسة التاريخ أنه من الممكن الاستفادة من عرض وقائع التاريخ في اثبات وتأكيد حقائق هامة في حياة الانسان ، ومن هذه الحقائق :-

- أن توحيد الله هو أول ماعرفته البشرية فمن استعراض التاريخ يتبين لنا أن الأصل في البشرية أنها بدأت تاريخها وحياتها مهتدية بشرع الله وهداه ثم طرأ عليها الانحراف والشرك بعد زمن فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا . فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"(١) وبعد ذلك صار تاريخها دورات متعاقبة من الهدى والضلال . فكلما انحرفت البشرية عن التوحيد أرسل الله لهم رسولا ليردهم الى الهدى وعبادة الله وحده . والاسلام هو الدين الذي بعث الله به المرسلين ورضيه دينا للعالمين أولهم وآخرهم كما قال تعالى "ان الدين عند الله الاسلام"(٢) وقال " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"(٣) ومن هنا ندرك ضلال التصورات الجاهلية التي لا تهتدي بوحي الله والتي تزعم أن البشرية بدأت وثنية ثم تطورت أديانها حتى انتهت الى التوحيد .

يقول الاستاذ محمد قطب : " الحقيقة أن عبادة الأب والطوطم والوثن لم تكن هي تطور العقيدة الذي وصل في النهاية الى التوحيد انما كان هذا تطور الانحراف البشري عن العقيدة الصحيحة في عصوره المختلفة "(٤) ولو أننا سلمنا بمثل تلك المقولة الضالة التي ترجم بالغيب فما دور الأنبياء . ولماذا كانوا يبعثون ، وهل جاء نبي من الله ليقول للناس اتركوا عبادة الطوطم واعبدوا الوثن . . سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .

---

(١) رواه ابن جرير وقال هو كذلك في قراءة عبدالله بن مسعود "كان الناس أمة واحدة فاختلفوا" وقال ابن كثير رواه الحاكم في المستدرك وصححه . ، أنظر تفسير ابن كثير ١ / ٣٦٤ وفي ص ٣٦٥ صرح بتصحيح قول ابن عباس سندا ومعنى .

(٢) سورة آل عمران آية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

(٤) محمد قطب ، معركة التقاليد ص ٨٢ .

ان كل نبي كان يأتي قومه فيقول لهم "اعبدوا الله مالكم من اله غيره"[1] وهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه "يقول الله واني خلقت عبادي حنفاء كلهم وانهم جاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم"[2] وهي صبغة الله "ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون"[3] فالانسان مخلوق لعبادة الله وحده وأول البشر آدم عليه السلام نبي مكلم .

ومن هذه الحقائق أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الانسان وخلق الكون كله وأن الانسان مستخلف في هذا الكون الذي سخر له ولذلك لا يشعر المسلم الذي يؤمن بهذه الحقيقة بأي عداء أو مناقضة بينه وبين الكون بل يجد التيسير والانسجام لأن هذا الكون عابد لله مسبح له[4] ، والمؤمن عابد لله ومتبع لشرعه . أما الكافر فانه شاذ عن هذا الكون الطائع لله المسبح بحمده ولذلك يشعر بعداء نحو الكون ويشعر بفخر وخيلاء اذا تمكن من معرفة شيء يسير من أسرار هذا الكون وقوانينه فيعلن بكل تبجح أنه انتصر على الطبيعة وقهرها ويشعر أنه سيد الكون والمهيمن عليه . وأنه يعمل ما شاء كيف شاء دون ضابط ، أما الانسان المؤمن فيعرف أنه مستخلف في هذا الكون لعمارته بشرع الله وأنه ليس له أن يخرج عن شرط الخلافة وهي تلقي الهدى من الله والقيام بعبادته .

ومن الحقائق أيضا أن هذا الانسان قد خلق خلقا سويا في أحسن تقويم منذ اللحظة الأولى لخلقه وأن الله خلقه بقصد وبعلم ولوظيفة ودور مقدر له في هذا الكون وأن له رسالة محددة . فلم يخلق صدفة ولا عبثا . ولا تطوروا من حيوانات أو حشرات كما يزعم الذين لا يؤمنون بالله - أصحاب مدرسة النشوء والارتقاء - فقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم - عليه السلام بيده من طين لازب ثم نفخ فيه الروح وأكرمه وأعلى منزلته بأمره الملائكة أن تسجد

---

(١) سورة هود آية : ٥٠ ، وآية ٦١ ، وآية ٨٤ .

(٢) رواه مسلم ٤ / ٢١٩٧ حديث رقم ٢٨٦٥ .

(٣) سورة البقرة آية ١٣٨ .

(٤) قال تعالى : "سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم" سورة الحديد آية ١ وقال تعالى "كل قد علم صلاته وتسبيحه" سورة النور آية ٤١ وقال "يا جبال أوبي معه والطير" (سورة سبأ آية ١٠

له وما وهبه من ميزات وقدرات كثيرة . من العقل والشعور والعاطفة والفكر والمقدرة على حمل العقيدة والجهاد في سبيل أقرارها واستمرارها ، قال تعالى : " خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير"(١) وقال "لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم"(٢) وقال " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"(٣) وقال تعالى : " واذ قال ربك اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون"(٤)

ومن الحقائق المهمة التي نستفيدها من دراسة التاريخ هي المعرفة بأن هذا الانسان بحاجة دائما الى من يذكره ويرده الى الصواب . لأنه مع تطاول الزمن ينحرف عن الحق لأسباب عديدة . ولذلك كان من رحمة الله بالانسان أنه لم يتركه لفطرته وحدها أو لعقله وحده . انما بعث له الرسل وأنزل معهم الكتب ليعود الى الحق ويستقيم على المنهج كلما حاد وانحرف . وهذا من أوضح الدلائل على قصور العقل البشري وأنه لا يهدى وحده ولا يستقيم على الطريق بغير وحي الله وشرعه . قال تعالى : " ألم يأن للذين أمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون"(٥) .

ومن الحقائق أيضا اثبات أن الامة الاسلامية هي صاحبة الدور المؤثر والفعال في تاريخ البشرية وأنها تمثل دور الاستقامة والعدل . فهي جديرة بأن تكون هي المحور الذي يتحرك من حوله تاريخ العالم لأنها هي الأمة الشهيدة على الأمم كلها بسبب اهتدائها بمنهج الله قال تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا(٦) لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول

---

(١) سورة التغابن آية ٣ .
(٢) سورة التين آية ٤ .
(٣) سورة الاسراء آية : ٧٠ .
(٤) سورة الحجر الايات ٢٨ - ٣٠ .
(٥) سورة الحديد آية : ١٦ .
(٦) أمة وسطا أي عدولا خيارا ، وأنظر تفسير ابن كثير ١ / ٢٧٥ - ٢٧٦ .

عليكم شهيدا "(١) وهي خير أمة أخرجت للناس بسبب تطبيقها لشرع الله كما قال تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله "(٢) .

ومن فوائد دراسة التاريخ التصبر على مايصيب المرء أثناء قيامه بواجبه في الحياة . فانه اذا ما اطلع على سير العلماء والدعاة والمصلحين ومن قبلهم الأنبياء عليهم السلام ومانالهم من الأذى والعذاب في سبيل الله رضي بما أصابه ، وزاده ذلك ثباتا على الحق وطمأنينة في النفس فلا يضجر ولا يستسلم أو يتنازل عن شيء من مطلبه خاصة اذا كان ذلك يتصل بأمر عقيدته ودينه . لأنه قد عرف من خلال أحداث التاريخ أنه ليس وحده الذي أصيب وابتلي وانما سبقته أجيال وأجيال ، قال تعالى مخبرا عن ثبات قوم من المؤمنين أحرقوا بالنار ولم يصدهم ذلك عن دينهم " قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود "(٣)

وقال صلى الله عليه وسلم عندما جاء خباب شاكيا مايصيبهم من أذى المشركين وطالبا منه أن يدعو لهم فقال : " لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب مايصرفه ذلك عن دينه . ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين مايصرفه ذلك عن دينه . وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت مايخاف الا الله والذئب على غنمه "(٤)

ومن فوائد دراسة التاريخ أن له قيمة نفعية مادية ولهذا كان الخلفاء والحكام والسلاطين والعديد من القادة يعنون بدراسته لأنه يكسبهم خبرة في التعامل مع الناس كما أن فيه اعانة لهم على حسن تصريف الأمور وسياسة الناس ويجدون فيه من التجارب وقياس الأمور المتماثلة والمتشابهة مايفيدهم .

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٣) سورة البروج الآيات من ٤ - ٧ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٧ / ١٦٥ من فتح الباري .

ومن ثمرات دراسة التاريخ أنه يوجد لدى دارسه حصانة فكرية ضد الخرافات والجهل والشعوذات وذلك بما يعرفه به من طبائع الأشياء ، وحقائق الأمور ، وحيل الناس . لأن التاريخ منهج بحث ووسيلة من وسائل الكشف عن الحقائق واثباتها وقد استخدم كثير من العلماء المنهج التاريخي . في كشف الأباطيل والخرافات وبيان المحدثات والبدع في الشرع لأن الدين الحق هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون بعد ذلك دينا .

ومن أبرز من استخدم هذا المنهج الامام ابن تيميه وتلميذاه الحافظ ابن كثير والعلامة ابن القيم ، يقول ابن تيميه في رسالة له ناقش فيها قضية المشهد المنسوب للحسين بمدينة القاهرة (لم يكن على عهد الصحابة والتابعين ، وتابعيهم شيء من المشاهد في بلاد الاسلام - لا الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا المغرب - لا على قبر نبي ولا صاحب ولا أحد من أهل البيت ولا صالح أصلا بل عامة المشاهد محدثة بعد ذلك . وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثرت فيهم الزنادقة المنتسبون الى الاسلام وفشت فيهم كلمة البدع وذلك في دولة المقتدر (١) في أواخر المائة الثالثة . فانه اذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية (٢) بأرض المغرب ثم جاءوا بعد

---

(١) هو الخليفة العباسي جعفر بن المعتضد بالله بويع بالخلافة بعد أخيه المكتفي في سنة ٢٩٥ هـ ، وله من العمر ١٣ سنة . وما ولي الخلافة قبله أصغر منه وقد انخرم نظام الامامة في أيامه وصغر منصب الخلافة . وكانت أمه قد استقلت بالأمر والنهي حتى انها جعلت القهرمانة " ثمل " تجلس في دار العدل وتنظر في القصص فكانت تجلس ويحضر القضاة والأعيان وتوقع ثمل على المراسم . وقد عزل المقتدر مرتين وفي الثالثة قتل سنة ٣٢٠هـ وعمره ٣٨ سنة " الذهبي " سير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٢ .

(٢) نسبة الى عبيد الله القداح الديصاني وقد تسموا في بلاد المغرب بالفاطمية وثقات المؤرخين والعلماء ينكرون نسبهم لآل البيت وهم زنادقة كفار أظهروا البدع وسب الصحابة حتى قيل فيهم " ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض " .
أنظر مجموع فتاوى ابن تيميه ٣٥ / ١٢٩ .

ذلك الى أرض مصر ، وقريبا من ذلك ظهر بنو بويه الأعاجم . وكان في كثير منهم زندقة وبدع قويه . وفي دولتهم قوي بنو عبيد القداح بأرض مصر . وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب الى علي رضي الله عنه بناحية النجف والا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول ان قبر علي هناك وانما دفن علي رضي الله عنه بقصر الامارة بالكوفة" (١)

ومن فوائد التاريخ أن له فضائل أخلاقية قضائية . لانه يحفظ الحقائق مهما حاول الناس طمسها واخفاءها وبذلك ينصف الرجال الذين حاول معاصروهم تجاهلهم . أو تشوية تاريخهم وحركتهم واساءة الظن والقول فيهم . كما أنه يكشف الغطاء عن أدوار عبانية أو انحرافات عقيديه وسلوكية مارسها بعض الأشخاص الذين كانوا ملء سمع الدنيا وبصرها بسبب مراكزهم وسلطانهم وأعلامهم مما يجعل معاصروهم يغترون بذلك فيكيلون لهم المدح والثناء وينالون منهم التعظيم وتضفى عليهم ألقاب البطولة والحكمة في الرأى وحسن السياسة والتدبير .

لكن التاريخ بما يحفظه من الحقائق والوثائق يصحح مثل هذه الأمور . ويزن الرجال بما قدموه لخدمة أمتهم وعقيدتهم من الخدمات الحقيقية لا الدعائية . والأمثلة على هذا كثيرة لا تحتاج الى عناء البحث. (٢)

---

(١) ابن تيميه ، رأس الحسين ص ١٦٧ و ١٦٨ .

(٢) من الأمثلة على ذلك الامام محمد بن عبد الوهاب الذي قام بدعوة اصلاحيه لمحاربة الشرك والخرافات والبدع فنشر السنة وصحح العقيدة في وسط الجزيرة العربية . فقام أدعياء العلم وأرباب المصالح والسلطة بنشر الدعاية السيئة ضده وتشويه دعوته وصور على أنه من الخوارج أو صاحب مذهب جديد حتى ان الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه المذاهب الاسلامية ٢٢٦ جعل الوهابية مذهبا مستقلا ويصنفها ضمن المذاهب المنحرفة مثل الصفرية والبهائية لكن بعد انتشار مؤلفات الشيخ وتلاميذه في العالم الاسلامي والوقوف على حقيقتهم تصححت تلك الصورة وعرف للشيخ قدره وجهده .

ومن الأمثلة أيضا "كمال أتاتورك" الذى وصف بالبطولة وأنه المحرر للشعب التركي من سلطة السلاطين ، وقد اتخذ مثالا لكثير من الثورات في البلاد العربية حتى ان أمير الشعراء أحمد شوقي مدحه بعد الانتصار المدبر على الانجليز بقصيد يقول فيها : =

ومن الثمرات التي يكتسبها دارس التاريخ " فهم حاضر الانسان والقدرة على تحليله خاصة اذا تماثلت الظروف وتشابهت الدوافع وفي الأمثال العربية " ما أشبه الليلة بالبارحة" والانجليز يقولون " التاريخ يعيد نفسه ".

ولقد أشار القرآن الكريم الى وحدة التصرفات وتشابه الأقوال عند تشابه البواعث قال تعالى : " وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية . كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم . قد بينا الآيات لقوم يوقنون"(١) وقال تعالى : "كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب"(٢) وقال تعالى : " كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به . بل هم قوم طاغون"(٣) فهم لم يتواصوا بالتكذيب بالرسل . لكن اشتراكهم في الطغيان هو الذي وحد مواقفهم من الأنبياء . كما أن بعض القضايا المعاصرة لها جذور تاريخية بعيدة فلا بد من معرفة الماضي لكي نفهم الحاضر .

= الله أكبر كم في الفتح من عجب * يا خالد الترك جدد خالد العرب .
يقصد خالد بن الوليد . ولكن ما لبث أن ظهر على حقيقته . حيث ألغى الخلافة الاسلامية واللغة العربية حتى في الأذان
وألغى المحاكم الشرعية وفرض العلمانية على الشعب التركي المسلم ونزع الحجاب عن المرأة .
ثم ظهرت الوثائق التاريخية مصدقة للأفعال فأثبتت عمالته للانجليز وصلته بالماسونيه حتى انه عندما حضرته الوفاة استدعى السفير الانجليزي وطلب منه أن يتولى حكم تركيا من بعده فاعتذر السفير بلباقة حتى لا تتكشف العمالة "أنظر مصطفى طوران . أسرار الانقلاب العثماني والرجل الصنم لضابط تركي ومذاكرات رضا نور ، نشرت بمجلة المجتمع الكويتية على حلقات في العامين ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ .

(١) سورة البقرة آية ١١٨ .

(٢) سورة غافر آية : ٥ .

(٣) سورة الذاريات ٥٢ - ٥٣ .

البـــاب الثانـــى

منهـــج كتابـــة التاريـــخ الاسلامـــى

- الفصـــــــل الأول -

المنهـــج وأهميتـــه : . .

النهج والمنهج والمنهاج كلها بمعنى واحد . وهى تعنى الطريق الواضح يقال أنهج الطريق أى استبان وصار شيئا واضحا بينا . ونهجت الطريق اذا أبنته وأوضحته ،ونهجت الطريق أيضا اذا سلكته ، وفلان يستنهج سبيل فلان أى يسلك مسلكه"(١) فهو يعنى السبيل الفكرى والخطوات العملية التى يتبعها الباحث فى مساره بقصد تحصيل العلم .

وكان العلماء المسلمون يعبرون عن المنهج بالأصول والقواعد . ولذلك وضعوا أصولا وضوابط للبحث فى مختلف العلوم مثل أصول الحديث "المصطلح" وأصول التفسير وأصول الفقه .

أما المنهج فى الدراسات التاريخية فانه يعنى القواعد والشروط التى يجب مراعاتها عند معالجة أى حدث تاريخى . سواء بالكتابة والتأليف أم بالدراسة والتعليم وهذه الشروط تتناول الكاتب ذاته كما تتناول المصادر التى يستمد منها . كما أنها تعنى بالغاية والهدف من الدراسة والكتابة وتعنى كذلك بالاسلوب والمصطلحات .

وهنا لابد من ملاحظة الفرق بين نوعين من دلالة لفظة "المنهج" وتحديد المراد بها . فقد تطلق ويراد بها التصور والقيم والمبادئ التى يلتزمها الباحث كما تطلق ويراد بها طريقة معينة فى البحث العلمى لمادة من المواد .

ولفظة المنهج وحدها تعنى الطريق أو السبيل . ويحدد المراد منها ماتضاف اليه . فاذا قلنا المنهج الاسلامى فى دراسة التاريخ . دل ذلك على التصورات والمبادئ

---

(١) الجوهرى ،الصحاح ١/٣٤٦ "مادة نهج" .

التي يضعها الاسلام كحدود ومنطلقات عامة تحكم دراسة التاريخ وتفسيره . وفقـا لتلك المبـــادئ والمفاهيم المنبثقة من الاسلام .

أما اذا قلنا منهج البحث التاريخي أو منهج اثبات الحقائق التاريخية فانه يعني القواعد والطرق التي اصطلح على وضعها العلماء بغرض الاعانة على الوصول الى صحة المعلومات والتأكد من صوابها . فيصبح المنهج بهذا المعنى الأخير أداة بحث ، يمكن استخدامها - الى حد ما - من قبل مجموعة من الباحثين وان اختلفت مناهج حياتهم وعقائدهم وتصوراتهم .

أما المنهج بالمعنى الأول فانه عند المسلم محكوم بالتصور الايماني والالتزام العقيدى أى يلتزم بمقومات العقيدة وقيمها وتصوراتها عن الله والكون والحياة وعن الانسان ونشأته ومركزه في هذا الكون ووظيفته وغاية وجوده ومصيره الذى ينتهي اليه .

ولا بد للباحث المسلم من الالتزام بالمنهج الاسلامي في منطلقاته وتصوراتــه وأن تساعد كتابته على بناء العقيدة الصحيحة . وقيمها التربوية والخلقية .

وعلى هذا الأساس من الالتزام بالعقيدة تقاس أعمال المؤرخين والباحثين وتــوزن مناهجهم ومذاهبهم في التأليف ، لأن الباحث المسلم ليس مطلق الحرية في اتخـاذ المواقف وتفسير الحوادث وتقييمها كيفما عن له الخاطر . انما هو مقيد بالقواعد الشرعية والأصول العلمية المتبعة في اثبات الأخبار وردها . فليس من حقه أن يتهم أحدا بنـاء على رواية لم يتأكد من صحتها وعدالة رواتها واتصال سندها . ثم اذا ثبتت الرواية . فان هناك قيودا شرعية يلزم مراعاتها في نقد الأشخاص وملاحظة مقاماتهم مثل أن يكون أحـد الخلفاء الراشدين أو من المبشرين بالجنة أو أحدا من الصحابة رضي الله عنهم أو الأئمة الذين استفاضت عدالتهم . لأن الكلام في نقد مثل هؤلاء ليس كالكلام في أحد غيرهم كما أن الكلام في عموم الناس له حدود وضوابط ويجب أن يكون بحق وبعلم .

وهذا المفهوم العقيدى للمنهج والالتزام به في تلقي العلم ومناهج البحث والدراسة . هو مفرق الطريقين بين الباحث المسلم وغير المسلم ، فالباحث المسلم ينطلق في بحثه عن

الانسان وحركته وتفسير تاريخه من منطلقات ثابتة وطمأنينة علمية . لأنه ملتزم بمفاهيم عقيدته وتصورها الشامل عن الوجود . والتي تلقاها عن طريق الخبر الصادق الموحى به من الله الى رسول من رسله .

أما غير المسلم فانه لعدم تلقيه من الوحي الرباني في تفسير هذا الوجود وعدم معرفته لحقيقة الربوبية والعبودية لله ، ولوظيفة الانسان ودوره ولحقيقة نشأته ومصيره . ولعلاقته بالكون من حوله فانه يخبط بالظنون والأوهام ويرجم بالغيب بدون دليل (١) ولذلك يكثر بينهم الاختلاف ولا يصلون الى حقائق مطمئنة في هذه الأمور . ويعيشون في اضطراب وحيرة وشك وخوف من هذا الكون وفي صراع نفسي وتشتت ذهني ، وكل هذه الأعراض والأمراض ذات تأثير مباشر على نتائج دراساتهم ، والناظر في حال البشرية المعاصرة - من الامم التي لا تهتدي بهدى الله - ونتاجها الفكري يدرك هذا بأجلى صورة (٢) . فهم لا يدرون ما أصل نشأتهم . ولا يعرفون التصور الصحيح عن الانسان ووظيفته في هذه الحياة . ولكن المسلم يدرك ويعلم ذلك من الوحي الذي أرسل الله به رسله " ويعي دوره الحقيقي في هذا الوجود ومهمته في هذه الحياة وبذلك يمضي في رحلته على هذا الكوكب ثابت الخطو مكشوف البصيرة مأنوس الضمير ، ومن هذه المعرفة يستمد الطمأنينة والسكينة والارتياح لما يجري

---

(١) قال تعالى حاكيا اختلافاتهم فيما هو أقل من هذه الأمور " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل (الكهف ٢٢) وقال تعالى ذاكرا صفة من صفاتهم " ويقذفون بالغيب من مكان بعيد " (سبأ ٥٣) .

(٢) من الأمثلة على هذا الاضطراب والحيرة قول الشاعر النصراني ايليا أبو ماضي .

جئت لا أعلم من أين ... ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي ... طريقا فمشيت

وسأبقى سائرا ان شئت ... هذا أم أبيت

كيف جئت كيف أبصرت طريقي ... لست أدري

الى أن يقول :

ألهذا اللغز حل أم سيبقى أبديا ... لست أدري

حوله والرضا بما يقع له (١) . فهو يعرف من اين جاء ؟ ولماذا جاء ؟ والى أين يذهب ؟ ولماذا هو واجد هناك ؟ ويعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة وأنه مجزى على الصغيرة والكبيرة وأنه لم يخلق عبثا ولن يترك سدى ولن يمضى مفردا " (٢)

وانك لتجد فى أبحاث الأوربيين عن الحياة والانسان ضروبا من التخمين والخبط والتقاء القول دون دليل فهذا الدكتور " هـ . ج ويلز " صاحب كتاب معالم تاريخ الانسانية يخصص الجزء الثانى من كتابه فى البحث عن كيفية تكون الانسان ومراحل تطوره . فيبحث فى القرده ، وأشباه الانسان " النياندرتالى " وانسان العصر الحجرى والعصر الجليدى على أساس أن هذا الانسان الذى عاش هذه الحقبة من الزمن غير الانسان المعاصر فى تكوينه الجسمى والعقلى وفى مداركه وعواطفه الى آخر هذه الأحكام التى لا دليل عليها بل هى مخالفة للنشأة البشرية التى عرفناها من القرآن الكريم والسنة المطهرة . وهى أول البشر هو آدم عليه السلام وأن الله خلقه بيده من تراب ونفخ فيه من روحه وجعله فى أحسن تقويم وعلمه الأسماء كلها وأسجد له الملائكة . ومن المؤسف حقا أن يكون هذا المنهج فى

= ولماذا لست أدرى لست أدرى .

فهو يحكى الضياع والقلق والحيرة التى يعيشها هو وأشكاله من أبناء عصره لعدم اهتدائهم بهدى الله . (أنظر عبد اللطيف شرارة) إيليا أبو ماضى ومختارات من شعره ص ١٥٤

(١) يحكى الاستاذ سيد قطب عند تفسيره قول الله تعالى فى سورة الحجرات " يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىّ اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان " عن تجربة عاشها بنفسه قبل أن يمن الله عليه بالحياة فى ظلال القرآن والايمان . حيث عبر عن ذلك بقوله .

وقف الكون حائرا أين يمضى . ؟ ولماذا وكيف لو شاء يمضى ؟

عبث ضائع وجهد غبين ومصير مقنع ليس يرضى .

فيقول معلقا على ذلك " فأنا اليوم ولله الحمد والمنة أعرف أنه ليس هناك جهد غبين . فكل جهد مجزي عليه وليس هناك تعب ضائع . فكل تعب مثمر . وأن المصير مرض وأنه بين يدى عادل رحيم . وأنا أشعر اليوم ولله الحمد والمنة - أن الكون لا يقف تلك الوقفة البائسة أبدا . لأن روح الكون تؤمن بربها وتتجه اليه وتسبح بحمده والكون يمضى وفق ناموسه الذى اختاره الله له فى طاعة وفى رضا وفى تسليم . وهذا كسب ضخم فى عالم الشعور والتفكير . كما أنه كسب ضخم فى عالم الجسد والأعصاب فوق ما هو كسب ضخم فى جمال العمل والنشاط والتأثر والتأثير لأن الايمان قوة دافعة وطاقة مجمعة فوق أنه طمأنينة ورضا (فى ظلال القرآن ٦ / ٣٣٥٢) .

(٢) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ٦ / ٣٣٥٢ .

في البحث الذي يعتمد على الظنون والأوهام ويعرض عن الوحي الرباني ويأخذ أدلته عن نشأة الانسان من الحفريات والهياكل العظيمة والجماجم ، هو طريق كثرة من الباحثين (١) المسلمين الذي كتبوا فيما يسمى بفلسفة التاريخ .

فاختلاف الناس في الدراسات التي تعني بشؤون الانسان وعدم وصولهم الى نتائج واحدة كما هو الحال في العلوم التطبيقية والرياضية (٢) دليل واضح على أنه لا بد من التلقي في هذه العلوم عن الله سبحانه وتعالى . والرجوع لوحيه المنزل على رسله . فانه لا يكفي في الدراسات الاسلامية على مختلف أنواعها للوصول الى الحق والصواب اتباع الطرق المنهجية بل لا بد من توفر شروط نفسية وايمانية في الباحث وذلك نتيجة للاختلاف بين المسلم وغيره في أصل النظرة للحياة وللعلم وللكون ولربوبية الله وألوهيته . ولأصل النشأة الانسانية والغاية منها والدور الموكل للانسان في هذه الحياة والمصير الذي يؤول اليه بعد الموت فاذا لم يكن بيننا وبينهم اتفاق في الأصول فلا يمكن أن نتفق في الفروع وهذه الشروط المنهجية في البحث انما تكون نتائجها واحدة للمتفقين في أصل النظرة وزاوية الرؤية فبحسب التصورات والأهداف والقناعات الفكرية تكون نتائج الدراسات وتوجهاتها والباحث المسلم المتفقة في دينه ، العالم بمقاصده وأهدافه يتميز عن غيره بأن تصوراته وأهدافه وقناعاته الفكرية متلقاة من مصادر ربانية . وبذلك تكون نتائج دراساته

---

(١) أنظر مثالا لذلك كتاب المدخل الى التاريخ " تأليف نور الدين حاطوم ونبيه عاقل وزميليهما ص ٣١ وما بعدها حيث وضعوا هذا العنوان في كتابهم " أسلاف الجنس البشري " فقالوا وفي العهد الحديث المتأخر للحياة " البليوسين " ظهر طائفة من المخلوقات الصغيرة نشأة عنها أنواع القردة الحديثة من أشباه البشر ونشأ الانسان نفسه ".

(٢) في العلوم الرياضية والتجريبية البحتة لا تؤثر العقائد والمفاهيم الفكرية على نتائج البحث فمثلا ٢ + ٢ = ٤ فهي قضايا مسلمة سواء قال بها مسلم أو شيوعي أو أوربي لكن يكمن الخلاف في طريقة التعليم وأهدافه . أما الدراسات الاجتماعية والفكرية فهي موضوع العقائد لذلك يختلف فيها الباحثون كثيرا ولا يحل الاختلاف فيها الا الرجوع للنصوص الشرعية وتوحيد مصدر التلقي كما أوضحنا ذلك في مبحث ضوابط منهج العلم . ولأن النص في قضايا الدين مثل التجربة في ميدان العلوم الطبيعية يقف العالم أمامهما ويستنطقهما ولا يفرض عليهما رأيا مسبقا .

أقرب الى العدل والصواب . قال تعالى " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط . "(١) فالكتاب الذى جاء به الرسل هو الذى يتلقى منه الحق والعدل ويقام على منهجه القسط فى الأرض بين الناس(٢) ولا يكون الحق والقسط فى غير كتب الله ووحيه المنزل على رسله .

ومن المعلوم أن التزام الصدق وطلب الحق أمر نفسى خلقى يقوم على التربية والخوف من الله وابتغاء مرضاته وليس أمرا فكريا منهجيا . ومن ثم تكون معرفة الحق والالتزام به مرهون بالايمان بالله . المقتضى للشهادة بالقسط والعدل . وليس فى مقدور القواعد المنهجية وحدها الزام أحد باختيار الحق والعدل دون الشر والظلم . فالتزام الصدق لا يقوم الا على التجرد لله وطلب رضاه ولا يطلب هذا من غير المؤمن الملتزم بايمانه العامل به فى واقع حياته وسلوكه . ومن هنا تظهر أهمية علوم الشريعة لعلم التاريخ اذ أن علوم الشريعة تعتبر من العلوم الأساسية للمؤرخ المسلم وليست من العلوم المساعدة كما يذكر ذلك من كتبوا فى مناهج ومصادر علم التاريخ .

فمن لوازم المنهج الاسلامى فى كتابة التاريخ أن يكون المشتغل بعلم التاريخ الاسلامى وتفسير أحداثه ذا تصور سليم وعقيدة صحيحة ودراية بعلوم الشريعة وفقهها اضافة الى تخصصه التاريخى وتمكنه من ذلك . والا أصبح التاريخ الاسلامى ألعوبة لمئات المناهج والأهواء.(٣) لأن هذا التاريخ هو فى الحقيقة تاريخ عقيدة ذات تصورات وأحكام

---

(١) سورة الحديد آية : ٢٥ .

(٢) راجع تفسير الآية فى ابن كثير ٨/ ٥٢ .

(٣) لقد اشتغل بدراسة التاريخ الاسلامى وكتابته وتحليله فى العصر الحاضر من لا يعرف أحكام شريعة الاسلام حيث أبعدت الدراسات التاريخيه وفصلت عن الدراسات الشرعية . وهذا حدث من أحداث الاستشراق والتغريب كما اشتغل به قوم لا يؤمنون بالاسلام مثل طوائف الاستشراق . وقوم ذوو ميول وانحرافات أو مغفلون لا يدرون ما يقولون . ولذلك صرنا نجد من ينظر للتاريخ الاسلامى نظرة "ليبراليه" تحررية أو "اشتراكية" اقتصادية أو "ماركسية" الماديه أو "رأسمالية" مادية بل وجدنا من يقسم الصحابة الى يمين =

ثابتة مستمدة من مصدر صادق وثيق من وحى العليم الخبير القدير الحكيم السميع البصير المحيط علمه بما كان وما يكون " هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىءعليم"(١)

فالالتزام بالمنهج الاسلامى فى الكتابة التاريخية ضرورة علمية ومصلحة انسانية ووظيفة شرعية .

يقول الاستاذ سيد قطب "انه لمن الصعب التصور بامكان دراسة الحياة الاسلامية كاملة دون ادراك كامل لروح العقيدة الاسلامية وادراك التصور الاسلامى عن الله والكون والحياة والانسان ، وطبيعة استجابة المسلم لتلك العقيدة وطريقته فى الاستجابة للحياة كلها فى ظل العقيدة . وهذه الخصائص لا توجد عند غير الباحث المسلم الملتزم باسلامه"(٢) .

انه لمن مصلحة الانسانية عموما أن يتولى كتابة تاريخها وتفسيره بمنهجية علمية أصحاب العقيدة الاسلامية الحقة لأنهم ينظرون بمنظار هذه العقيدة الشاملة فى نظرتها للحياة وللانسانية . والتى لا تقبل تفرقة بين السلوك العملى وبين الاعتقاد القلبى .

والباحث المسلم أولى بتفسير التاريخ البشرى كله فضلا عن تاريخه الاسلامى وذلك أنه يملك المنهج السليم الذى يزن به كافه الأشياء والقيم واحداث التاريخ .

= ان ترك الالتزام بالمنهج الاسلامى فى كتابة التاريخ يوقع الباحث فى اخطاء كبيرة تزل بها الأقدام . فهذا كاتب من أبناء المسلمين مشهور بدراساته التاريخية يجعل هذا العنوان "أساطير دينية توجه سير التاريخ"(٣) أحد فصول كتاب له سماه مواقف حاسمة

= ووسط ويسار .!! فطبق على التاريخ الاسلامى اصطلاحات ومناهج لا صلة لها بواقعة التاريخى أو فكره العقيدى . فوق انها نتاج حضارة وثنيه غير مهتدية بهدى الله ولا مستنة بسنة رسله . وما ذلك الا نتيجة الابتعاد عن دراسة العلوم الشرعية وعدم الأخذ بالمنهجية العلمية السليمة فى دراسة التاريخ الاسلامى ومعرفة مرتكز هذا التاريخ وسر الحركة فيه .

(١) سورة الحديد آية : ٣ . (٢) سيد قطب . فى التاريخ فكرة ومنهاج ص ٤٦

(٣) هو محمد عبد الله عنان مؤرخ مصرى له عناية بالدراسات التاريخية الأندلسية وهذا الفصل يشمل الصفحات من ٢٥٩-٢٦٤ - يقول فيه" وقد بلغت هذه الأساطير الدينية السياسية فى الدولة الاسلامية ذروة القوة والازدهار وكانت أسطورة المهدى من بينها أقواها وأبعدها أثرا ص ٢٥٩ ويقول " وزعم الكندى الفيلسوف أن المهدى يجدد الاسلام ويظهر العدل ، ويفتح الأندلس ورومه وقسطنطينية ويملك الأرض وهو ماندهش لصدوره من فيلسوف حر التفكير" ص ٢٦٠ ويقول " ومثل اسطوره المهدى المنتظر اسطورة المسيح المنتظر وهى ترجع الى =

فى تاريخ الاسلام ، وأنكر فى هذا الفصل ثلاث قضايا مهمة من قضايا العقيدة وهى المهدى ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان . ويوم القيامة . وجعلها من طائفة الأساطير وعرضها عرضا فيه سخرية واستهزاء بالمؤمنين بها . ولم يفرق بين الكذابين المستغلين لجهل الغوغاء وبين حقائق هذه القضايا العقيدية الثابتة بنصوص الشرع واجماع الامة المسلمة سلفا وخلفا .

ان من أبسط القواعد المنهجية العلمية أن لا ننكر القضايا العقيدية المجمع عليها بسبب وقوع انحراف عند بعض الناس فى تطبيقها . لأن الانحراف لا يعالج بانحراف آخر . وانما يعالج الانحراف باصلاحه وايضاح الحق وتعرية الباطل وكشفه فاذا وجدنا من يستغل الأحاديث الواردة فى المهدى - مثلا - فيدعى لنفسه المهدية ليكسب من وراء ذلك ملكا وسلطانا كما حدث فى الواقع التاريخى (١).

فان العلاج ليس انكار الأحاديث النبوية الصحيحة فى خروج المهدى والتى بلغت فى مجموعها حد التواتر (٢). وردها ووصفها بالأساطير وأنها موضع كثير من الجدل والريب. .

= أصل يهودى رلها فى الاسلام مكان أيضا " ص ٣٦٢ .
وقال " ونرى فى النصرانية اسطورة القيامة تؤثر فى خيال المجتمعات الأوربية أعمق تأثير فى أواخر القرن العاشر ومن المعروف أن فكرة انتهاء العالم فى المستقبل القريب كانت منذ أقدم عصور النصرانية تستهوى جموعا غفيرة من النصارى" ص ٣٦٢ .

(١) لقد ادعت الرافضة أن المهدى هو محمد بن الحسن العسكرى الذى يدعون أنه اختفى فى سرداب سامراء وهو طفل سنه ٢٦٠ هـ ولازالوا ينتظرونه . ويقول ابن تيمية ان أهل العلم بأنساب أهل البيت يقولون ان الحسن بن على العسكرى لم يكن له نسل ولا عقب " أنظر رسالته التى بعنوان رأس الحسين ص ٥٥١ .
وكما ادعى العبيديون أن عبيد الله بن ميمون القداح هو المهدى . وكذا ادعى محمد ابن تومرت المغربى المهدية وغير هؤلاء كثيرون مثل محمد أحمد المهدى السودانى .

(٢) حول صحة أحاديث المهدى راجع. ابن القيم، المنار المنيف ص ١٤١-١٥٥ . والمباركفورى . تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ٦/٤٨٤ وما بعدها وقد نقل عن الامام الشوكانى أنه قال " والذى أمكن الوقوف عليه من الأحاديث الواردة فى المهدى المنتظر خمسون حديثا وثمانية وعشرون أثرا " ثم قال بعد أن سردها وتكلم عليها " وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع ".
وعبد المحسن العباد ، الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة فى المهدى مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة العدد ٤٥ ص ٢٩٧-٣٢٨ وعدد ٤٦ ص ٣٦١-٣٨٢ العام ١٤٠٠ هـ . =

وانما باحقاق الحق وابطال الباطل واتباع الأمانة والمنهجية العلمية .

ـ والمنهجية الاسلامية منهجية ملتزمة لتمسكها بالفضائل الخلقية وأصيلة لاستقلالها عن غيرها من المناهج واستمدادها من الأصول الشرعية ورجوعهـا للمصادر الأصيلة . ومن شأن هذه المنهجية الأصيلة والملتزمة أن تقي الباحث ـ بحول الله ـ من الانحراف والزلل وتصحح له رؤيته وتقوم أحكامه ونتائجه حتى وان وقع في خطأ ـ مما لا يسلم منه بشر غير معصوم ـ فانه سرعان ما يرجع عنه حالما يكتشف ذلك أو ينبه عليه .

فلابد لمن يشتغل بكتابة التاريخ الاسلامي وتفسير حوادثه أن يكون مسلما ملتزما بعقائد الاسلام عالما بشرائعه وأحكامه .

= وعبد العليم عبد العظيم ، الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل ، وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة للعام الدراسي ٩٧/ ١٣٩٨هـ .

- الفصـــــل الثانـــى -

مصادر منهج كتابة التاريخ الاسلامى

منهج كتابة التاريخ الاسلامى - كما قلنا فى المبحث السابق - يعطى مدلولـــين :

المدلول الأول :- المبادئ والأسس التى ينصها الاسلام كحدود تحكم دراسة التاريـــخ الاسلامى ، فهذه نحتاجها عند تفسير الواقعة التاريخية وتعليلها والحكم عليها .

والمدلول الثانى : هو القواعد والطرق التى تتبع فى اثبات الحقائق والوقائع التاريخيـــة ، فهذه نحتاجها فى اثبات صحة واقعة تاريخية معينة أو نفيها . ومعلوم أننـــــا أولا نثبت الواقعة ثم بعد ذلك نفسرها فمرحلة الاثبات مرحلة سابقة على مرحلـــة تفسير الحدث وتعليله .

وعليه فاننا نحتاج الى نوعين من المصادر . .

- مصادر فى طرق اثبات الحقائق والوقائع التاريخية .
- مصادر فى تفسير الحوادث التاريخية والحكم عليها .

مصادر طرق اثبات الحقائق التاريخية : .

لقد اعتنى علماء السنة بوضع قواعد وضوابط يعرفون بها صحة المرويات واتبعـــوا منهجا دقيقا فى نقدها . وينبغى للمؤرخ المسلم أن يطلع على ذلك ويفيد منه فـــى دراساته التاريخية . والمصادر المهمة فى هذا الشأن هى كتب " مصطلح الحديـــث " أو " أصول علم الحديث " وأسس هذا العلم موجودة فى الكتاب العزيز فى مثل قول اللـــه تعالى : " يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا "(١) ، وفى السنة المطهـــرة فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم " نضر الله أمرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعـــى من سامع "(٢)

---

(١) سورة الحجرات آية : ٦ .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب العلم ٥ / ٣٤ وقال حسن صحيح .

وكان الخلفاء الراشدون أول من سن للمحدثين التثبت في الرواية واحتاطوا في قبول الأخبار "فقد جاءت الجدة الى أبي بكر تلتمس أن تورث . فقال ماأجد لك في كتاب الله شيئا وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر لك شيئا . ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال حضرت رسول الله يعطيها السدس فقال له هل معك أحد فشهد محمد ابن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها"(١) وكذا روى عن عمر بن الخطاب موقف مشابه مع أبي موسى الأشعري . (٢) وبناء على هذا ظهر علم نقد الأخبار والسؤال عن الرجال الرواه . فدونت أخبارهم ورحلاتهم وسني ولاداتهم ووفياتهم وشيوخهم وتلاميذهم ليعرف المتصل والمنقطع من الأسانيد . وظهر كذلك علم الجرح والتعديل وهو الكلام في عدالة الرواه لمعرفة الثقة من غيره . كما دونوا علم علل الأحاديث (٣) سواء علل الاسناد أو علل المتون .

وقد دون العلماء هذه القواعد وظهرت في كتب خصصت لهذا الشأن من كتاب المحدث الفاصل بين الراوى والواعي للقاضي الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي (٤) المتوفى سنة ٣٦٠هـ وكتاب معرفة علوم الحديث لأبي عبدالله الحاكم (٥) المتوفى سنة ٤٠٥ هـ والكفاية

---

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١/٢ .

(٢) نفس المصدر ١/٦ .

(٣) الحديث المعلل هو الذى اطلع الحافظ البصير فيه على علة قادحة في صحته مع أن ظاهره السلامة منها " ولهذا قال ابن حجر وهو من أغمض أنواع علوم الحديث وأدقها ولا يقوم به الا من رزقه الله تعالى فهما ثاقبا وحفظا واسعا ومعرفة تامة بمراتب الرواه وملكة قوية بالأسانيد والمتون ولهذا لم يتكلم فيه الا القليل من أهل هذا الشأن " "أنظر شرح نخبة الفكر ص٨٣ ".

(٤) هو أبو محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الفارسي الرامهرمزي امام حافظ توفي سنة ٣٦٠هـ " تذكرة الحفاظ ٢/٩٠٥ .

(٥) هو الامام الحافظ الكبير أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري المعروف بابن البيع ولد سنة ٣٢١ هـ ورحل في طلب العلم وصنف الكثير مثل تاريخ نيسابور والمستدرك على الصحيحين وعلوم الحديث . وكان فيه تشيع وتوفي سنة ٤٠٥ هـ ، " الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ٢/١٠٣٩ - ١٠٤٥ ".

فى علم الرواية للخطيب البغدادى (١) المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للبغدادى أيضا وكتاب الالماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضى عياض (٢) المتوفى سنة ٥٤٤ هـ وعلوم الحديث لابن الصلاح (٣) المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، وقد أشتهر باسم مقدمة ابن الصلاح .

فهذه الكتب تبين طرق نقد الاخبار وكيفية الموازنة والترجيح بينها عند التعارض كما أن علماء الجرح والتعديل قد قاموا بجهد فى هذا الميدان من أمثال على بن المدينى (٤) ويحى بن معين (٥) وأحمد بن حنبل والامام البخارى وأبو حاتم الرازى (٦) وأبو زرعة (٦) حيث تكلموا فى الرجال وفى نقد المتون للأحاديث وبيان عللها .

---

(١) هو الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى ، برع فى التصنيف خاصة علوم الحديث ومن أشهر مؤلفاته تاريخ بغداد ولد سنة ٣٩٢ وتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، " الذهبى تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٥-١١٤٦ " .

(٢) هو عالم المغرب القاضى عياض بن موسى اليحصبى السبتى ولد سبته سنة ٤٧٦ هـ تولى القضاء بسبته وغرناطة وحمدت سيرته وله مصنفات كثيرة مشهوره مثل الشفاء وترتيب المدارك وجامع التاريخ ومشارق الأنوار ، توفى سنة ٥٤٤ هـ " الذهبى تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٠٥ " .

(٣) هو الامام الحافظ المفتى شيخ الاسلام تقى الدين أبو عمرو عثمان بن صلاح الدين الكردى الشهرزورى الشافعى ولد سنة ٥٧٧ هـ . تفقه على والده ثم صار معيدا عند العلامة العماد بن يونس ، درس بالمدرسة الصلاحية وولى مشيخة دار الحديث الاشرفية . توفى سنة ٦٤٣ هـ " الذهبى تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٣٠ " .

(٤) هو الحافظ أبو الحسن على بن عبد الله بن جعفر السعدى مولاهم المدينى ثم البصرى ولد سنة ١٦١ هـ .
قال أبو حاتم كان ابن المدينى علما فى الناس فى معرفة الحديث والعلل ، مات بسامرا سنة ٢٣٤ هـ . وله مصنفات كثيرة ، " الذهبى ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٢٨ " .

(٥) هو الامام سيد الحفاظ أبو زكريا يحى بن معين المرى مولاهم البغدادى ولد سنة ١٥٨ هـ روى عنه أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم وكانت وفاته سنة ٢٣٣ هـ . " الذهبى ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٢٩ " .

(٦) هو الحافظ الكبير محمد بن أدريس بن المنذر الحنظلى ولد سنة ١٩٥ ورحل فى طلب الحديث وهو شاب ، روى له النسائى وأبو داود وكان من علماء الجرح والتعديل توفى سنة ٢٧٧ هـ ، " الذهبى تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٦٧ " .

(٧) هو حافظ العصر عبيد الله بن عبد الكريم بن فروخ القرشى مولاهم الرازى . كان من =

ودونوا ذلك في مؤلفات خصصت لهذا الشأن فكتب البخاري ثلاثة كتب هي التاريخ الكبير والتاريخ الأوسط والتاريخ الصغير . وابن أبي حاتم دون كلام أبيه وأبي زرعة في كتاب سماه الجرح والتعديل وابن معين له كتاب دونه تلاميذه باسم تاريخ ابن معين وكذلك ابن حنبل مروى عنه كتاب العلل وأيضا على ابن المديني له كتاب في علل الحديث .

وقد كتب كل من خليفة بن خياط ومحمد بن سعد كتابا في الطبقات كما كتب ابن حبان[1] كتابا في الثقات وكتابا في المجروحين من المحدثين .

وأيضا كتب الخطيب البغدادي كتابا جامعا في أسماء العلماء والرواه الذين نشأوا في بغداد أو وردوا عليها أثناء رحلاتهم العلمية كما كتب ابن عساكر[2] كتابا مماثلا سماه تاريخ دمشق . وهناك كتب تخصصت في الترجمة للرواه الذين وردت أسماؤهم في الكتب الستة مثل الكمال في أسماء الرجال لعبد الغني المقدسي[3] وتهذيبه للحافظ

= أفراد الدهر حفظا وذكاء ودينا وإخلاصا وعلما وعملا . وهو من رجال الجرح والتعديل توفى سنة ٢٦٤ هـ " أنظر الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ٢ / ٥٥٧ " .

(١) هو أبو حاتم محمد بن حبان البستي صاحب التصانيف مثل التاريخ والضعفاء والمسند الصحيح وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار عالما بالطب والنجوم وفنون العلم . وقال الخطيب كان ثقة نبيلا فهما . وكانت وفاته في شوال سنة ٣٥٤ هـ (المصدر السابق ٣ / ٩٢٠)

(٢) هو محدث الشام أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الدمشقي الشافعي صاحب التصانيف ولد سنة ٤٩٩ هـ سمع المشايخ ورحل في طلب العلم وبلغ مجموع شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ونيفا وثمانين امرأة من أشهر كتبه تاريخ دمشق الكبير في ثمانين مجلدا والاطراف لأحاديث السنن .
قال السمعاني أبو القاسم حافظ ثقة متقن جمع بين معرفة المتن والاسناد ، وكانت وفاته سنة ٥٧١ هـ " أنظر الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٢٨ " .

(٣) هو الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي صاحب التصانيف ولد نحو سنة ٥٤١ هـ . قال ابن النجار . حدث بالكثير وصنف في الحديث تصانيف حسنة وكان غزير الحفظ من أهل الاتقان والتجويد قيما بجميع فنون الحديث . وكان متمسكا بالسنة على قانون السلف . وكانت وفاته سنة ٦٠٠ هـ " الذهبي تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٧٢ " .

المزى (١) وتذهيب التهذيب للحافظ الذهبى وتهذيب التهذيب للحافظ بن حجر وقد خصصت بعض الكتب لأسماء الضعفاء من الرواه من أكثرها تداولا كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبى وكتاب لسان الميزان لابن حجر العسقلانى .

فكل هذه الكتب وغيرها مما لم نذكره - لأننا لم نقصد الاستقصاء - لازمة للمؤرخ ومعينة له على نقد الروايات والترجيح بينها ومعرفة صحيحها من سقيمها ، أما كتب التاريخ الاسلامي المتخصصة سواء كانت مصادر أوليه مثل السيرة النبوية لابن اسحاق ومغازى الواقدى وفتوح البلدان للبلاذرى وفتوح الشام لأبى اسماعيل الأزدى وفتوح مصر لابن عبد الحكم . وكتاب تاريخ خليفة بن خياط . والأخبار الطوال للدينورى وتاريخ الأمم والرسل لابن جرير الطبرى وجمهرة النسب للكلبى ونسب قريش لمصعب الزبيرى (٢) ، أو كانت مصادر ثانوية . فانها تحوى مادة ومعلومات تاريخية تحتاج الى نقد وغربلة لمعرفة الصحيح من الزائف . فهى مصادر في المعلومات التاريخية . وليست مصادر في نقد الأخبار .

---

(١) هو جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الدمشقى الشافعي ولد بحلب سنة ٦٥٤ هـ ونشأ بالمزه وحفظ القرآن وتفقه قليلا ثم أقبل على علوم الحديث حتى برع فيها عمل كتاب تهذيب الكمال وكتاب الأطراف وكانت وفاته سنة ٧٤٢ هـ " الذهبى تذكرة الحفاظ ٤/١٤٩٨".

(٢) ستأتي ترجمة هؤلاء المؤرخين في الباب الثالث .

مصادر تفسير الحوادث والحكم عليها :..

لما كان منهج كتابة التاريخ الاسلامي وتفسير حوادثه يعتمد في أصوله على التصور الاسلامي ويجعل العقيدة الاسلامية ومقتضياتها هي الأساس في منطلقاته المنهجية وفي تفسير حوادثه والحكم عليها . لذا يمكن القول بأن مصادر منهج كتابة التاريخ الاسلامي في هذا الجانب هي نفس مصادر الشريعة ، القرآن والسنة والاجماع والقياس (لأن التفسير الاسلامي للتاريخ منبثق من تصور الاسلام للكون والحياة والانسان فهو يقوم على الايمان بالله تعالى وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى وهو لا يخرج عن دائرة المعتقدات الاسلامية كما أنه مبني على فهم دوافع السلوك في المجتمع الاسلامي الأول مما يجعل حركة التاريخ الاسلامي ذات طابع متميز عن حركة التاريخ العالمي لأثر الوحي الالهي فيه)(١)

لذا ينبغي في تفسير التاريخ الاستمداد من هذه المصادر الشرعية لمعرفة دوافع السلوك في المجتمع الذي نشأ وتكون على هدى الشريعة وشكل حياته وتصوراته وفقا لها وكانت تعليماتها وأوامرها ونواهيها موجهة لكثير من حركاته ،في الدعوة الى الله وفي الجهاد في سبيل الله وفي التعليم وفي بناء الدولة ومؤسساتها الادارية والاجتماعية وفي علاقات المجتمع الاسلامي مع بعضه ومع غيره من المجتمعات،

ولكي يكون تفسيرنا لحركة التاريخ الاسلامي صحيحا وواقعيا فانه يلزمنا معرفة وفهم العوامل التي شكلت المجتمع وتحكمت في حركته وبناء تصوراته وثقافته وموازنة هذه الحركة التاريخية بالأوامر والنواهي الشرعية وكم منها متسق مع هذه الأوامر والمتطلبات ؟ وكم منها مائل عنها ؟ لنعرف مدى الأثر الذي أحدثه الاسلام في حياة المجتمعات الانسانية .

---

(١) أكرم ضياء العمري . اعادة كتابة تاريخ/ صدر الاسلام ص٣ .

ولنعرف كذلك قيمة الخسارة (١) التي لحقت بالمجتمع الانساني من جراء الانحراف والبعد عن شريعة الله ،.

وندرك أيضا فضل الله ورحمته بهذه البشرية . اذ أخرجهم بهذا الدين من الظلمات الى النور ومن الجور الى العدل . ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة ، ومن الشقاء الى السعادة . ومن الخوف والقلق الى طمأنينة الايمان وأمنه .

قال تعالى : " الر . كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد " (٢)

وقال تعالى " لايلاف قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " (٣)

فالمنهج الاسلامي فى كتابة التاريخ يستمد نظرته ومنهجه من أصول الاسلام ومصادره وهذا سر المفارقة بينه وبين بقية المناهج . ففى مجال تفسير الحوادث التاريخية نجد أنه " ليس تفسيرا تبريريا " (٤) بل تبرز فيه خصائص الايمان المستعلى على ماسواه .

---

(١) كتب الاستاذ أبو الحسن الندوى كتابا قيما سماه " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " أوضح فيه أثر الاسلام فى حياة البشرية فى أيام قوته وكيف قلب القيم والموازين التي كانت سائدة فى الجاهليات المتعددة ثم أوضح مدى الخسارة التي لحقت بالبشرية من جراء انحسار دور الاسلام فى حياة الناس بسبب ضعف المسلمين وجهلهم بدينهم وكيد الأعداء لهم .

(٢) سورة ابراهيم آية : ١ .   (٣) سورة قريش .

(٤) أى أنه لا يعتذر عما حدث فى الماضى اذا كان مخالف لمواضعات ومقاييس العصر الذى نعيشه . مثل الرق والجزية والجهاد بالسيف . فهى أحكام شرعية لا يجوز لنا اخفاؤها والاستحياء من ذكرها كما يفعل بعض الكتاب بتأثير الغزو الثقافى الأوربى والروح الانهزامية أمام الحضارة الحديثة .

كما أنه ليس تفسيرا ماديا يحصر المؤثرات على حركة التاريخ البشرى فى العوامل المادية كتبدل وسائل الانتاج - كما فى الفكر الماركسى - أو التفسيرات المعتمدة على أثر البيئة الخارجية - من مناخ وجغرافيا واقتصاد - كما فى الفكر المادى الغربى ، بل هو يوضح دور الانسان ومسؤليته عن التغير الاجتماعى والتاريخى فى اطار المشيئة الالهية"(١)
ان الرجوع للمصادر الشرعية والتمكن من فهم العقيدة الاسلامية والالتزام بها وادراك مدى تأثيرها على معتنقيها شروط لازمة للمشتغل بكتابة وتفسير التاريخ الاسلامى فاذا ما اختل شئ منها أتت الدراسة ناقصة شوهاء متأثرة بالأحوال الفكرية والاجتماعية المحيطة بالباحث .
ولذلك وقع كثير من الكتاب المعاصرين فى أخطاء كثيرة بعضها راجع لتقصيرهم فى العودة الى المراجع الشرعية وبعضها الآخر ناتج عن الغبش فى التصور وعدم وضوح الرؤية وتأثرهم بالغزو الفكرى الأوربى ، ونظرا لانطلاقهم الخاطئ فى فهم الشريعة وفى معرفة معنى العبودية لله ولوازمها(٢) ، تراهم يأخذون فى الاعتذار عن التشريعات والنظم الاسلامية ويبحثون لها عن سند تاريخى قديم(٣) بل يحاولون تقريبها والملائمة بينها وبين النظم والتشريعات السائدة فى الواقع الجاهلى(٤) . وهذا المسلك قلب للحقائق والواقع اذ تكون الجاهلية ونظمها كأنها هى الأصل ، والشريعة ينبغى أن تلائمها وتوافقها . . !!

---

(١) أكرم ضياء العمرى ، المصدر السابق ص٢٠ .
(٢) حول معنى العبودية ولوازمها أنظر ، أبو الأعلى المودودى ، المصطلحات الأربعة فى القرآن ص٩٥-١١٠ ، وعبد الرحمن بن محمد الدوسرى ، صفوة الآثار والمفاهيم فى تفسير القرآن الكريم ١/٤٦-١٨٩ .
(٣) يقول الدكتور محمد الطيب النجار فى كتاب " تاريخ الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء " ، وليست الجزية من مستحدثات الاسلام بل هى قديمة ، فرضها اليونان على سكان آسيا الصغرى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد كما وضع الرومان والفرس الجزية على الأمم التى أخضعوها " ص١٥٨ .
(٤) يقول الاستاذ مصطفى الزرقاني ببحث ألقاه فى مؤتمر الشرق الأدنى ، الذى عقد بجامعة برنستون عام ١٩٥٢م وحضره عدد من المسلمين والأمريكيين " ان الصفة الدينية فى الفقه الاسلامى لا تنافى أنه مؤسس على قواعد مدنية بحتة منتجة لفقه متطور كفيل بوفاء =

وهذا الاسلوب التبريرى لما يشرعه الله ناتج كما قلنا من الانحراف التصورى وعدم الاعتزاز والاستعلاء بالايمان . والاسلام . وذهول عن قاعدة مهمة وهى أن الشريعة الاسلامية لا تستفتى ولا يطالب منها الحلول لمشكلات نشأت فى مجتمع لا يطبق الاسلام .

واسلوب التخريجات لمثل هذه القضايا والأوضاع المخالفة للشرع الاسلامى أسلوب مرفوض . اذ ليس من المعقول أن تطالب من الشريعة الاسلامية حل مشكلات الاقتصاد أو العلاقات الاجتماعية للشعب الأمريكى مثلا . لأنه لابد أولا من قبول العقيدة الاسلامية والتسليم لشريعة الله بالحاكمية والسلطان . ثم هى بعد ذلك التسليم والالتزام ، تقوم عوج الحياة على منهاجها لا أن تحاول ابقاء عوج الحياة الجاهلية بتسويغ انحرافها وتبريره بفهم متعسف لنصوص الشريعة .

ومن هنا يتبين لنا أهمية الرجوع للمصادر الاسلامية والتلقى منها والالتزام بأحكامها وأن ذلك يوصل باذن الله الى نتائج طيبة .

= الحاجات العصرية " ثم يوضح بعض تطويره للفقه فيقول عن مشكلة الربا التى قام عليها الاقتصاد العصرى " ان هذه المشكلة يمكن حلها فى مبادئ الشريعة بطرق عديدة " ويذكر من حلولها أن الربا الذى كان سائدا عند العرب وجاء القرآن بتحريمه هو الربا فى القرض الاستهلاكى . ومقتضى كلامه هذا أن الربا فى القرض الاستثمارى غير محرم ، ومن الحلول عنده " تأميم المصارف لحساب الدولة فينتفى كما زعم معنى الربا من الفائدة التى تؤخذ على القرض لأن هذا القرض يعود لخزينة الدولة . " أنظر محمد محمد حسين ، الاسلام والحضارة الغربية ص ١١٧-١٣٨ " .

ـ الفصـــل الثالـــث ـ

خصائص منهج كتابة التاريخ الاسلامـــى

المنهج الاسلامى كما عرفنا فى الحديث عن مصادره منهج متميز ومستقل عن كـــل المناهج الأرضية فهو يستمد موازينه وقيمه وتصوراته من الوحى الالهى المنزل على رسـوله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب الكريم والسنة المشرفة وهذا التفرد فى أصوله ومصادره يحدونا الى الحديث عن خصائص هذا المنهج والتى يمكن اجمالها فى الخصائص التالية :..

- التميز فى التصور والمفاهيم .
- التميز فى منهج التوثيق واثبات الحقائق .
- التميز فى منهج التفسير التاريخى .

وسنعرض فيما يلى لكل واحدة من هذه الخصائص بشئ من التفصيل المناســـب .

التميز فى التصـور والمفاهـيم :..

هناك مجموعة من القضايا التى ضلت فيها المفاهيم واختلفت وتعددت الآراء نظـرا لتعدد المشارب ومصادر التلقى فيها وبسبب هذا التباين فى المفاهيم وقع الاختلاف فى مناهج التفسير التاريخى . ففسرت أحداث التاريخ الاسلامى على خلاف مقتضى مفاهيمه وتصوراته . مما يستلزم تصحيح المفاهيم والتصورات حول هذه القضايا لكى يصحح علـــى ضوئها منهج التفسير التاريخى لأن المنهج انما يقوم على مجموعة من المفاهيم والقيم اذا صحت واستقامت استقام المنهج وان شوهت وحرفت أصاب المنهج الكثير من التحريـف والتشـويه . فمن المعروف أن لكل أمة من الأمم مفاهيم خاصة عن الانسان والكون والحياة . وعلى ضـــوء هذه المفاهيم تحدد قيمها وحياتها الاجتماعية والسياسية وتنظر من خلالها للأشياء والأحداث والناس . والمفاهيم فى حياة الأمة تشكل الركيزة الثقافية والعلمية التى تبنى عليها تصوراتها وموازينها وتلك المفاهيم تستمد من العقيدة التى تؤمن بها الأمة وتحافظ عليها ، وحســب

اختلاف المفاهيم وتنوعها تختلف النظرة والأحكام على الأحداث والمواقف ، وبقدر ما يحصل بينها من تقارب واتفاق ، تتفق النظرة ويتوحد الموقف والحكم ، والأمة الاسلامية لها مفاهيمها وتصوراتها وقيمها التي تتميز بها عن غيرها من الأمم فاذا كانت الأمم غير الاسلامية تستمد مفاهيمها وتصوراتها من التقاليد والعادات وما يبتدعه لها مفكروها وفلاسفتها وساستها حسب أهوائهم ومصالحهم وأفهامهم القاصرة ، فان المسلمين - ولله الحمد والمنه - قد أكرمهم الله بأن بعث لهم الرسل وأنزل عليهم الوحى . المفصل لكل شئ يحتاجونه فى أمر دينهم ودنياهم وخاصة فى الرسالة الخاتمة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي أكمل الله بها الدين وأتم بها النعمة على العالمين فمفاهيمنا نتلقاها من مصدر الحق فى هذا الوجود من الوحى الربانى من الله الرحمن الرحيم العزيز الحكيم العليم القدير الذى يعلم مافى السموات ومافى الأرض ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة بل يعلم غيب السماء والأرض واذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون . فمن كانت هذه صفاته وهذه سعة علمه وعظيم قدرته لابد أن يكون منهجه أكمل المناهج وأشملها وأن يبرأ من صفات الضعف والقصور والهوى الملازمة للطبيعة البشرية . لأن علمه وقدرته وعدله مطلق لا يحد بشئ من حدود الزمن أو المواقف أو الاتجاهات . ومادامت هذه هى ميزة مصادرنا وتفردها فانه من الظلم لأنفسنا ولتاريخنا أن نتلقى مفاهيمنا وقيمنا ومناهج بحثنا وعلمنا من غير هذه المصادر الصحيحة والمأمونة من الخطأ والانحراف . ، والمفاهيم فى حياة الأمة هى التى توجه سلوكها ولا بد للأمة لكى تعيش حرة كريمة ولها وزنها وثقلها أن تكون مستقلة فى مفاهيمها فلا تتلقى من غير مصادرها .. والأمة الاسلامية لا يكفى أن يكون لها مكان ووزن بين الأمم وانما تقتضى رسالتها أن تكون الأمة الداعية الى الخير والآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر والقائمة بالقسط بين الناس والممسكة بزمام القيادة للبشرية باعتبار أنها مكلفة بذلك من الله العلى العظيم قال تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس "(١) وقال تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير

---

(١) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" (١) . فهذه الأمة معها منهج الانقاذ للبشرية الضالة عن سبيل الهدى الممزقة بالانحرفات والأهواء . الحائرة بين شتى المناهج .

والمؤمن عندما يتأمل حالة البشرية اليوم بنظر فاحص وقلب واع يدرك الحقائق ولا تغره المظاهر الخادعة والزركشات الظاهرة - يعرف مدى الانحدار الذى تعانيه البشرية ويقدر زاوية الانحراف تقديرا سليما ولا يملك الا أن يحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة الهداية ويقدر هذه النعمة حق قدرها ويشعر بها شعور المؤمن الشاكر ويتمسك بها تمسك المخبت الذاكر ويستعلى على ما سواها لا استعلاء الاستكبار وانما استعلاء الاعتزاز والتقدير لهذا الفضل الذى خصه به مع العمل على هداية البشرية الى هذا الخير والرشد الذى هدى اليه " يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون" (٢) .

ولقد أصاب المسلمين كثير من الشر والانحراف بسبب غياب هذا المعنى عن حسهم وبسبب أنبهارهم بالأضواء الشديدة للمدنية المعاصرة - التى خطفت الأبصار فأعشتها (٣) عن النظر الصحيح كما أعشت طائفة من سلفهم يوم أن أنبهروا بمنطق اليونان وفلسفتها فأورثهم ذلك من تغير المفاهيم وانحرافها ما أبعدهم عن منهج القرآن وطريقته في تلقى العلم والمعرفة . .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٢) سورة يونس آية : (٥٧ - ٥٨) .

(٣) العشى مرض يصيب العين فلا تبصر ليلا " أنظر الرازى ، مختار الصحاح ص٤٣٥" .

ان المسلمين قد أصابهم بسبب الانحراف عن المنهج الرباني وعدم التلقي منه وحده كثير مما يعانون اليوم من التمزق السياسي والتأخر العلمي والفكري والمادي نظرا لتعدد المشارب والموارد في الأخذ والتلقي ولاختلاط المفاهيم في التصور والسلوك . ، ولكي نضمن للأمة عودة الى منهج الحق وتوحيدا لأشتاتها المبعثرة .

وممارسة لدورها القيادي لهداية البشرية فانه ينبغي أن توحد مصادر التلقي ومناهجه حتى تتوحد المفاهيم وتستقيم الموازين .

لقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة يقرأ فيها فقال له : " لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به . والذى نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعني "(١) قال ابن بطال(٢) عن المهلب " هذا النهي انما هو في سؤالهم عما لا نص فيه لأن شرعنا مكتف بنفسه فاذا لم يوجد فيه نص ففي النظر والاستدلال غنى عن سؤالهم . ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا والأخبار عن الأمم السالفة ".(٣)

ويؤيد هذا الحديث ما رواه الامام البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة عن ابن عباس رضي الله عنهما ." قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل على رسول الله أحدث ، تقرؤنه محضا لم يشب."(٤)

---

(١) أنظر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٣٤/١٢ وقد عزاه ابن حجر الى المسند وابن أبي شيبة والبزار .

(٢) هو أبو الحسن علي بن خلف بن بطال القرطبي فقيه مالكي شرح صحيح البخاري وتوفي في صفر سنة ٤٤٩هـ " ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ٢٨٣/٣ ".

(٣) فتح الباري ٣٣٤/١٢ .

(٤) لم يشب . أي خالصا لم يخلط بشيء آخر .

وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه . وكتبوا بأيديهم وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى أنزل عليكم" (١)

وسوف نتحدث فيما يلى عن نوعين من المفاهيم التى لها مساس قوى بموضوعنا هما

- مفاهيم أساسية فى التصور الاعتقادى .
- مفاهيم منهجية فى البحث العلمى واثبات الحقائق .

ومعلوم أنهما يمثلان وحدة موضوعية واحدة الا أن أحدهما أكبر من الآخر وحاكم عليه اذ أن التصور والاعتقاد هو الأساس الحاكم على غيره . والمؤثر فى السلوك العلمى والعملى وبداية الاصلاح والتصحيح تبدأ بتنقيته وتقويمه . وان جملة الانحرافات الواقعة فى كتابة التاريخ الاسلامى وتفسيره . تكمن أسبابها الحقيقية فى نقص التصور الصحيح عند من وقعوا فى تلك الأخطاء . وهذا أشد أنواع الانحراف وأعسره على التصحيح اذ يلزم أولا معالجة الانحراف التصورى وتقويمه ثم معالجة الخطأ الناجم عنه .

أما اذا كان الخطأ بسبب سوء منهج البحث فانه من السهل تقويمه واصلاحه .

---

(١) ابن حجر ، فتح البارى ١٢/٣٣٣ .

مفاهيم أساسية في التصور الاسلامي : ..

نظرا لأهمية المفاهيم وخطورتها في توجيه الأبحاث والدراسات فانه يجدر بنا أن نعطي لمحة موجزة عن المفاهيم الأساسية في التصور الاسلامي لتكون أساسا ومنطلقا لدراسة المنهج الاسلامي وخصائصه . ولعل أبرز تلك المفاهيم الأساسية التي نحتاج الى ايضاحها هي معرفة التصور الصحيح في الاسلام عن الانسان . والكون . والحياة ، لأن هذه العناصر هي اطار المعركة التاريخية ومجالها ولأنها أيضا مفرق الطريق وأس الخلاف في النظرة الى التاريخ بين المسلم وغير المسلم . فالتصور العقيدي هو الذي يحكم مناهج البحث ويعطيها المقاييس والموازين التي تسير بموجبها . فاذا كان التصور صحيحا كانت المقاييس والموازين صحيحة . لأن المناهج تعتبر أثرا من آثار التصور فهي تابعة له ومتأثرة به ، وهي وسيلة من وسائل تحقيقه في الواقع العملي .

ولايضاح هذا الارتباط بين التصور وبين منهج البحث نأخذ المثال التالي آثار الحضارة الفرعونية ومخلفاتها . فالمنهج العلمي في البحث التاريخي هو الذي نثبت بواسطته أن يأتي هذا الهرم أو المشهد أو أن صانع القطعة الفلانيه هو الفرعون الفلاني فوظيفة المنهج العلمي هي تحديد الشخص الذي صنع الحدث وكفى . أما الحكم على هذا العمل بالخطأ أو الصواب واعطائه القيمة الحقيقية له . وبيان مدى اتساقه مع المنهج الرباني ومع وظيفة الانسان وتحقيق كرامته وانسانيته فليس من وظيفة منهج البحث بمفهومه (الاصطلاحي) انما هو آت من التصور الذي يحمله الباحث عن الانسان . من هو؟ ما وظيفته في الكون وهذه الحياة؟ ما نهايته ؟ وما هو المصير الذي يؤول اليه بعد الموت؟ ففي ظل التصور الاسلامي الذي يحدد أصل هذا الانسان وطبيعته ويحدد وظيفته في هذه الحياة وهي القيام بالعبودية لله وعمارة الأرض وفق منهج الله الذي جاء به رسله - ينظر الى آثار هذه الحضارة الفرعونية ، هل حققت شيئا من وظيفة الانسان الأساسية ؟ ثم ينظر الى من ترك هذه الآثار هل كان محققا لمنهج الله عبدا له أم كان طاغية جبارا مذلا للانسانية

في سبيل سعادة الشخص وتحقيق شهواته ورغبات نفسه ؟

فالتصور الاسلامي الصحيح يعطي المسلم وحدة مقياس معيارية تتسم بالثبات والشمول والامتداد الزمني . فيزن بهذا المقياس المعياري كافة القضايا والمفاهيم والمواقف والآثار . ويقيم به - تقييما لا يكاد يخطئ (١) - دور الأمم والحضارات على مدار التاريخ . فاذا نظر المسلم مثلا الى احدى الحضارات السابقة سواء أكانت فرعونية أو بابلية أو يونانية أو رومانية أو غيرها بهذا المقياس المعياري فانه سيحكم بأنها حضارات جاهلية لأنها لم تحقق شيئا من الوظيفة الأساسية للانسان ولم تكن مهتدية بهدى الله ولا متبعة لشرعه . أما غير المسلم الذي لا يؤمن بأن وظيفة الانسان هي القيام بمنهج العبودية لله ، وانما وظيفته في نظره عمارة الأرض مجرد العمارة المادية ولذات المعارة ، وأن حياة الانسان هي هذه الحياة الدنيا وليس بعدها حياة ولا مسؤلية ، فانه سيقرر بناء على هذا التصور عن الانسان ووظيفته ونهايته - بأن تلك الدول قد بلغت الغاية في التقدم والحضارة ، ويعجب بها أيما اعجاب ، وذلك لأنها قد حققت وظيفة الانسان في نظره .

فمن هذا يتضح لنا أهمية وجود التصور الصحيح وأنه هو الركيزة الأولى والمنطلق الذي يجب البدء بتصحيحه . . . وللاجابة على الأسئلة التي طرحناها حول الانسان ووظيفته والدور المؤول اليه ، ونهايته التي يصير اليها وعلاقته بالكون من حوله ينبغي أن نستعرض أولا التصور الصحيح عن الربوبية والألوهية .

---

(١) يلاحظ أن استقامة التصور لا يمنع من وقوع الخطأ في التطبيق لأنه قد يكون الانسان صحيح التصور لكنه يخطئ نتيجة عوامل أخرى . أما خطأ التصور فانه لا يستقيم معه عمل صحيح .

ان أول واجب على المكلف هو معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده والاقرار له بالعبودية والخلوص من الشرك وأهله . فكان أول أركان الاسلام شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . وهذه الشهادة تشتمل على نفى واثبات . فالنفى هو قول "لا اله" أى لا معبود بحق . والاثبات هو قول "الا الله" فصار معناها لا اله يستحق العبادة الا الله وأن المبلغ عن الله هو محمد رسول الله . فالطرق الى الله كلها مسدودة الا طريقه صلى الله عليه وسلم فلا بد من معرفة التوحيد بأنواعه .

توحيد المعرفة والاثبات : . أى توحيد الربوبية والأسماء والصفات فتعرف أن الله وحده لا شريك له هو الخالق والرازق والمحيي والمميت . الذى يملك النفع والضر ويجيب دعوة المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وتعرف أن له الأسماء الحسنى وصفات الكمال والجمال والجلال فتثبتها دون تحريف أو تعطيل أو تشبيه أو تأويل ، قال تعالى : " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير "(١) وقال تعالى : " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون "(٢) .

توحيد الطلب والقصد : . وهو توحيد الالوهية والعبادة(٣) بمعنى افراد الله وحده بالعبادة والطاعة والحاكمية والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والتوكل والخوف والرجاء والدعاء والرغبة والرهبة والحب والانابة .....

ومن المعلوم أن هذا النوع من التوحيد (توحيد الألوهية) هو نقطة الصراع وموضع الخصومة بين الأنبياء والرسل من جانب وبين أقوامهم على طول التاريخ البشرى من الجانب الآخر ، وكما أنه موطن النزاع مع الرسل فانه كذلك هو موطن النزاع بين أتباع الرسل من الدعاة الى الله وبين المكذبين والمنحرفين من الطواغيت وأتباعهم .

---

(١) سورة الشورى آية ١١ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

(٣) حول أنواع التوحيد أنظر ، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان ابن عبد الله بن عبد الوهاب ص ٣٢ .

ومن آثار هذا التوحيد وهذا الايمان التلقي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، المفهوم الصحيح عن الانسان ووظيفته ودوره في الحياة باعتبار أنه محور حركة التاريخ . فمن الانسان ما خلق وكيف خلق ؟ نجد القرآن الكريم يعلمنا أن آدم وهو أول البشرية قد خلق من طين وسوّى خلقه في أحسن تقويم ثم نفخ فيه الروح ثم أمرت الملائكة بالسجود له اشعارا بكرامته وعظيم منزلته . قال تعالى : " واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين "(١) وقال تعالى : " الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون . يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون . ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون "(٢) .

ومن طبيعة هذا الانسان وحرية الارادة لديه نجد أن الله قد جعل له من نفسه زوجا ليسكن اليها وليكون التزاوج وسيلة للنسل والتكاثر ، قال تعالى : " ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا "(٣) وقال تعالى عن حرية الارادة لدى الانسان : " من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا "(٤) وقال تعالى " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر "(٥)

---

(١) سورة " ص " آية ٧١ - ٧٢ .

(٢) سورة السجدة آية (٤ - ٩) .

(٣) سورة النساء آية (١) .

(٤) سورة الاسراء ١٨ - ١٩ .

(٥) سورة الكهف : ٢٩ .

وقال تعالى : "ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين"(١) .

وعن وظيفة الانسان فى الأرض ودوره فى الحياة والمصير الذى يؤول اليه نجد أن الله سبحانه وتعالى قد كلفه بالقيام بمنهج العبادة والطاعة له وأنه مستخلف فى الأرض لعمارتها بالمنهج الربانى وللجهاد فى سبيل الله والدعوة الى عبادته وحده وأنه لم يخلق عبثا ولن يترك هملا وانما له غاية ووظيفة محددة .. وأن الله تعالى سيمكن له وله ذريته فى الأرض متى استقاموا على المنهج الصحيح واتبعوا الرسل ، أما اذا أعرضوا وانحرفوا عن عبادة الله فان الله يستبدل بهم قوما آخرين ثم لا يكونوا أمثالهم . أما هم فيسلط بعضهم على بعض ويلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض ، هذا فى الحياة الدنيا أما فى الآخرة فان الناس يبعثون بعد موتهم ويحشرون الى الله يوم القيامة فيجازى كلا بعمله فأهل التوحيد والطاعة لهم الجنة وأهل الشرك والكفر لهم النار وبئس القرار .

فهذا هو مجمل التصور الحق عن الانسان ووظيفته ومصيره الذى ينتهى اليه . والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، منها ما تقدم واليك بعضها قال تعالى حاصرا وظيفة الانسان فى العبودية لله "وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون"(٢) ، وقال تعالى عن استخلاف الانسان فى الأرض (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة"(٣) وقال تعالى عن دور الانسان فى الأرض (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره . هو أنشأكم فى الأرض واستعمركم فيها ، فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب"(٤) فقد ربط عمارة الأرض بعبادته وحده واستغفاره والتوبة اليه . وقال تعالى عن تكريمه للانسان "ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"(٥) وقال "لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم"(٦)

---

(١) سورة البلد آية ٨-١٠ .
(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .
(٣) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٤) سورة هود آية ٦١ .
(٥) سورة الاسراء آية ٧٠ .
(٦) سورة التين آية ٣ .

وقال في وعده بالتمكين في الأرض لمن استقام على منهج الله " وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئا . فمن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون "(١) .

أما من تولى عن منهج الله ولم يستقم على طاعته فان الله يهدده ويتوعده بالهلاك وأنه تعالى قادر على صب العذاب على الظالمين صبا أصنافا وأنواعا ، قال تعالى : " وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم "(٢) ، وقال تعالى " قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض "(٣) فتقرير هذه المفاهيم الايمانية واستقرارها في النفس الانسانية له آثاره في حياة الانسان وسلوكه ومواقفه المتعددة . أما عدم الايمان بهذه المفاهيم أو تلقيها على غير الوجه الصحيح فانه سيكون له أيضا أثاره وسماته في حياة الانسان الفكرية والعملية . لأن كل موقف انما ينطلق من تصور عقائدى ينظر من خلاله الى الوجود من حوله بصرف النظر عن خطأ أو صواب هذا التصور العقدى (أو الفلسفى) كما يسميه أصحاب المذاهب الوضعية . " فمثلا الهندوس في الهند يقدسون أنواعا من الحيوانات منها البقر ولذلك فانه لا يذبح وقد ترتب على هذه النظرة الى تقديس البقر وعبادته نتائج اقتصادية هامة وهى أنه ليس هناك مئات الملايين من البشر هى التى تأكل وتشرب في القارة الهندية بل مئات الملايين من البقر تأكل وتشرب على حساب قوت البشر الذين يموتون جوعا . ولا يستفاد من لحم هذه البقر لأنه مقدس عندهم ، لأن النظرة الى الوجود كله تؤثر في النظام الاجتماعى والنظام السياسى والنظام الاقتصادى والسلوك الأخلاقى فمثلا سلوك انسان يتصور أن وراء هذه

---

(١) سورة النور آية ٥٥ .

(٢) سورة محمد آية : ٣٨ .

(٣) سورة الأنعام آية ٦٥ .

الحياة حياة أخرى ومسؤلية ليس كسلوك انسان لا يؤمن بغير هذه الحياة الدنيا .

وكذلك من يؤمن بأن الانسان قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله وأنه عبد مخلوق لله لغاية معينة وهدف محدد وهو عبادة الله وحده ليس كمن يؤمن بأن هذا الانسان وليد تطور أوصله الى هذه الصورة !!!

فشتان بين هذا وذاك ليس فقط من الوجهة النظرية بل من وجهة النتائج العملية"(١) فلأجل هذه الأهمية وهذا الأثر للتصورات والمفاهيم فانه لا بد من وجود تصور ثابت للمقومات والقيم تضبط به الحركة البشرية ، وهذا التصور الثابت الصحيح لا يكون ولا يستقيم الا فى ظلال العقيدة الاسلامية لأنها تعطى للانسان ميزانا صحيحا قويا يرجع اليه فى كل ما يعرض له من مشاعر وأفكار ومواقف وما يجد فى الحياة من ظروف وملابسات فيزن كل ذلك بالميزان الشرعى الثابت ليرى قربها أو بعدها من الحق والصواب . "فلا بد من وجود مقوم ثابت منضبط بذاته حتى ينضبط به الفكر الانسانى فلا يتأرجح بين شتى المؤثرات والشهوات وحتى لا يكون هذا المقوم أو المقياس دائرا مع الفكر البشرى أو مع الواقع البشرى كيفما دارا"(٢)

ونتيجة لفقدان هذا المقوم الثابت ، تكوّن لدى جمهرة من الباحثين المعاصرين مفهوم عام عن الانسان الأول . اذ أنهم يرون أنه ناقص فى تفكيره وعقله وانه قد تطور مع مرور الزمن وتنقل بين مراحل عدة حتى اكتشف النار وحتى استطاع أن يستعمل أدواته بشكل منظم ولذلك يعبرون عنه بالانسان البدائى . بل ان البعض منهم يذهب الى القول بحيوانية الانسان وأنه تطور عن أنواع من القرود العالية مثل "الشمبانزى" و "الغوريلا" أو انسان "جاوه" كما تسميه بعض الأبحاث الأثرية . وهذا فى الحقيقة كله رجم بالغيب وقول بدون علم ولا دليل الا من الأوهام والملاحظات الناقصة .. والذى يعتقده المسلمون

---

(١) أنظر محمد المبارك ، النظرة الاسلامية الى الكون والانسان والحياة ٢٤٤/١ ضمن أبحاث الندوة العالمية الرابعة للشباب الاسلامى .

(٢) سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ص ٨٩ .

مفاهيم منهجية فى البحث العلمى واثبات الحقائق

مفهـــوم البحث العلمـــى :..

البحث العلمى هو المسلك الذى يتخذه العالم تجاه طائفة معينة من الظواهر"[١] أو هو فن التنظيم الصحيح لسلة من الأفكار العديدة . اما من أجل الكشف عن حقيقـــة مجهوله لدينا أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون .[٢]

وقال بعضهم فى تعريفه " هو الطريق المؤدى الى الكشف عن الحقيقة فى العلـــوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الـــى نتيجة معلومة "[٣] .

ويذكر أحد الباحثين أن هناك مصطلحين متقاربين " هما الاسلوب العلمى ومنهـــج البحث العلمى " فالأول الاطار الفكرى الذى يعمل بداخله عقل الباحث ، والثانـــى يعنى الخطوات التطبيقية لذلك الاطار الفكرى"[٤]

فظهر من هذه التعريفات أن مفهوم البحث العلمى يعنى طريقة الاستدلال والاستنتاج وترتيب الأدلة والموازنة بينها للتوصل الى الحقائق العلمية .

فهو أصول وقواعد مقننة تهدف الى ضبط المعرفة وترتيب مباحث العلم؟ والمناهـــج المعروفة فى البحث العلمى ترجع بالنظر الى طريقة البحث الى نوعين هما :..

- منهج الاستدلال والاستنتاج .
- المنهج التجريـــبى .

---

(١) محمد محمود قاسم ، المنطق الحديث ومناهج البحث فيه ص٣٢ .

(٢) محمد زيان عمر ، البحث العلمى ، مناهجه وتقنياته ص٤٨ ، وأنظر عبد الرحمن بدوى مناهج البحث العلمى ص٤ . وجلال محمد موسى ، منهج البحث العلمى عند العرب ص٣١ .

(٣) عبد الرحمن بدوى ، مناهج البحث العلمى ص٥ .

(٤) محمد زيان عمر ، المصدر السابق ص٤٦ .

بما لديهم من الأدلة القطعية من كتاب ربهم الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،أن الانسان الأول هو آدم عليه السلام وهو نبى من الأنبياء . والبشر كلهم من نسله وقد خلقه الله فى أحسن صورة وأكملها فى الخَلْق والخُلق والفكر والعلم . فقد علمه الله الأسماء كلها وكافة الأمور اللازمة لاستقرار حياته على الأرض ، ولقيامه بمنهج الخلافة . وآدم عليه السلام قد علم ذلك لأبنائه .

فهذا هو التصور الحق والمفاهيم الصحيحة عن الله والكون والانسان ووظيفته فى الحياة وهو ما يتميز به المنهج الاسلامى لتلقيه ذلك من الوحى الالهى . ويتبع هذا التصور الصحيح فى المفاهيم الأساسية التميز كذلك فى المفاهيم العملية فى واقع الحياة كمفهوم الدين والعبادة والأمة ومكوناتها والحضارة والتقدم والتأخر ...

والاستدلال اما أن يكون بخبر منقول أو بوثيقة مادية أو نتيجة نظر واستنتاج من مجموعة أدلة أوقرائن منطوقة كانت أو مفهومة . ومجال استخدام هذا المنهج في الغالب هو الدراسات المتعلقة بالانسان سواء الدراسات الشرعية أم الأدبية واللغوية أم الدراسات الاجتماعيـــة .

أما التجربة فتعتمد على الأمور الحسية المشاهدة ومجال استخدامها في الغالب هو العلوم التطبيقية .

ويمكن توزيع المناهج على حسب الموضوعات الى ثلاثة مناهج رئيسية هي :-

منهج الاستدلال الشرعي :..

ويقوم هذا المنهج على النصوص الشرعية في الكتاب والسنة اضافة الى الاجماع والقياس الصحيح والاجتهاد وذلك وفق ترتيب مفصل في علم الأصول مثل العموم والخصوص والناسخ والمنسوخ والمفصل والمجمل وصحة الدليل والجمع بين الأدلة التي يبدو بينها التعارض ان أمكن أو اللجوء الى الترجيح وله طرق متعددة ذكر منها الحازمي (١) في كتابة الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار خمسين وجها . (٢) منها كثرة العدد في أحد الجانبين أو أن يكون أحد الراويين أتقن وأحفظ أو أن يكون أحد الراويين مباشرا لما رواه ، والثاني حاكيا . أو أن يكون أحدهم صاحب القصة . لأن صاحب القصة أعرف بحاله من غيره وأكثر اهتماما بها .. الخ .

ومنهج دراسة الظواهـــر بشرية كانت أو طبيعية

وهو يقوم على المشاهدة والملاحظة والتتبع ، ويعتمد أيضا على الاحصاءات ودراسة الحالات كما يعتمد على جمع المعلومات والأخبار .

---

(١) هو الامام الحافظ النسابه أبو بكر محمد بن موسى بن حازم الهمداني كان من الأئمة الحفاظ العالمين بفقه الحديث ومعانيه ورجاله ولد سنة ٥٤٨ هـ وتوفى سنة ٥٨٤ هـ وهو شاب . (تذكرة الحفاظ للذهبي ٤ / ١٣٦٣) .

(٢) أنظر الصفحات من ١١ - ٢٣ .

والمنهج الثالث هو منهج دراسة العلوم التطبيقية القائم على التجارب العملية وتحليلها .

دور العلماء المسلمين في منهج البحث : . .

وقد كان للعلماء المسلمين دورا بارزا في تقنين هذه المناهج واستخدامها في أبحاثهم ودراساتهم .

ويعنينا هنا ابراز دور العلماء المسلمين في وضع القواعد لمنهجي الاستدلال ودراسة الظواهر البشرية لأنهما المنهجان اللذان لهما علاقة بالبحث التاريخي .

فمنهج الاستدلال الشرعي كله قائم على جهود الفقهاء في علوم الشريعة . خاصة علمي أصول الفقه والحديث . فقد قننوا طرائق اثبات الأخبار ونقد المرويات والرواة ووضعوا موازين في الجرح والتعديل حتى اذا صحت الأخبار جعلوا قواعد منظمة في الاستدلال بها واذا عدم النص (الخبر) ففي الاستنباط والاجتهاد مجال ضمن ضوابط وقواعد محددة .

وكذلك منهج دراسة الظواهر كان لهم مساهمة فعالة في دراستها وتتبعها وتحليلها منطلقين في ذلك من أحكام الشريعة ومتطلباتها وتعيين العلاج اللازم لكل حالة وفق ذلك . وقد أبان علماء السلف حقيقة المنهج العلمي من خلال أبحاثهم ودراساتهم المتخصصة .(١) وطبقوا ذلك في الواقع العملي ولم يكتفوا بالدراسات النظرية . ونوجز فيما يلي سمات المنهج العلمي وأسسه عند العلماء المسلمين .

---

(١) للاطلاع على اسهام العلماء في المنهج العلمي أنظر القاضي عياض ، الالماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص١٣-١٨٨ .
الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ص١٨٠-١٨١ و ٢٤١ وما بعدها .
ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ص٤٦٧ - ٤٧٠ .
الآمدي ، الأحكام في أصول الأحكام ٢/٢٥٩ - ٢٨٠ .
العراقي ، التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ص٢٠ - ٢١٨ .
محمد الأمين الشنقيطي : مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر ص٢١٧ - ٢٤٠ .

١ - استعمال الدليل والوثيقة بعد التأكد من صحتهما .

٢ - حسن الاستدلال باتباع التنظيم والترتيب الملائم للأدلة مع حسن العرض وتحرير المسائل .

٣ - الايمان بكل ما دل عليه الكتاب والسنة ومن ذلك الايمان بالغيب [1] وبالجزاء والحساب والقضاء والقدر .

٤ - الامانة في استقصاء الأدلة وايرادها مع الجمع والترجيح بين الروايات المختلفة وفقا للقواعد المقررة مع الاستعانة بأقوال العلماء الثقات .

٥ - بيان المصادر والمراجع التى أخذ عنها مع الضبط المتقن فى نقل الأقوال ونسبتها لأصحابها .

٦ - الاعتماد على النصوص الشرعية والحقائق العلمية وعدم الارتباط بالأوهام والطلمسات والظنون والتحرر من ذلك .

٧ - التجرد من الهوى والميل الذاتيين ، وقد حصل لهم هذا لأنهم ينظرون الى العلم على أنه من العبادات التى يتقربون بها الى الله .

٨ - تحكيم اللغة والالتزام بقواعدها وبدلالة الألفاظ فلا يؤول اللفظ ولا يخرج عن دلالته دون قرينة صارفة .

٩ - عدم قبول المتناقضات ، وتقديم المبادئ على الرجال ولذلك لا يسلمون لما ينقل عن المشائخ وهو مخالف للدين، وهو أحد أمرين اما كذب عليهم أو غلط منهم .

١٠ - حسن الأدب مع كلام الله سبحانه وتعالى ومع الأنبياء والعلماء . والابتعاد عن التجريح الشخصى والاقتصار فى النقد على بيان الأخطاء .

---

(١) جرى النص على هذه الأمور من قضايا العقيدة لأنها من أهم مواطن الخلاف والنزاع فى منهج البحث العلمى بين المسلمين وغيرهم . وعدم الايمان بها نقص كبير فى المنهج العلمى الصحيح .

فهذه القواعد التي اتبعها العلماء المسلمون في كتاباتهم ومؤلفاتهم تنطلق من التزامات خلقية ومبادئ شرعية لأن الأمر بالصدق والأمانة ومجانبة الهوى وترك القول بدون علم والوقوف بالعقل عند حدود القدرات البشرية هو مما يتقرب به المسلم الى الله ويلتزمه على أنه عبادة مأمور بها فلا يخوض فيما ليس من مقدرته ادراكه . كعلم الغيب . بل على المرء المسلم التضامن والتواضع والاعتراف بالعجز فيما لا يستطيعه ولم يعط آلة العلم به . لأن هناك أمورا لا يستطيع الاحاطة بها وانما تتلقى من طريق الوحي الرباني .

فهذه هي أصول وقواعد (١) البحث العلمي عند المسلمين .

فاذا توفرت في بحث مسألة من المسائل . قيل ان صاحبها قد اتبع المنهج العلمي وصح أن يسمى بحثه "بحثا علميا" وقبله العلماء ورضوا به .

ولقد رد علماء السلف على كل من خالف هذه الأصول العلمية لأي سبب كان . بالتأويل الباطل الذي لا تحتمله أساليب اللغة العربية ، أو بالقول بأن لكل ظاهر باطنا كما قالت فرق الباطنية من القرامطة والروافض والاسماعيلية أو بانكار شيء من أمور الغيب . كانكار المعجزات للأنبياء وانكار الملائكة والجن .

كما فعلت بعض الفرق الضالة ومن اتبع سبيلهم من العقلانيين الماديين .

أو باعتماد الأوهام والظنون والمكاشفات وخطرات النفس كما ذهبت فرق من الصوفية أو بانكار القضاء والقدر كما فعلت القدرية أو بالالتزام بأساليب وحدود المنطق الصوري والفلسفة اليونانية الوثنية كما فعل أصحاب علم الكلام .

---

(١) لقد استكمل العلماء المسلمون في أبحاثهم ومؤلفاتهم شرائط المنهج العلمي ، الشكلية منها والموضوعية وقد وضحنا أعلاه الشرائط الموضوعية والفكرية ونوضح هنا بعض الشرائط الشكلية في اعداد البحث مثل الاحالات والاشارة للمراجع ، فقد كانوا يسندون القول الى صاحبه واذا انتهى النص أشاروا لذلك مثل انتهى قوله ، أو انتهى بلفظه وحروفه . ويشيرون الى موضعه من كتابه بقوله ذكره في باب كذا أو فصل كذا أو في بحث كذا وهذا هو المتيسر في عهد المخطوطات ولو كانت الطباعة موجودة لأشاروا لارقام الصفحات والأجزاء . وأيضا الهوامش . كانت موجودة في المخطوطات العربية لكنها على غير النظام الذي نعرفه اليوم ومن الأمور الشكلية اعداد الفهارس وقد أوجدوا لهم طريقة تحل مثل هذه المشكلة التي لا تنضبط في المخطوطات لتغير أرقام الصفحات بل والتجزئة فلجأوا الى طريقة الترتيب على حروف المعجم في القواميس والأحاديث والأعلام .
يقول الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمته لسنن الترمذي ١ / ٤٣ "ان قواعد التصحيح =

مفهـــوم البحث العلمى الأوربـــى : . .

قبل الحديث عن مفهوم البحث العلمى عند الأوربيين نعطى لمحة تاريخية موجـــزة تيسر لنا دلالة هذا المصطلح عند القوم .

فمن المعروف أن أوربا قبل عصر النهضة كانت تعيش فى ظلام وانحطاط خاصـــة فى المجال العلمى وكان رهبان الكنيسة قد أمنوا بالخرافات وتحكموا فى رقاب الناس وشرعوا للأمراء والنبلاء قوانين الاقطاع والظلم والاستبداد . فلما تنور بعض الأوربيون أثناء صلاتهم مع المسلمين - فى الحملات الصليبية أو عن طريق الأندلس - حاربتهم الكنيسة ورجالاتهـــا الذين يخافون على سلطانهم اذا تعلم الناس وعرفوا الحقائق . وبذلك وقع النزاع بـــين العلم والكنيسة أو كما يسمى "بين العلم والدين" - دين الكنيسة - ومن المعروف أن أوربا لم تعرف دينا صحيحا فقد عرفت الديانة النصرانية قبل أن تدخلها .(١) وكان نتيجة هذا

= وترتيب الفهارس ليس من اختراع المستشرقين فلقد وضع الخليل بن أحمد فـــى أواسط القرن الثانى الهجرى كتاب العين ورتبه على حروف المعجم وكذلك ألـــف العلماء فى التراجم المرتبة على حروف المعجم مالا حصر له . ثم ان كتب رجال الحديث قد وضع أكثرها على معنى الفهارس مثل كتاب تحفة الاشراف فى معرفة الاطراف للمزى وكتاب الاطراف لابن عساكر وكتاب ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الأحاديث للنابلسى . كما أنك تجدهم يذكرون المترجم له ويذكرون مواضع روايته فى الكتـــب الستة ويذكرون شيوخه وتلاميذه - واصطلحوا على رموز للكتب الحديثية يضعونهـــا بجوار اسم الراوى المترجم له " .

قلت : وقد وضع المزى هذه الرموز فوق أسماء الشيوخ والتلاميذ الذين أخذ عنهـــم المترجم له . كما فى كتابه تهذيب الكمال .

(١) عن تحريف النصرانية من أول دخولها لأوربا ، أنظر شهادة الكاتب الأمريكـــى "درابر" فى كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . لأبى الحسن الندوى ص ١٨٤ - ١٨٥ .

الصراع أن انتصر العلم على الخرافة - الديانة المحرفة - ولذلك تشبث الأوربيون بهذا العلم الذى خلصهم من الكنيسة وسلطانها الأعوج . وفتنوا بالمنهج العلمى التجريبى وجعلوه طاغوتا يعبد من دون الله ، فقد كان وسيلتهم فى تحطيم الكنيسة ودينها ، وقد نتج عن هذا النزاع كراهة الأوربيين للمباحث الدينية[١] لأنها تذكرهم بسلطان الكنيسة فأسسوا مناهجهم وعلومهم على هذا الأساس من التصور والكراهية . وآمنوا بأن هناك تناقضا بين العلم والدين وسحبوا هذه النتيجة على كل دين حقا كان أو باطلا .[٢]

وهذا اما عن جهل بحقيقة الدين الصحيح - دين الاسلام -[٣] أو عن عمد واصرار لأغراض ومصالح متعددة[٤]. زيادة على ما فى طبيعة النفسية الكافرة من الجحود وكره الحق والايمان كما أوضح الله ذلك فى كثير من الآيات .

---

(١) أنظر ، محمد أسد . الاسلام على مفترق الطرق ص٥٢-٥٣ . وسيد قطب ، خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ص٤١ حيث يقول "لقد تجاوز العداء الأفكار والتصورات - الدينية الى منهج التفكير الدينى بجملته وكمن العداء للدين وللمنهج الدينى لا فى الموضوعات والفلسفات والمذاهب التى أنشأها الفكر الأوربى بل فى صميم هذا الفكر وفى صميم المناهج التى يتخذها للمعرفة .

(٢) حول هذا الموضوع أنظر سيد قطب ، المصدر السابق ص٦٧-٧٥ .
وسفر عبد الرحمن الحوالى ، العلمانية نشأتها وتطورها . الفصل الثانى ، الصراع بين العلم والكنيسة ص١٤٥-١٦٤ .

(٣) قال تعالى " ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين " .

(٤) لقد بحث الكاتب الأوربى المهتدى محمد أسد فى كتابه الاسلام على مفترق الطرق موقف المستشرقين من الاسلام وأنهم لا يحتفظون تجاه البحث فيه بموقف علمى متزن . ثم ذكر مجموعة من الطرق التى يلجأون اليها فى تشويه الاسلام عن قصد واصرار أنظر الصفحات ٥٢-٥٥ و ٥٨ و ٦٠ و ٦١ .

وقد وقع المسلمون المعاصرون تحت تأثير الغزو الفكرى الأوربى الذى جاء فى أثر الغزو العسكرى . فنقلوا مناهج الغرب ومفاهيمهم وطبقوها على العلوم الاسلامية الشرعية واللغوية والتاريخية والاجتماعية مع أن هذه المفاهيم والمناهج قائمة على أسس علمانية متحررة من ضوابط الدين وغير مهتديه بهديه . فساووا بين الحق والباطل آلا ساء ما يحكمون .!!

والمنهج العلمى السائد فى أوربا اليوم هو المنهج التجريبيين (١) الذى يقوم على التجربة المعملية الحسية ، وهذا المنهج صالح لدراسة العلوم المادية والتطبيقية ، أما العلوم الشرعية واللغوية والاجتماعية التى تتعلق بالانسان وأحواله واتجاهاته فلا يمكن استخدام هذا المنهج فى دراستها لأن الانسان ليس مادة تقاس بالمعمل فالأشخاص متفاوتون فى قدراتهم ومداركهم وتوجد بينهم فروق فردية كثيرة . بل حتى الشخص الواحد تختلف قدراته ومواقفه وتفكيره واستجاباته بين وقت وآخر وبين موقف وموقف . اضافة الى تأثير التصورات والعقائد والتربية التى تلقاها . بينما المادة الجامدة تعطى وتكرر نفس النتيجة اذا تكررت الظروف . فلأجل ذلك لا يصلح هذا المنهج لدراسة العلوم المتعلقة بالانسان ولا يمكن الاطمئنان الى نتائج تجارية فى هذه العلوم .

---

(١) وهذا المنهج قد أخذته أوربا عن العلماء المسلمين يقول أحد الأوربيين "ان أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو لنا جليا فى حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختياراتهم " مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ص٢١ ، وأنظر اعترف روجربيكون وما نقله عنه بريفولت فى كتابه بناء الانسانية فى كتاب الاسلام ومشكلات الحضارة ص٤٣-٣٦ ورغم تفوق أوربا اليوم فى هذا المنهج وتوصلها الى نتائج باهرة وتقدم كبير فى هذا المجال . الا أنها متخلفة بل منتكسة الى أدنى درجات الانتكاس فى ميدان معرفة الانسان والعلوم المتعلقة بصلاحه وتقدمه وقد اعترف بذلك الطبيب الأمريكى الشهير "الكسيس كاريل " فى كتابه الذى سماه "الانسان ذلك المجهول" ونادى على الحضارة الأوربية المعاصرة بالزوال والهلاك اذا هى استمرت على هذا المستوى من التقدم فى علوم المادة والتأخر فى علوم الانسان . وكان الحل فى نظره هو المزيد من البحث فى علوم الانسان ، غير أن الحل الصحيح كما يراه المسلم هو العود الى منهج الله وتلقى الهدى منه فانه البلسم لشقاء الانسانية وأمراضها " أنظر حول هذه المعلومة سيد قطب الاسلام ومشكلات الحضارة ص٩ - ٣٢ وأنظر كذلك ص١٦٤ .

والى جانب المنهج التجريبي هناك منهجان آخران هما منهج الاستدلال الاستنباطي ومنهج دراسة الظواهر عن طريق الاستقراء والملاحظة والاحصاء واسترداد الماضي ، فالمنهج الاستنباطي يقوم على القياس المنطقي والتجريد الذهني وهو ما يعرف بالمنهج "الأرسطي " اليوناني . وقد كان لاستخدامه في دراسة العلوم الاسلامية . عندما ترجم هذا المنطق في الدولة العباسية أسوأ الأثر وتوزن الأمة الاسلامية الى فرق متعددة ونشأ عن ذلك مدرسة علم الكلام في دراسة العقائد الاسلامية وقد حارب العلماء المسلمون مثل هذا المنهج ورفضوه وكشفوا فساده وبطلانه (١) . بل أصدروا الفتاوى في تحريمه (٢) .

أما منهج دراسة الظواهر وتحليلها فان خطره يكمن في القائمين (٣) عليه وما يحملونه من تصورات خاطئة عن الانسان ووظيفته وعن الحياة وغايتها وعن ربوبية الله وألوهيته بل ربما يكون بعضهم من طوائف الملحدين الذين ينكرون وجود الخالق . ولذلك تكون أبحاثهم

---

(١) منهم شيخ الاسلام ابن تيميه في كثير من كتبه خاصة " نقض المنطق ، والرد على المنطقيين ونقض التأسيس . وسيد قطب في مقدمة كتابه " خصائص التصور الاسلامي ومقوماته .

(٢) منهم شيخ المحدثين ابن الصلاح في فتاويه أنظر مجموعة الرسائل المنبرية ٤ / ٣٥ وقد نقل ابن تيميه تحريم علم الكلام والفلسفة عن أبي يوسف والشافعي وأحمد بن حنبل . حتى قال الشافعي لأن يبتلى العبد بكل ذنب ما خلا الاشراك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام " أنظر درء تعارض العقل والنقل . لابن تيميه ١ / ٢٢٢ " .

(٣) لقد بحث الأوربي المهتدي . محمد أسد في كتابه الاسلام على مفترق الطرق موقف المستشرقين من الاسلام وأنهم لا يحتفلون تجاه البحث فيه بموقف علمي متزن ثم أورد مجموعة من الطرق التي يلجأون اليها في تشويه الاسلام عن قصد واصرار . أنظر الصفحات ٥٢ - ٥٥ و ٥٨ و ٦٠ - ٦١ .

مقطوعة الصلة بالوحي الرباني بل انها تفترض العداء بين العلم المادي وعلم النبوة.(١)

اضافة الى "أن المنهج الغربي في البحث خال الى الآن من أي ميزان موضوعي لتحقيق كل ما يتعلق بالرواية وصحة الخبر والنقل وما يسمونه بالمنهج "الاستردادي" أو منهج "التوسم" عمدته الأولى ما قد يتمتع به الباحث من عمق الملاحظة ودقة الوجدان واتساع دائرة الخيال. فالأداة التي يستخدمها الباحث هي ملاحظته ووجدانه وخياله وكل ما قد يقع عليه من آثار وأحداث ووثائق. وكيفية البحث "عندهم" هي أن يعكف الباحث على ما تجمع لديه من هذه الآثار أو الأحداث. فيقدح فيها الملاحظة والوجدان والخيال ليستنتج من وراء ذلك ما قد يطمئن اليه من مبادئ وأحكام ووقائع. وهو كما ترى منهج لا يملك مهما جمع من العدة والوثائق الا سبيلا واحدا هو سبيل الاستنتاج الفكري بل الغيبي المجرد. وما كان الاستنتاج المجرد عن التجربة والمشاهدة والاستقراء التام والرواية الصادقة الا رديف الوهم والشك".(٢)

بينما منهج النقل والرواية قد بلغ عند العلماء المسلمين الغاية وقامت على خدمته علوم فريدة. اختصت بها الأمة الاسلامية مثل علوم الاسناد وقوانين الرواية والجرح والتعديل والتراجم والطبقات.

---

(١) راجع حول هذه النقطة ما ذكرناه سابقا. ومحمد أسد، المصدر السابق، ص٥٤ قال "لما تحرر العقل الأوربي من عبوديته للكنيسة تخطى في القرنين التاسع عشر والعشرين تلك الحدود ووطد عزمه تدريجيا على العداء لكل شكل من أشكال السلطان الروحي على الانسان. ومن ثنايا هذا الخوف الباطن ولئلا تعود تلك القوى التي تدعي السلطان الروحي أقامت أوربا نفسها زعيما، لكل ما هو ضد الدين مبدئيا وعمليا. لقد رجعت أوربا الى أرثها الروماني وأضيف الى هذا الارث الروماني الوثني المادي عنصر مادي جديد وأخذوا يعبدون المال كما عبد بنوا اسرائيل العجل".

(٢) د/ محمد سعيد البوطي، كبرى اليقينيات الكونية ص٤٢ ط٦ دار الفكر ١٣٩٩ هـ، دمشق، وانظر كذلك عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث التاريخي ص١٨١ - ١٨٤.

وهذه النقطة من أهم المفارقات في منهج البحث العلمي بين المسلمين وغيرهم .

"كما أن الأوربي بطبيعته ميال الى اعتبار أوربا هي محور العالم . فهي نقطة الرصد في نظره ، ومن هذه الزاوية ينظر الى الحياة والناس والأحداث . ومن هنا تتخذ في نظره أشكالا معينة ليس من يملك الجزم بأنها أصح الأشكال . وهو يدركها في هذه الأوضاع ويفسرها ويحكم عليها كما يراها وإذا كان بديهيا أن أوربا لم تكن هي محور العالم في كل عصور التاريخ ، وكان الأوربي لا يملك اليوم أن يتخلص من وهم وضعها الحاضر حين ينظر الى الماضي ، أدركنا مدى انحراف الزاوية التي ينظر بها الأوربي للحياة الاسلامية التاريخية . ومدى أخطاء الرؤية التي ينظر اليها ومدى أخطاء التفسير والحكم الناشئة من هذه الرؤية المعينة ، وذلك كله على افتراض النزاهة العلمية المطلقة وانتفاء الأسباب التي تؤثر على هذه النزاهة"(١)

وهذه العوامل كلها تؤدي الى فساد المنهج العلمي الأوربي في البحث وتجعل الأخذ به في الدراسات الاسلامية خطر كبير اضافة الى بعد هذا المنهج عن العلوم الشرعية بل محاربته لها كما مر معنا .

---

(١) أنظر سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج ص ٤٠ -٤١ .

مفهـــــوم الموضوعيـــــة : . .

الوضع فى اللغة ضد الرفع " يقال وضعه ، يضعه وضعا وموضوعا . وأنشـــد ثعلب بيتين فيهما موضوع جودك ومرفوعه . عنى بالموضوع ما أضمره ولم يتكلم به والمرفوع ما أظهره وتكلم به . ووضع الشيء وضعا اختلقه ، وتواضع القوم على الشيء اتفقوا عليه وأوضعته فـــى الأمر اذا وافقته فيه على شيء "(١)

وفى المصطلح يطلق هذا اللفظ للدلالة على المنهج أو الاسلوب المجرد عـــن المؤثرات الذاتية .

ومعنى ذلك أن ذات الشيء هى حقيقته الجوهرية المجردة ، أما موضوعه فهو صفاته أو " أعراضه " حسب مصطلحات المناطقة .(٢)

وقد استخدم هذان الاصطلاحان " الذاتية . والموضوعية " فى مناهج البحث العلمى للتعبير عن أسلوبين أو منهجين متضادين أحدهما يعتمد على النظرة الشخصية للباحـــث " الذاتية " والآخر يعتمد على الحقائق المجردة " الموضوعية " ، ولم يستعمل هذا الاصطلاح من قبل عند العلماء المسلمين وانما استعملوا لفظ " الأمانة والانصاف والصدق والعدالـة . وهذه التعابير التى استعملها السلف تؤدى المعنى المراد من مصطلح الموضوعية وتزيـــد عليه لما لتلك التعابير من الدلالة الشرعية ، والشمول والاحاطة بالمعنى المقصود .

قال تعالى : " ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقـــوى "(٣)

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب " مادة وضع " ١٠/٢٧٦ وما بعدها .

(٢) أنظر ملحق لسان العرب اعداد وترتيب يوسف خياط ونديم المرعشلى ٣/١١ مادة ، " وضع " ، وأنظر كذلك د . عوض الله حجازى ، المرشد السليم فى المنطق الحديـــث والقديم " فصل التعريفات " .

(٣) سورة المائدة آية ٨ .

وقال : " ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا "(١) وقال : " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ولا تتبعوا الهوى أن تعدلوا "(٢) وقال : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين "(٣) ، وقال صلى الله عليه وسلم : " ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا "(٤) ، ونهى صلى الله عليه وسلم عن شهادة الزور وغلظ فى ذلك فقال لأصحابه رضى الله عنهم "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور الا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت "(٥)

وقال صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان " متفق عليه .(٦)

فهذه النصوص من الكتاب والسنة هى التى تعطى لهذه المصطلحات دلالتها العميقة فى النفس المؤمنة وتعطيها بعدها الاخلاقى السلوكى فى واقع الحياة العملية لا مجرد طلب الالتزام الأدبى تجاه الآخرين كما هو عند غير المسلمين . لأن المسلم يشعر وهو يلتزم بهذه المعانى أنه يؤدى عبادة يتقرب بها الى الله مثلما يتقرب اليه بالصلاة والصوم والجهاد وطلب العلم وبمثل هذا الشعور يستطيع أن يجابه هوى النفس وميلها عن الحق ويجابه عواطف القربى فيقف الى جانب الحق ولو ضد نفسه أو قريبه من والد وغيره .

---

(١) المائدة آية ٢ . (٢) سورة النساء آية ١٣٥ .

(٣) سورة التوبة آية ١١٩ .

(٤) محمد فؤاد عبد الباقى اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٣ / ١٦٨ .

(٥) رواه البخارى أنظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٥ / ٢٦١ .

(٦) محمد فؤاد فى اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١ / ١٢ .

كما فى آية سورة النساء فلا يحيف على عدوه أو من يبغضه حتى لو كان هذا البغض فى ذات الله كبغضنا للكافرين ، لأن الولاء والبراء شئ وشهادة الحق والأمر بالقسط شئ آخر لا يخل به ، فالموضوعية فى مناهج البحث تعنى الالتزام بالنص واستنطاقه وعدم فرض رأى مسبق عليه أو الدخول الى بحث الموضوع بمقررات سابقة . وانما يترك الدليل والنص هو الذى يتحدث فلا يقدم عليه قياسا أو يؤوله تأويلا خارجا عن دلالة النص وسياقه . والموضوعية الحقة هى مراعاة كل العناصر التى لها صلة بالموضوع وعدم اغفال شئ منها .

لكن المفهوم الأوربى للموضوعية لا يتفق مع المفهوم الاسلامى لها . فالأوربى لنشأته البعيدة عن الدين ورفضه للأحكام والمبادئ الدينية يطلب من الباحث ليكون موضوعيا التجرد من المقررات والأحكام الدينية وأن يبحث الموضوع بحثا عقليا مجردا . وهذا هو مكمن الخطر والخلاف بيننا وبينهم مع أن هذا غير ممكن فى الواقع العملى كما سنوضح ذلك فيما يأتى من البحث .

" وقد ارتبطت الموضوعية كفكرة مع المدرسة العلمانية المتطوريه التى تؤمن بأن العلم والطرق العلمية ستكون تدريجيا السبيل الوحيد لتنظيم حياتنا وعلاقتنا الاجتماعية والاقتصادية ولتحديد رؤيتنا للحياة من حولنا " (١) .

ومعلوم أن هذه الأمور لا تتلقى من الطرق العلمية وانما تتلقى فى تصور المؤمن من الوحى الربانى فهو الذى ينظم علاقتنا الاجتماعيه والاقتصادية ويحدد رؤيتنا ونظرتنا للحياة وللانسان والكون كما سبق ايضاح ذلك . وبهذا يتبين لنا الظروف التى نشأ فيها مثل هذا المصطلح " الموضوعية " والاطار الثقافى والتصور الفكرى الذى صاغه .

ومفهوم " الموضوعية " هذا يرتبط به فى مناهج البحث العلمى مفهومين آخرين يجدر بنا أن نعرض لهما فى هذا المقام وهما : مفهوم التجرد والحياد . وسنعرض للأصل اللغوى والمعنى الاصطلاحى لكل منها .

---

(١) محمد عيسى فهيم . الموضوعية فى الدراسات النظرية حقيقة أم خيال ؟ مقالة بجريدة الرياض فى ٦ / ١ / ١٤٠٢ .

مفهـــوم التجــرد :

الأصل اللغوى : " جرد الشئ يجرده جردا . وجرده قشره . ويقال رجل أجــرد أى لاشعر عليه . والجرد (من الأرض) فضاء لانبت فيه . والسماء جرداء اذا لم يكـن فيها غيم . والأجرد من الخيل والدواب كلها . القصير الشعر . وتجرد للأمر اذا جـد فيه . وكذلك تجرد فى سيره وانجرد . ولذلك قالوا شمّر فى سيره . وانجرد به الســير (اذا) امتد وطال . واذا أجد فى القيام بأمر قيل تجرد لأمر كذا (ويقال) تجــرد للعبادة اذا جد فيهـا وأخلصها لله ".(١)

أما فى الاصطلاح فان التجرد يعنى الانفصال عن كل المؤثرات النفسية والاجتماعية وكذلك التصورات السابقة من العقائد أو الأهواء والميول والرغبات وهو بهذا المعنى مرادف لمرادهم بالموضوعية .

والسؤال الذى يمكن طرحه بهذه المناسبة هو هل الموضوعية والتجرد بهذا المعـنى ممكن تطبيقهما ؟.

والجواب على هذا التسأول يكون فى مقامين : .

المقام الأول أن هذا التعريف يشتمل على مغالطة كبيرة وهى طلب التجرد مـن العقائد والتصورات ، والانسان بصفة عامة ، والمسلم بصفة خاصة لا يمكنه أن يتجرد عن ذاتـه ولا عن عقيدته وتصوراته الصحيحة الا أن يكفر .

ثم ان القضية المطلوب التجرد لها وبحثها بحثا عقليا اما أن تكون حقا أو باطـلا والانسان لا يعرف الحق من الباطل الا بواسطة العقيدة الصحيحة لأنها الميزان الذى يـزن الأمور ليعرف حقها من باطلها واذا تجرد من هذا الميزان فأنّى له معرفة الحق من الباطل ؟

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، " مادة جرد " ٤ / ٨٦ و ٨٧ .

فالتجرد في المفهوم الاسلامي هو الاخلاص والاتباع معا فلا يكفي الاخلاص دون اتباع منهج الحق ولا يكفي الاتباع دون الاخلاص لوجه الله وابتغاء مرضاته . بينما التجرد عندهم هو الاخلاص . لحكم العقل .

ومنشأ الاختلاف في هذا بين المسلم وغير المسلم راجع الى الاختلاف في أصل التصور ومصدر المعرفة .

فمصدر المعرفة في التصور الاسلامي هو الوحي في الكتاب الكريم والسنة المشرفة الى جانب بعض المصادر الاخرى الثانوية والتي ترجع الى الوحي ليحكم فيها ويصحح لها تصورها . بينما مصدر المعرفة في منهج البحث العلمي عند غير المسلمين هو العقل ولذلك يطلبون من الباحث أن يتجرد ويتحرر من تصوراته ومعارفه وقيمه السابقة ويسأل عقله . ويتلقى منه الجواب!! يقول أحدهم "أن النقد في الكتب القديمة لم يكن مباحا بالقدر الذى يباح به اليوم وأن كثرة الكتب القديمة كانت تكتب لغاية دينية تعبدية على حين يتقيد كتاب العصر الحاضر بالمنهج العلمي والنقد العلمي"(١) فكأن النهج العلمي والنقد العلمي - في مفهومهم يناقض التقيد بأحكام الشريعة وأن يكون النقد في اطارها لا ماتمليه العقول المتحررة من أحكام الدين وكأنه يرى أن المنهج العلمي يناقض في نظره الكتابة لاغراض تعبدية!!

ومن المعلوم أن الباحث المسلم الذى يرجو الله واليوم الآخر لا يتعلم علما ولا يكتب كتابة ولا يعمل عملا الا وله فيه نية يرجو الله أن يثيبه عليها لأن حياة المسلم كلها عبادة كما قال تعالى "قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت"(٢) وهذا هو مقتضى المنهج العلمي الصحيح كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الأعمال بالنيات"(٣) وكما قال "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"(٤) أى مردود عليه .

---

(١) محمد حسين هيكل ، حياة محمد ص ٤٧ .

(٢) سورة الانعام آية ١٦٣ .

(٣) سبق تخريجه وهو حديث متفق عليه .

(٤) رواه مسلم وسبق تخريجه .

أما المنهج الوثني المتلقى من الكفار والمدعاة لها العلمية فانه يتناقض في أسسه وفي أصل تصوره وفي منطلقاته الفكرية مع العقيدة الاسلامية الصحيحة ، ولا يغرنك اتفاقه مع منهج البحث العلمي الاسلامي في بعض القضايا والاجراءات الشكلية .

فلقد اغتر بعض الكتاب المسلمين (١)، بالتنظيم الشكلي الذي يدعو له منهج البحث العلمي في الغرب وبعض التنبيهات العلمية فأخذ يدعو لتطبيق هذا المنهج - بعجره وبجره - (٢) في الدراسات الاسلامية غافلا عن أسسه ومنطلقاته الفكرية الوثنية .

ويقول هذا المغرور في معرض رده على من نصحوه بعدم تطبيق المنهج الغربي في دراسته عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (فلتكن الحقيقة غير المقيدة بأي قيد هي رائدنا جميعا ، ولنوجه كل همنا الى أن نربط ما بين ماضي الانسانية ومستقبلها - على أنها وحدة كبرى لا تفرق بينها القوميات ولا الجنسيات ولا الأديان - برابطة ترمي الى تحقيق أسمى غاية تطلعت اليها الانسانية منذ نشأتها رابطة الاخاء الحر في ظل الحق والخير والجمال فتلك وحدها هي الرابطة التي تكفل هداية الانسانية في سيرها الحثيث نحو السعادة والكمال) (٣). فأنظر الى قوله لا تفرق بينها الأديان ثم أسأل أين الولاء والبراء ؟ وأين حديث رسول الله (٤) ((أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله .))

---

(١) من أبرزهم الذين عرفوا بأصحاب المدرسة الاصلاحية في العصر الحديث مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والمراغي ومحمد حسين هيكل ومن المؤسف أن رواد هذه المدرسة قد اتهموا بالماسونية وقد نشرت بعض الوثائق في هذا الموضوع ، أنظر كتاب شهادات ماسونية لحسين عمر حماده ص ٧٧-٨٦ .

(٢) العجز قال الجوهري . العجرة العقدة في الخشب أو في عروق الجسد " الصحاح : ٢ / ٧٣٧ ، والبجر بالضم الشر والأمر العظيم : ٢ / ٥٨٤ .

(٣) محمد حسين هيكل حياة محمد ص ٤٤ ويلاحظ أن الكلمات الثلاث الحق والخير والجمال التي يدعو لها لتحل محل الأديان هي شعار الماسونية .

(٤) سبق تخريجه .

المقام الثاني هو أن كثرة من الباحثين [١] قد شكك في امكانية وقوع التجرد ، والموضوعية في الدراسات التاريخية والانسانية بوجه عام حيث شعروا أن من العسير بل يكاد يكون من المستحيل تجرد الباحث من ذاته وقيمه لذلك نادوا بنظريه (النسبية الموضوعية) وقرروا أن الأحكام التاريخية اسا تفسر خير تفسير اذا فهمت على ضوء بعض القيم الأخلاقية المحددة أو اذا وضعت في مجال ثقافي يحدده [٢] الباحث .

ولعل هذا يفسر لنا بعض السر في كثرة مذاهب ومدارس التفسير التاريخي ولهذا يمكن القول بأن ما تتطلبه الموضوعية والتجرد في المفهوم الغربي من عدم التأثر بأحكام الدين من القيم والأخلاق أمر غير ممكن ، أما التجرد من الهوى والميل وطلب اتباع الأصول العلمية في البحث فهي أمور مسلم بها لكن الخطأ طلب التجرد من أحكام العقيدة لأن الأمة المسلمة قد جعلها الله خير أمة أخرجت للناس وجعلها قائمة بالعدل وشاهدة على الأمم كلها من لدن نوح حتى آخر البشرية فقد ورد في الحديث الصحيح أن نوح عليه السلام ومن بعده من الأنبياء يستشهدون بهذه الأمة على أقوامهم بأنهم بلغوا رسالة ربهم كما أمرهم فيشهدون لهم [٣] . وهذا معنى قوله تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " [٤]

---

(١) أنظر عفت الشرقاوي ، أدب التاريخ عند العرب ، فصل موضوعية المؤرخ ص ٤٢ وما بعدها ، وانظر مقالة الاستاذ / محمد عيسى فهيم "الموضوعية في الدراسات النظرية حقيقة أم خيال" جريدة الرياض في ٦ / ١ / ١٤٠٢ .

(٢) هذا الرأي قائم على أساس القول بنسبية الأخلاق وتطورها من زمن الآخر فنفسر الحدث التاريخي ونحكم عليه في ضوء الأخلاق الرومانية أو الأوربية أو الهندية أو الاسلامية . والمسلم له منهج محدد وشريعة وضحت له الحق من الباطل والخلق القويم من الخلق السوء وله قيم ثابتة لا ينظر فيها الى قوم أو زمن أو وطن . ونحن لا نوافقهم على قولهم هذا وانما لنوضح تشككهم في عدم امكانية الموضوعية والتجرد في مثل هذه الأبحاث .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨ / ١٧١ و ١٣ / ٣١٦ ، وأنظر تفسير ابن كثير ١ / ٢٧٥-٢٧٦ .

(٤) سورة البقرة آية ١٤٣ .

ثم ان الانسان مسلما أو غير مسلم لو أراد أن يتجرد من العقيدة التي يعتقدها فان ذلك لا يمكنه الا أن يستبدل بها عقيدة[١] أخرى لأن القلب كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية "مفتقر بالطبع الى العبودية فان لم يعبد الله عبد غيره"[٢]، وقد قال تعالى : "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه"[٣] يقول سيد قطب عند تفسير هذه الآية "فكما أنه لم يجعل له قلبين في جوفه فانه ليس من طاقته أن يكون له منهجين واتجاهين مختلفين في آن واحد لأن صاحب العقيدة لا يملك أن تكون له عقيدة حقا ثم يتجرد من مقتضياتها وقيمها الخاصة في موقف واحد من مواقف حياته كلها صغيرا كان هذا الموقف أم كبيرا . فهو لا يملك أن يقول كلمة أو يتحرك حركة أو ينوي نية أو يتصور تصورا ، غير محكوم في هذا كله بعقيدته ان كانت هذه العقيدة حقيقة واقعة في كيانه - لأن الله لم يجعل له سوى قلب واحد يخضع لنا موس واحد ويستمد من تصور واحد ويزن بميزان واحد . ان صاحب العقيدة لا يملك أن يقول عن فعل فعله فعلت كذا بصفتي الشخصية وفعلت كذا بصفتي الاسلامية"[٤].

وبهذا يتضح لنا أن دعوى التجرد والموضوعة بالمفهوم السائد في منهج البحث الأوربي غير ممكنة الوقوع على الحقيقة وانما الممكن هو الصدق والعدل والانصاف والأمانة لمن يؤمن بها على مدلولها الشرعي . لأن هذا المدلول هو الذي يعطيها عمقها النفسي وسلطتها التنفيذية .

---

(١) لقد ثبت في علم النفس أن المرء لا يترك محبوبا الا بمحبوب آخر مكانه وأن قلبه لا يمكن أن يبقى فارغا من غير معبود أو محبوب . وهذا واقع مشاهد . فالذي يترك عبادة الله لابد أن يعبد غيره . كما أن الطفل اذا كانت في يده لعبة لا يمكن أن تنزعها منه الا اذا استبدلتها بشيء آخر والا أزعجك بالبكاء والصراخ .

(٢) أنظر رسالة العبودية ص ١٠٨ و ص ١١١ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٤ .

(٤) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٥ / ٢٨٢٣ .

مفهـــــوم الحيـــاد :

قال في القاموس" الحيد هو ما شخص من نواحى الشئ . وجمعه أحياد وحيـــود والحيد حرف شاخص يخرج من الجبل . وحايده محايدة جانبه . وكل ضلع شديد الا عوجاج حيد وجمعه حيود .

وحاد عن الشئ يحيد حيدا وحيدانا ومحيدا وحيدودة .. بتسكين الياء في الكلمة مال عنه وعدل . والرجل يحيد عن الشئ اذا صدّ عنه "(١) فمعنى هذه اللفظة في اللغـــة لا تخرج عن المخالفة والاعوجاج والميل والعدول عن الشئ والصد عنه . ولا نجد رابطـــا بين المعنى اللغوى لهذه اللفظة وبين معناها "كمصطلح "علمى يدل على عدم الميـــل في بحث قضية من القضايا . والوقوف موقف العدل والانصاف . أو التوقف في المسألة المبحوثة لعدم تبين الدليل فلا يقال لمن هذا حاله وموقفه انه "محايد ".. ولكن هذا المصطلح "الحياد " مأخوذ من القاموس السياسى . وهو يعنى عدم اشتراك دوله في نزاع مســـلح بين دولتين وذلك بأن تلتزم هذه الدولة المحايدة بعدم مساعدة أى من الفريقين المتنازعين ضد الآخر(٢) وكأنه في مجال البحث العلمى يعنى الا ينصر الباحث رأيا أو مذهبا ضـــد الآخر حتى لو تبين الحق . وهذا في الحقيقة موقف سياسى لا موقف علمى صحيح لأن المنهـــج العلمى يقتضى نصرة الحق والقول به اذا تبين ذلك للباحث . وهو مقتضى الأدلة الشرعية قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط"(٣) وقال تعالى :" ولا تكتمـوا الشهادة ومن يكتمها فانه أثم قلبه"(٤) وقال " واشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله"(٥) وقال صلى الله عليه وسلم : "انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا : يا رسول الله هذا ننصـــره

(١) ابن منظور ، لسان العرب " مادة حيد " ٤ / ١٣٦ . (٢) أنظر الموسوعة العربية الميسرة : ص ٧٤٥ .
(٣) سورة المائدة آية ٨ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٨٣ .
(٥) سورة الطلاق آية ٢ .

مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تأخذون فوق يديه)) (١)؛ فكل هذا يدل على وجوب قول الحق ونصرته والوقوف بجانبه وهذا لا يخل بالعدالة والأمانة ولا المنهج العلمى الصحيح انما الذى يخل بها ويسمى خيانة السكوت على الباطل وعدم نصرة الحق وهو قادر عليه .

فالمسلم لا يعرف ما يسمى بالحياد فى قضايا العلم (٢) اذا تبين له الحق . وهذا الاسلوب بمعناه الذى يقصدونه لا يعتبر فضيلة من فضائل الباحث ـ وان كان أقل درجة من التحيز والوقوف الى جانب الباطل ـ وهو أسلوب فيه تميع واماتة للقضايا وظلم للحقائق ومساواة بين الحق والباطل .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب المظالم من صحيحه .
أنظر فتح البارى ٥/٩٨ .

(٢) دلت الشريعة على أنه فى مجال الاصلاح بين الناس يمكن أن يظهر الانسان التوقف حتى لو تبين له الحق حتى يتمكن بذلك من الاصلاح بين المتخاصمين .

- التميز فى منهج التوثيق واثبات الحقائق -

رأينا فى المبحث السابق أن المنهج الاسلامى يتميز عن كل المناهج الأرضيـة بمفاهيمه الأساسية فى التصور عن الكون والانسان والحياة . كما يتميز بمفاهيمه المنهجيـة. وقـد رأينـا عمـق ارتباط المفاهيم المنهجيـة بالتصور العقيدى وتأثيره فيها . ولذلك اختط العلماء المسلمون منهجا مستقلا فـى التوثيق واثبات الحقائق لم يشاركهم فيه أحد وكان هذا المنهج محققا للغاية الايمانيـة ومقاصد العلوم الشرعية . حيث كانت أولى خطوات هذا المنهج قد تمت على أيدى علمـاء الحديث وكانت هذه الخطوات تهدف بالدرجة الأولى الى الحفاظ على السنة النبوية ونفـى الخبث عنها عند ما فشى الكذب والوضع فى الحديث الشريف لأن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته لم تكن مدونة بكاملها كما دون القرآن وانما كانت تتناقل فى غالبها روايـة شفوية فلما دعت الدواعى لتسجيلها بالكامل وكان ذلك على رأس المائة الأولى من الهجـرة عندما أمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموى مجموعة من العلماء فى مختلف الأمصار بذلك فكتب لهم أن انظروا حديث رسول الله فاجمعوه فانى خشيت دروس العلم (١) عند ذلك وضع العلماء قواعد لعلم الرواية والمعرفة النقلية تبلورت من الممارسة العملية عن مجموعة من العلوم كعلم أصول الحديث (المصطلح) وعلم الجرح والتعديل وتاريخ الرجـال وعلم الدراية أو " نقد المتن " ويمكننا اجمال الخطوات العامة لمنهج توثيق الرواية فيما يلى :-

(١) التحرى والتثبت فى الرواية وكان هذا مما حث عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة وسنّة الخلفاء الراشدون وعمل به الصحابة رضى الله عنهم .

(٢) التزام الاسناد واعتماده .

(٣) معرفة الرجال والكشف عن حالهم جرحا وتعديلا .

(٤) استعمال النقد للمتون والأسانيد .

---

(١) ابن حجر ، فتح البارى ١/ ١٩٥ والكتانى ، الرسالة المستطرفة ص٤ ، وأكرم ضياء العمرى بحوث فى تاريخ السنة ص٢٢٧ .

وقد استفاد من هذه القواعد التى وضعت فى الأساس لضبط الحديث الشريف كثير من العلوم النقلية كبقية العلوم الشرعية مثل التفسير والفقه وكعلم التاريخ والأدب واللغة، حتى صار استعمال الاسناد فى هذه العلوم من السمات العامة لمناهج التأليف والمؤلفات فى القرون الخمسة الأولى .

وان لم يكن ذلك بنفس الدقة والإلتزام الذى وقع من علماء الحديث .

وبالرغم من هذا القصور فقد كان أثر اتباع هذا المنهج على علم التاريخ عند المسلمين بينا ، ومما ينبغى ملاحظته أن هناك اختلافا بين طبيعة التأليف فى المادتين "التاريخ والحديث." (١) ففى تأليف كتب الحديث يمكن ذكر حديثين فى محل واحد مع أنه لا صلة بينهما من ناحية الموضوع دون أن يشعر الباحث بأى شئ من الارتباك ، وهذا مشاهد فى الكتب التى رتبت على مسانيد الصحابة كما فى مسند أحمد بن حنبل ومسند الحميدى وغيرهما . بينما يختلف الوضع بالنسبة لكتب التاريخ حيث يتطلب الأمر ملاحظة الترتيب الموضوعى والزمنى فتسلسل الحوادث وتتابعها فى نسق واحد يشكل أهمية كبيرة فى بناء الفكرة التاريخية مما جعل بعض المؤرخين يترك الالتزام بالاسناد وبعضهم يستعمل ما يمكن أن يعبر عنه بالاسناد "الجمعى" حيث يأخذ الكاتب مجموعة من الروايات ثم يدمج بعضها فى بعض ويسوقها مساقا واحدا. والبعض الآخر أستعمل الاسناد فى بعض القضايا دون بعض وبعضهم يحذف جزءا من الاسناد وينقل مباشرة عن المصدر الأعلى . والحاصل أن كتب غير الحديث تختلف فى صياغتها وترتيبها عن كتب الحديث التى هى عبارة عن ضبط النصوص عن الأقوال والأفعال النبوية . لما يتعلق بهذا الضبط من الأمور التشريعية التى تقوم عليها حياة الأمة المسلمة . ان كتب التاريخ والقصص والأخبار تحتاج الى السرد الموضوعى واستمرار الحوادث والقصص

---

(١) حول هذه المسألة أنظر "محمد مصطفى الأعظمى" دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه ص ٣٤٧ وما بعدها .

فى نسق تاريخى متتابع لكى تتكامل الصورة التاريخية عن موضوع البحث . وان كان ذكر السند يساعد على التحقق من صحة الرواية ويعتبر عنصرا مهما فى النقد التاريخى ولذلك حافظ عليه العلماء الأعلام الذين قاموا بالجمع والتدوين سواء فى السيرة النبوية أم فى بقية الأخبار التاريخية كما فعل عروة بن الزبير ومحمد بن مسلم الزهرى ويعقوب بن سفيان الفسوى وخليفة بن خياط وأبو زرعة الدمشقى وابن جرير الطبرى وغيرهم .

والآن نحاول أن نستعرض منهج النقد عند علماء الحديث ومنهج النقد التاريخى الأوربى . الذى ساد فى كثير من الدراسات التاريخية المعاصرة . لنتبين الفوارق الأساسية بين المنهجين .

منهج النقد عند علماء الحديث :-

قواعد النقد عند العلماء المسلمين تشمل جانبين أو مبحثين من مباحث الحديث النبوى الشريف هما :

- مبحث الاسناد ويسمى علم "الرواية" .
- ومبحث المتن ويسمى علم "الدراية" .

وقد ألف العلماء المسلمون فى هذين المبحثين وفصلوا ذلك فى كتبهم (١) ووضحوه وخرجوا بقواعد نقدية تضمن لهم صحة النصوص وسلامتها من التحريف أو الزيادة والنقص.

---

(١) راجع أبو عبد الله الحاكم ، معرفة علوم الحديث ، والخطيب البغدادى ، الكفاية فى علم الرواية . وكتاب الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ، والقاضى عياض . الالماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع .
وابن الصلاح . علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) والحافظ العراقى ، التقييد والايضاح لمقدمة ابن الصلاح .
والسيوطى ، تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ، الحافظ السخاوى ، فتح المغيث فى شرح ألفية الحديث .
والحافظ ابن حجر ، نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر . والقاسمى قواعد التحديث .
ونور الدين عتر ، منهج النقد فى علوم الحديث .

وقد دون العلماء المسلمون الحديث النبوي بأسانيده المتسلسلة ورواياته وطرقه. ثم شاع استعمال الاسناد في مختلف التصانيف والمؤلفات ولم يعد قاصرا على الحديث النبوي حتى صار يمثل الصفة الغالبة على منهج تدوين العلوم الاسلامية الأخرى. وقد استمر ذلك حتى نهاية القرن الخامس الهجري تقريبا. حيث قل بعد هذا الوقت الاعتناء به وحل محله تدريجيا النقل من المؤلفات والكتب بواسطة "الاجازة"[١] و "الوجادة"[٢] وان كان قد بقي منه شيء عند علماء الحديث فانما من باب التبرك والمحافظة على هذه الخصيصة للأمة الاسلامية[٣] والرغبة في بقائها. لأن الاسناد المتصل الصحيح يعطي طمأنينة وثقة في المنقول عن هذا الطريق. اذ هو يمثل شهادة مجموعة من الرجال العدول الثقات الضابطين. مما يؤكد صحة ودقة الخبر المنقول.

وقد كان بهز بن أسد[٤] اذا ذكر الاسناد قال " هذه شهادات الرجال العدول المرضيين بعضهم على بعض"[٥] وكان يقول "لا تأخذوا الحديث الا عمن يقول حدثنا"[٦].

---

(١) الاجازة هي أذن الشيخ لغيره بأن يروي عنه مروياته أو مؤلفاته وهي أنواع مفصلة في كتب المصطلح منها ما هو جائز ومنها ما هو غير جائز والجمهور على جواز الرواية والعمل بالجائز منها "أنظر الباعث الحثيث ص ١٢٠".

(٢) الوجادة بكسر الواو - مصدر مولد غير مسموع من العرب - اطلق على ما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا اجازة ولا مناولة. وهي ليست من باب الرواية وانما هي حكاية عن ما وجد في الكتاب الذي وثق فيه وتأكد من صحة نسبته لصاحبه. "أنظر أحمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ١٢٨-١٣١".

(٣) الاسناد المتصل الصحيح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من خصائص الأمة الاسلامية ذكر ذلك الحاكم في المستدرك ١/٢ وابن حزم في الفصل ٢/٨٢ وابن الصلاح في المقدمة أنظر شرح العراقي ص ٢٥٧.

(٤) هو بهز بن أسد العمي أبو الأسود البصري روى عن شعبه وحماد بن سلمة وعنه أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن بشر، امام حافظ ثقه ثبت. روى له الجماعة. توفي بعد المائتين وأرخ ابن قانع وفاته سنة ١٩٧ هـ "ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/٤٩٧".

(٥) الحاكم، معرفة علوم الحديث ص٦.

(٦) نفس المصدر.

والسند مهم فى نقد الأخبار ، اذ بمعرفة النقلة يعرف قيمة الخبر ، ومدى صدقه من كذبه ، ولهذا انتقد الامام أحمد بن حنبل بعض العلوم التى لم يعتن المشتغلون بها بالاسناد كعناية علماء الحديث . فقال " ثلاثة أمور ليس لها اسناد ، التفسير والملاحم والمغازى "(١) ويروى ثلاثة أمور ليس لها أصل " بدل اسناد "(٢) . والأصل عند علماء الحديث هو الاسناد فان الذى ليس له اسناد لا يعرف أصله ولا مخرجه . فقد روى الحاكم عن الزهرى أنه قال لمن لا يسند حديثه " تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمّة "(٣) .

فالذى لا خطام له ولا زمام يمسك به ، متفلت عن أصله فلا يعرف .

وقد كان من آثار الالتزام بالاسناد أن قام العلماء المتخصصون بوضع القوانين والضوابط التى تحدد مَنْ مِنَ الرجال تقبل روايته ، ومن ترد روايته ، فدونوا كتب الرجال والتراجم التى تعنى بأخبارهم ورحلاتهم وشيوخهم وتلاميذهم وطبقاتهم وأوطانهم وتاريخ ولاداتهم ووفياتهم . وتعنى كذلك ببحث عدالتهم وجرحهم وتعديلهم ، مما أنتج للمسلمين ثروة علمية عظيمة النفع اذ توضح حركة المجتمع وتاريخ العدد الكثير من أفراده وعلمائه وخاصة الصحابة رضى الله عنهم ، فقد عملت مدونات كاملة لحصر من عرف منهم

---

(١) ابن تيميه ، مقدمة فى أصول التفسير ص ٥٩ .

(٢) نفس المصدر وقد قال الزركشى فى البرهان ٢/١٥٦ قال المحققون من أصحاب الامام أحمد أن مراده أن الغالب أنها ليست لها أسانيد صحاح متصلة . والا فقد صح من ذلك كثير " وقد حمل بعض العلماء كلام أحمد هذا على كتب بعينها فى هذه العلوم الثلاثة وأشهرها فى التفسير كتابان للكلبى ومقاتل بن سليمان وقد قال أحمد فى تفسير الكلبى انه من أوله الى آخره كذب لا يحل النظر فيه (أنظر السنة ومكانتها فى التشريع لمصطفى السباعى ص ٢٤٥ ، ومما ينبغى التنبه له أن لا يتبادر الى الذهن ان الامام أحمد ينفى صحة شئ من هذه العلوم كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين المعاصرين مثل أحمد أمين فى كتابه فجر الاسلام ص ١٩٩ ، والا فقد صح منها الشئ الكثير ولله الحمد .

(٣) الحاكم ، معرفة علوم الحديث ص ٦ .

بأسمائهم وألقابهم وكناهم وذكر أخبارهم وجهادهم ومعرفة طبقاتهم وعلمائهم ومعرفة أبنائهم وتلاميذهم من التابعين الذين نقلوا العلم عنهم ، ثم أخبار معظم التابعين وتابعيهم خاصة من اشتغل منهم بالعلم والرواية وهذه ولا شك ثروة عظيمة قيمة ، تمثل التسجيل الدقيق للتاريخ العلمي والثقافي للأمة الاسلامية . كما تمثل مادة جيدة صالحة للتربية والقدوة الحسنة لما في أخبار الصحابة رضي الله عنهم وعلماء التابعين وكبار الرجال والحفاظ من الحرص على مكارم الأخلاق والاخلاص في طلب العلم والالتزام بالشريعة .

وقد اعتنى العلماء ببيان علل الأسناد[(١)] الظاهر منها والخفي ، كالانقطاع والاعضال والشذوذ ، والارسال ، والتدليس ، ووصل المرسل ، ورفع الموقوف ، وابدال الاسناد ، وجمع الشيوخ ... وما الى ذلك .

ومن المعلوم أنه ما كل خبر يساق بالسند يكون مقبولا . كما لا يكفي الباحث المحقق أن يعزو الحديث الى مصنف من المصنفات التي لم يشترط أصحابها اخراج الصحيح دون غيره . اذ لابد من الكشف عن حال السند والنظر في رجاله .

والأصل في هذا الرجوع الى أئمة النقل وعلمائه من أهل الجرح والتعديل والى العلماء الثقات المأمونين في دينهم وعقيدتهم بحكم تخصصهم في ذلك ، ودقة معرفهم به .

ويكفي لمعرفة دقة المنهج العلمي الذي اتبعه العلماء المسلمون وتكامله الاطلاع على عناوين الأبواب التي أوردها الخطيب البغدادي في كتاب "الكفاية في علم الرواية" والتي منها "اشتراط العدالة وأن السفه والكذب يوجب اسقاطها"[(٢)] "كراهة النقل والرواية عن الضعفاء واختيار السماع من الأمناء"[(٣)] "ترك السماع ممن اختلط وتغير"[(٤)] ، " من غلب على حديثه

---

(١) حول هذا الموضوع أنظر ابن المديني ، العلل ، وابن رجب شرح علل الترمذي وهمام عبد الرحيم سعيد ، العلل في الحديث .

(٢) الكفاية في علم الرواية ص ١٦٢-١٦٥ وكذلك ص ١٨٧ .

(٣) نفس المصدر ص ٢١٠ .

(٤) نفس المصدر ص ٢١٦ .

ورواياته الشواذ والمناكير والغرائب يحتج بروايته"(١) " ترك الاحتجاج بمن كثر غلطه وكان الوهم غالبا على روايته"(٢) " رد حديث أهل الغفلة ومن عرف بالتساهل في سماع الحديث أو روايته"(٣) " كراهية الرواية عن أهل المجون والخلاعة"(٤) " من عرف بالصلاح والعبادة ولم يكن من أهل الضبط والرواية يترك الاحتجاج بحديثه"(٥) " نقل الحديث كما تلقى دون زيادة أو ابدال كلمة بكلمة بل حتى حرف بحرف أو حركة بحركة وان كان ذلك لا يغير المعنى ، ولا يتصرف في اصلاح ما يرى أنه خطأ ولو خالف فصيح اللغة"(٦)

ومباحث علم الاسناد على تنوعها وتعددها . تهدف كلها الى توثيق النص ونقده وبيان ما يقبل وما يرد من الروايات لأنه اذا بطل السند واكتشف كذبه فان ذلك يبطل النص المنقول بهذا السند ، فعلم الاسناد بكل مسائله وأنواعه وعلله يهدف الى تصحيح النصوص ومحاربة الوضع والكذب فيها وتسمى هذه المباحث بعلم "الرواية " .

أما المبحث الثاني فهو البحث المنصب على المتن "النص" ويسمى علم " الدراية " وهو دراسة النص من جوانب متعددة . منها ما يهدف الى زيادة التأكد من صحة النص بعد ثبوت سنده ومنها ما يهدف الى فهم النص وفقهه ، سواء فهم أحكامه ودلالته ، أو فهم لغته وألفاظه . فكان من مباحثهم غريب الحديث ،أسباب ورود الحديث ، ناسخ الحديث ومنسوخه ، مختلف الحديث ، محكم الحديث ومتشابهه ،... الخ .

وهناك مجموعة من المباحث المشتركة بين الاسناد والمتن تهدف الى الاعتبار والمقارنة

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٢٧ .

(٣) " " ص ٢٢٢ ، ٢٣٧ .

(٤) " " ص ٢٤٥ .

(٥) " " ص ٢٤٧ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٦٥ و ٢٨٤ .

بين النصوص لغرض زيادة النقد والتمحيص . مثل المتابع (١) والشاهد (٢) والشاذ (٣) .

وفوق هذا جعلوا ضوابط لمعرفة الحديث الموضوع من غير النظر فى السند ، غير أن هذه الضوابط لا يستطيع تطبيقها فى المجال العملى الا العلماء المتقنون الذين تمرسوا فى رواية السنن وعايشتها فترات طويلة . وقد ذكر الامام ابن القيم فى كتابه المنار المنيف فى معرفة الحديث الصحيح والضعيف مجموعة من هذه الضوابط (٤) .

فالمنهج النقدى عند العلماء المسلمين قد بلغ من الدقة والأحكام أرقى ما يمكن أن تصل اليه الطاقة البشرية والمقدرة الانسانية لنقد مثل هذه العلوم .

" وقد كانت جهود العلماء المسلمين فى مقاومة الوضع قد اتخذت جانبين ، جانب نظرى وهو وضعهم للقواعد الدالة على الوضع فى الحديث ، وجانب عملى وذلك ببيانهم الأشخاص الوضاعين وتعريف الناس بهم وبيان الأحاديث الموضوعة بالنص عليها " (٥)

وبذلك يتضح أن جهودهم النقدية لم تكن منصبة على نقد السند كما ادعى ذلك بعض الباحثين (٦) انما كانت تعنى بالأمرين معا . فمباحث المتن قسيمة لمباحث الاسناد

---

(١) المتابع : هو مشاركة الراوى غيره فى رواية الحديث مع الاتحاد فى الصحابى (أنظر تيسير مصطلح الحديث للطحان ص ١٤٠) .

(٢) الشاهد . هو مشاركة الراوى فى رواية الحديث مع الاختلاف فى الصحابى (المصدر السابق ص ١٤٠) .

(٣) الشاذ : هو ما رواه المقبول مخالفا لمن هو أولى منه (المصدر السابق ص ١١٧) .

(٤) قال ابن القيم فى كتابه هذا ص ٤٣ " وسئلت هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر فى سنده " وبعد أن امتدح هذا السؤال قال " انه لا يمكن ذلك الا لمن تضلع فى معرفة السنن الصحيحة وصار له ملكة اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ومعرفة سيرة الرسول وهديه فيما يأمر به وينهى عنه " ثم قال " ونحن ننبه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعا " ص ٥٠ ، وأنظر هذه القواعد فى ص ٥٠-١٤١ .

(٥) محمد أبو زهو ، الحديث والمحدثون ص ٤٨١ .

(٦) مثل أحمد أمين فى كتاب ضحى الاسلام ٢ / ١٣٠ وانظر الرد عليه فى كتاب ، نور الدين عتر ، منهج النقد فى علوم الحديث ص ٤٦٤-٤٧٢ .

والعلة كما تكون فى السند تكون فى المتن وتقسيم العلماء للحديث من حيث القبول والرد الى صحيح وحسن وضعيف مبنى على هذا لأنهم يشترطون فى الحديث الصحيح والحسن السلامة من الشذوذ والعلة وهما كما يكونان فى السند يكونان فى المتن . وقد نبهوا على أنه لا يلزم من ضعف السند ضعف المتن وكذلك لا يلزم من صحة السند صحة المتن ، فقد يكون السند ضعيفا والمتن صحيحا لوروده من طرق أخرى صحيحة كما أنه قد يصح السند ولا يصح المتن لشذوذ أو علة قادحة فيه ، يقول الدكتور نورالدين عتر "ان النقد الداخلى - نقد النص - كان أول علوم الحديث وجودا حين كان الناس على العدالة وذلك فى عصر الصحابة" (١)

وقد كان منهج الصحابة رضى الله عنهم - كما عرفنا - التثبت فى الرواية عند تحملها وعند أدائها وكانوا يمارسون النقد ويعرضون الروايات على ما لديهم من نصوص الدين وقواعده مع أنهم لا يتهمون رواتها بالكذب ولكن للاحتياط والرغبة فى ضبط الحديث ، فهذا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يعتذر من أُبَىّ بن كعب رضى الله عنه عندما حدثه بحديث فطلب منه أن يأتيه ببينة على ما يقول فلما أتاه بذلك قال له "أما انى لم أتهمك ولكنى أحببت أن أتثبت" (٢) فمتون الأحاديث والآثار هى المقصودة بأبحاث علوم الحديث . والعناية بالسند هى لأجل التحقق من صحة النص ، والقواعد التى وضعها العلماء للتوصل الى معرفة النص الصحيح - وان كانت فى الأصل خاصة بالحديث النبوى الشريف - صالحة للتطبيق فى مختلف العلوم النقلية وخاصة ما نحن بصدد البحث فيه وهو علم التاريخ . لأنه عبارة عن أخبار ووثائق وروايات لا طريق للتثبت من صحتها الا بتطبيق هذه القواعد المنهجية ، لأنه من غير الممكن معرفتها بواسطة التجارب المعملية التى تقاس بها المواد الصالحة

---

(١) نورالدين عتر ، منهج النقد فى علوم الحديث ص ٤٧٠ .

(٢) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ١ / ٨ .

للاختبار المصطلي . وقد أدرك هذا التميز في منهج البحث عند علماء الحديث ودقة القواعد النقدية التي توصل اليها مجموعة من الباحثين المعاصرين في مجال النقد التاريخي .(١)

ولذلك دعوا في مؤلفاتهم الى احتذاء هذا المنهج ، ونقلوا فصولا بأكملها من مؤلفات علماء المصطلح " مثل ابن عبد البر والخطيب البغدادي وابن الصلاح بل قد سمى بعضهم كتابه بنفس التسمية التي استعملها علماء الحديث.(٢)

---

(١) أنظر على سبيل المثال - أسد رستم ، مصطلح التاريخ وحسن عثمان . منهج النقد التاريخي وعثمان موافي ، المنهج الاسلامي والمنهج الأوربي .

(٢) هو أسد رستم ، وسمى كتابه " مصطلح التاريخ " .

منهج النقد التاريخى الأوربى : ..

هذا المنهج النقدى للوثائق والنصوص التاريخية يدعى أصحابه أنه لم تستقر مبادؤه وتتحدد قواعده إلا فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى وعلى أيدى العلماء الأوربيين (١) ، من أمثال شارل لانجلوا وزميله شارل سينوبوس فى كتابهما المدخل الى الدراسات التاريخية . لذا سنعتمد على هذا الكتاب مع كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوى " مناهج البحث العلمى " وقد قام الدكتور عبد الرحمن بدوى بترجمة كتابهما الى اللغة العربية ثم لخصه فى فصل من كتابه هذا " مناهج البحث " بعنوان المنهج الاستردادى فهما أكمل ما قرأت فى تقرير قواعد منهج النقد التاريخى (٢) من وجهة النظر الأوربية وخير من يمثلها .

وقواعد هذا المنهج تقوم على عدد من الخطوات أولها البحث عن الوثائق وجمع الأصول المتخلفة سواء ما كان منها فى صورة آثار مادية كالأبنية والأدوات ، أو ما كان مخلفات كتابية خطية أو مطبوعة . ونقوش ، أو ما كان روايات شفوية ، وهذه الأصول تحفظ عادة فى دوائر المحفوظات والمتاحف والمكتبات وترتب وتفهرس لكى يسهل الاستفادة منها . وهذه الخطوة ضرورية لبداية العمل النقدى لأن الناقد يقوم بفحص ونقد ما توفر لديه فهى ممهدة للنقد وليست خطوة من خطواته .

والنقد المنهجى ينقسم الى قسمين كبيرين : ..

- نقد خارجى .
- نقد داخلى .

---

(١) عبد الرحمن بدوى ، النقد التاريخى ص ٤ من المقدمة .

(٢) كتب الدكتور حسن عثمان كتاب " منهج البحث التاريخى " عام ١٩٤٣ م وقرر هذه القواعد نفسها وشيئا من قلة حظ الشرق العربى من هذه الدراسات التى عنى بها الغربيون وخاصة منهج البحث التاريخى بالاسلوب الحديث (أنظر مقدمة الطبعة الأولى ص ٩) .

فالنقد الخارجي أو نقد "التحصيل" كما يسمونه يشمل ثلاث عمليات ، هي تصحيح النصوص ونقد المصدر وجمع الوثائق المحققة وترتيبها.(١)

فنقد التصحيح أو نقد الاستعادة(٢) يعني مقابلة النسخ الموجودة من الوثيقة أو الكتاب مع بعضها لمعرفة النص الصحيح لها والتأكد هل هذه الوثيقة بخط المؤلف نفسه أم أنها منقولة من نسخة أخرى قد لا تكون بخط المؤلف . وتكون الصعوبة فيما اذا كانت النسخة وحيدة وطريقة التصحيح في مثل هذه الحالة . تكون عن طريق استقصاء الاخطاء التي يقع فيها النساخ عادة مثل تكرار بعض الكلمات أو بعض المقاطع ولذلك ينبغي وضع معجم أبجدي منهجي للأخطاء الشائعة في كتابة لغة من اللغات وأن يكون الباحث على معرفة باللغة التي كتبت بها الوثيقة وأن يكون عالما بالخطوط التي كتبت بها النصوص . وبذلك يستطيع أن يصل الى أقرب نص صحيح للوثيقة كما دونها كاتبها الأول .

أما نقد المصدر . فيقصد به معرفة مؤلف الوثيقة ومعرفة مصدر المعلومات الواردة فيها وتاريخها وتفحص اسلوبها وتراكيبها اللغوية وطريقة صياغتها لأن لكل مؤلف ولكل عصر خصائص أسلوبية من الممكن ملاحظتها من الاطلاع على بقية كتبه ، كما أن مقارنة الأحداث التي يتحدث عنها المؤلف مع بقية الأحداث التي تذكرها المؤلفات المعاصرة يعطي ضوءً نستطيع به نقد الوثيقة والتأكد من صحتها ، وأيضا تحديد الاقتباسات وارجاعها الى أصولها والمعرفة الدقيقة بتفاصيل حياة المؤلف تكشف لنا جوانب مهمة مما يجعلنا نستطيع تمييز الحشو أو الاكمال دون عناء . خاصة اذا كان المؤلف يوضح مصادره، أما اذا نقل من المصادر السابقة له دون اشارة لها فان هذا يسبب صعوبة في معرفة مصادر معلوماته . ومن أهم فوائد نقد المصادر ايضاح التزوير والانتحال في الوثائق والمؤلفات وقد ضرب الدكتور عبدالرحمن بدوي(٣) لذلك مثلا بكتاب "منهج البلاغة" الذي وضعته الشيعة وقصدوا من ورائه

---

(١) المدخل الى الدراسات التاريخية ص ٨ .

(٢) عبدالرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ص ١٨٨ .

(٣) نفس المصدر ص ١٩٦ .

تأكيد مذهبهم وصحته وأن هذا المذهب مما يقول به الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه . والتلاحص الناقد اذا تملّى كثيرا مما فيه منسوبا لعلى رضى الله عنه أيقن أنه مكذوب عليه. والتزوير والانتحال يكون بنسبة كتاب كله الى شخص وهو منه براء أو تزوير بعض الأقوال والآراء ويسمون هذه بالحشو الاكمال أى أشياء تدخل على أصل الوثيقة وهى ليست منها ولقد كان هذا شائعا فى الثقافة الأوربية فى العصور الوسطى دون أن يذكر المكمل للكتاب اسمه (١) وانما يجعله كأنه من عمل المؤلف الأول .

وهذا الصنيع عرف فى الثقافة الاسلامية باسم الذيول ولكن هذه الذيول مميزة عن الأصول بمعرفة أصحابها وتصريحهم بذلك وبوضعها مستقلة عن الكتاب الأصلى .

وعملية نقد المصدر تكشف لنا كثيرا من الأخطاء وتحمى المؤرخين من الوقوع فى أغلاط هائلة ويساعد على استبعاد الوثائق الزائفة والتمييز بين الوثائق حتى وان كانت صحيحة النسبة .

وهذا النوع من النقد مثل نقد التصحيح فهو تحضيرى ونتائجه سلبية . "انه يعلمنا أن لا نستعمل وثائق سقيمة لكنه لا يعلمنا كيف نفيد من الوثائق السليمة . وعلى هذا فان نقد المصدر ليس هو كل "النقد التاريخى "انه مجرد مقدمات منه"(٢) .

أما العملية الثالثة فى نقد التحصيل فهى عملية تنظيمية وتسمى جمع الوثائق المحققة وترتيبها أو "الترتيب النقدى للمراجع"(٣) وللباحثين فى ذلك مذاهب وطرق حيث يتبع كل باحث ما يناسبه من هذه الطرق فمنهم من يرتب هذه المواد والوثائق حسب وصولها اليه ومنهم من يرتبها حسب موضوعاتها ومنهم من يستخدم طريقة (الجزازات) أى البطاقات المنثورة وهذه الطريقة فيما يبدو هى أسلم الطرق خاصة فى النصوص القصيرة والأبحاث التى تعتمد كلية على النصوص مثل تحقيق المخطوطات ونشر الكتب ومثل المعاجم المرتبة على مواد .

---

(١) عبد الرحمن بدوى ، مناهج البحث العلمى ص ١٦ .

(٢) لانجلوا وسينوبوس . المدخل الى الدراسات التاريخية ص ٧٠ .

(٣) حول هذه النقطة ، أنظر المصدر السابق ص ٧٧-٨٠ .

والى هنا يكون الباحث قد انتهى من القسم الأول من أقسام النقد المنهجي "نقد التحصيل" أو "النقد الخارجي" ويشمل خطوتين رئيسيتين نقد النص أى تصحيحه ونقد المصدر أى توثيقه .

أما الخطوة الثالثة وهى الترتيب النقدى للمراجع فهى تنظيمية شكلية . وهذا القسم بكل خطواته يعتبر عملا تحضيريا للقسم الثانى فهو وسيلة وليس غاية .

النقـــد الداخلى :..

الخطوة الحقيقية فى المنهج التاريخى هى عملية "النقد الباطن" أو النقد العالى " التحليل والتركيب " "ويقصد بهذه العملية بيان ما قصده صاحب الوثيقة من هذه الوثيقة ثم معرفة صدقه فى الرواية سواء أكان شاهد عيان أو كان ناقلا عن غيره . ذلك أن صاحب الوثيقة قد مر بمجموعة أدوار فقد ابتدأ بأن كان شاهد عيان ، شاهد حادثا ، ثم أدركه ثم كتبه ، وهذه الكتابة تمر بمجموعة أدوار من استخدام ألفاظ ، ثم استخدام تعابير ، ثم طريقة تنظيم الوصف ، وكل هذه الحلقات المتتالية من العمليات يمكن أن يقع الخطأ فى احداها أو فى الأخرى فعلينا أذن أن نعرف بالدقة أين أخطأ ؟ وأين أصاب ؟ وهل استطاع أن يروى الحادث كما شاهده تماما ، أو هل لم تكن ثمة دواع للتزييف المقصود أو الخطأ ، أو أن عدم الدقة فى رواية الحادث كان لأسباب اما شخصية واما خارجة عن قدرته" (١)

"ولكى يكون التحليل كاملا ينبغى عليه أن يعيد تركيب كل العمليات التى لابد أن يكون المؤلف قد أجراها وأن يفحصها الواحدة تلو الأخرى ، للبحث فيما اذا كانت كل منها قد تمت على الوجه الصحيح . فينبغى المرور من جديد بكل الأفعال المتوالية التى أنتجت الوثيقة منذ اللحظة التى شاهد فيها المؤلف الواقعة التى هى موضوع الوثيقة حتى حركة يده التى خطت حروف الوثيقة . ولكن هذا المنهج من الطول والارهاق بحيث لن يجد أحد من الوقت ولا من الصبر ما يستطيع به أن يطبقه" (٢)

---

(١) عبد الرحمن بدوى ، مناهج البحث العلمى ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .
(٢) لانجلوا وسينوبوس ، المدخل الى الدراسات التاريخية ص ١١٠

والنقد الباطن ليس كالنقد الخارجي أداة يمكن استخدامها لمجرد لذة الاستخدام، فليس يحقق لذة مباشرة لأنه لا يحل أي مشكلة حلا نهائيا حاسما ولا يمارس الا بحسب الضرورة وينبغي تضييقه الى أضيق الحدود .

والمؤلف الأخرس على التنبيه بتقصر على منهج موجز يركز كل العمليات في طائفتين :

١ - تحليل مضمون الوثيقة ، من النقد الايجابي للتفسير ، اللازمان للتأكد مما أراد المؤلف أن يقوله .

٢ - تحليل الظروف التي أنتجت فيها الوثيقة والنقد السلبي للنزاهة والدقة اللازمان لضبط أو مراقبة أقوال المؤلف . . على أن هذا الازدواج في العمل النقدي لا يمارسه الا الصفوة المختارة "(١)

فالخطوة الأولى في النقد الباطن هي النقد الايجابي للتفسير ويقصد منها فهم مدلول نص الوثيقة التي بين أيدينا فهي عملية تفسير حرفي للنص ثم تفسير أخطائي وهذه الخطوة تتطلب معرفة لغة الوثيقة واصطلاحاتها وتطور معاني ألفاظها . وبلاغتها ومعنى كل كلمة حسب السياق الذي وردت فيه كما تتطلب معرفة اسلوب المؤلف وطريقته في استعمال الألفاظ وهل يكثر من استخدام الكنايات والاستعارات والمجازات والتشبيهات وهل يعنى بالمحسنات اللفظية كالجناس والطباق . . / وغيرها . وهذه المرحلة خطرة المسلك حينما تكون عادات اللغة والفكر عند المؤلف مباينة لعادات الباحث الذي يقرأ هذا النص ويقوم بتحليله .

" فكل من يقرأ نصا ولا يهتم بفهمه فهما تاما لا بد أن يحدث له أن يقرأه من خلال انطباعه هو . فيجتذب انتباهه في الوثيقة الجمل أو الكلمات التي تتجاوب مع تصوراته والتي تتفق مع الفكرة السابقة التي كونها مقدما عن الوقائع ، ودون أن يتبين ذلك تراه يفصل هذه الجمل أو هذه الكلمات ويؤلف منها نصا خياليا يضعه مكان النص الحقيقي الذي كتبه المؤلف"(٢)

---

(١) لانجلوا وسينوبوس ، المدخل الى الدراسات التاريخية ص ١١٠ .

(٢) " " " " " " ص ١١١ .

ولذ " ينبغي أن يتخذ المرء قاعدة له وهي البدء بفهم النص في ذاته قبل أن يتساءل عما يمكن استخلاصه منه" (١) .

أما الخطوة الثانية فهي النقد السلبي للنزاهة والدقة

فاذا كانت الخطوة السابقة قد عرفتنا ماذا قصد المؤلف من الوثيقة المكتوبة ؟ فان هذه الخطوة تهدف الى تعريفنا كيف شاهد المؤلف الحادث الذى وصفه وهل أصاب في مشاهدته أم لا ؟ وهل قصد الى الكذب أم لم يقصد ؟ والى أي مدى نثق بهذه الوثيقة والى أي حد تعبر عن الواقعة ؟ .

فكل هذه المسائل لا بد أن نقوم بها عملية النقد الباطن للنزاهة والدقة والبحث في هذه الخطوة ينقسم الى قسمين روايات مباشرة (شهود عيان) وروايات غير مباشرة .

ولا يلزم من كون الرواية مباشرة صحة الوثيقة على كل حال بل لا بد من اختبار النزاهة والدقة عند الراوى . فننظر في الوثيقة والظروف التي أحاطت بالمؤلف سواء كانت عامة أم شخصية وعلينا أن نجمع أكبر قدر من المعلومات عن المؤلف وعن أمانته وثقة الناس فيه وعن العصر الذى كتبت فيه وعن الوثائق المشابهة التي روت نفس الحادث . ثم نضع طائفة من الأسئلة العامة الموضوعة سابقا والتي تنطبق على كل حالة فردية مع شيء من التعديل وهذه الأسئلة تدور حول النزاهة والدقة . (٢) فالنزاهة تتعلق بأمانة المؤلف وهل أدى كما رأى على الحقيقة أم أنه كذب وحرف ، والأسباب الداعية للكذب كثيرة وهي تشكل صورة الأسئلة التي يتطلب الاجابة عليها لاختبار النزاهة عند الراوى كأن نتساءل مثلا عما اذا حاول المؤلف أن يجتلب لنفسه منفعة شخصية وأراد أن يخدع القارئ لهذه الوثيقة فقدم له معلومات كاذبة، وعما اذا كان المؤلف أو الراوى في موقف أرغمه على الكذب ، وعن طبيعة عواطف الراوى وموافقته أو كراهيته لجماعة معينة من الناس أو مذهب من المذاهب والتي ربما تحمله على تشويه الوقائع في سبيل

---

(١) المصدر السابق ص ١١١ .

(٢) حول هذه الأسئلة والاحتمالات انظر المصدر السابق ص ١٢٨-١٣٢ ، ومناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي ص ٢٠٢-٢١٤ .

اعطاء فكرة حسنة عن أصدقائه وسيئة عن أعدائه .

وعما اذا كان هناك انسياق وراء غرور فردى أو جماعى فكذب ابتغاء تمجيد شخصية معينة أو جماعة معينة . وعما اذا أراد الراوى أن يتملق الجمهور أو جهة من الجهات فعبر عن العواطف والأفكار المتفقة مع آراء الجمهور أو هذه الجهة .

أما المجموعة الثانية من الأسئلة فتهدف الى كشف دوافع الخطأ واختيار الدقة لدى الراوى فيتساءل الباحث عما اذا كان المؤلف فى موضع يسمح له بملاحظة الواقعة ، أم منعه من ذلك مانع ، وعما اذا عُمِلَ على اساءة الملاحظة . كما يتساءل عما اذا كان فى موضع لا يسمح له بالملاحظة ، كأن يكون فى موضع لم يكن يستطيع منه أن يرى جيدا أو يسمع " مثل مرؤوس يدعى رواية مداولات سرية فى مجلس رؤساء ، دون أن يوضح الوقت الذى سجل فيه هذه الملاحظة أو الرواية . ثم الاستفسار عما اذا كان المؤلف شاهد الواقعة التى وصفها أم أنه تكاسل واكتفى بالوصف التخمينى دون أن يشاهدها على الحقيقة ، وهذا السبب شائع جدا خاصة الروايات المفصلة عن المراسم العامة والبرامج المعدة سلفا ومحاضر الجلسات الرسمية . وكذلك التعرف على طبيعة الواقعة وما اذا كان من الممكن معرفة ذلك بالملاحظة وحدها . مثل أن يتحدث عن أسرار الحياة الزوجية لأسرة من الأسر لأن هذا مالا يدرك بالملاحظة العامة .

هذا كله اذا كانت الرواية مباشرة اما اذا لم يكن الراوى شاهد الحادثة بنفسه وانما نقل عمن شاهدها سواء فردا أو مجموعة أفراد . فروايته تكون غير مباشرة ومعظم وثائق التاريخ من هذه الدرجة واختبار النزاهة والدقة لمثل هذه الوثيقة تتحقق عن طريق محاولة البحث عن الراوى الأصلى الذى عاين الحادث ثم تجرى عليه نفس العمليات السابقة أما اذا لم نستطع الوصول اليه فليس أمامنا الا المقارنة بالروايات الشبيهة فى الوثائق الأخرى .

وبهذه الخطوة نكون قد انهينا المهمة الرئيسية فى النقد التاريخى للوثائق وهى اثبات صحة الوثائق والتحليل بأنواعه .

ولم يبق الا الصياغة والترتيب واستخراج المعلومات التى دلت عليها الوثيقة لكن تبقى هناك ثغرات وفجوات على المؤرخ أن يسدها بالاجتهاد وهذه المرحلة تسمى بالاسترداد أو الاستبطان أو اعادة البناء التاريخى وتعتمد على الخيال الخصب والموهبة.(١)

النتيجة أو المقارنة :..

من استعراضنا لمنهج علماء الحديث فى نقد "المتون" أو "النصوص" ومنهج النقد التاريخى الأوربى تتضح مجموعة من الحقائق التى ينبغى التنبه لها وهى :..

١ - لا صحة للقول بأن العلماء المسلمين قد قصروا فى نقد المتون وأن أعمالهم النقدية كانت شكلية ، تعتمد على نقد السند فحسب . وهذا الادعاء تدفعه المباحث الكثيرة والمفصلة فى علم المصطلح حول علل المتن وشذوذه ويدفعه التطبيق العملى لممارسة نقد المتن من قبل العلماء المتخصصين فى هذا الشأن . ولكن الذى جعل المستشرقين وأتباعهم فى العصر الحديث(٢) يطلقون هذه التهمة هو ماوجدوه فى منهج نقد المحدثين من التكامل وسد باب القول فى الحديث النبوى بدون علم ولا ايمان وقصرهم ذلك على العلماء الحفاظ الثقات المتقنين الممارسين للآثار النبوية العاملين بها . وقد تقدم قول ابن القيم فى هذا ،وقد قال الشافعى رحمه الله " ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه الا بصدق المخبر وكذبه الا فى الخاص القليل من الحديث"(٣) قال البيهقى : " وهذا الذى استثناه الشافعى لا يقف عليه الا الحذاق من أهل الحفظ . فقد يزل الصدوق فيما يكتبه فيدخل

---

(١) عبدالرحمن بدوى ، مناهج البحث التاريخى ص ٢٢٠ .
محمد محمود صبحى فى فلسفة التاريخ ص ١٦ .

(٢) أنظر حول هذا نورالدين عتر ، منهج النقد فى علوم الحديث ص ٤٦٠ وما بعدها
ومصطفى السباعى السنة ومكانتها فى التشريع ص ٢٧ - ٢٦٠ .
ومحمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين ص ٢٥٤ - ٢٥٦ .

(٣) البيهقى ، دلائل النبوة ١/ ٢٩ .

له حديث في حديث . فيصير حديث روى باسناد ضعيف مركبا على اسناد صحيح وقد يزل القلم ويخطئ السمع ويخون الحفظ . فيروى الشاذ من الحديث عن غير قصد فيعرفه أهل الصنعة الذين فيضهم الله تعالى لحفظ سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم على عباده وذلك بكثرة سماعه وطول مجالسته أهل العلم به ومذاكرته اياهم" (١) . فمعرفة علل الحديث من أجل العلوم ولا تظهر الا للجهابذة (٢) من أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب ولهذا لم يخض غماره الا القليل من أمثال علي بن المديني ويحيى بن معين وابن حنبل والبخاري والرازيان والدارقطني ، ولذلك قالوا في تعريف . . الحديث المعلل : " والمعلل خبر ظاهره السلامة اطلع فيه بعد التفتيش على قادح" (٣) وقالوا "العلة سبب غامض خفي قادح في صحة الحديث مع ظهور السلامة منه" (٤) ولهذا لما قيل لعبد الرحمن بن مهدي " انك تقول للشيء هذا صحيح وهذا لم يثبت فعمن تقول ذلك . قال : أرأيت لو أتيت الناقد فأريته دراهمك فقال هذا جيد وهذا ستوق وهذا بهرج (٥) . أكنت تسأل عمن ذلك أو تسلم للأمر ، قال : بل كنت أسلم الأمر اليه . قال فهذا كذلك لطول المجالسة والمناظرة والخبرة" (٦) .

فهؤلاء الناقدين على المحدثين منهجهم دون الاعتماد على النظر العقلي وحده وأن يكون النقد مشاعا لكل من أراد سواء كان من أهل الصنعة والعلم أو من أهل الجهل والفسق " وهذه الفكرة ليست من اختراع المستشرقين وانما هي تجربة سبقت في تاريخ

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الجهبذ : كدرهم وهو النقاد الخبير بغوامض الأمور العارف بطرق النقد وهو معرب (الزبيدي تاريخ العروس مادة جهبذ ٢ / ٥٥٨ ط دار الحياة بيروت .

(٣) المعلل في الحديث لهمام عبد الرحيم سعيد ص١٨ وينقل ذلك عن فتح المغيث ص٥ ١٠ .

(٤) علل الحديث ومعرفة الرجال لعلي بن المديني تحقيق عبد المعطي قلعجي ص١٠ .

(٥) ستوق . يقال درهم ستوق أي زيف . أنظر مختار الصحاح ٢٨٦ . والبهرج : الباطل والرديء من الشيء يقال درهم بهرج ، (نفس المصدر ٦٧ .

(٦) البيهقي ، دلائل النبوة ١ / ٢٦-٣٠ .

المسلمين من أيام المعتزلة الذين جعلوا الرأي وحده يتحكم في المتون سلبا وايجابا . نفيا واثباتا وقد أسفرت عن أسوأ النتائج وأغرب التناقضات فرفضوا المتون الصحيحة لمجرد بعدها عن خيالاتهم ومألوفاتهم .. واذا بهم يبلغون من الاسفاف مبلغا عابيا حيث راحوا يحتكمون الى المشاهدات المادية المعتادة . يقيسون عليها ما ورد من النصوص في عوالم مغيبة كالأحاديث في الملائكة أو الجن أو المعجزات ينكرونها أو يتأولونها تأويلات مزيلة حتى خرجوا بذلك عن نصوص الاسلام القطعية" (١) .

الحقيقة الثانية : تكامل منهج النقد الاسلامي وتدوين قواعده منذ القرن الثالث الهجري حيث نقدوا النصوص ونقدوا حملة النصوص ورواتها مما أنتج لهم علم الاسناد المتصل الصحيح الذي هو من خصائص هذه الأمة الاسلامية كما أنتج لهم مجموعة من المعارف والعلوم كعلم الرجال وطبقاتهم ورحلاتهم وتواريخ المدن والمراكز العلمية وعلم الجرح والتعديل وكان من ثمرات هذه العلوم أن حفظت الأمة تاريخها الثقافي والعلمي بأدق تفاصيله ومراحله .

الحقيقة الثالثة : أن منهج النقد التاريخي عند الأوربيين لم توضع قواعده بشكل منظمة الا في القرن التاسع عشر الميلادي أي بعد معرفة المسلمين لقواعد النقد بعشرة قرون كاملة أو أكثر ولا بد أنهم استفادوا من قواعد النقد عند المسلمين أثناء صلاتهم بهم عن طريق معابر الحضارة سواء في الأندلس أو جزائر البحر المتوسط أو أثناء الحروب الصليبية وهذا يظهر في التشابه الموجود بين المنهجين في بعض الخطوات كنقد المصدر والنقد الباطني بنوعيه الايجابي (تفسير النص ومعرفة لغته) والسلبي لمعرفة عدالة الراوي وصدقه ولمعرفة دقته (أي مقدار ضبطه وحفظه) ولا شك أن مقاييس العدالة والضبط تختلف تبعا لاختلاف التصور .

---

(١) نور الدين عتر ، منهج النقد في علوم الحديث ص ٤٧١ .

الحقيقة الرابعة : منهج النقد التاريخي في ظل التصور الغربي الذى لا يؤمن بالرسالات السماوية وخاصة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أو يؤمن بأنها خاصة بالعرب على أحسن الأحوال ، والذى لا يؤمن كذلك بالغيب غير صالح للتطبيق في الدراسات الاسلامية . ونحن قد أفدنا الكثير مما وفق علماء المسلمين من تقنين هذه القواعد المنهجية وتطبيقها عمليا في مجال الدراسات الحديثية بأدق ما يمكن بلوغه من الطاقة البشرية وان كان هذا التطبيق العملي لم يتم في مجال الدراسات التاريخية بنفس الدقة والشمول لأسباب وعوامل مختلفة .

وهذه القواعد التي قررها علماء الحديث أولى بالاقتداء بها وتطبيقها في التاريخ الاسلامي من منهج النقد التاريخي الأوربي - لما بين التاريخ الاسلامي والحديث النبوى من التوافق في المنطلقات والمبادئ والتصورات المشتركة . لأن قواعد نقد الحديث قد وضعها علماء مسلمون . والتاريخ المطلوب تطبيق تلك القواعد على دراسته هو تاريخ المسلمين فالتوافق الفكرى والمنطلق العقيدى مشترك . بينما قواعد النقد التاريخي التي تسود معظم الدراسات التاريخية المعاصرة وتطبق في معظم الجامعات الاسلامية - مع الأسف - قد وضعها علماء أوربيون من واقع تجاربهم ودراساتهم لتاريخهم سواء القديم منه أو المعاصر وهي لا تسلم - ولا شك - من لوثة التفكير الجاهلي . لأن المنهج جزء من التصور ، وخاصة مناهج العلوم النظرية ، لأن المناهج لهذه العلوم ليست أدوات ممكن أن تخدم أكثر من تصور كما في مناهج العلوم المادية . لأن واضع المنهج لم يضعه من فراغ وانما من واقع تصورات وأفكار ، ومبادئ ، يؤمن بها ويدافع عنها ويرجو من هذه القواعد التي وضعها أن تحققها له . وانما الذى يمكن التساهل في الأخذ به هو مناهج العلوم المادية .

التميز فى منهج التفسير للحوادث

تفسير التاريخ يقصد به معرفة الروابط التي تربط الأحداث والوقائع المتفرقة ودراستها لتبين دوافعها وارتباطاتها ونتائجها واستخلاص السنن والنواميس الالهية من خلالها والاعتبار بالدروس والعظات فيها . وهو مرحلة تأتي بعد التحقيق والنقد للأخبار فما ثبت من الوقائع والأحداث هو الذى يفسر وتدرس ارتباطاته ويتعرف على دلالته وآثاره وهذا الجانب من الدراسة (ادراك دلالة الحوادث وارتباطاتها) ملحوظ بكثرة فى القرآن الكريم سواء فى عرض القصص الواقعي لتجارب العديد من الجماعات البشرية ومواقفهم من أنبياء الله ورسله . أو فى التعقيبات التى ترد بعد كل واقعة تاريخية فى عصر الرسالة ونزول الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما سمى عند المفسرين بأسباب النزول . أو فى التوجيهات والتحذيرات التى تأتى بعد سياق الحوادث التاريخية لأجل تقرير المقاييس والقيم وتصحيح المفاهيم وأخذ العظات والعبر من خلال عرض تلك المواقف.

" والقرآن الكريم لا يقدم قصصه ومشاهداته لمجرد الترف الذهنى واشباع حاجة المؤمنين الى القصص والمشاهدات . ولا لنزعة (أكاديمية) تسعى الى تتبع ما حدث فعلا دون اكتراث للمدلولات الكبرى لهذا الذى حدث وارشاداته الأخلاقية .

فالقرآن يجئ بمعطاياته التاريخية من أجل أن يحرك الانسان صوب الأهداف التى رسمها الاسلام ويبعده عن المزالق التى أودت بمصائر مئات من الأمم والشعوب ،.

كما يجى بالقصص والأحداث التاريخية من أجل ابراز الفروق الحادة بين المجتمعات الوضعية والمجتمعات الاسلامية على مدار التاريخ لكى يوضح أنه لا يوجد فى كل العالم الا أمتين أثنتين ،أمة الحق ، وأمة الباطل . فالحركة هى هدف العرض التاريخى لا مجرد السرد والاستقصاء والقرآن يقدم أصول منهج متكامل فى التعامل مع التاريخ البشرى ، والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع (فحسب) الى محاولة استخلاص السنن التى تحكم الظواهر الاجتماعية والتاريخية "(١)

---

(١) عماد الدين خليل ، التفسير الاسلامي للتاريخ ص ٨ - ٩ "بتصرف".

والمنهج الاسلامي في تفسير الحوادث مستقل عن كافة المناهج الوضعية ومتميز عليها باستمداده من المصادر الشرعية - الكتاب والسنة - والعلماء المسلمون عرفوا هذا المنهج في تفسير التاريخ والنظر الى حوادثه ، وقد استفادوه من طريقة القرآن في عرض الأحداث التاريخية ودعوته الى ادراك السنن والافادة من التجارب البشرية السابقة - وان لم يفردوا ذلك بمؤلفات مستقلة - حيث كانت الصورة واضحة في أذهانهم عن الهدف من دراسة التاريخ ، يدل على هذا اختيارهم (١) لعناوين كتبهم وبيانهم للهدف الذي من أجله كتبوا هذه الكتب . وتعقيباتهم على بعض الأحداث . ولكنهم لم يشاؤا التدخل بالتفسير والتحليل حتى لا يفرضوا على القارئ رأيا معينا ولكي لا ينسلطوا على فكره بتوجيه أو تحليل محدد للحدث . كما أن القارئ في العصور الاسلامية الأولى كان لديه من الفهم لعقيدته واسلامه وادراك مقتضياتهما ما يجعله يدرك الحق من الباطل والمقدرة على وزن الأمور والأحداث بميزان الكتاب والسنة .

أما المسلمون في العصور الحديثه فانهم قد أصيبت مفاهيمهم بانحراف حيث انحسر مفهوم الاسلام لديهم حتى حصر في شعائر التعبد من الصلاة والصوم والحج وفصل بينه وبين الحياة في الواقع العملي في كثير من بلاد المسلمين مع محاولة التأصيل الفكري لهذا الانحراف بنشر الأفكار العلمانية . وتحريف التاريخ الاسلامي وتفسيره على وفق المناهج الغربية وكان للمدرسة الاستشراقية وتلاميذها في العالم الاسلامي أكبر الدور في ذلك فزاحمت المفاهيم الجاهلية - غربية وشرقية ومحلية - المفهوم الاسلامي في تفسير التاريخ خاصة بعد التضخيم الأوربي لمناهج التفسير التاريخي أو ما يسمى " فلسفة التاريخ " وتوسعهم في أسباب وعلل الحوادث ، واعطاء التاريخ أهمية أكبر من حجمه الحقيقي بل لقد جعلوه مصدر الهام وطلبوا منه اعطاء

---

(١) أنظر مقدمة الطبري لكتابه ولاحظ تسميته له " الرسل والملوك " وأنظر أيضا مقدمة خليفة بن خياط لكتاب التاريخ له وكذلك مقدمه الأصمعي لكتابه " أخبار ملوك العرب البائدة الأولية " والذي طبع باسم تاريخ العرب قبل الاسلام . وقد سمى أحمد بن محمد مسكويه كتابه تجارب الأمم .

التصور عن الكون والحياة والانسان وتفسير الطبيعة (كما يقولون) فأدى بهم خطأ التصور عن التاريخ الى أن وضعوه فى منزلة الاله الذى يتلقى منه نظام الحياة والتصور الصحيح عن الكون والانسان ويستفتى فى حل المشكلات . ونظرا لعدم انطلاقهم من عقيدة ثابتة وتصور واحد فانهم قد تعددت مذاهبهم بحسب مشارب العقول والثقافات والأهواء والرغبات .

مما أوجد مذاهب فى التفسير متعددة ومتناقضة مثل التفسير (١) المادى (الماركسى)

---

(١) التفسير المادى "الماركسى " للتاريخ يقوم على تصور معين وفلسفة شاملة فى تحليل الكون والانسان والتاريخ . فالمادة فى نظره هى أصل الكون ، والانسان قد نشأ منها بالتطور والارتقاء ، وليس ثمة قوة أخرى غير الطبيعة قد أثرت فى نشوئه وارتقائه والعامل الحاسم المسير لهذا التطور هو " وسائل الانتاج " وهذه الوسائل هى التى تحدد نوع العلاقات الاقتصادية فى كل مرحلة من مراحل التطور التى مرت فيها البشرية (كما يزعمون) وهذه الوسائل هى التى تحتم نوع العلاقات الاجتماعية والعقائدية والمذاهب الأخلاقية بل الحياة العلمية والفكرية والروحية بكاملها ، فكل تغير فى وسائل الانتاج يحدث عنه تغير فى هذه العلاقات ، فالأديان والأفكار والأخلاق كلها تتغير وتتبدل حسبما تفرضه وسائل الانتاج من تغير وتبدل حتمى ولا دور للانسان فيه !!! ومن طبيعة العلاقات الاقتصادية تقسيم الناس الى طبقات تختلف حسب تسلطها على وسائل الانتاج فيقع الصراع بين طبقات المجتمع لأن الطبقة المالكة لوسائل الانتاج تتمسك بسيادتها بينما الطبقة المحرومة (طبقة العمال) تسعى الى ايجاد وسائل جديدة فى الانتاج وتبعا لذلك تمتلك السيادة ، والخلاصة أنهم يرون أن التاريخ البشرى كله يعيش فى صراع وتبدل فى قيمه وموازينه حسب تبدل وسائل الانتاج وتطورها . ويرون أن المجتمع البشرى ابتدأ بالشيوعية البدائية (الجماعية) ثم بسبب اكتشاف وسائل الانتاج تحول الى نظام الطبقات القديم (سادة وعبيد) ثم بفعل تطور جديد فى وسائل الانتاج تحول الى مرحلة الاقطاع ثم انتقل منها الى الرأسمالية (رأسماليين وعمال) ثم انتقل الى الشيوعية حيث تنعدم الطبقات - كما يزعمون - وهذا كله ضرب من الفرضيات التى لا دليل عليها بل الدليل ضدها فى كل نقطة ويكذبه الواقع المعاش للشيوعية المعاصرة . وليس هذا مجال الرد التفصيلى عليها ، وللنقد التفصيلى للنظرية المادية فى تفسير التاريخ أنظر أحمد العوايشه " موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ " رسالة ماجستير فى كلية الشريعة بمكة . ونشرت ضمن مطبوعات مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بمكة =

والتفسير المثالي عند (هيجل)(١) ....

= "الباب الثاني بكامله . وأنظر كذلك د / نعمان السامرائي ، أضواء على تفسير التاريخ ص ١٢-٢٢ فقد أبطلها من تسعة عشر وجها . ولبيان المذهب المادي في ذاته . أنظر قسطنطين زريق ، نحن والتاريخ ص ٣٦-٤٠ ، عماد الدين خليل ، التفسير الاسلامي للتاريخ ص ٤٤-٤٨ .

(١) هيجل فيلسوف ألماني عاش في الفترة من ١٧٧٠-١٨٣١م وله فلسفة في المنطق والمعرفة وتفسير الوجود والتاريخ والأخلاق والفن والدين . وهذه الفلسفة تقوم على مبدأ النقيض أو علاقات التضاد بين الأفكار والأشياء فهو يرى أن كل فترة أساسية في تاريخ الحضارة تمثل وحدة مستقلة . وكل فترة أساسية تنمي فكرتها الرئيسة الى الحد الأقصى ثم تولد أضدادها أو نقائضها . ويستمر الصراع دائما فتتحد المبادئ المتناقضة في وحدة عليا (هي الموحد) وهذا الموحد يندفع مرة ثانية الى الحد الأقصى . وينشب صراع جديد فيتولد حينئذ مرة أخرى موحد يحوي ما هو فعال من كل من الفرضية ونقيضها وبهذا الاسلوب الثلاثي "الفكرة ونقيضها وموحدهما" أو ما يسمى "الدعوى ونقيض الدعوى وجامع الدعوى" تتقدم الفكرة حتى تصل الى المطلق الذي نستطيع أن نبقى نتأمله دون أن نتبين فيه أي تناقض (تفسير التاريخ للصديقي ص ٦٢) وهذا مثال يوضح ذلك . ظهر المذهب الأبيقوري وهو مذهب فلسفي يوناني يرى أن الخير في اللذة وانتهى الى المنفعة المادية (هذه فكرة) .

- ثم بعد ذلك ظهر المذهب الرواقي . وهو مذهب فلسفي يوناني كذلك . ويرى أن الخير في سيطرة العقل على الشهوة وانتهى الى التقشف (وهذه فكرة مضادة للأولى) .

- ثم ظهرت بعد ذلك المسيحية وهي في نظر هيجل وسط بين الحالين فهي موحد بين النقيضين في صورة أعلى وبموجب هذه الفلسفة يفسر هيجل التاريخ ويرى أنه ليس سوى حركة جدلية تبدأ في ظهور فكرة أو رأي أو قضية ثم ظهور فكرة أو رأي أو قضية مضادة للأولى ثم تتحد القضيتان أو تقضي احداهما على الأخرى وتظهر بصورة معدله (أنظر المسألة الاجتماعية لعمر عودة الخطيب ص ٤٢) .

والتاريخ العام كما يتمثله هيجل ليس التاريخ المعروف ، رواية تاريخ أحداث الأولين . وليس التأمل الذي يود أن يفسر الوقائع ويربط بينها ليستخلص دروسا عملية من الماضي .. لكنه كما يراه هيجل التاريخ الذي يشرف على الاحداث من وجهة نظر كلية غير خاضعة للزمن وهي وجهة نظر عقليه لأن العقل في نظره جوهر التاريخ والعقل كما يراه هو =

والتفســـير الحضـــاري (١) .... ،

= الذي يحكم العالـــم ،

يقول هيجل "اننا نستنتج مجرد استنتاج من تاريخ العالم أن تطوره كان دائما صيرورة عقلية وأن هذا التاريخ قد أنشأ الطريق المنطقي الضروري لروح العالم تلك الروح التي طبيعتها دائما واحدة لا تتغير والتي تفرض هذه الطبيعة في ظواهر وجود العالـــم (تفسير التاريخ للصديقي ص٦٥) .

ويقول أيضا (ان التاريخ حركة منطقية وهو في الغالب سلسلة من الثورات يستخدم فيها المطلق الشعوب اثر الشعوب والعباقرة اثر العباقرة أدوات في تحقيق النمو والتطـــور (قصة الفلسفة لديورانت ص ٣٨٠) .

فهيجل يرى أن كل تغيير أساسي سواء في عالم الأشياء أو الأفكار هو من فعل "المطلق" الذي يقرر حركة التاريخ عن طريق روح العصر. ولقد استفادت النظريات المادية وخاصة الماركسية من الجدل الهيجلي وطبقته في مجال الاقتصاد فقالت ان كل تغيير أساسي في عالم الأشياء والأفكار انما هو من فعل الاقتصاد ، وبذلك عبرت الماركسية على جسر الهيجلية وفلسفتها في المعرفة وتفسير التاريخ أو كما يقول ديورانت (لقد فقس هيجل الاستاذ الامبراطوري بيض الاشتراكية (قصة الفلسفة ص٣٨٢) .

(١) التفسير الحضاري للتاريخ مذهب قال به الكاتب الانجليزي أرنولد توينبي في كتابـــه "دراسة للتاريخ" والذي صدر في اثني عشر جزء في الفترة من ١٩٢١م الى ١٩٦١م. وقد جعل ميدان دراسته هو المجتمعات أو الوحدات الحضارية فدرس احدى وعشرين حضارة كلها اندثرت ولم يبق منها اليوم سوى خمس حضارات هي المسيحية الغربية ، المسيحية الشرقية الارثوذكسية ، الاسلامية ، الهندية وحضارة الشرق الأقصى ويرى أن هـــذه الحضارات الباقية هي في دور الذبول والانهيار ماعدا الحضارة الغربية فانه توقف فيهـــا ولم يتوقع لها مصيرا محددا ومذهبه في التفسير للأحداث التاريخية يقوم على ملاحظـــة جانبين هما الجانب المادي والجانب الروحي وهذا في الحقيقة خطوة متقدمة في فهـــم التاريخ وادراك العوامل التي تؤثر فيه ولكن نظرا لثقافته النصرانية التي تؤمن بالفصل بين الدين والحياة وترتضي الشكل العلماني في جانب واللاهوتي في جانب آخر فـــان دراسته قد جاءت ناقصة لاغفالها بعض مقومات الحدث التاريخي وفهمها المشوش لمـــا أدركته من عناصر.

وفي نشوء الحضارات يرفض توينبي القول بوجود حضارة واحدة هي الحضارة الغربية ويرفض كذلك التفسيرات العرقية أو الجغرافية كسبب وحيد في نشوء الحضارة ويجعـــل =

والتفســـير القومـــى (١) ....

= السبب فى نشوء الحضارات هو (التحدى والاستجابة)أى أن مجموعة من العوامل المادية والبشرية تتحدى المجتمع فتثير فيه روح الاستجابة المنتصرة على هذا التحدى ويحشد توينبى لنظريته هذه مجموعة من الشواهد التاريخيه فيستعرض قصة آدم مع الشيطان ، وقصة المسيح عليه السلام وتحديه للشيطان كذلك وأيضا الهجرات التى كان سببها الجفاف الى غير ذلك. فاذا كانت الاستجابة مثيرة لتحد جديد فان هذا يؤدى الى ارتقاء الحضارات ، والعناصر التى تقوم بالاستجابة الناجحة فى المجتمع هى أقلية مبدعه والجماهير (البروليتاريا) الداخلية تقوم بالمحاكاة لهذه الأقلية المبدعة أما اذا توقف الابداع فى هذه الأقلية فانها تتحول الى أقلية مسيطره فيرى المجتمع على طغيانها بسحب الولاء والثقة مما يحدث الاضطرابات وتبدأ الحضارة فى الانهيار ثم السقوط حيث تستغل (البروليتاريا الخارجية) التى كانت تقف على الحدود هذه الفرصة فتبدأ بالهجوم والاستيلاء لتنشىء مكان هذا المجتمع القديم مجتمعا جديدا وهكذا يستمر التعاقب الدورى فى الحضارات كلما تسقط حضارة تخلفها حضارة جديدة أكثر استجابة للتحدى من الحضارة السابقة . وقد تأتى عناصر جديدة تستجيب للتحدى فتجدد شباب الدولة وتحول بينها وبين السقوط ، ونظريته هذه منتقدة حتى من زملائه الغربيين من أمثال (بترم سوروكن) و (بيترجيل) أنظر مقدمة مختصر دراسة فى التاريخ" ترجمة فؤاد محمد شبل ج٤) . وعماد الدين خليل ، التفسير الاسلامى للتاريخ ص٧-٩٤))

(١) التفسير القومى للتاريخ يهتم اصحابه بدراسة القوم المشتركين فى نسب واحد (عرق) وفى لغة واحدة ويعيشون على أرض واحدة وتجمعهم مصالح مشتركة دون النظر الى الدين والعقيدة وهذا التاريخ يتسع ليشمل القوم الناطقين بلغة واحدة مثل اللغة العربية ، أو الفرنسية ويضيق ليكون اهتمامه بالقومية المحليه سواء كانت وحدة سياسية مثل الدولة أو مدينة أو قرية صغيرة داخل الدولة . فيفسرون كافة الأحداث التاريخية وبواعثها بموجب هذه النظرة الضيقة ولذلك يجعلون التاريخ الاسلامى حلقة من حلقات تاريخ العرب ويفسرون أحداثه على أساس الصراع القومى بين العرب وبين أبناء الشعوب التى دخلت فى الاسلام يقول الكاتب العربى النصرانى قسطنطين زريق (ان للقومية معانى وخصائص اذا فقدتها فقدت جوهرها" وفى مقدمة هذه المعانى علمانية الحركة القومية وعلمانية الدولة التى يراد انشاؤها" ص٣٧ . ثم يتطاول فى القول - ويفتى المسلمين وهو نصرانى جاهل كافر - أن العلمانية ليست كفرا بالله تعالى ولكنها نقيم المجتمع على أساس علمانى!! وتنبذ كل عصبية طائفية وكل تمييز بين مواطن ومواطن على أساس العقيدة والدين . وبهذا المعنى تفهم القومية" و"الأمة "فى العصر الحاضر (نحن والتاريخ ص ٣٧ - ٣٨).

والتفسير بالغريزة الجنسية كعامل محرك للنشاط الانساني (عند فرويد)(١) وكل هذه التفسيرات ناقصة لأنها تنطلق من تصور خاطئ عن الانسان والكون والألوهية . وفوق ذلك لم تحسب حسابا لكافة العوامل المؤثرة في حركة التاريخ وانما اكتفى كل واحد منها بعامل ضخمه وفسر به تاريخ الانسان كله .

والعناصر التي يجب ملاحظتها عند التفسير التاريخي هي الانسان الذى هو محور الحركة التاريخية ما هو ؟ من هو ؟ وما هي وظيفته ؟ وما هو مصيره ؟ وما مدى استعداداته وقدراته الموهوبة له ؟ والعقيدة التي تسيره لأن الأفكار والتصورات ذات تأثير في توجيه الأحداث واتخاذ المواقف .

ولا بد أن يؤخذ في الحسبان مدى أثر العوامل الطبيعية (المادية) المحيطة بالانسان كالعوامل الجغرافية وعوامل الطقس وقبل هذه العوامل ومعها وبعدها قدر الله وأمره النافذ فانه لا راد لقضاء الله وأمره .

فلا بد من ملاحظة كل هذه العناصر الفاعلة في الحدث التاريخي والا كان التفسير ناقصا ثم لا بد - وهذا شئ مهم جدا - أن يكون لدى المفسر التصور السليم عن هذه العوامل وقدراتها والنسب الصحيحة للعلاقة بينها وأن يكون لديه الاستعداد لادراك مقومات النفس البشرية جميعها روحية وفكرية وجسدية .

---

(١) سيجموند فرويد عالم نفس يهودي تأثر بنظرية داروين في التطور وآمن بحيوانية الانسان وعلى هذا الأساس وضع نظريته النفسية في تفسير دوافع السلوك الانساني وقال ان كل نشاط انساني وكل حركة وكل موقف هو نابع من الغريزة الجنسية حتى الاخلاق والدين يفسرها على هذا النحو وأنها لم تكن أصلية في خلقة الانسان ونظرته وانما نشأت نتيجة العقد النفسية والخوف من المجتمع . وقد تلقف هذه النظريات النفسية أقوام ممن أمنوا بها ففسروا تاريخ البشرية على هذا الاساس من الدوافع الجنسية ويمثل هذا التفسير للتاريخ الاسلامي روايات جرجي زيدان التاريخية التي سماها روايات تاريخ الاسلام وقرن كل رواية بقصة حب ورغبة جنسية حتى جهاد الصحابة رضي الله عنهم جعل مدفوعا بدوافع الغريزة الجنسية". أنظر حول نظرية فرويد ، محمد قطب ، الانسان بين المادية والاسلام ص ٨ - ٢٠ ، والتطور والثبات في حياة البشرية فصل "اليهود الثلاثة".

وهذا لا يتوفر لغير المسلم . لأن صحة التصور عن هذه الأمور المؤثرة والفاعلة في الحدث التاريخي لا يمكن معرفته الا عن طريق الوحي المعصوم من الخطأ (الكتاب والسنة) فبواسطة التلقي من الوحي يعرف المرء المسلم هذه العوامل ويعرف قدر كل عامل منها وقيمته وتأثيره في التفسير . وصحة التصور تتطلب توفر عنصر "الغيبية" أي الايمان بالغيب وعنصر "الموضوعية" فان ما يسمى عند غير المسلمين بالموضوعية (وهي في نظرهم التزام أدبي لا غير) هي عند المسلم دين وعقيدة ومسؤلية يشعر بأن الله سيحاسبه عليها ان قصر. أما الايمان بالغيب فأمر لا يعرفه الكفار على حقيقته ولا يؤمنون به لأنهم لم يتلقوا في ذلك من شرع الله ومنهجه فهم بين منكر له بالكلية أو يحمل تصورات مشوشة وغير صحيحة عن ذلك. فانعدام الايمان بالغيب ، وضعف الموضوعية أو انعدامها - خاصة تجاه الدراسات الاسلامية - وخطأ التصور ، والانحراف في زاوية الرؤية كل هذه سمات مشتركة في مناهج التفسير التاريخي غير الاسلامي .

أما سمات منهج التفسير الاسلامي وخصائصه فهي الواقعية والتوازن والشمول والصدق فالتفسير الاسلامي تفسير واقعي لادراكه الصحيح لمقومات النفس البشرية وكذلك الحياة الانسانية معنوية ومادية فلا يهمل شيئا منها فالله سبحانه وتعالى يطلب من الانسان التسامي والارتفاع الى مستوى التكاليف الشرعية والالتزام بها الا أنه لا يستبعد وقوع الانحرافات والأخطاء من البشر (وان كانت غير شرعية) ولذلك لا ينبغي للباحث أن يتكلف في تفسيرها أو محاولة تبريرها وانما يسمي الأشياء بأسمائها فالخطأ خطأ بصرف النظر عمن صدر منه . لكن عليه أن يوضح ذلك في أدب المسلم وسمته واحترامه لأخيه المسلم .

- والتفسير الاسلامي تفسير متوازن فهو يلاحظ أن الأحداث التاريخية قدر من أقدار الله لكنه لا ينكر أنها عمل من أعمال الانسان فهو مسؤول عنها مسؤلية كاملة ، لأنه قد وهب من وسائل المعرفة والادراك اضافة الى الشريعة التي أرسل بها رسل الله عليهم السلام ما يجعله يفرق بين الحق والباطل والخير والشر.

— الامتداد والشمول الزمني . فالتفسير الاسلامي لا يغفل جانبا من الجوانب المؤثرة والفاعلة في الحدث التاريخي ومن ناحية الزمن يربط الماضي بالحاضر بالمستقبل بل ويمتد نظره الى أبعد من المستقبل القريب فينظر الى اليوم الآخر ويدرك أن هذه الحياة الدنيا بماضيها وحاضرها ومستقبلها ليست الا جزء يسيرا بالقياس الى الحياة الآخرة .

كما أن التفسير الاسلامي تفسير صادق لأنه ينبثق من القرآن الكريم والسنة المشرفة ولاعتماده على حقائق ايمانية مسلمة ، ثم هو يراعي ويعترف كافة العوامل ، دون تضخيم لبعضها أكثر من حجمه وتأثيره الحقيقي .

فهذه السمات والخصائص في منهج التفسير الاسلامي للتاريخ عموما . سواء تاريخ البشرية جملة أو تاريخ الأمة المسلمة هي التي تميزه عن بقية المناهج والمذاهب الأرضية .

أما ركائز المنهج وأدوات تنفيذه في الواقع العملي فهي التصور الصحيح لكافة قضايا العقيدة والشريعة ثم الرجال الصادقون المخلصون ثم المنهج العلمي السليم .

وسيأتي مزيد ايضاح لهذه الركائز في الفصل الرابع من هذا الباب .

ـ الفصـــل الرابـــع ـ

غاية منهج كتابة التاريخ الاسلامى ووسائل تحقيقه

غايـــة منهج الكتابـــة : . .

منهج كتابة التاريخ الاسلامى يقوم فى جانبه الفكرى والتصورى على المبادئ والقيم الاسلامية ، ويستمد من التصور الصحيح لقضايا العقيدة والايمان . ولذا فان غايته ووجهته ، مرتبطة بغاية العقيدة الاسلامية فهو يسعى لتكميل الغاية الأساسية من خلق الانسان ، وهى تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى باقامة شريعته فى الأرض . . ولذلك فان المسلم عندما يدون وقائع التاريخ وأحداثه وعندما يدرسها ، ينبغى أن لا يكون تدوينه ودراسته بدون غاية واضحة وهدف يخدم عقيدته وتصوره الايمانى .

انه لابد أن يربط خطه التاريخى بعقيدته ومنهجه لكى يستفيد من الأحداث التاريخية دروسا وتوجيهات مثمرة ، ولكى يدرك من خلال الوقائع سنن الله وقدره وهيمنته على الكون ، ومثل هذه المعرفة والادراك تزيد فى ايمانه وطاعته لله . وتتيح له الحصول على الثمرات التى يرجوها المسلم من دراسة التاريخ .

فالتزام الباحث بمنهج العقيدة . يرسم له طريقة التعامل مع الحدث وكيفية معالجته ودرسه ، وأخذ العظة منه .

وهكذا يتضح لنا أن الارتباط بالعقيدة الاسلامية فى تصوراتها وأحكامها هو الغاية الأولى فى منهج كتابة التاريخ عند المسلم ، فهو لا يخالف مبدءا ولا حكما منها ولا يناقضه لا فى كتابته وتدوينه للتاريخ ولا فى تفسيره لحوادثه .

بل عليه أن يستحضر تلك الأحكام والأهداف حال كتابته وأن يلتزم بها.(١) فالارتباط

(١) فمثلا النظريات الأوربية عن أصل النشأة الانسانية تقول بأمور مخالفة لعقيدة المسلم وتصوره عن أصل هذه النشأة ، فيقولون ان الانسان لم يخلق على هذه الصورة من أول مرة وانما مر بعمليات تطوريه بيولوجية طويلة المدى فتطور من الخلية الواحدة الى حيوان فقرى ثم الى نوع من القردة ثم الى انسان ، ومعنى هذا أنه وجد صدفة وبدون غاية وقصد وبدون =

بالعقيدة الاسلامية والانطلاق منها هدف وغاية . في المنهج التاريخي كما أن المنهج التاريخي يعتبر وسيلة من وسائل تثبيت العقيدة وتحقيقها في الواقع العملي . فالتلازم بينهما وثيق ككل عمل المسلم الذي يلتزم بعقيدته ويسعى لتطبيقها في واقع الحياة .

كما أن من غاية المنهج الاسلامي في دراسة التاريخ الكشف عن الحقائق التاريخية واظهارها والقول بالحق فيها وفقا للمفاهيم والمقاييس الاسلامية ، لأن المسلم مأمور باظهار الحق ، والقول به حتى ولو كان ذلك ضده أو ضد قومه أو عشيرته أو من يحبهم لأن الله لا يقبل منا تزوير الحقائق أو اخفاءها ، قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا " (١) ، وانما عليه أن يعرض ذلك ولكن في مجاله وحجمه الحقيقي دون تضخيم لهذه الأخطاء أو تشنيع بها وانما تعرض عرضا متزنا موضحا الظروف والملابسات التي صاحبت ذلك وأدت اليه ، وعليه أن يوضح الموقف الشرعي في مثل هذه الحالة وفقا للمقاييس والأحكام الشرعية . كما أن الخطأ يعتبر مجالا من مجالات التربية والاصلاح حتى لا يتكرر وقوع مثله مستقبلا .

= تدبير خالق عليم ، فالمسلم الملتزم بأحكام دينه لا يصدق بشئ من مثل هذا أو يدونه الا أن يكون حاكيا لذلك وناقدا له ، لأن هذا قول بدون دليل ثم هو مخالف للنصوص الشرعية في الكتاب والسنة .

وكذلك الحال مع أنظمة الجاهلية وآثارها وحضارتها لا ينبغي أن تعدو بها قدرها وواقعها التاريخي فلا تضخم أو تعظم ولا تزين للناس أو تمدح بل يجب بيان الحكم الشرعي في مثل هذه المخلفات وبيان مناقضة الأنظمة الجاهلية لعقيدة الاسلام ونظمه وبيان أن من مخلفاتها الحضارية ما يكون مضادا لعقيدة التوحيد أو وسيلة للانحراف عن منهج الحق وطريقا الى الشرك كما سنوضح ذلك في الفصل الآتي .

(١) سورة النساء آية ١٣٥ .

والأسوة فى ذلك طريقة القرآن الكريم فى عرضه للأحداث التاريخية . فانه لا يجامل المؤمنين فيخفى ما وقع منهم من أخطاء . وانما يذكر ما وقع منهم ويعيبه عليهم ويطلب منهم العدول عنه . كما أنه يذكر ما فى الجانب الآخر - الكفار - من خير أو شر ، قال تعالى : موضحا ما وقع من المؤمنين من المخالفة فى غزوة أحد " ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه ، حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون . منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة . ليبتليكم . ولقد عفا عنكم . والله ذو فضل على المؤمنين" (١) وقال أيضا فى نفس الموضوع "ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان . انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا . ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم" (٢) وقال تعالى "لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين" (٣) ففى الآيات السابقة نجد أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر ما وقع من بعض المؤمنين من أخطاء ولم يجاملهم بالسكوت على شئ من ذلك ولكنه أيضا لم يشنع عليهم بهذا الخطأ ويخفى الجانب الآخر من محاسنهم أو يوقعهم فى اليأس وعدم امكانية الاصلاح وانما طلب منهم تعديل الخطأ ووعدهم بالعفو والمغفرة .

وقال تعالى مبينا حال الأعراب ليعلمنا الاعتدال وعدم غمط الحق أو اخفاء الباطل . "الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم . ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم . ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم" (٤) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٢ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٥ .

(٣) سورة التوبة آية ٤٧ .

(٤) سورة التوبة آية ٩٧ - ٩٩ .

وقريبا من هذا المعنى قوله تعالى : " ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما "(١)

فالمسلم مأمور من الله بالعدل وقول الحق سواء كان له أو عليه . وقد مر فيما مضى من البحث ايراد الآيات التي تأمر بذلك . مثل قوله تعالى : " ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا . وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب "(٢) .

والمنهج الاسلامي في دراسة التاريخ منهج " وصفي " و " معياري " ، فهو يصف الحادثة التاريخية ويستكمل جوانبها ويتحقق من ذلك بكافة وسائل النقد واثبات الحقائق التي يتميز بها منهجه العلمي ثم لا يكتفي بهذا الوصف والعرض للوقائع التاريخية بعد أن يتحقق من صحتها وانما يحاول أن يزن هذه الوقائع بمنهجه المعياري وذلك وفقا للمقاييس والمفاهيم والتصورات الايمانية .

فالأحكام الشرعية والمفاهيم الايمانية هي الميزان (المعياري) الذي توزن به الأحداث والأشياء والقيم والنظم . قال تعالى : " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط "(٣)

وباتباع هذا المنهج في الدراسة تحصل العبرة والتوجيه ، وتتحقق الثمرة من دراسة التاريخ وهي تقويم سلوك الانسان بما يوافق الحق مع بيان خطر الانحراف واتباع الباطل وترك العمل بمنهج الله الحق .

ومن الغايات التي يسعى المنهج الاسلامي الى تحقيقها من دراسة التاريخ هي استخدام الأحداث التاريخية في تحقيق الأهداف التعليمية والتربوية لتقويم مسيرة الأمة والاسهام في رسم خط سيرها وتحديد ملامح مستقبلها .

---

(١) سورة آل عمران آية ٧٥ .

(٢) سورة المائدة آية ٢ .

(٣) سورة الحديد آية ٢٥ .

وقد أكثر القرآن الكريم وأكثر الرسول صلى الله عليه وسلم من استخدام الأحداث التاريخية وجعلها مجالا لتربية الأمة الاسلامية ، واعدادها الاعداد المتكامل فى كافة الجوانب العلمية والتطبيقة للمنهج الاسلامى ، وقد جعل الزمن كله ماضيه وحاضره ومستقبله ميدانا لهذا الاعداد وهذه التربية .

ففى الماضى عرض تاريخ الأمم السابقة وتاريخ الأنبياء والرسل . وبين مواقف تلك الأمم من الدعوة الى الله ومن رسولهم الذى أرسل لهم ثم أوضح نهاية كل أمة من هذه الأمم . وبين السمات المشتركة فى تاريخ هذه الأمم وفى مواقفها من أنبياء الله وعلى ضوء هذا الموقف من الرسول ورسالته يتحدد الحكم على كل أمة ويعرف مصيرها ونهايتها .

وفى الحاضر - وقت نزول القرآن - عرض القرآن كثيرا من أحداث السيرة النبوية ومغازى رسول الله . وبين مواقف الناس من الدعوة وأنهم ثلاثة أصناف مؤمن وكافر ومنافق وقد استخدم الأحداث التى تقع من هذه الاصناف فى تربية المؤمنين واعدادهم وفى كشف أعدائهم ودسائسهم خاصة المنافقين . وهى أحداث عاشوها مباشرة واشتركوا فى وقائعها ، فعقب عليها القرآن كاشفا عما فى هذه الأحداث والمواقف من الصواب وما فيها من الخطأ ، لكى يأخذ المسلمون الدروس كاملة ويعرفوا أسباب نصرهم وأسباب هزيمتهم . ومن المعلوم أن التربية بالأحداث المعاصرة أبلغ وأدعى للاستجابة وسرعة التأثر ، ذلك أن النفس البشرية تتأثر بالحدث الذى عايشت وقائعه أكثر من تأثرها بشئ آخر . فيكون استثمار هذا التأثر فى التربية والتوجيه الصحيح أضمن لسرعة الاستجابة .

وفى الزمن المستقبل وعد الله المؤمنين بالنصر والتمكين فى الأرض وجعل لهذا الوعد شرطا ، - هو عبادة الله وحده لا شريك له - مما حفز همم المؤمنين وجعلهم يعملون لتحقيق هذا الشرط لتحصل لهم ثمرته فى الحياة الدنيا ، وقد تحقق على أيدى الجيل الأول من هذه الأمة لما حققوا الشرط المطلوب فأورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها ومكن لهم فيها . ولا زال هذا الأمر يتحقق للمؤمنين فى مختلف العصور والبقاع كلما حققوا شرطه .

بل ان آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوضحت معالم المستقبل لما هو أبعد من الحياة الدنيا ، وهو الحياة الآخرة ، وما سيكون فيها من الأحداث ، لتوسيع نظرة المؤمن للحياة وللزمن وللتاريخ . فتكون زاوية الرؤية والنظر لديه أرحب وأشمل وأقدر في الاستيعاب والتحليل .

كما أن الشريعة الاسلامية قد أعطت أحداث آخر الزمان أو " الفتن والملاحم " وأشراط الساعة كثيرا من الاهتمام والايضاح حتى يكون المسلم على وعي تام ومعرفة بهذه الأحداث المستقبلية وهي أحداث تعطى اشارات وعلامات تذكر المسلم وتحثه على سلوك الطريق السوي ، ولذلك لا تفجأه مثل هذه الأحداث أو تعميه عن استبانة طريق الحق ، لأن الذي يعلم ويدرك سبب الأحداث ومصدرها يعرف كيفية تفاديها أو مواجهتها وهذا العلم يعطيه مقدرة على مواجهة الموقف . بخلاف الذي يجهل سبب الأحداث ومصدرها . فانه لا يدرك السنن الربانية وتفاجئه الأحداث وهو لا يعلم سببها الحقيقي فيورثه ذلك حيرة وقلقا .

ومن أهم الغايات التي يحققها المنهج الاسلامي في الدراسة التاريخية بيان فساد التصورات والعقائد الجاهلية ، وتعريتها ببيان تناقضها ليحذر المسلم منها ، وهذه الغاية مهمة جدا في حياة المسلم ليستقيم تصوره فلا يختلط بشيء من المفاهيم والتصورات الجاهلية ، لأنه كما قيل .

وبضدها تتميز الأشياء .

فالتصورات والقيم والمبادئ الجاهلية مضادة للايمان بالله . ومن مقتضيات الايمان بالله ، البراءة من التصورات الجاهلية والكفر بها . قال تعالى : " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى "(١) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦ .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه " ينقض عرى الاسلام عروة عروة من نشأ في الاسلام ولم يعرف الجاهلية " فمعرفة تاريخ الجاهلية وتصوراتها وقيمها ، يزيد المؤمن ايمانا وطمأنينة الى ما عنده من الحق ومعرفة بمسار الأفكار الجاهلية ودخائلها وحصانة ضد الوقوع في شيء منها . لكن لابد أن يسبق هذه الدراسه والمعرفه بتاريخ الجاهلية ونظمها ويصاحبها ، ايمان بالله صحيح واعتزاز بشريعة الله وفقه بالحلال والحرام . والا أنتت الدراسة معرفة شوهاء .

وسائـل تحقيـق المنهـج : . .

أما الوسائل التي يتحقق بها المنهج في الواقع العملي فهي تقوم على ثلاثة ركائز أساسية وهي التصور الصحيح المستمد من الشريعة في مصادرها المعتمدة ، ثم الرجال الأمناء الصادقون الذين يحملون هذا التصور ويعملون على تحقيقه في واقع حياتهم ودراساتهم وتوجيههم وتدريسهم ، وفي أخذهم وعطائهم ، وفي تحملهم للعلم وأدائهم له ، فانه بغير هذا الصنف من الرجال المخلصين لا يتحقق تطبيق المنهج المطلوب في الواقع لأنه لا يمكن أن يقوم على تطبيق المنهج الاسلامي في الدراسات التاريخية من لا يؤمن بالاسلام أو من لا يعرف التصور الصحيح في الايمان ولم يدرس الشريعة الاسلامية ويعرف مصادرها وأحكام الحلال والحرام فيها .

فالرجال العلماء بالشريعة الصادقون في علمهم وعملهم هم الذين يحقق الله على أيديهم مثل هذه الأعمال الضخام الخطيرة ، وقد امتدح الله الرجال المؤمنين الصادقين بقوله " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . الآية"(١) وبقوله تعالى : " في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة"(٢)

فالرجال الأمناء المخلصون هم الوسيلة التي تحقق المنهج في الواقع العملي .

وبعد توفر التصور الايماني الصحيح والعلماء الذين يحملون هذا التصور ويؤمنون به يأتي دور المنهج العلمي السليم الذي بتطبيقه واتباعه يكتمل تحقق المنهج الاسلامي في الكتابة التاريخية فانه بفقد المنهجية العلمية السليمة يفقد العمل كثيرا من مزاياه . بل دعامة من دعائمه فلا يستطيع الكاتب ولا القارئ تبين المعالم الصحيحة اذا لم يكن العمل منظما ومتبعا في اعداده المنهج العلمي السليم .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٣ .

(٢) سورة النور آية ٣٦-٣٧ .

وهذه الركائز الثلاث يكمل بعضها بعضا وان كان بعضها أكبر وأهم من بعض فالتصور الصحيح هو القاعدة الأساسية التي لا يتصور وجود عمل سليم مع فقدانها لأنها هي الدائمة والمهيمنة على كل ماعداها فهي منطلق أساسي ومركز محوري لكافة الوسائل والغايات وهي في نفس الوقت وسيلة من الوسائل . التي يتحقق بوجودها المنهج الاسلامي ، والرجال المخلصون هم الذين يحققون بعملهم التصور الايماني في الواقع العملي والسلوكي خاصة اذا امتلكوا المنهج العلمي السليم وأجادوا تطبيقه في دراساتهم ومؤلفاتهم .

ومن المعلوم أن المنهج بدون هذه الوسائل يبقى تصورات ومُثُلا في الخيال ولابد لتحقيقه في الواقع العملي من الرجال العلماء المؤمنين بهذا المنهج والذين يمتلكون منهجا علميا سليما في البحث والتحقيق ، واذا قام على تحقيق منهج كتابة التاريخ الاسلامي من لا تتوفر فيهم شروط العلم والاخلاص والأمانة فان المنهج يصاب بكثير من التحريف والتشويه .

ـ الفصـــل الخامـــس ـ

قواعد في منهج كتابة التاريـــخ الاسلامي

نحاول في هذا الفصل أن نوضح بعض القضايا والقواعد التي ينبغي على من يكتـب في التاريخ الاسلامي مراعاتها ، وبصفة خاصة في كتابة " تاريخ الصدر الأول " .

والقواعد التي سنذكرها ربما وردت الاشارة لبعضها فيما سبق من البحث ، غـير أننا أردنا ابرازها لمزيد الاهتمام بها . كما أن بعضها قد يكون من البداهة والوضـوح في التصور الاسلامي بمكان . ولكن نظرا للانحراف الذي وقع في فهم كثير من المسلمين فـي هذا العصر لدينهم . وغياب بعض التصورات الأساسية عن حسهم مما جعلهم يفهمونهـا بصورة منحرفة ومشوهة فقد أدرجناها ، مساهمة منا في تصحيح المفاهيم الأساسية في حيـاة المسلمين وهذه القواعد ممكن تصنيفها الى ثلاثة أقسام هي : . .

- قواعد في التصـور والاعتقاد .
- قواعد في المصـادر .
- قواعد في الأسلوب وطريقة العرض .

قواعد في التصور والاعتقـــــاد

١ - الايمان بوحدة الأمة الاسلامية : ..

من قواعد التصور والاعتقاد المستمدة من التاريخ الاسلامي الايمان بوحدة الأمـــة الاسلامية على مر العصور ، ومعرفة مقومات هذه الوحدة .

فلقد كان الناس أمة واحدة على الهدى ، ولكن بسبب من كيد الشيطان انحرف قسم منهم عن العقيدة الصحيحة وأطاعوا الشيطان فانقسمت البشرية منذ ذلك الى قسمين مؤمنين وكفار قال تعالى : " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنـزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه"(١) أي كان الناس أمة واحدة على دين واحد وملة واحدة فلما اختلفوا ووقع فيهم الشر أي بعث الله النبيين مبشرين للمؤمنين ومنذرين للكافرين ، وأنزل معهم الكتاب الذي فيه الفصل والحكم الحق فيما اختلفوا فيه .

وقال تعالى : " ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات. ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر"(٢) .

فالأمة في المفهوم الاسلامي هي جماعة من الناس ذات عقيدة واحدة وتصور واحـــد(٣) ومفاهيم مشتركة . فالجماعات الذين صدقوا الأنبياء واتبعوهم من آدم عليه السلام حـــتى آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم يعتبرون أمة واحدة هي الأمة المسلمة والذين كذبوا الأنبياء ولم يتبعوهم يعتبرون أمة واحدة وهي الأمة الكافرة ، قال تعالى : بعد أن ذكر جملة مــن الأنبياء " ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"(٤) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٣ .   (٢) سورة البقرة آية ٢٥٣ .

(٣) حول مفهوم الأمة ، انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٢ / ١٤٠٢ ، ومحمود شاكر التاريخ الاسلامي ١ / ١٥ ، ود / أحمد حسن فرحات "الأمة" في دلالتها العربية والقرآنية ١ / ٢٦٧ وما بعدها بحث نشر في الكتاب الذي أصدرته الندوة العالمية للشباب المسلم (اللقاء الرابع) تحت عنوان ((الاسلام والحضارة)) .

(٤) سورة الأنبياء آية ٩٢ .

فالأنبياء وأتباعهم أمة وأعداؤهم أمة . ومن هذا يتضح أن السمة التى تجمع الأمة هى العقيدة وأن توزيع البشرية ينبغى أن يتم على أساس العقيدة وليس على أساس عنصر النسب والعرق أو الأرض ولا على أساس اللغة ولا الاقتصاد ولا التاريخ المشترك وحده ولا المصالح والآمال والآلام وحدها .. وبذلك تكون وحدة الأمة فى المفهوم الاسلامى هى وحدة المفهوم والفكر أى وحدة "العقيدة" فالمسلم أينما كان ومن أى جنس كان وفى أى عصر عاش هو جزء من الأمة الاسلامية ووطنه وأرضه هى الأرض التى تقام فيها شريعة الله وعلى هذا الأساس والمفهوم قسم الفقهاء المسلمون الأرض الى دار إسلام ودار كفر . ووجب على المسلمين الجهاد لتحويل دار الكفر الى دار إسلام .

وهذا المفهوم لوحدة الأمة الاسلامية يتبعه وحدة التاريخ الاسلامى على مر العصور ووحدة الحضارة الاسلامية فى أطرها ومفاهيمها العامة . ودارس التاريخ يتوجب عليه ملاحظة هذه الرابطة المشتركة بين المؤمنين بالله على مر العصور فيدرس تاريخهم على أنه وحدة واحدة نظرا للاشتراك فى المفاهيم والدوافع والمؤثرات التى تساعد على صنع الحدث التاريخى وتشكيله .

والذى يقرأ سير الأنبياء عليهم السلام وتاريخهم كما ورد فى القرآن الكريم (١) . يجد هذا التوافق فى المواقف التاريخية والاتحاد فى المفاهيم والنظرة للأحداث . وهذا أمر لا يستغرب لأنهم كلهم يصدرون عن مشكاة واحدة ويتلقون عن رب واحد ويدعون الى رسالة واحدة فى قواعدها وأصولها .. وكذلك تاريخ المؤمنين بالرسل نجد فيه هذه المواقف والمفاهيم . وهذا يعبر عن قوانين ثابتة وسنن لا تتغير فى حركة الكون ومجرى التاريخ الخاضع لمشيئة الله وقدرته القائم بالحق .

---

(١) أنظر بشكل خاص ما ورد فى سورتى الأعراف وهود من سير الأنبياء ووحدة مواقف أقوامهم منهم رغم البعد الزمنى والمكانى فيما بينهم .

فيجب علينا دراسة التاريخ على أساس التوزيع العقيدى وأن تبرز وحدة التاريخ الاسلامى بسماته وخصائصه العامة ، وتبرز التاريخ الجاهلى بسماته العامة على مدار العصور . وهذا يجنبنا الأخطاء الناشئة من الدراسة على أساس التوزيع الجغرافى أو العائلى أو الزمنى ، والتى تفتت الوحدة العقيدية والرابطة الايمانية وتأتى بروابط بديلة من الوطن والقوم والانسانية . وتلون التاريخ الاسلامى وتصبغه بألوان غريبة عليه وعلى حركته ودوافع أهله وتوجهاتهم السلوكية والفكرية وتسلكه فى أطر ضيقة من هذه الحدود المكانية والعائلية .

٢ـ الحكم الشرعي في المخلفات الحضارية [١] : . .

ومن قواعد التصور والايمان معرفة القيمة الحقيقية لمخلفات الأمة وأثارها والحكم الشرعي فيها .

فالمسلم الذي يستمد تصوره من الكتاب والسنة ويهتدى بهديهما لابد له وهو يدرس تواريخ الأمم أن يزن آثار هذه الأمم ومخلفاتها التاريخية بالميزان الشرعي . ليعطيها القيمة الحقيقية على ضوء ذلك الميزان العادل فلا يغالي في تعظيمها وتقديرها كما يفعله فريق من الناس ولا يغمطها حقا هو لها .

والآثار المتبقية عن الأمم السابقة متنوعة فمنها ماله فائدة علمية أو مادية . مثل الوثائق والنقوش وقطع النقود ومثل الجسور والآبار والعيون والسدود والقناطر والطرق فهذه يستفاد منها وتكون قيمتها الحقيقة بقدر الخدمة التي أدتها أو تؤديها للناس . ولا يجوز تعظيم بناتها أو تقديسهم .

ومنها ما في وجوده وبقائه منافاة لعقيدة التوحيد مثل التماثيل والصور والأصنام وبيوت العبادة لغير الله . والمشاهد التي على القبور والمزارات فهذا النوع من الآثار يجب تحطيمه وازالته لأنه يجر الى الشرك وعبادة غير الله ومن أصول الاسلام سد كل الذرائع المؤدية الى المفاسد ولا شيء أفسد من الشرك وصرف أى نوع من أنواع العبادة لغير الله وهذا ما عمله رسول الله يوم فتح مكة حيث حطم الأصنام والطواغيت التي كان يعبدها العرب ويلحق بهذا النوع من المخلفات المادية المخلفات الثقافية والفكرية الضارة ككتب السحر والالحاد والتهتك والفجور .

وهناك نوع من المخلفات والأثار لا نفع فيه ولا ضرر منه لذاته مثل المباني الخربة وبقايا

---

(١) تناقش هنا الحكم في المخلفات المادية أما المخلفات الفكرية فسنعرض لها في قواعد المصادر .

الأسوار والحصون والبنايات الكبيرة كالاهرامات التى فى مصر ومثل ايوان كسرى فى العراق . فهذا النوع من الآثار يهمل ولا يعنى به لمجرد أنه أثر من الآثار لأن فى تلك العناية تعظيمها ولمن خلفوها وقد أهملها سلفنا الصالح بالفعل ولم يشغلوا أنفسهم بالمحافظة عليها وترميمها فضلا عن تنظيم الزيارة لها .

ولقد أرشدنا القرآن الكريم الى المنهج الذى نتبعه فى دراسة الأثار والوقوف عليها . وبين لنا الفائدة التى من الممكن أن نستفيدها من الوقوف على أثار السابقين .

وعرفنا على القيمة الحقيقية للآثار . فالعلم بتاريخ الأمم السابقة والتعرف على أثارها لكى يؤتى ثماره لابد أن يقترن بالعبرة والعظة التى تدفع الدارس والمشاهد والباحث الى تدبر أحوال نفسه وأسرته ومجتمعه . فلايدعها أو يدعهم يقترفون ما اقترف غيرهم من الأثام والأعراض عن منهج الله وعبادة مالم يأذن به الله فيهلكهم الله بعذاب أليم كما أهلك من قبلهم . لأن العلم بأمر الله وشرعه والنظر الصحيح والاعتبار المثمر فى أحوال السابقين وتقلبات الدهر بهم يساعد على تربية الفرد المسلم ليكون لبنة صالحة فى بناء المجتمع .

أما مايفعله كثير من الدارسين من الاكتفاء بالوقوف على الأطلال ودراستها دراسة وصفية جافة لا حياة فيها كقولهم انهم كانوا يستعملون من أدوات الطبخ كذا وكذا وطريقتهم فى الأفراح كيت وكيت وأنهم كانوا يحرثون بالمحراث الذى نعرث به..... وعصرالاهتمام بالمظاهر الشكلية من قياس الطول والعرض والحجم والمادة المستعملة .... الى غير ذلك .

ان هذه الدراسة الأكاديمية الجافة لا توقظ فى القلب شعورا ولا تنفخ فيه حياة . ولا تنير البصائر لتتأمل وتتفكر وتستفيد وتتعرف سنن الله وآياته فى الأنفس والآفاق . كما أنها لا تتمشى مع المنهج القرآنى فى عرضه آثار السابقين وطلبه منا أن نسير فى الأرض وننظر فى سيرنا نظر المستبصر المستفيد ،الباحث عن أسباب الدمار الذى حل بأصحاب تلك الآثار " قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين "(١) وقال تعالى " وكم أهلكنا من قرية

---

(١) سورة النمل آية ٦٩ .

بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين"[١] فالله يطلب منا أن يكون سيرنا في الأرض وبحثنا عن الآثار ودراستها بغرض ايقاظ القلوب والبصائر وبعث الحياة فيها . ومناجاة هذه الآثار والاطلال الباقية وسماع أخبارها سماع العظة والعبرة ومشاهدة آيات الله وقدرته وعقابه للمجرمين وانجائه للصالحين والتعرف على القيم الحقيقية التي تطيب بها الحياة وتعمر ، وتكون سببا للنجاة والفوز عند الله ، قال تعالى " فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد - أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور"[٢] .. وهذا التأمل في أثار السابقين ينتج عنه اتعاظ يتحول الى سلوك ونهج عملي في واقع الحياة ملتزم بأمر الله ونهيه . وقد جعل الله ذلك هداية للمستبصرين فقال " أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون"[٣] وقال "أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون"[٤] كما أنه قد جعل هذا التأمل والنظر في أثار السابقين في مقام الواعظ البليغ وجعله حجة على الغافلين حين ينزل بهم عذابه فقال تعالى : " وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال . وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم . وان كان مكرهم لتزول منه الجبال . فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام"[٥] .

---

(١) سورة القصص آية ٥٨ .

(٢) سورة الحج آية ٤٥-٤٦ .

(٣) سورة السجدة آية ٢٦ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٠٠ .

(٥) سورة ابراهيم الآيات ٤٤ - ٤٧ .

وفيما يلي نسوق بعض الآيات التي يتبين منها نهج القرآن وطريقته في عرض أخبار السابقين الذين أعرضوا عن منهج الله . ولفته أنظارنا للاتعاظ والعبرة بالشاهد الباقي من مخلفات القوم وآثارهم .

قال تعالى واصفا بعض ما وصلت اليه الحضارات القديمة من التقدم العمراني ،((أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها"(١) وقال تعالى : " وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير"(٢) ، وقال تعالى : " واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين"(٣) وقال تعالى : " وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين"(٤) وقال عن قوم هود عليه السلام "أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون"(٥) وقال عن قوم فرعون " كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين"(٦)

ولكن لما لم يستقم أصحاب هذه الحضارات على الصراط المستقيم ولم يصدقوا الرسل الذين بعثوا اليهم أهلكهم الله ودمرهم وأورث أرض بعضهم قوما آخرين"(٧) وبعضها بقيت خاوية خربة لتكون آية للمعتبرين(٨) . قال تعالى بعد أن ذكر جملة من الأقوام وتكذيبهم لرسلهم وكفرهم بالله (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا . ومنهم من أخذته الصيحة . ومنهم من خسفنا به الأرض . ومنهم من أغرقنا . وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون"(٩)

---

(١) سورة الروم آية ٩ . (٢) سورة سبأ آية ٤٥ .

(٣) سورة الأعراف ٧٤ . (٤) سورة الحجر ٨٢ .

(٥) الشعراء آية ١٢٨-١٢٩ . (٦) سورة الدخان ٢٥-٢٧ .

(٧) قال تعالى عن حضارة الفراعنة (كذلك وأورثناها قوما آخرين . فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين (الدخان ٢٨-٢٩) .

(٨) قال تعالى "تلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين" القصص ٥٨ " . وقال تعالى فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين" الأحقاف ٢٥ " . وقال تعالى " وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم" العنكبوت ٣٨ "

(٩) سورة العنكبوت آية ٤٠ .

وقال في موضع آخر " فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد "(١) أي أن كثيرا من القرى لما ظلمت أهلك الله أهلها فبقيت خاوية خربة غير مسكونة فانظر الى آبارها المعطلة وقصورها المشيدة ، تحكي واقعها الحضاري وتقدمها العمراني ولكن ذلك لما كان غير مصحوب بالايمان بالله واتباع رسله فانه لم ينفعهم، وقال تعالى موضحا أهمية التفكر والتدبر في آثار الغابرين "أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لأولي النهى"(٢) وقال " ولقد تركنا فيها آية بينة لقوم يعقلون"(٣) وقال " ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين"(٤) وقال عن قوم لوط " فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين . وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين"(٥) وقال عنهم في سورة الصافات " وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا في الغابرين . ثم دمرنا الآخرين . وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون "(٦)

•

ولما مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بديار ثمود - مدائن صالح - وهو في طريقه الى تبوك قال لأصحابه " لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين . وفي رواية " لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، الا أن تكونوا باكين . فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم الا ما أصابهم" ثم قرن صلى الله عليه وسلم القول بالفعل " فقنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي " وكان بعض القوم قد استقوا وعجنوا العجين فأمرهم أن يكفأوا الماء وأن يعلفوا العجين الابل . وقال استقوا من البئر التي كانت ترد عليها الناقة"(٧) فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

---

(١) سورة الحج آية ٤٥ .
(٢) سورة طه ١٢٨ .
(٣) سورة العنكبوت آية ٣٥ .
(٤) سورة الشعراء الآيات ٦٧ و ١٠٣ و ١٢١ و ١٣٩ .
(٥) سورة الحجر من آية ٧٣ - ٧٧
(٦) أنظر الآيات من ١٣٣-١٣٨ .
(٧) هذا الحديث أخرجه البخاري في أربعة مواضع من كتابه الصحيح من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في كتاب الصلاة ١/ ١١٢ وكتاب الانبياء ٤/ ١٢٠ وكتاب المغازي ٥/ ١٣٥ ، وكتاب التفسير ٥/ ٢١١ وأخرجه مسلم في كتاب الزهد من صحيحه ٤/ ٢٢٨٥ .

لا نمر بمساكن الظالمين وأثارهم وأن لا ندخلها الا باكين ومتعظين ومستبصرين وخائفين من أن يصيبنا ماأصابهم . لا أن نكون منبهرين ومعظمين لهؤلاء الظالمين أولاهين وغافلين يقول الاستاذ البهى الخولى تعليقا على هذا الحديث "ان الأثر العجيب اذا كان لظالم وأعجب به الانسان فقد أعجب بالظلم من حيث لا يدرى وأدخل على قلبه الفساد والجمود وهو لا يشعر وما الانسان الا قلبه الحى وضميره المعتبر الذكى فاذا فقده ، هان شأنه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا فانظر الى حرص رسول الله على حياتنا ويقظة بواطننا"(١) .

فكأن هذا الحديث مع ماقبله من الآيات يدلنا على الشرط فى دراسة الآثار والمنهج الذى ينبغي أن يتبع فى الدراسة ويوضح لنا القيمة المستفادة منها وهى العظة والاعتبار بما أصاب أصحاب هذه الآثار من الدمار والهلاك لما أعرضوا عن عبادة الله وتحكيم شريعته . وأن هذا سنة من سنن الله الثابتة فى كل من يعرض عن شرعه ويتبع هواه .

---

(١) البهى الخولى . تذكرة الدعاة ص ١١٦ .

٣ - الفهم الصحيح للقضاء والقدر :..

ومن القواعد المهمة فى منهج كتابة التاريخ الاسلامى الفهم الصحيح لعقيدة القضاء والقدر ، وهذه القاعدة الايمانية قد انحرف التصور الصحيح لها عند المسلمين المتأخرين فمنهم من أنكر ذلك وتنقص المؤمنين به ومنهم من فهم القضاء والقدر على أنه تواكل وخمول واستسلام مذل وكلا الموقفين منحرف ومجانب للصواب ، فالايمان بالقضاء والقدر وبعلم الله وتقديره لما كان وما هو كائن أمر لازم . لا ايمان لمن لم يؤمن به اذ هو أحد أركان الايمان " .. وتؤمن بالقدر خيره وشره "[١] . فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان وخلق أفعاله " والله خلقكم وما تعملون "[٢] .. فكل أحداث البشرية وأعمالها قد كتبت فى اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض . ولن يحدث فى الكون كله فضلا عن الأرض شئ يخالف مشيئته وقدره لما ثبت فى الحديث الصحيح "ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب . قال رب وماذا أكتب ؟ قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة"[٣] وفى الحديث الآخر " ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح ... الحديث"[٤]

---

(١) رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب المشهور فى قصة جبريل وسؤاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم ١ / ٣٧ .

(٢) سورة الصافات ٩٦

(٣) رواه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت ٤ / ٢٢٥ رقم ٤٧٠٠ ، ورواه الترمذى أيضا وقال حديث حسن صحيح غريب" أنظر تحفة الأحوذى ٦ / ٣٢٢ . وقد صححه الألبانى أنظر مشكاة المصابيح ١ / ٣٤ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٦٤ .

(٤) متفق عليه . أنظر ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٢ / ٢٠٧ .

فهذه الحقائق لابد من ادراكها والايمان بها واستحضارها عند مطالعة حوادث التاريخ لأن الايمان بها هو أحد عناصر التقويم والحكم على الحادثة التاريخية فمثلا أنتصار المسلمين على الروم فى معركة اليرموك . لو أردنا أن نبحث عن الأسباب التى أدت الى هذه النتيجة رغم أن القوتين غير متكافئة لا فى عدد الجيش ولا نظام التدريب ولا نوعية السلاح وكثرته .

فعدد الروم ستة أضعاف عدد المسلمين وجيش الروم جيش نظامى مدرب وجيد التسليح بينما الجيش الاسلامى قليل الأسلحة ضعيف التدريب ويقاتل بعيدا عن مركز خلافته . ومع ذلك حصل له الانتصار .

فلو بحثنا فى الأسباب المادية المنظورة لنا بحثا عقليا مجردا لما استطعنا أن نقبل نتيجة المعركة ، مما يضطرنا الى رد الأخبار الواردة بهذه المعلومات.

أما اذا بحثنا المسألة من زاوية نظر أوسع وهى أن الأمر ليس أسباب مادية لابد أن تتبعها نتائجها انما هناك قدر ومشيئة وخالق يدبر يؤت الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء . وأن الأسباب وحدها لا تؤدى الى النتيجة الا بقدر الله وتوفيقه . عند ذلك نقبل من هذه النتيجة ولا نستغربها .

فالمسلم الذى يؤمن بقضاء الله وقدره ومشيئته سبحانه المطلقة لا ينظر الى التاريخ على أنه قوالب جامدة من الأسباب والمسببات ، بل يراه حركة متجددة ومتغيرة مما يدل على أن هناك الها خالقا مدبرا عليما فوق الأسباب والمسببات فقد تكتمل الأسباب المادية فى عمل من الأعمال أو معركة من المعارك ومع ذلك لا تأتى النتائج .

وبهذا يتضح لنا أنه لكى يكون الحكم على الحادثة التاريخية صحيحا ومستكملا لعناصره لابد من الفهم الصحيح لعقيدة الايمان بالقضاء والقدر وأنها لا تعنى ترك التكاليف الشرعية وترك الأخذ بالاسباب المقدورة والاستعداد بكل الوسائل المستطاعة وبذل الجهد فى تحصيلها ، ولا يجوز لأحد أن يترك العمل احتجاجا بالقدر لأنه لا حجة فى ذلك فما يقع من الأقدار هو فى حقيقته أمر غيبى بالنسبة لنا ولذلك قال العلماء "القدر سر الله

فـي خلقه(١)" وقد نهي المسلمون عن الجدال في القدر(٢) . وورد في الحديث "اذا ذكر القدر فأمسكوا"(٣) .

فالتكاسل وترك العمل ليس مما يوجبه الرضا بالقضاء والقدر كما أن الاعتماد على الأسباب وحدها هو قطع للصلة بالمسبب والفاعل الحقيقي ، ولهذا قال الشيخ عبدالقادر الجيلاني(٤) "ان كثيرا من الرجال اذا وصلوا الى القضاء والقدر أمسكوا . الا أنا فاني انفتحت لي فيه روزنة . فنازعت أقدار الحق بالحق للحق"(٥) وقال شيخ الاسلام ابن تيميه في شرح هذه العبارة " والذى ذكره الشيخ هو الذى أمر الله به ورسوله . ولكن كثير من الرجال غلطوا فيه فانهم قد يشهدون ما يقدر على أحدهم من المعاصى والذنوب أو ما يقدر على الناس من ذلك بل من الكفر . ويشهدون بأن هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدره .

داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته . فيظنون الاستسلام لذلك وموافقته والرضى به ونحو ذلك دينا وطريقا وعبادة فيضاهئون المشركين الذين قالوا "لو شاء الله ما أشركنا

---

(١) أنظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨/ ٤٤١ . ونسبه في شرح العقيدة الطحاوية الى الخليفة الراشد على بن أبى طالب ، أنظر ص ٢٧٧ .

(٢) روى ابن ماجة في سننه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يختصمون في القدر . فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال (بهذا أمرتم؟ أو لهذا خلقتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض بهذا هلكت الأمم قبلكم) قال في الزوائد . هذا اسناد صحيح ، رجاله ثقات ١/ ٣٣ وقال الألبانى في تخريج مشكاة المصابيح اسناده حسن ١/ ٣٦ .

(٣) أبو نعيم حلية الأولياء ٤/ ١٠٨ وقد صححه الألبانى ، أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣٤) .

(٤) هو أبو عبدالله عبدالقادر الجيلانى نسبة الى جيلان ، تفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل وأخذ علم الطريقة من حماد الدباس بعد أن لبس الخرقة من أبى سعد المخرمى ثم تقدمت به الحال في الطريقة حتى نسبت له الطريقة القادرية وصار يلبس الخرقة لكبار المشائخ وله كرامات وأحوال كثيرة توفي ببغداد سنة ٥٦١ "ابن العماد الحنبلى شذرات الذهب ٤/ ١٩٨-٢٠٢" .

(٥) ابن تيميه ، العبودية ٥٢-٥٣ .

ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء"[١] وقالوا " أنطعم من لو يشاء الله أطعمه"[٢] وقالوا "لو شاء الرحمن ما عبدناهم"[٣] ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا أن نرضى به . ونصبر على موجبه في المصائب التي تصيبنا كالفقر والمرض والخوف ... أما الذنوب فليس للعبد أن يذنب وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب . فيتوب من صنوف المعايب ويصبر على المصائب"[٤] وقال في موضع آخر (... فان الله لم يأمرنا أن نرضى بما يقع من الكفر والفسوق والعصيان بل أمرنا أن نكره ذلك وندفعه بحسب الامكان كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان"[٥] والله قد قال " ولا يرضى لعباده الكفر"[٦] وقال " والله لا يحب الفساد))[٧] فكيف يأمرنا أن نرضى لأنفسنا مالا يرضاه لنا"[٨] وبسبب الانحراف في مفهوم القضاء والقدر وقع جملة من الكتاب المعاصرين[٩] في أخطاء شنيعة في تقديرهم

---

(١) سورة الأنعام ١٤٨ ،
(٢) سورة يس : ٤٧ .
(٣) سورة الزخرف : ٢٠ .
(٤) العبودية ص ٥٢-٥٥ .
(٥) الحديث رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري . أنظر ١/٦٩ .
(٦) سورة الزمر آية ٧ .
(٧) البقرة آية ٢٠٥ .
(٨) العبودية ص ٧٨
(٩) قال أحمد أمين في كتاب ضحى الاسلام ٣/٨١ وبنو أمية كما يظهر كانوا يكرهون القول بحرية الارادة لا دينيا فقط ولكن سياسيا كذلك . لأن الجبر يخدم سياستهم . فالنتيجة للجبر أن الله الذي يسير الأمور قد فرض على الناس بني أمية كما فرض كل شيء ودولتهم بقضاء الله وقدره فيجب الخضوع للقضاء والقدر" وقال شاكر مصطفى في كتابه دولة بني العباس ١/٢٨ "ان خلافة بني أمية تقوم على مبدأين ... المبدأ الثاني أن ما يتم على الأرض قائما هو بارادة الله لأن الانسان مسير لا مخير وفلسفة الجبرية كانت تقوم في أساس الفكر الأموي ، ولو أراد الله تغيير ما هو كائن لفعل" وقال الدكتور عفت الشرقاوي في كتابه أدب التاريخ عند العرب ص ٢٥٧ وكان عوانه يهتم بالصراع السياسي والحربي بين الامام علي وخصومه مع ميل الى تأكيد فكرة الجبر في تفسير حوادث التاريخ وهي الفكرة التي كان يحتج على بثها بين علماء المسلمين خلفاء بني أمية تأكيدا لسلطانهم السياسي" .

للدولة الأموية والحكم عليها حيث قالوا ان الدولة الأموية شجعت الاتجاه نحو الجبر والارجاء وقالت ان أعمالها لا تجوز معارضتها لأن من يعارضها يعتبر منكرا للقدر اذ لو أراد الله غير ذلك لكان . وقد أطلق هؤلاء الكتاب هذا القول دون أن يوردوا عليه دليلا ، وهذا يرينا مدى التشويه الذى يلحق تفسير حوادث التاريخ الاسلامى عندما توضع فى منظور غير اسلامى وعندما تنحرف المفاهيم والتصورات ، وهذا الفهم الذى ذهبوا اليه والحكم الذى حكموا به مبنى على الجهل بمفهوم القضاء والقدر وتوهم أن بينه وبين التكاليف الشرعية من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله معارضة ، وليس الأمر كذلك كما أوضحناه .

٤ ـ الايمان بالغيب : ..

ومن قواعد التصور والاعتقاد المهمة لدارس التاريخ الاسلامى الايمان بالغيب وهو أحد أركان الايمان . كما أنه من أخص صفات المؤمنين بالله ، قال تعالى فى أول سورة البقرة : " ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون "(١) .

فدارس التاريخ الاسلامى ان لم يكن مؤمنا بالغيب وصحيح التصور فى ذلك فانه لا يستطيع أن يعطى تقييما علميا وواقعيا لأحداث التاريخ الاسلامى وحركته الجهادية . لأن المجاهد المسلم عندما يقاتل فى سبيل الله يعلم أنه ليس وحده هو الذى يقاتل الكفار وأنه لا يقاتلهم بكثرة عدد الجنود ولا بتفوق السلاح واتقان الأعداد المادى وحده انما يقاتلهم بالايمان الصادق الذى يحمله وبما يعلمه من تأييد الله للمجاهدين الصادقين بما ينزله عليهم من السكينة وربابطة الجأش والطمأنينة وبما يمدهم به من الصبر وقوة التحمل وغير ذلك من

---

(١) سورة البقرة الآيات ١-٣ .

الوسائل المنظورة وغير المنظورة . فأحيانا ينزل الملائكة تقاتل الى جانبهم كما حدث في معركة بدر وغيرها من المعارك وأحيانا بما يجريه الله من العوامل الطبيعية كارسال الريح الشديدة التي فرقت الأحزاب عن المدينة . قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها . وكان الله بما تعملون بصيرا " (١) وقال صلى الله عليه وسلم " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور " (٢) وأحيانا بما يجريه الله على أيدي بعض المؤمنين من الكرامات كما جرى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة سارية بن زنيم (٣) التي رواها بن جرير الطبري في تاريخه (٤) وقال ابن كثير أنها رويت باسناد جيد حسن (٥) وكما في كتابته البطاقة الى نهر النيل (٦) عندما توقف فيضان الماء وكان له سنة عند القبط وهي تقديم جارية بكر " عروس النيل " تلقى فيه فيجرى . ولما أرادوا القاءها بعد فتح المسلمين لمصر قال لهم عمرو بن العاص ان هذا أمر لا يكون في الاسلام لأنه يهدم ما قبله وكتب بالخبر الى عمر بن الخطاب فقال له عمر أصبت ثم كتب بطاقة وأمره أن يلقيها في النيل وقال في هذه البطاقة " من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر . أما بعد فان كنت انما تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو مجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك " فلما ألقاها عمرو فاض النيل سنة عشر ذراعا

---

(١) سورة الأحزاب آية ٩ .

(٢) متفق عليه ، أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢ / ٥٢٠ ومسلم ٢ / ٦١٧ حديث رقم ٩٠٠ .

(٣) هو سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الدئلي مختلف في صحبته ورجح ابن حجر أن له صحبة وكذا ابن عساكر وذكره ابن حبان في التابعين وقد ولاه عمر ناحية فارس وله شعر في الاعتذار الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ابن حجر ، الاصابة ٣ / ٤ .

(٤) ذكر الطبري ٤ / ١٧٨ في حوادث سنة ٢٣ عن فتح " فسا ودارابجرد " قال وكان عمر قد رأى المسلمين في المنام وأنهم بصحراء وأن العدو سيحيط بهم ان اقاموا بها فنادى في الناس الصلاة جامعة فأخبر الناس بما رأى ثم نادى " يا سارية الجبل الجبل " وقال ان لله جنودا ولعل بعضها أن يبلغهم فلما كان من سارية الآن اجمعهم ومن معه المسلمين على الاسناد الى الجبل ففتح الله لهم وهزم عدوهم ، وذكر هذه القصة ابن حجر في الاصابة ٣ / ٥-٧ وقال - أخرجها البيهقي في الدلائل واللالكائي في شرح السنة وابن الأعرابي وابن مردوية .

(٥) ابن كثير - البداية والنهاية ٧ / ١٣١ .

(٦) أنظر الخبر عن ذلك ونص الكتاب في ابن الجوزي - مناقب عمر بن الخطاب ص ١٧٢ ، وابن كثير البداية والنهاية ٧ / ١٠٠

فى ليلة واحدة وكما حدث لعقبة بن نافع الفهرى الذى بنى مدينة القيروان .. روى ابن عبد الحكم صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب قال " حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا الليث بن سعد أن عقبة بن نافع غزا افريقية فأتى وادى القيروان فبات عليه هو وأصحابه حتى اذا أصبح وقف على رأس الوادى فقال يا أهل الوادى اظعنوا فانا نازلون. قال ذلك ثلاث مرات . فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها مما يعرف من الدواب تخرج ناهية وهم قيام ينظرون اليها من حين أصبحوا حتى أوجعتهم الشمس وحتى لم يروا منها شيئا فنزلوا الوادى عند ذلك "(١)

وكما حدث من خوض المسلمين البحر الى جزيرة دارين بخيولهم وجمالهم وأرجلهم بقيادة العلاء بن الحضرمى وكأنهم يمشون على الرمل فلم يغرق لهم دابة ولا انسان ، وقد سجل الشاعر عفيف بن المنذر هذا الحدث بقوله : ..

ألم تر أن الله ذلل بحره وأنزل بالكفار احدى الجلائل .
دعونا الذى شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل (٢)

وأيضا حدث مثل هذا أثناء فتح المسلمين للمدائن حيث خاضوا بقيادة سعد بن أبى وقاص نهر دجلة (٣) ، وهى ترمى بالزبد ومسودة من كثرة الماء وعمقه . ودخلوا النهر أفواجا

---

(١) ابن عبد الحكم - فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٥ . وأنظر أيضا البلاذرى - فتوح البلدان ص ٢٦٩ القسم الأول والطبرى ٥/ ٢٤٠ .

(٢) ابن جرير . تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٣١٠-٣١١ وابن كثير ،البداية والنهاية : ٦/ ٣٢٩ . وقال ابن حجر فى ترجمة العلاء من كتاب الاصابة ٤/ ٥٤١ " وخاض البحر بكلمات قالهن وذلك مشهور فى كتب الفتوح .

(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٣٢٢-٣٢٣ القسم الثانى والطبرى ٤/ ١٠-١٤ وابن كثير فى البداية والنهاية ٧/ ٦٤-٦٦ وقال معلقا على ذلك وكان يوما عظيما وأمرا هائلا وخطبا جليلا وخارقا باهرا ومعجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خلقها الله لأصحابه لم ير مثلها فى تلك البلاد ولا فى بقعة من البقاع سوى قضية العلاء بن الحضرمى المتقدمة بل هذا أجل وأعظم فان هذا الجيش كان أضعاف ذلك ".

حتى خطوه من الساحل الى الساحل من كثرتهم وخرجوا منه أفواجا لم يغرق منهم أحـد .

وفي ذلك يقول أبو بجيد نافع بن الأسود :

وأسلنا على المدائن خيلا بحرها مثل برهن أريضا
فأنتثلنا خزائن المرء كسرى يوم ولوا وحاص منا جريضا (١)

فالذى لا يؤمن بالغيب وأن لله جنودا كثيرة من غير الانس يمد بها المؤمنين متى شاء . فانه لا يستطيع تفسير مثل هذه الحوادث ولا فهمها الفهم الصحيح بل تراه اذا جاءه خبرا من هذه الأخبار اما أن ينكره بالكلية أو يتعسف في تأويله ليخرجه عن دلالته المقصودة وذلك تهربا من أثبات المعجزات للأنبياء عليهم السلام والكرامات للمؤمنين الصالحين وهؤلاء أصحاب المدرسة العقلية (٢) الذين أقاموا العقل في مقابلة النص الشرعي بل جعلوا العقل حاكما على النص فيؤلون النص ليوافق عقولهم ، وقد تلقف المستشرقون في العصر الحديث أفكار هذه المدرسة ونشروها وعظموا من شأنها لموافقتها لما يحملونه من أفكار مادية تتعارض مع الايمان بالمغيبات وقد جاراهم في هذا كثير من الكتاب المسلمين في ظل ظروف وتأثيرات معينة حتى من الذين حملوا راية التجديد الاسلامي من أمثال الأفغاني ومحمد عبده ومحمد فريد وجدى ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين وحسين هيكل . فضلا عن الكتاب "الليبراليين" الذين تشبعوا بالأفكار العلمانية أثناء بعثاتهم للدول الأوربية فلم يعد الاسلام في حسهم الا مجرد تراث حضارى أو تعبد شخصى لا علاقة له بحياة الناس ولا علمهم ولا أنظمتهم - ولذلك لم يراعوا

---

(١) الطبرى ٤/١٠ . ومعنى حاص أى ولى وانهزم . وجريضا هو المشرف على الهلاك ، وفي الكامل لابن الأثير ٢/٢٥٨ "وخاض منها جريضا" بدل وحاص منا .

(٢) عن انكار المعتزلة وبعض الأشاعرة كرامات الأولياء أنظر ، السفاريني لوامع الأنوار البهية ٢/٣٩٤ .

الالتزام به في دراساتهم وأبحاثهم [١] بل لقد أثار الكثير منهم شبهات وافتراءات لا أساس لها في الفكر الاسلامي الصحيح ، وهذه الطائفة " الليبراليين [٢] " كان لهم دور في ادارة وتوجيه التعليم في العالم الاسلامي ورسم خططه ومناهجه ، وقلدوا في ذلك المناهج والدراسات العلمانية في العالم الأوربي غربية وشرقية ، كما أنهم قد أسهموا بنصيب وافر - مع الأسف - في التأليف من التاريخ الاسلامي وصياغته بما يتناسب والأفكار العلمانية وقاموا بتفسير حوادث التاريخ الاسلامي تفسيرا يؤكد المذاهب المعاصرة من العلمانية والقومية والاشتراكية والماركسية ، حتى يوجدوا لها سندا تاريخيا . لذلك لا تخلوا مؤلفات مثل هؤلاء سواء عن السيرة النبوية أو صدر الاسلام أو حتى العصور الاسلامية المتأخرة من انحرافات فكرية وجهل بالدراسات الشرعية بل ان بعض ماكتبوه قابل للنقض جملة جملة . . . فاذا كان هذا حال دراسات أبناء المسلمين فكيف يكون الحال بالدراسات التي أصدرها أعداء الاسلام من طوائف الكفر والالحاد عن تاريخنا الاسلامي ؟ اننا مهما افترضنا فيهم من توفر النزاهة العلمية - وهي غير متوفرة بطبيعة الحال تجاه الاسلام وتاريخه لما للعداء التاريخي العقيدي من أثر - فان هناك عنصرا مفقودا وهو توفر الايمان بالغيب . وهو عنصر بالغ الأهمية في تفسير التاريخ الاسلامي حيث أن فقدانه يصيب الدراسة بكثير من التشويه

---

(١) خذ أي كتاب من هذا النوع من الدراسات تجد أن مؤلفه اذا كان متقيدا بالمنهجية في كتابة البحث يخرج النصوص التاريخية ويحيلك الى مواضعها ، أما النصوص الشرعية فانه اذا احتاج لذكر شيء منها فانما يورده بالمعنى ولا يتكلف في تخريجه أو الدلالة على موضعه من كتب الأصول وقد يكون الحديث صحيحا ومع ذلك يورده بصيغة التمريض والتضعيف مثل . قيل وروي . وقد يكون ضعيفا أولا أصل له ويورده بصيغة الجزم . وهذا دلالة على الجهل بالدراسات الشرعية ، وعدم الاعتداد والاعتزاز بها .

(٢) الليبرالي هو المتحرر من الأديان والمعتقدات ولا يلتزم بمفاهيمها .

والانحراف مهما توفر لتلك الدراسة من الموضوعية والجدية لافتقادها عنصرا مهما وركنا ركينا ذا أثر بالغ فى أعطاء الصورة الصحيحة عن الواقعة التاريخية وهو الايمان بالغيب (١) فالمسلم يؤمن بالجنة ويؤمن بالنار ويؤمن بعذاب القبر ويؤمن بالبعث بعد الموت وبالحشر بين يدى الله للحساب ويؤمن بالملائكة وبالجن وأن من الجن مؤمن وكافر وأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وأنه لا ملجأ منه الا بالاستعانة بالله وكل هذه الأمور مغيبة عنا والايمان بها له أثر كبير على تصرفات الانسان فى هذه الأرض ومن هذه التصرفات تتشكل الوقائع والأحداث التاريخية .

---

(١) الايمان بالغيبيات مما ينكره المستشرقون ومن تبعهم من أبناء المسلمين . وتجد أنهم ينبزون المسلمين بذلك وينتقصونهم بهفيما يكتبونه من دراسات عنهم وعن تاريخهم ويجعلون ايمان المسلمين بالغيب واعتباره فى حوادث التاريخ من جنس التفسير اللاهوتى (التفسير الدينى) لحركة التاريخ عند أصحاب المدرسة اللاهوتية النصرانية وعندهم أن الايمان بالغيب هو الايمان بالخرافات والشعوذات السائدة فى أوربا والتى انتشر شئ منها لدى طوائف من المسلمين فى العصور المتأخرة مما يسمونه كرامات السادة والشيوخ وأصحاب القبور . فلم يستطيعوا أن يفرقوا بين الايمان الصحيح بالغيب ، الايمان الايجابى الفعال الذى يدفع الى العمل والحركة وبين الايمان المنحرف السلبى ، الذى يدعو الى التكاسل وانتظار الكرامات والمعجزات والاستسلام للعدو وعدم دفع كيده كما هو الواجب على المسلم . وللفرق بين الكرامة وما يدعيه بعض أهل الدارت والشعوذة ، أنظر ابن تيميه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٧٦-١٨٦ .

٥ - معرفة حق الصحابة وتميز أهل القرون الأولى : ..

الأمة الاسلامية أمة متراحمة مترابطة ، تعرف لذوى القدر منزلتهم ، ولذوى الفضل فضلهم ، فتعطى كلا حقه بالقسط والعدل ، وليست كالأمم الجاهلية المفككة الأواصر التى كلما جاءت أمة لعنت أختها ، وكلما جاء جيل اما أن يجعل المسؤلية على الجيل السابق ، ويتابعه على غير هدى ولا بصيرة ، كما حكى الله سبحانه عنهم فى كثير من الآيات " واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون" (١) وقال تعالى : " بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون" (٢) وقال تعالى : " وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون" (٣)

أو يحط من قدر الجيل السابق ، ويتعالى عليه ويفتخر بما حقق من تقدم مادى لم يحصل لذلك الجيل . والموقف فى كلا الأمرين ظلم للجيل السابق ، وان بدا فى الصورة الأولى وكأنه تقدير وتعظيم ، لأنه فى غير محله ، وعلى غير مستند من الحق والعدل .

أما هذه الأمة الاسلامية التى شرفت بحمل رسالة الله تعالى ، وببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله عليه وسلم - فان الله قد رسم لها منهجها وطريقها المستقيم فقال تعالى : " والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم" (٤)

ولذلك لابد من معرفة حق أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما لأصحاب القرون الثلاثة الأولى فى تاريخ الاسلام من تميز وفضل وفق المقاييس الشرعية دون غلو

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٠ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٢٢ .

(٣) سورة الزخرف آية : ٢٣ .

(٤) سورة الحشر آية ١٠ .

أو تفريط ، فإن الذي أعطاهم هذا التميز والمنزلة النصوص الشرعية اذ ليس الأمر اجتهادا منا أو افتراء على الحق ، فانه ليس لأحد أن يقرر برأيه المحض - دون مستند من الشرع - حكما شرعيا لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(١) أي مردود عليه وسنتناول بالبحث في هذه القاعدة ثلاث نقاط هي :

١ - تميز أهل القرون الأولى وأفضليتهم .

٢ - الحق الخاص لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

٣ - الموقف من الأخبار المروية في قدح بعضهم وفيما وقع بينهم من الخلاف .

" تميز أهل القرون الأولى وأفضليتهم "

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه قال : حدثنا أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتي على الناس زمان فيغزو فئام(٢) من الناس فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقولون لهم نعم فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال فيكم من صاحب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب من صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقولون نعم فيفتح لهم(٣).

وفي رواية عند مسلم : أنه ذكر طبقة رابعة .

قال ابن حجر : وهذه الرواية شاذة ، وأكثر الروايات مقتصرة على الثلاث(٤).

---

(١) رواه مسلم رقم ١٧١٨ .

(٢) فئام . بكسر الفاء أي جماعة . أنظر الفتح ٥/٧ .

(٣) محمد فؤاد عبد الباقي ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٣/١٨٠ .

(٤) أنظر فتح الباري ٥/٧ .

وأخرج البخاري ومسلم أيضا من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (١) . الحديث. فهذان النصان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد دلا على تميز الطبقات الثلاث الأولى ، أو القرون الثلاثة الأولى من هذه الأمة ، وأفضليتهم على ما سواهم من بقية الأمة ، وذلك لخصائص وأعمال كانت فيهم ، من قوة الايمان ، ونصرة الدين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، والمحافظة على الشريعة وتبليغها للناس.

وترتيبهم في الفضل هو حسب ترتيبهم في الذكر ، فالصحابة أفضل من التابعين ، والتابعون أفضل من أتباع التابعين ، وأتباع التابعين أفضل ممن بعدهم ، لما ورد في تتمة حديث عمران بن حصين " ثم ان بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السمن" (٢) . ولما رواه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه " لا يأتي عليكم زمان الا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم - صلى الله عليه وسلم" (٣) .

والذي يظهر والله أعلم أن المراد بالأفضلية في هذه الأحاديث ، هو أفضلية المجموع بالنسبة الى المجموع ، وليست أفضلية الأفراد . وهذا هو الذي رجحه ابن حجر في الفتح (٤) وقال : انه قول الجمهور غير ان فضيلة صحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومشاهدته لا يعدلها عمل ، فلا يكون أحد ممن بعد الصحابة مساويا في الفضل لأحد منهم . لاختصاصهم بمشاهدة رسول الله ، والسبق اليه بالهجرة والنصرة ، وضبط الشرع المتلقى عنه ، وتبليغه لمن بعدهم ، وبذلك يظهر فضلهم .

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقي . اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٣ / ١٨١ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) أنظر فتح الباري ١٣ / ٢٠ .
(٤) أنظر فتح الباري ٧ / ٧ .

والمراد بالقرن هم أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة مثل زمن نبي ، أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل"(١) .

واختلف أهل اللغة في تحديده على أقوال كثيرة من عشرة أعوام الى مائة وعشرين والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم - هم الصحابة .

قال ابن حجر في تحديد القرون الثلاثة المذكورة في الحديث .

" قد ظهر أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة أو دونها ، أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل(٢) ، وان اعتبر ذلك بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - فيكون مائة سنة ، أو تسعين أو سبعا وتسعين .

أما قرن التابعين فان اعتبر من سنة مائة كان نحوا من سبعين أو ثمانين .

أما الذين بعدهم "أي أتباع التابعين" فان اعتبر منها كان نحوا من خمسين .

فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان . . واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش الى حدود العشرين ومائتين ، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا ، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ، ورفعت رؤسها ، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن ، وتغيرت الأحوال تغيرا شديدا ولم يزل الأمر في نقص الى الآن "(٣)

---

(١) أنظر فتح الباري ٧/٥ .

(٢) أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي رأى النبي - صلى الله عليه وسلم وهو شاب ، وحفظ عنه أحاديث . روى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وحذيفة وابن مسعود وابن عباس وغيرهم . قال الامام مسلم مات سنة مائة وهو آخر من مات من الصحابة . وقال ابن البرقي مات سنة اثنتين ومائة . وقيل مات سنة سبع ومائة . وقال وهب بن جرير بن حازم كنت بمكة سنة عشر ومائة فرأيت جنازة فسألت عنها فقيل لي أبو الطفيل".
أنظر الاصابة ٧/٢٢٠ وقد ذكره ابن سعد في عداد الصحابة الذين نزلوا مكة ولم يذكر سنة وفاته . أنظر الطبقات الكبرى ٥/٤٥٧ .

(٣) ابن حجر فتح الباري " ٧/٧ .

ويظهر من التحديد الذي قاله ابن حجر رحمه الله أنهم لا يعنون بالقرن الوحدة الزمنية المعروفة ، وانما فسروا لفظة القرن الواردة في الحديث النبوي بالجيل ، وهذا التحديد الزمني لنهاية القرون الثلاثة المفضلة الذي نقل ابن حجر اتفاق العلماء عليه هو الذي أتبعه أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات فانه جعل أمثال الامام أحمد بن حنبل ت(٢٤٠هـ) والبخاري (ت٢٥٦هـ) ومسلم (ت٢٦١هـ) في الطبقة الرابعة من طبقات الأمة الاسلامية ، أي من أتباع التابعين . وجعل شيوخهم من أمثال الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) وعبد الرزاق بن همام الصنعاني[(١)] (ت ٢١١هـ) وأبو نعيم الفضل[(٢)] بن دكين (ت ٢١٩هـ) وعبد الله بن مسلمة القعنبي[(٣)] (ت ٢٢١هـ) في الطبقة الثالثة أي من أتباع التابعين .

وهذا التحديد الزمني لنهاية القرون الثلاثة ، يطابق الواقع التاريخي من حيث السمات العامة ، والصفات الواردة ، في الأحاديث النبويه . فانه بانتهاء العصر العباسي الأول (١٣٢هـ - ٢٣٢هـ) بدأ الوهن في الخلافة ، وظهرت الدويلات المتغلبة ، وتوقف المد الاسلامي المعتمد على الفتوح والجهاد في سبيل الله ، ولم يعد أمر الجهاد أكثر من مرابطة في بعض الثغور ، فلم يعد الشغل الشاغل للدوله والأمة على مختلف طبقاتها كما كان في العصور الأولى ، بل أخلدوا الى الأرض ، واشتغلوا بحطام الدنيا ، وبأنواع شتى من العلوم والمعارف ، كان بعضها وبالا عليهم ، وسببا لفرقتهم واختلافهم ، مما أضعف وحدتهم ، واعتصامهم بشريعتهم ، التي هي سبب عزهم وعنوان مجدهم . ولا يعترض على هذا بوجود مجموعة كبيرة من الأئمة العلماء الذين يقتدى بهم وما حصل من الازدهار العلمي ، وتدوين العلوم والمعارف ، لما تقرر من أن الأفضلية هي أفضلية المجموع الى المجموع ، ولما

---

(١) ستترجم له في الباب الثالث من هذا البحث .

(٢) هو أبو نعيم الفضل ابن دكين واسم دكين عمرو بن حماد الحافظ الثبت سمع الأعمش وشعبه وعنه أحمد ويحيى بن معين والبخاري والذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٧٢" .

(٣) هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب شيخ الاسلام الحافظ الثقة الثبت ولد بعد الثلاثين ومائة . "الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٨٣" .

ورد في الأحاديث الصحيحة من أن الخير باق في هذه الأمة الى قيام الساعة ، وأنه لا تزال طائفة من الأمة على الحق قائمة بأمر الله منصورة الى قيام الساعة لا يضرها من خالفها (١) . وأن الله يبعث على رأس كل قرن في هذه الأمة من يجدد لها دينها (٢) .

والأمة الاسلامية هي أمة جهاد ، وأمة دعوة ، فهذه هي وظيفتها الأولى ، فاذا تخلت عن شيء من هذه الوظيفة نقصت قيمتها بقدر ذلك . فالتميز والأفضلية للأمة هو بسبب القيام الكامل بالوظيفة الاساسية وهي الجهاد في سبيل الله والدعوة الى شريعته .

ولما كانت الأجيال الثلاثة الأولى من هذه الأمة محققة لأكبر قدر من هذه الوظيفة ، استحقت هذه الخيرية والأفضلية ، فكانت بذلك القدوة والأسوة الحسنة لمن يأتي بعدها .

ومن أجل ذلك يجب علينا ابراز تاريخ هذه الأجيال من السلف الصالح والتركيز على المجهود الذي قاموا به في تحملهم أمانة الدعوة الى الله والجهاد في سبيله ، وأن نعرف لهم قدرهم وفضلهم ، ونحبب شبابنا في التأسي بهم ، والاعتزاز بالانتساب اليهم ليرتبط حاضر الأمة بماضيها العريق ، ذا التاريخ المشرق من الجهاد ، والدعوة ، ونشر العلم ، وقيادة البشرية قيادة راشدة الى مراقي الفلاح .

---

(١) أخرجه الامام مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " أنظر صحيح مسلم ٣ / ١٥٢٣ ، كتاب الامارة برقم ١٩٢٠ . وأخرجه أيضا من حديث معاوية بن سفيان رضي الله عنه بلفظ " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم الى يوم القيامة ٣ / ١٥٢٤ .

(٢) رواه أبو داود في الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة ٤ / ١٠٦ والحاكم في المستدرك : ٤ / ٥٢٢ .

وأنظر صحيح الجامع الصغير ٢ / ١٤٣ رقم ١٨٧٠ ، وأنظر الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٥٩٦ ج ٢ / ١٥٠ .

" معرفة حق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وعدالتهم "

لقد دلت النصوص المتواترة على وجوب حب أصحاب [١] رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم ، والاحتجاج بإجماعهم ، والاستنان بآثارهم وحرمة سب أحد منهم ، لما شرفهم الله به من صحبة رسول الله ، والجهاد معه ، والصبر على أذى المشركين ، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وأولادهم ، وتقديم حب الله ورسوله على ذلك كله .

ويجب على المسلم الاعتقاد بما نطق به القرآن الكريم من أنهم خير أمة أخرجت للناس قال تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله "[٢] . وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعثت في خير القرون "[٣] . وقال تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا "[٤] . ومعنى " وسطا " أي عدولا .[٥]

وقال تعالى في وصفهم رضي الله عنهم " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما "[٦]

---

(١) قال ابن حجر : أصح ما وقفت عليه في تعريف الصحابي " أنه من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام فيدخل فيه من طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤية بصر ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى (الإصابة ١/٦) .

(٢) آل عمران آية (١١٠) . (٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٦/٥٦٦ .

(٤) البقرة آية ١٤٣ .

(٥) أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري باب " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " من كتاب التفسير ٨/١٧١ .

(٦) سورة الفتح آية ٢٩ .

وقال تعالى في مدحهم وذكر ما أعد لهم " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم" (١)

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ـ الأمة بأصحابه ، وأبان فضلهم ومنزلتهم كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب خطب بالجابية (٢) فقال : " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مقامي فيكم فقال استوصوا بأصحابي خيرا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" (٣) . وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون " رواه مسلم وأحمد (٤) .

وفي تحريم سبهم قال صلى الله عليه وسلم : " لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه" (٥) .

---

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٢) الجابية " قرية من قرى الشام تقع إلى جنوب دمشق بالقرب من نوى التي ينسب إليها الإمام النووي وإلى هذه القرية ينسب باب الجابية أحد أبواب دمشق (الساعاتي : الفتح الرباني ٢٢/١٦٨) .

(٣) المسند بترتيب الساعاتي ٢٢/١٦٨ .

(٤) مسلم بشرح النووي ١٦/٨٢ والفتح الرباني بترتيب مسند أحمد ٢٢/١٦٨ قال النووي في شرحه " الأمنة بفتح الهمزة والميم ، والأمن والأمان بمعنى . ومعنى الحديث أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية ، فإذا أنكدرت النجوم وتناثرت يوم القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت . وقوله : وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون أي من الفتن والحروب واختلاف القلوب ، وارتداد من ارتد من العرب . وغير ذلك مما أنذر به صريحا فوقع : وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون " معناه ظهور البدع والحوادث في الدين ، والفتن ، وطلوع قرن الشيطان ، وانتهاك المدينة ومكة .

(٥) أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/٩٢ .

وروى الامام أحمد ومسلم أن سبب هذا الحديث هو ما وقع من خلاف بين خالد بن الوليد ، وبين عبد الرحمن بن عوف ، فسبه خالد ، فلما بلغ ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لا تسبوا أصحابي .. الحديث.(١)

فاذا كان هذا التفضيل في الانفاق ، وهذا الزجر عن سب الصحابة رضوان الله عليهم موجهة الى من تأخر اسلامه عمن تقدم فكيف بمن بعدهم ؟! ان ثواب التصدق بالمد من أحدهم يفضل ثواب التصدق بوزن جبل أحد ذهبا . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : " وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة ، وضيق الحال بخلاف غيرهم ، ولأن انفاقهم كان في نصرته - صلى الله عليه وسلم - وحمايته وذلك معدوم بعده ، وكذا جهادهم وقد قال تعالى : " لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير "(٢) .

وهذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والايثار والجهاد في الله حق جهاده . وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بالقياس "(٣)

لقد تبين من النصوص التي ذكرناها من الكتاب والسنة حق أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الأمة الاسلامية ، وفضلهم وأنه يجب رعاية هذا الحق وأنه من الواجبات الشرعية التي يعزر من يخالفه .

قال الامام النووي " واعلم أن سب الصحابة - رضي الله عنهم - حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره "(٤)

---

(١) أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٩٢ والفتح الرباني بترتيب المسند ٢٢/ ١٦٨ .

(٢) سورة الحديد آية ١٠ .

(٣) النووي بشرح مسلم ١٦/ ٩٣ .

(٤) " " " ١٦/ ٩٣ .

وقال القاضي عياض : " وسب أحدهم من المعاصي الكبائر ، ومذهبنا ومذهب الجمهور أن من فعل ذلك يعزر"(١)

وقال بعض المالكية يقتل .(٢)

وقال الامام أحمد : "أنه يجب على السلطان تأديبه وعقوبته وليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه"(٣)

وصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم عدول بتعديل الله لهم ، وثنائه عليهم وثناء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليهم ..

قال الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية " باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة وأنه لا يحتاج الى سؤال عنهم . وانما يجب فيمن دونهم . قال : كل حديث اتصل اسناده بين من رواه ، وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يلزم العمل به الا بعد ثبوت عدالة رجاله ، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، واخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن"(٤) .

ثم ساق جملة من الآيات الدالة على ذلك ، وقد سبق لنا ذكر بعضها . وكذلك جملة من الأحاديث الى أن قال : " والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن . وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله لهم المطلع على بواطنهم الى تعديل أحد من الخلق له"(٥)

ثم قال : على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد ،

---

(١) النووي بشرح مسلم ١٦/٩٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) رسالة السنة ص ٧٨ .

(٤) الكفاية في علم الرواية ص ٤٦ .

(٥) الكفاية في علم الرواية ص ٤٩ .

والمناصحة في الدين ، وقوة الايمان ، واليقين ، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين" (١) ثم حكى الاجماع على ذلك بقوله "هذا مذهب كافة العلماء ، ومن يعتد بقوله من الفقهاء" (١) وقال الامام الذهبي "كما تقرر الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة ، وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين ، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء ، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف ، وبعضه كذب ، وهذا فيما بأيدينا ، وبين علمائنا ، فينبغي طيه واخفاؤه ، بل اعدامه لتصفو القلوب ، وتتوفر على حب الصحابة ، والترضي عنهم وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء ، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العري من الهوى ، بشرط أن يستغفر لهم ، كما علمنا الله تعالى حيث يقول " والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا" (٢) فالقوم لهم سوابق ، وأعمال مكفرة لما وقع بينهم ، وجهاد محاء ، وعبادة ممحصة ، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم ، ولا ندعي فيهم العصمة ، نقطع أن بعضهم أفضل من بعض ، ونقطع بأن أبا بكر وعمر أفضل الأمة ، ثم تتمة العشرة المشهود لهم بالجنة ، وحمزة وجعفر ومعاذ وزيد وأمهات المؤمنين وبنات نبينا - صلى الله عليه وسلم - وأهل بدر مع كونهم على مراتب ، ثم الأفضل بعدهم ، مثل أبي الدرداء وسلمان الفارسي وابن عمر وسائر أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم بنص آية سورة الفتح ثم عموم المهاجرين والأنصار كخالد بن الوليد والعباس وعبد الله بن عمرو وهذه الحلبة ، ثم سائر من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم - وجاهد معه ، أو حج معه ، أو سمع منه ، رضي الله عنهم أجمعين وعن جميع صواحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المهاجرات والمدنيات وأم الفضل وأم هانيء الهاشمية وسائر الصحابيات . فأما ما تنقله الرافضة وأهل البدع في كتبهم من ذلك ، فلا نعرج عليه ،

---

(١) الكفاية في علم الرواية ص ٦٦ .

(٢) سورة الحشر آية ١٠ .

ولا كرامة ، فأكثره باطل وكذب وافتراء فدأب الروافض رواية الأباطيل ، أورد ما في الصحاح والمسانيد ، ومتى افاقة من به سكران"(١)

وقال ابن حجر "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك الا شذوذ من المبتدعة"(٢)

والعدالة المراده هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا فان هذا لا يكون الا لمعصوم ، وانما نعني تجنب تعمد الكذب في الرواية وغيرها . ولهذا قال ابن الأنباري : المراد من عدالة الصحابة قبول روايتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة ، والب التزكية ."(٣)

وقال الشيخ الدهلوى " وبالتتبع وجدنا أن جميع الصحابة يعتقدون أن الكذب على رسول الله أشد الذنوب ، ويحترزون عنه غاية الاحتراز"(٤)

وهذا الذي ذكرنا لعلماء في عدالة الصحابة ، وحرمة ثلبهم بما يشينهم هو مذهب أهل العدل والحق من أهل السنة ، وعلماء الأثر ، ولا عبرة بخلاف من خالف في ذلك من الطوائف المخذولة أهل البدع والأهواء مثل الرافضة والشيعة والمعتزلة والزنادقة وغيرهم ، ولا من تابعهم في العصور الحديثة من طوائف الكفار "المستشرقين" الذين اعتنوا بالدراسات الاسلامية ، والبحث فيها ، ومن قلدهم من أبناء المسلمين الواقعين في حرمات الله باسم حرية البحث العلمي القائلين بأن كل انسان له أن يقول ما شاء حتى ولو كان في ذلك اعتداء على حرمات المؤمنين ، وتكذيب للقرآن الكريم وسنة سيد المرسلين تحت ستار حرية الرأى والبحث ، وهذا الاتجاه مرفوض في مقياس العلماء المسلمين حيث ان للعلم قواعد وأصول وضوابط شرعية يلتزم بها المؤمن ، ويكون بحثه واجتهاده في نطاقها . والحرية التي تلقاها "العلمانيون"

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٠/٩٢،٩٣ .
(٢) ابن حجر ، الاصابة ١/١٠ .
(٣) السيوطي : تدريب الراوى ٢/٢١٥ "في الحاشية" .
(٤) " " " ٢/٢١٥

" والتطوريون " عن الغرب ، وطبقوها بطفيهما الغربية ليست من سنن المؤمنين ولا سبيل المسلمين لذا جاءت نتائج أبحاثهم ودراساتهم مناقضة للقواعد الشرعية والأحكام الاسلامية .

روى الخطيب البغدادى بسنده الى أبى زرعة الرازى (١) قال : اذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندنا حق والقرآن حق وانما أدى الينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وانما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة " (٢)

---

(١) تقدمت ترجمته فى الفصل الثالث من هذا الباب . ص ٧٩

(٢) الكفاية فى علم الرواية ص ٦٧ .

" موقف المسلم مما روى من الأخبار في قدح بعض الصحابة "

مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسط عدل بين طرفي الافراط والتفريط ، وسط بين الغلاة الذين يرفعون من يعظمونه منهم الى ما لا يليق الا بالله سبحانه وتعالى ، أو برسله عليهم السلام ، وبين الجفاة الذين ينتقصونهم ويسبونهم ولا يعرفون لهم قدرهم ، فأهل السنة وسط بين هؤلاء وأولئك يحبون أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جميعا ، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالانصاف والعدل فيعرفون للخلفاء الراشدين المهديين قدرهم ومنزلتهم ، ولبقية العشرة المبشرين بالجنة ، ولأهل بدر ولأهل بيعة الرضوان ولأهل بيعة العقبة ولمن أنفق قبل الفتح وقاتل ، ولمن أنفق من بعد ، وقاتل ، وأن الله وعد الكل بالحسنى وهي الجنة كما قال تعالى : " ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون "(١) فلا يرفعونهم الى ما لا يستحقون ، ولا يقصرون بهم عما يليق بهم ، فألسنتهم رطبة بذكرهم الجميل اللائق بهم وقلوبهم عامرة بحبهم ، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون ، اما مصيبون فلهم أجر الاجتهاد وأجر الاصابة ، واما مخطئون فلهم أجر الاجتهاد ، وخطأوهم مغفور وهم ليسوا معصومين بل هم بشر يصيبون ويخطئون ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم ، وما أقل خطأهم اذا نسب خطأ غيرهم ، ولهم من الله المغفرة والرضوان .

وكتب أهل السنة مملوءة ببيان هذه العقيدة الصافية النقية في حق هؤلاء الصفوة المختارة لصحبة خير البشر - صلى الله عليه وسلم - .

قال امام أهل السنة والجماعة الامام أحمد بن حنبل رحمه الله " ومن الحجة الواضحة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم أجمعين والكف

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠١ و ١٠٢ .

عن ذكر مساويهم والخلاف الذي شجر بينهم ، فمن سب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو أحدا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرّض بعيبهم أو عاب أحدا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة وأصحاب رسول الله هم خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص"(١).

وقال الامام أبو جعفر الطحاوي(٢) في عقيدة أهل السنة والجماعة " ونحب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم الا بخير ، وحبهم دين وايمان واحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"(٣).

وقال ابن أبي زيد القيرواني(٤) المالكي في مقدمة رسالته المشهورة " وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وأن لا يذكر أحد من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الا بأحسن ذكر ، والامساك عما شجر بينهم ، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب"(٥).

---

(١) رسالة السنة للامام أحمد ص ٧٨.

(٢) هو الامام العلامة الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الطحاوي. ولد سنة ٢٢٧ هـ ورحل الى الشام لطلب العلم وانتهت اليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، وصنف الكثير من التصانيف مثل كتاب معاني الآثار وله رسالة في العقيدة أعتنى بها العلماء وأثنوا عليها . مات سنة ٣٢١ هـ (أنظر الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٣/٨٠٨).

(٣) أنظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢٨.

(٤) هو عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن أبو محمد الفقيه القيرواني شيخ المالكية بالمغرب جمع مذهب الامام مالك حتى قيل عنه مالك الأصغر وكان واسع العلم كثير الحفظ ذا صلاح وعفة وعقيدة صحيحة توفي سنة ٣٨٦ هـ وقيل ٣٨٩ " أنظر النجوم الزاهرة ٤/٢٠٠ ، ومقدمة كتاب الجامع له من ١٥-٢٦.

(٥) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص ٨" طبع جامعة الامام ١٣٩٦ هـ.

وقال الامام أبو عثمان الصابوني (١) في كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث " ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم ونقصا فيهم ، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم" (٢)

وقال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية في كتاب العقيدة الواسطية التي شرح فيها عقيدة أهل السنة " ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما وصفهم الله به في قوله تعالى : " والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم" (٣) وطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم - في قوله " لا تسبوا أصحابي فوالذى نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" (٤) ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والاجماع من فضائلهم ومراتبهم" (٥) وبعد أن ذكر رحمه الله مراتبهم وطبقاتهم قال عن أهل السنة (ويتبرؤون من طريقة الروافض (٦) الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ،

---

(١) هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد أبو عثمان الصابوني الحافظ النيسابوري عالم مفسر محدث كان يلقب في نيسابور بشيخ الاسلام له رسالة في عقيدة أهل الحديث توفي سنة ٤٤٩ "ابن بدران - تهذيب تاريخ دمشق ٣/٣٠ وما بعدها".

(٢) أنظر مجموعة الرسائل المنيرية ١/١٢٩ .

(٣) سورة الحشر آية ١٠ . (٤) متفق عليه وسبق تخريجه .

(٥) العقيدة الواسطية بشرح الهراس ص١٥٧-١٥٨ .

(٦) الروافض قوم اتخذوا حب علي وأهل بيته والغلو في ذلك شعارا لهم مع بغضهم من عداه من كبار الصحابة وسبهم بل وتكفيرهم وأول من سماهم بذلك هو زيد بن علي رحمه الله لما طلبوا منه أن يتبرأ من امامة الشيخين أبي بكر وعمر حتى يبايعوه بالامامة فأبى ذلك فتفرقوا عنه فقال رفضتموني فمن يومئذ قيل لهم رافضة وهي فرق كثيرة منهم الغالية ومنهم دون ذلك " أنظر المصدر السابق ص ١٦٥ .

وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون "أى أهل السنة والجماعة" عما شجر بين الصحابة ويقولون ان هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذورون ، اما مجتهدون مصيبون ، واما مجتهدون مخطئون ، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الاثم وصغائره ، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ان صدر ، حتى انهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم . وقد ثبت بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم اذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم ، ثم اذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون اما قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تمحوه ، أو غفر له بسابقته أو بشفاعة محمد - صلى الله عليه وسلم - الذى هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه فاذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي هم فيها مجتهدون ان أصابوا فلهم أجران ، وان أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور ، ثم ان القدر الذى ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الايمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم ، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله"(١) وقال أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى " واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب الا عن اجتهاد ، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا ، وأن المصيب يؤجر أجرين"(٢)

---

(١) أنظر المصدر السابق ص١٦٤ - ١٦٧ .

(٢) فتح الباري ١٣/٣٤ .

فهذه جملة صالحة من كلام أكابر علماء السلف يتبين منها الموقف الواجب على المسلم أن يقفه من الآثار المروية في قدح بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، بسبب ما وقع بين بعضهم من شجار وخلاف ومقاتلة خاصة في حرب الجمل بين الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن معه ، وبين أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومن معهم . وأيضا في حرب صفين بين علي ومعاوية . وهو صيانة القلم واللسان عن ذكر مساؤيهم واحسان الظن بهم والترضي عنهم أجمعين ، ومعرفة حقهم ومنزلتهم والتماس أحسن المخارج لما ثبت صدوره من بعضهم ، واعتقاد أنهم مجتهدون ، والمجتهد مغفور له خطأه ان أخطأ وأن الأخبار المروية في ذلك . منها ما هو كذب ، ومنها ما قد زيد فيه أو نقص منه حتى تحرف عن أصله وتشوه ، ثم انها لم توضع في سياقاتها الصحيحة .

قال الامام النووي في شرح صحيح مسلم مبينا سبب الحروب التي وقعت بين الصحابة "وأعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة ، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام ، قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغ ، فوجب عليهم نصرته ، وقتال الباغي عليه ، فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة امام العدل في قتال البغاة في اعتقاده ، وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر ، فوجب عليهم مساعدته ، وقتال الباغي عليه ، وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية ، وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين ، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الاقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك". (١)

فهذا هو التفسير الصحيح لمواقف الصحابة رضي الله عنهم في تلك الحروب وهو اللائق بحالهم .

---

(١) النووي - شرح صحيح مسلم ج ١٥ / ١٤٩ .

ومعنى الامساك عما شجر بينهم هو عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة.(١) أو التعرض لهم بالتنقص لفئة والانتصار لأخرى. وقد ذكرنا آنفا قول الحافظ الذهبي "بأن كثيرا مما حدث بين الصحابة من شجار وخلاف ينبغي طيه واخفاؤه بل اعدامه وأن كتمان ذلك متعين على العامة بل آحاد العلماء". لأنه لا مصلحة شرعية ولا علمية من وراء هذا النشر، وبالاسلوب أو الهدف الذي ذكرنا. أما في ظل الموازين العلمية المستقيمة المهتدية بالنصوص الشرعية فان البحث في هذا الموضوع لا يمتنع اذا قصد به بيان الأحكام الشرعية (٢). وما كان ذكر العلماء المعتبرين للحروب والخلافات التي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم الا على هذا السبيل أو لبيان المواقف الصحيحة وتصحيح الأغاليط التاريخية التي أثيرت حول

---

(١) ان من أسوأ الأخطاء المنهجية والتربوية، تدريس الحروب والخلافات التي وقعت بين الصحابة لتلاميذ المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية. مع ما يصاحب ذلك من تشويه في العرض وتقصير في تعريف التلاميذ بمنزلة الصحابة وفضلهم وحقهم على الأمة. حيث ينشأ عن ذلك تعارض في أذهانهم بين الصورة الفطرية التي تصوروها عن أصحاب رسول الله وما ينبغي أن يكونوا عليه من الاستقامة وبين الصورة التي تلقوها من المدرسة. فلا يستطيعون معرفة الحق من ذلك ولا يستوعبونه نظرا لصغر سنهم وقلة ثقافتهم حتى لو حاولت أن توضح لهم الصورة الصحيحة فانهم لا يكادون يقتنعون لأن الشبهة التي أثيرت قد انقدحت في أذهانهم.

ومن المسارعة في عرض مثل هذه المادة التاريخية على صغار التلاميذ أو عوام الناس. مخالف للقواعد الأصولية مثل قاعدة "سد الذرائع" و"درء المفاسد مقدم على جلب المصالح" ومخالف أيضا للقواعد التربوية التي تقضي أن لا يعرض على الناس أكثر مما لا تحتمله عقولهم. وقد جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ما يؤيد هذه القاعدة فقال عبد الله ابن مسعود كما في مقدمة صحيح مسلم ١/ ١١ ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة" وقد بوب البخاري في صحيحه (١/ ٢٢٥ الفتح) باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا "وأورد قول علي بن أبي طالب" حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله". قال ابن حجر في فتح الباري ١/ ٢٢٥ فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة "فهذه الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم تدل على صحة هذه القاعدة التربوية وأنه لا ينبغي أن يدرس مثل هذا لتلاميذ المدارس لأنه مما لا تبلغه عقولهم ومما يؤدي الى فتنة بعضهم وهي اعتقاد ما لا ينبغي اعتقاده في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) أنظر حول هذا، ابن تيميه، مجموع الفتاوى ٤/ ٤٣٤.

مواقفهم في تلك الحروب ، ولهذا انتقد بعض العلماء(١) طريقة ابن عبد البر في كتابه "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لذكره ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم من خلاف.

٦ - التفريق بين أخطاء البشر وأحكام الاسلام.

وهذه قاعدة جليلة عظيمة . فمن رزقه الله تصورا صحيحا وفهما في علم الشريعة علم يقينا أنه لا شيء من أخطاء البشر مهما كانوا محسوبا على الاسلام فقواعد الاسلام وأحكامه تتلقى من مصدرها الحق الكتاب والسنة لا من عمل الناس وسيرتهم - مالم يكن اجماعا ممن ينعقد بهم الاجماع - ولا حجة في عمل أحد ولا قوله اذا كان مخالفا لنصوص الشرع ولهذا قال الامام مالك " ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا ويؤخذ من قوله ويترك . الا النبي صلى الله عليه وسلم(٢) " وكثير من الناس يخطئ في هذه المسألة فيظن أن كل ما حدث

---

(١) قال السخاوي في كتابه الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٦٤ " ورحم الله منقح المذهب المحيوي النووي - يقصد الامام النووي - فانه لما أثنى على فوائد الاستيعاب للحافظ الحجة بن عبد البر قال لولا ما شانه من ذكر كثير مما شجر بين الصحابة وحكايته عن الاخبار بين الغالب عليهم الاكثار والتخليط .

(٢) ناصر الدين الألباني ، صفة صلاة النبي ص٢٨ وقال ان نسبة هذا القول الى الامام مالك هو المشهور عند المتأخرين ، وقد صححه عنه ابن عبد الهادي في "ارشاد السالك ١/٢٢٧ ، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/٩١ وابن حزم في أحكام الأحكام ٦/١٤٥ و ١٧٩ من قول الحكم بن عتيبة ومجاهد . وأورده تقي الدين السبكي في "الفتاوى" ١/١٤٨ من قول ابن عباس ثم قال (أي السبكي وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد . وأخذها منهما مالك رضي الله عنه واشتهرت عنه قال الألباني ثم أخذها عنهم الامام أحمد ، أنظر مسائل الامام أحمد لأبي داود ص٢٧٦ .

في التاريخ الاسلامي هو تطبيق لمبادئ الاسلام أو أن الاسلام أمر بمثل هذه الأفعال التي قام بها المسلمون في ظل الحكم الاسلامي ويعتبر ذلك الحدوث حجة أو مسوغا للاقتداء به على اعتبار أنه سابقه تاريخية حدثت في المجتمع الاسلامي ، لكن من المعلوم أن السوابق التاريخية لا يجوز العمل بها اذا خالفت النصوص الشرعية أو حدثت نتيجة انحراف وخطأ في المفهوم الاسلامي أو كانت صادرة عمن لا يحتج بعمله. ولذلك تراهم اذا تحدثوا عن حضارة الاسلام يذكرون أنواعا من الأفعال والتنظيمات وهي مناقضة تماما للأحكام الشرعية دون أن يوضحوا بأن مثل هذا مما يخالف الأوامر والنواهي الشرعية. والأمثلة على ذلك كثيرة في كتابات المتأخرين (١). فانك تراهم يذكرون في الفنون الاسلامية مثلا أنواعا مما حرمه الله مثل فن الغناء. وفن التصوير والنحت. وفن بناء القباب على القبور، وفي النظم المالية مثلا يذكرون نظام الضرائب والمكوس (٢) التي تؤخذ من التجار المسلمين. وغير ذلك مما نهى الشارع عنه. فيعرضون مثل هذا على أنه تقدم حضاري ومن

(١) أنظر على سبيل المثال المؤلفات التالية :

أ - الدكتوره سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون. جزءان طبع المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بمصر، فقد استعرضت الاضرحة والقباب والمساجد المقامة على القبور ووصفتها وصفا معماريا وفي ١ / ٤٤ حاولت ان تدلس على القارئ بأنها بحثت الموضوع بحثا شرعيا وذلك بنقلها بعض العبارات المجتزأه من كتاب الفقه على المذاهب الاربعة ثم قررت أن شد الرحال لزيارة القبور عمل مندوب.!! ولم تتعرض لحكم بناء القباب والمشاهد على القبور. ومن المعلوم أن شد الرحال لزيارة القبور منهي عنه بناء القباب والمشاهد على القبور بدعة واذا اقترن ذلك بتقديم شئ من أنواع العبادة وقع الشرك وتعين ازالتها.

ب - عطاء الحديثي وهناء عبد الخالق، القباب المخروطية في العراق، فقد قدما دراسة وصفية لهذا النوع من القباب المقامة على القبور في القطر العراقي. ولم يتعرض الباحثان لحكم الاسلام في ذلك وهل هذا عمل مشروع أم لا ؟

جـ - توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العماره. قال في ٢ / ٣٢٤. وتفخر القاهرة بأن فيها مجموعة من هذه الأضرحة وفي ٢ / ٣٢٧ قال مما يلاحظ في العمائر الدينية السلجوقية أنها لم تكن مقصورة على المساجد بل كثر بناء الاضرحة على شكل أبراج اسطوانية. أوذات أضلاع. وقد نشأ هذا الطراز من الاضرحة في في خراسان وانتشر منها الى سائر الشرق الاسلامي. ولم يذكر أي تعليق على حكم الشرع في مثل هذه البدع المحدثة.

د - احمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها وهو دراسة وصفية حضارية كسابقه ففي ص ٢٨ درس المشاهد والقبور في القاهرة على سبيل الاعجاب والتقرير لها.

هـ - أرنست كونل الفن الاسلامي، ترجمة الدكتور أحمد موسى أورد في ص ٦٠ أبنية القبور "الطراز السلجوقي" وفي ص ٨٧ أبنية القبور الطراز الفارسي المغولي. ولم يتعرض المترجم بالتعليق على ذلك كما هو واجبه كرجل مسلم.

(٢) قال صلى الله عليه وسلم "لا يدخل الجنة صاحب مكس" رواه أبو داود ٣ / ١٣٢، وقال الخطابي في معالم السنن صاحب المكس هو الذي يعشر أموال المسلمين ويأخذ من التجار اذا =

نتاج الحضارة الاسلامية ويفاخرون به غيرهم وهذا في الحقيقة من فساد التصور والخلط بين انحرافات البشر وأخطائهم وبين أحكام الاسلام . والمفترض في الباحث أن يصطحب التصور الاسلامي الصحيح في كل دراساته وأحواله وأن يفرق بين أخطاء البشر وبين قيم الاسلام وموازينه لأن البشر يخطئوون ويصيبون ويستقيمون على الطريق فترة وينحرفون فترات، وتتبدل مفاهيمهم وموازينهم ان لم ترجع الى ضابط ومقياس شرعي ، أما أحكام الاسلام وموازينه فهي ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ، كما قال تعالى " وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم" (١)

والذى ينبغي التنبه له أنه في مجال اصدار الأحكام التاريخية (٢) على الأشخاص والأحداث أن لا تتأثر أحكامنا بالمنزلة العلمية أو المكانة الاجتماعية للأشخاص الفاعلين

= مروا عليه متسا باسم العشر رئيس هو الساعي الذى يأخذ الصدقات " معالم السنن حاشية على مختصر أبي داود ٤ / ١٦٧ .

(١) سورة الأنعام آية ١١٥ .

(٢) الحكم التاريخي هو ما يطلقه المؤرخ من نقد وحكم على أرباب الولايات من الحكام والقادة وكبار العلماء أو على عصر من العصور أو موقف من المواقف الجماعية أو الفردية ويجب أن يكون هذا الحكم لدى المؤرخ المسلم مبنيا على منهج معياري شرعي يزن به أعمال كل شخص من هؤلاء . لأن المرء يذم بسبب تقصيره في شيء من الأمور الشرعية وما هو مسؤول عنه . ويمدح بما قدم للاسلام من خدمات وأقام من عدل في ولايته وملكه . فالمقياس الشرعي هو المنهج الذى يحاكم له الأشخاص في أعمالهم ومواقفهم . وهذا الحكم التاريخي يختلف عن نقد الرواه عند علماء الحديث اذ لهؤلاء موازين خاصة معروفة ومفصلة في كتب المصطلح .

فى الحدث التاريخى الذى نعالجه مما يدفعنا الى محاولة تبرير الخطأ واظهاره بمظهر الصواب . على حساب تشويه المنهج الاسلامى [١] . " لأن تبرئة الأشخاص لا تساوى تشويه المنهج [٢] " فالمنهج أعظم من الأشخاص وأكبر ، وصيانته أولى وأحرى . فالحق لا يعرف بالرجال ولا بكثرة من قاله انما يعرف الرجال بقدر تمسكهم بالحق وان كانوا هم القلة . فالجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه [٣] . والمنهج لا بد أن يبقى مصونا ومحافظا عليه من التشويه والتحريف .

٧ ـ الايمان بالسنن الربانية : . .

دراسة التاريخ بوعى وادراك تساعد الدارس على معرفة السنن الربانية وتكشفها له مما يجعله يستفيد من دراسته ويخطط لمستقبله على ضوء تلك السنن . وسبق أن ذكرنا فى الفصل الثانى من الباب الأول أن من ثمرات دراسة التاريخ التعرف على السنن الربانية ، وتناولنا بالبحث هناك معنى السنة الربانية وأنواع السنن وصفاتها .

والذى يهمنا فى هذا الموضع هو بيان أرتباط الايمان بالسنن الربانية بمنهج كتابة التاريخ الاسلامى وذلك أن لله سبحانه وتعالى سننا ثابتة فى حركة الانسان فى هذا الكون

---

(١) هذا لا يعنى أننا نسىء الأدب ولا نلتمس العذر لمن كان له عذرا بل احسان الظن بالمسلم هو المطلوب . وهناك فرق بين الاعتذار وبين التبرير . والمحذور هو التعصب وتبرير الخطأ واظهاره بمظهر الصواب .

(٢) هذه العبارة قالها الكاتب الشهير سيد قطب "أنظر فى ظلال القرآن ١ / ٥٢٣ ".

(٣) ابن القيم . اغاثة اللهفان ١ / ٧٠ .

وأن هذا السنن كما عرفنا عليها القرآن ذات ارتباط وثيق بقضية الايمان والكفر والعدل والظلم وبقضايا السلوك الاجتماعي والأخلاقي للمجتمعات البشرية .

والذي يحدد لنا اتجاهات السنن الربانية هو القرآن الكريم فهو الذي عرفنا بالخير وبالشر وحدد دلالة ذلك وعرفنا بالايمان بالله وبالشرك وبالحق والباطل والعدل والظلم ، وأن أظلم الظلم هو الاشراك بالله ، قال تعالى "ان الشرك لظلم عظيم"[١] وأن الظالم لابد أن ينال جزاءه ، كما أن بسط الدنيا على أحد من الناس ليس دليل محبة الله له وانما قد يكون من باب الاستدراج قال تعالى " ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين"[٢] ، وقال تعالى " فمهل الكافرين أمهلهم رويدا"[٣] ثم العاقبة ستكون للمؤمنين ، وأن ما يصيبهم في الحياة الدنيا من تعب وعنت وظلم هو للابتلاء والتمحيص وهذا سنة من السنن الربانية "ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين"[٤] وقال تعالى " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين أمنوا معه متى نصر الله . ألا ان نصر الله قريب"[٥] وأن النصر الحقيقي لا يكون الا من عند الله " وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم"[٦] ، وأنه للمؤمنين . متى وفوا بشرط الايمان " وكان حقا علينا نصر المؤمنين"[٧] "

وقال تعالى : " كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز"[٨] " انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"[٩] وأن الأيام دول بين الناس "ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم

---

(١) سورة لقمان آية ١٣ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٧٨ .
(٣) سورة الطارق آية ١٧ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٤٠ .
(٥) سورة البقرة آية ٢١٤ .
(٦) سورة آل عمران آية ١٢٦ .
(٧) سورة الروم آية ٤٧ .
(٨) سورة المجادلة آية ٢١ .
(٩) سورة غافر آية ٥١ .

شهداء والله لا يحب الظالمين"(١) وأن الحياة الهادئة المباركة الآمنة لا تكون الا في ظل الايمان والتقوى والاستقامة على منهج الله كما قال تعالى "وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا"(٢) وقال تعالى "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون"(٣) وأن الأعراض عن منهج الله وترك العمل بشريعته يؤدى بالأمة الى مدارك الهلاك وضنك الحياة المادى منها والنفسي قال تعالى " ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى"(٤) وما أشارت له الأية من معيشة الضنك في الحياة الدنيا لمن يعرض ذكر الله . واقع ملموس مشاهد . فان المعرضين عن ذكر الله يعيشون اما ضنكا ماديا في رزقهم أو ضنكا نفسيا شعوريا . أو هما جميعا . لأن المعاصي تكون شؤما على أصحابها وفسادا في الأرض قال تعالى " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون"(٥) ، وقد ورد في الحديث الذى رواه الامام أحمد " وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"(٦) .

وأن الجهاد سنة ربانية فما ترك قوم الجهاد الا ذلوا .(٧) قال تعالى " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين"(٨) فالله سبحانه وتعالى يدفع بأهل الخير والصلاح فساد أهل الشر والضلال .

فهذه أمثلة من السنن الربانية التي ذكرها القرآن ، ولا يدركها الا من قرأ القرآن وآمن به وصدقه ، ثم اذا بحث الانسان في الواقع التاريخي للحياة البشرية يجد مصداق ذلك فيزداد ايمانا على ايمانه ، ومعرفة وعلما بواقعه التاريخي الحاضر ، ويجد القدرة

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٠ .　　(٢) سورة الجن آية ١٦ .

(٣) سورة الأعراف آية ٩٦ .　　(٤) سورة طه آية ١٢٤ .

(٥) سورة الروم آية ٤١ .　　(٦) المسند ٥/٢٧٧ وابن ماجه ٢/١٣٣٤ .

(٧) روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال " ما غزى قوم في عقر دارهم الا ذلوا " وقد جاء في الحديث " اذا تبايعتم بالعينة . . وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم (أبو داود ٣/ ٢٧٥ وأنظر صحيح الجامع الصغير ح رقم ٤١٦ .

(٨) سورة البقرة آية ٢٥١ .

على دراسة هذا الواقع دراسة تمكنه من اكتشاف الأخطاء ووصف العلاج اللازم لما أصيبت به من أمراض وانحرافات ، حتى نتفادى الوقوع فى شر السنة الربانية وتصيب من خيرها .

وبذلك يتضح الارتباط الوثيق بين منهج كتابة التاريخ الاسلامى والايمان بالسنن الربانية فى الكون كما دل عليها القرآن وكشفتها التجارب التاريخية .

وهذه السنن مرتبطة بالأحكام والقوانين الشرعية وتطبيق منهج الله فى حياة الناس كلهـا .

قواعـــد فـي المصـادر : .

المصادر بالنسبة للمؤرخ تشكل أهمية كبرى لأنه بدون توفر المصادر لا يستطيع أن يكتب أى بحث تاريخى ، والتاريخ معرفة نقلية تعتمد على الأخذ من المصادر ، لأن التاريخ خبر عن حدث وقع وأنتهى ، فلا يغنى فيه الخيال والرجم بالغيب ولا التجارب المعملية ، كما يفعل الأديب والقصصى والشاعر والعالم الفزيائى . ومادامت المصادر بهذه الأهمية للمؤرخ فلا بد أن يعتنى بها غاية الاعتناء وأن يرتبها الترتيب الصحيح وفق معايير نقدية محددة كدرجة الثبوت والثقة فى المصدر وكالقرب من الواقعة التاريخية سواء قرب المصاحبة والمعايشة أو القرب الزمنى . فيقدم ما هو أوثق ثبوتا كالنقل المتواتر ثم ما هو أقل من ذلك وتقدم رواية من كان ألصق بالخبر على من لم تكن هذه صفته ، وهنا مجموعة القواعد التى يلزم الباحث فى التاريخ بصفة عامة والتاريخ الاسلامى على وجه أخص أن يراعيها أثناء نظره فى المصادر واستقاء المعلومات التاريخية ونقدها وهى : .

١ ـ اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر .

وذلك أن القرآن الكريم كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد تكفل الله بحفظه من التحريف أو الزيادة والنقصان " انا نحن نزلنا الذكر وانه له لحافظون " (١) والقرآن قطعى الثبوت . أية أية وكلمة كلمة .

ويأتى بعد القرآن فى قوة الثبوت الحديث النبوى الشريف فان النبى صلى الله عليه وسلم ـ كما أخبر الله عنه ـ لا ينطق عن الهوى . وقد حفظ الصحابة رضى الله عنهم أقوال الرسول وأفعاله وتقريراته وأدوها الى من بعدهم كما سمعوها .

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .

وقد اتبع علماء الحديث والرواية أرقى منهج علمي وأوثقه في تدوين السنة وفي نقد الرجال والمرويات . وفي الكتاب والسنة ورد كثير من الأخبار التاريخية القديمة كسير الأنبياء ومواقف أقوامهم منهم ، أو الأخبار المعاصرة لنزول الرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم مثل بعض حوادث السيرة النبوية ومواقف أهل الأرض من الدعوة الاسلامية . كما أنه قد جاء في الكتاب والسنة الاشارة الى الأحداث المستقبلة سواء كان وقوعه في الحياة الدنيا أو في الآخرة وذلك مثل علامات الساعة وأشراطها ومثل أحداث اليوم الآخر . فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بما تؤول اليه حالة الأمة الاسلامية بعده وما يصيبها من التفرق (١) ، وما يكون فيها من حركات الاصلاح والتجديد (٢) كما أخبر أنه ستقع أحداث كثيرة بين يدي الساعة (٣) وهي أشراط الساعة التي اعتنى العلماء بجمعها وتخصيص أبواب لها في مصنفاتهم بل قد أفردها بعضهم بكتب مستقلة (٤) .

---

(١) قال صلى الله عليه وسلم "ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة " رواه أبو داود وأحمد والدارمي والحاكم والآجري في الشريعة" أنظر تخريجاته والكلام عليه في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني المجلد الأول حديث رقم ٢٠٤ .

(٢) قال صلى الله عليه وسلم "ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها "أخرجه أبو داود ٤/ ١٠٩ والحاكم في المستدرك والبيهقي في المعرفة وهو صحيح . أنظر صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٤٣ وسلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الثاني حديث رقم ٥٩٩ .

(٣) قال صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى " رواه البخاري ومسلم ، أنظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٣/ ٢٠٥ . وقد خرجت هذه النار كما أخبر صلى الله عليه وسلم وكان خروجها من حرة المدينة في سنة ٦٥٤ هـ أنظر تفصيل ذلك في ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣/ ١٨٧ .
كما أخبر صلى الله عليه وسلم عن فتح المسلمين للقسطنطينية وروما وهو حديث صحيح أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني حديث رقم ٤ ، وأخبر أيضا بأنه لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود في آخر الزمان فينتصروا عليهم . أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ٤٤-٤٥ .

(٤) أفرد لها البخاري كتابا في صحيحه سماه كتاب الفتن ٨/ ٨٦-١٠٤ ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ٤/ ٢٢٠٧-٢٢٧١ وأبو داود ، الفتن والملاحم ٤/ ٩٤-١٢٦ والترمذي في جامعه ٤/ ٤٦٠-٥٠٦ كما أفردها بعض العلماء بمصنفات مستقلة مثل ابن كثير ، النهاية في الفتن والملاحم وصديق حسن خان ، الاذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة والتويجري ، أتحاف الجماعة بأشراط الساعة .

وقد جاء في القرآن والسنة أيضا الاشارة الى جملة من القوانين التاريخية والسنن الربانية مما يعطي الباحث أو الدارس سعة وشمولا في النظرة التاريخية وعمقا في التحليل للأحداث ومقدرة على تشخيص الداء ووصف الدواء .

أما الذين لا يعتمدون القرآن والسنة في مصادر دراساتهم وأبحاثهم . فانهم يحرمون هذه الفوائد من النظرة الشمولية والتشخيص الدقيق لاتجاهات الأحداث وحتى لو عرفوا تشخيص بعض الأسباب . فانهم لا يستطيعون وصف العلاج الحقيقي للأمراض الاجتماعية والخلقية التي تصيب المجتمعات فتؤثر في تطور الأحداث وتوجيهها .

لأن فاقد الشئ لا يعطيه ، وعلاج مثل هذه الأمراض والأدواء لا يتلقى الا من الشارع الحكيم ولا يصح أن يتكلم فيه من ليس عنده علم من الشرع .. لذا فانه لا بد من اعتماد المصادر الشرعية في كل دراسة تعالج وضعا من الأوضاع الاجتماعية وتساعد على توجيه المجتمع وتنميته سلوكيا واجتماعيا وهذا العمل من أعظم وظائف المؤرخ وأهم ثمرة في دراسته .

فالمصادر الشرعية واجبة التقديم باعتبارين .

لأنها أصدق من كل وثيقة تاريخية فيما ورد فيها من الأخبار وذلك لصدق مصدرها وعلمه وهيمنته كما أنها وصلتنا بأوثق منهج علمي ، فالقرآن وصلنا بالتواتر الموجب للعلم القطعي في كل آية وكل كلمة بل وكل حرف . وصحيح السنة وصلنا بمنهج علمي دقيق والاعتبار الثاني هو لما تدل عليه من السنن الربانية والنظرة الشمولية لتاريخ البشرية كلها على مدار الزمن ماضيا وحاضرا ومستقبلا . مما يهيئ للباحث المقدرة على اكتشاف القوانين العامة في حركة البشرية وارتباط ذلك بالهدى والضلال والكفر والايمان سلبا وايجابا .

والقرآن والسنة يعطيان الدارس التصورات والمفاهيم والقيم التي في ضوئها نفسر أحداث التاريخ ويحكم عليها .

وقد حاول كثير من المؤرخين اكتشاف السنن والروابط التي تربط الأحداث ، أو ما يسمونه "فلسفة التاريخ" غير أنهم لعدم اهتدائهم بالمصادر الشرعية لم يصلوا الى نتائج مطمئنة . بل بلغ الجنوح بأكثرهم الى القول بتفسيرات ونظرات تاريخية تأخذ بالتفسير "الأحادي" لحركة

تاريخ البشرية ولذلك ظهرت مدارس متعددة في تفسير التاريخ مثل المدرسة الاجتماعية والمدرسة النفسية والمدرسة النفسية والمدرسة المادية والمدرسة القومية والجغرافية واللاهوتية الكنسية وغيرها .

وهذه التفسيرات جميعها - باستثناء التفسير الكنسي (١) - تغفل دور الأنبياء والرسل - عليهم السلام - وأثرهم الاتهم في تاريخ البشرية ولا تعطى أية أهمية لما جاءوا به من الهدى والنور والدعوة الى عبادة الله وحده ونبذ الشرك والأنداد واقامة الحكم بين الناس بالقسط يقول أحد الكتاب المعاصرين مبينا خطر الدراسات التي لا تعتمد المصادر الشرعية وان كان هو لم يسلم من لوثة الاستشراق ولكن شهد شاهد من أهلها - " المستشرقون سبقوا المسلمين في دراساتهم ذات الطابع الحديث ، وكانوا أساتذة للكثيرين من المسلمين الذين أوفدوا الى أوربا للتعمق في الدراسات الاسلامية - هكذا - وطرق البحث فيهما ، وقد تأثر بعض هؤلاء المسلمين بأساتذتهم المستشرقين ، وعادوا فكتبوا .. ونقرأ ما كتبوا فنلمس أن كتاباتهم تجافي روح الاسلام في كثير من الأحيان ، والذي سبب ذلك هو أن هؤلاء الموفدين لم يكونوا قبل ايفادهم على علم واسع بالدراسات الاسلامية ، وكتابات هؤلاء المسلمين أكثر خطورة من كتابات المستشرقين أنفسهم ، ومرجع ذلك الى أن القراء يقرأون للمستشرقين بحذر ولكنهم قد يستسلمون للكاتب المسلم ولا يحذرون منه"(٢)

فكل دراسة للتاريخ الاسلامي لا تعتمد المصادر الشرعية لا بد أن تصاب بالنقص والتشوه والبعد عن التصور الاسلامي . لأن التاريخ الاسلامي جزء لا يتجزأ من الدراسات الاسلامية وهو تاريخ أمة ذات عقيدة محركة لها ومسيطرة على نشاطها واتجاهاتها .

---

(١) لم تستثن التفسير الكنسي باعتباره تفسيرا صالحا ولكن باعتبار أنه يحمل تصورات عن رسالة المسيح عيسى عليه السلام ولكنها تصورات مشوشه وغير سليمة ، فالمسيح في نظرهم هو ابن الله وقدم نفسه قربانا تكفيرا عن الخطيئة الأولى خطيئة آدم ..... إلى آخره

(٢) أحمد شلبي التاريخ والحضارة الاسلامية ١/ ٥٨ .

وبسبب الفصل الحاصل بين الدراسات التاريخية والدراسات الشرعية أتيحت الفرصة لعدد غير قليل - من الذين لم يتلقوا قدرا كافيا من علوم الشريعة - للكتابة في التاريخ الاسلامي . ومن ثم جاءت كتاباتهم صدى للدراسات الاستشراقية وتحمل كثيرا من لوثة الانحراف الفكري والغزو الثقافي وتمثل الفهم المشوه للشريعة . وحتى المخلصين من هؤلاء الباحثين لا يكادون ينجون من هذه الآثار وذلك راجع الى قلة البضاعة في الدراسة الشرعية ، وللمناهج التي تلقوا بها دراسة التاريخ .

ان الواجب يقضي بأن كل من يتصدى لدراسة التاريخ الاسلامي وتدريسه يجب عليه دراسة القرآن الكريم ومعرفة أسباب النزول وأصول علم التفسير وأصول علم الحديث ومعرفة الأحكام الشرعية وعقيدة أهل السنة والجماعة وعقائد الفرق المخالفة لها لأن هذه من أهم المصادر لدراسة التاريخ الاسلامي وخاصة في مجال التحليل والمنظور التاريخي والمنهجية العلمية .

٢ - عدم التسليم لكل ما ورد في الكتب السابقة على القرآن :

قال الله تعالى : " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا "(١)
وقال تعالى : " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون "(٢) وقال : " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير "(٣) ، وقال : " ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك . يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا "(٤) .

---

(١) سورة النساء آية ٤٦ .
(٢) سورة البقرة آية ١٤٦ .
(٣) سورة المائدة آية ١٥ .
(٤) سورة المائدة آية ٤١ .

ففي هذه الآيات وغيرها دلالة واضحة على تحريف اليهود والنصارى لكتبهم المنزلة على رسلهم والواقع يثبت هذا التحريف . فان الأناجيل قد دونت بعد رفع عيسى بزمن طويل وهي اليوم مختلفة لا تتفق نسخة مع أخرى . وكذلك التوراة والتلمود ، دونها أحبار اليهود بعد موسى بأزمان متطاولة . واختلافاتها الكثيرة ، وما تحويه من الكلام المنكر والقصص الفاسد والشرك بالله ، من أكبر الأدلة على تحريفها مما يجعل كل عاقل يقطع بأن هذا ليس مما يرضاه الله ويحبه فضلا عن أن يكون من كلامه سبحانه وتعالى .

فالكتب السماوية السابقة لنزول القرآن منسوخة الشرائع والأحكام بهذه الشريعة الخاتمة . أما أخبارها وقصصها فهي مترددة بين الصواب والخطأ لثبوت وقوع التحريف والزيادة والنقص . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا "آمنا بالله وما أنزل الينا . . ." (١) الآية .

ومن المعلوم أن القصص الاسرائيلي من أوسع القصص تفصيلا لمعلومات تاريخية ولعهود وأزمان سحيقة . لكن بسبب وقوع التحريف فانه لا يمكن الاعتماد على شيء من ذلك في الأمور الشرعية ، أما الأخبار التاريخية مثل زيادة التفصيل لما ورد في القرآن أو السنة مجملا أو الذي يغطي به النقص والفجوات في الوقائع التاريخية . ولا يترتب على ذلك تقرير حكم شرعي أو مخالفته فانه لا بأس من ذكر ذلك على سبيل المعرفة والبيان لا الاعتماد والاعتقاد كما قرر ذلك كثير من العلماء المحققين من أمثال الامام ابن تيميه (٢) والحافظ ابن كثير (٣) .

فقد جعل شيخ الاسلام ابن تيميه الاسرائيليات على ثلاثة أقسام وهي كما يلي :

- ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .
- ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه فذاك كذب .
- ما هو مسكوت عنه . لا من هذا القبيل ولا من هذا فلا نصدق به ولا نكذب به .

---

(١) رواه البخاري ، أنظر شرحه فتح الباري ٨/ ١٧٠ و ١٢/ ٣٣٣ .

(٢) أنظر رسالته مقدمة في أصول التفسير ص ١٠٠ .

(٣) أنظر مقدمة تفسيره ١/ ٤ .

وهذا القسم الأخير تجوز حكايته لما ورد من الاباحة في ذلك وغالب هذا مما لا فائدة فيه تعود الى أمر ديني ولهذا كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يسأل مسلمي أهل الكتاب كعبد الله بن سلام (١) وكعب الأحبار (٢) عن بعض جزئيات الحوادث ، وتفصيل مجملات القصص في القرآن بقدر ما يرون أنه مبين للقصة وموضح لما أجمل فيها ولا يخرج عن دائرة الجواز التي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله " حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار " (٣) .

ومن هذا الباب أورد بعض الأئمة الكبار مثل هذه الأخبار والأحاديث الاسرائيلية في كتبهم وتفاسيرهم ، لا ليثبتوا بها حكما شرعيا أو يعتقدوا صحتها وانما على سبيل المعرفة والاستشهاد وحكاية الأقوال وهم مع ذلك ينبهون في الغالب على ما فيها من الخطأ اما تصريحا أو تلميحا . وقد يسكتون أحيانا لوضوح الأمر .

يقول أبو العباس بن تيميه " علماء الدين أكثر ما يحررون النقل فيما ينقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم لأنه واجب القبول ، وفيما ينقل عن الصحابة . أما ما ينقل من الاسرائيليات ونحوها فهم لا يكترثون بضبطها ولا بأحوال نقلتها ، لأن أصلها غير معلوم ، وغايتها أن تكون عن واحد من علماء أهل الكتاب أو من أخذه عن أهل الكتاب ، لما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم " فقد نهينا عن تصديق ما ينقل عن أهل الكتاب الا أن يكون مما يجب علينا تصديقه مثل ما أخبر به نبينا عن الأنبياء وأممهم فان ذلك يجب تصديقه مع الاحتراز في نقلته " (٤)

---

(١) هو عبد الله بن سلام (بالتخفيف) بن الحارث الاسرائيلي حليف بني عوف بن الخزرج أسلم عند قدوم النبي المدينة وشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابيه وتوفي سنة ٤٢ هـ أنظر ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥ / ٢٤٦ .

(٢) هو كعب بن ماتع الحميري المعروف بكعب الأحبار أدرك الجاهليه وأسلم في أيام أبي بكر وقيل في أيام عمر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ، وكان من يهود اليمن ثم أسلم وقدم المدينة وخرج منها الى الشام . روى له مسلم وابو داود والترمذي والنسائي ومات سنة ٣٢ وقد بلغ من العمر ١٠٤ سنين ، التهذيب: ٨ / ٤٣٨ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء ، أنظر شرحه فتح الباري ٦ / ٤٩٦ .

(٤) ابن تيميه ، الرد على البكري ص ١٢-٢١ .

ومن الغريب أن بعض الكتاب المعاصرين يعتمدون فى مصادرهم التاريخية على التوراة والانجيل وينقلون عنهما مباشرة ويعارضون بما فيهما الأحاديث الصحيحة فى حين يعيبون على علماء التفسير وغيرهم رواية الاسرائيليات وإدخالها فى تفسير القرآن الكريم . ولو فكروا لعلموا أن الأوائل رجعوا الى نسخ أقدم وربما أوثق من النسخ التى رجعوا هم لها فى العصر الحاضر .

بل ان بعضا من الكتاب المعاصرين يعتمد على التوراة كمصدر تاريخى (١) ويستبعد القرآن الكريم والسنة المطهرة . وهذا متابعة للمنهج الاستشراقى الماكر الذى لا يؤمن برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ولا صدقه .

٣ - معرفة شروط المؤرخ المقبول : . .

المؤرخ المقبول الرواية يشترط له مجموعة من الصفات والشروط يجعلها بعضهم كشروط راوى الحديث النبوى . (٢) غير أن الأمر فيه تفصيل ، وذلك بحسب المروى وأهميته

---

(١) ذكر الدكتور بطال عبد الهادى فى كتابه تاريخ وحضارة مصر والعراق وبلاد الشام منذ أقدم العصور نماذج من مؤلفاتهم عن التاريخ الاسرائيلى وتصريح بعضهم مثل الدكتور محمد أنور شكرى بقوله "ان التوراة هى المصدر الوحيد الذى يتضمن هجرة الاسرائيليين الى مصر وخروجهم منها ودخولهم الأرض الموعودة" ص٣٤٨ فى حين أن القرآن قد ذكر ذلك مفصلا فى كثير من الآيات كما نقل عن كتاب حضارة مصر والشرق القديم الذى أشترك فى تأليفه خمسة أساتذة أنهم قالوا عن العقائد الاسرائيلية بأننا لا نستطيع فى دراستها أن نعتمد على وثائق معاصرة فهى قليلة نادرة لكننا نستطيع أن نعتمد على تحليل النظم الاسرائيلية والعقائد الاسرائيلية فى العصور التاريخية "ص٣٤٥ ولم يرجعوا للقرآن الكريم فى ايضاح شئ من تلك العقائد .
كما نقل نصوصا من كتاب . س . موسكاتى ، الحضارات السامية القديمة والذى ترجمه الدكتور يعقوب بكر وراجعه محمد القصاص . فقد رجع الى النقوش والقصص والتوراة والانجيل وذلك لوصف الحياة الدينية فى جزيرة العرب ولم يرجع للقرآن ولذلك لم يذكر فى كتابه الرسالات السماوية لكل من هود وصالح وشعيب عليهم السلام لأنها لم ترد فى التوراة . ص٣٦٢-٣٤٤ .

(٢) أنظر محمد بن سليمان الكافيجى ، المختصر فى علم التاريخ ص٣٢٦ . حيث قال " وينبغى أن يشترط فى المؤرخ ما يشترط فى راوى الحديث من أربعة أمور . العقل ، والضبط ، والاسلام . والعدالة .

التشريعيه . فاذا كان المروى متعلقا بالنبى صلى الله عليه وسلم أو بأحد من الصحابة رضى الله عنهم فانه يجب التدقيق فى رواته والاعتناء بنقدهم ويلحق بهذا ما اذا كان الأمر متعلقا بثلب أحد من العلماء والأئمة ثابتى العدالة لأن كل من ثبتت عدالته لا يقبل جرحه حتى يتبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه(١)" أما اذا كان الخبر المروى لا يتعلق بشئ من ذلك فانه وان كان الواجب التثبت فى الكل الا أنه يتساهل فيه ولهذا قال الخطيب البغدادى " باب التشدد فى أحاديث الأحكام والتجوز فى فضائل الأعمال . ثم روى بسنده الى الامام أحمد بن حنبل أنه قال " اذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا فى الأسانيد . واذا روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضائل الأعمال وما لا يضع حكما ولا يرفعه تساهلنا فى الأسانيد(٢)" ولا يعنى هذا التساهل أنهم يروون عن الكذابين وساقطى العدالة لأن ساقط العدالة لا يحمل عنه أصلا . انما يقصدون ضعف الضبط فى الراوى مثل الغفلة وكثرة الغلط والتغير والاختلاط ونحو ذلك . أو عدم اتصال السند كارسال أو انقطاع .

ومن المعلوم أن الأخبار التاريخية فى ثبوتها وعدالة رواتها واتصال أسانيدها لا تصل الى درجة الأحاديث النبوية الا فى القليل النادر مثل ما جاء مرويا عن طريق علماء الحديث - كأخبار السيرة النبوية وخلافة الراشدين وبعض أخبار الأمم السابقة الواردة عن طريق السنة وانما غالبها محمول عن الأخباريين وبأسانيد منقطعة ويكثر فيها المجاهيل بل ان بعضها يرد بدون اسناد ، أو حتى تبيين للمصادر التى نقل عنها المؤرخ(٣) . ومن أجل هذا فانه قد يكون من العسير تطبيق المنهج النقدى عند علماء الحديث النبوى بكل خطواته على

---

(١) أنظر ابن حجر . تهذيب التهذيب ٧ / ٢٧٣ فى ترجمة عكرمة مولى ابن عباس .

(٢) البغدادى ، الكفاية فى علم الرواية ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٣) ورغم ذلك فان التاريخ الاسلامى اذا قورن بغيره من تواريخ الأمم قد حفظ ودون فى وثائق وتناقله الخلف عن السلف وغالب أخباره وحوادثه الرئيسية قد وصلتنا بالاستفاضة والتواتر ، وبالروايات المشهورة . ولا يقع الخلاف ويحتاج الامر الى التدقيق الا فى تفاصيل الحوادث وهذا الوضوح التاريخى لا يوجد فى تاريخ أمة من الأمم كما هو فى التاريخ الاسلامى .

كل الأخبار التاريخية ولذا فرق جمهور العلماء بين الشروط المطلوبة في المؤرخ لكي تقبل روايته وبين الأمور المشترطة في راوي الحديث النبوي . فتساهلوا في الأول[١] وتشددوا في الثاني وذلك للأهمية التشريعية لما يرويه ، فالسبب في التفريق راجع الى موضوع الرواية ، وعليه فانه يمكن القول بأن الرواية التاريخية اذا كانت تتعلق بموضوع شرعي كتحليل أو تحريم أو مايدخل في باب سب المسلم وتنقصه أو تدليس حاله على الناس فانه لابد من التثبت من رواتها ومعرفة نقلتها . ولا يؤخذ في هذا الباب الا عن العدول الضابطين الذين سلمت مروياتهم من المعارضة .

أما اذا كانت الرواية التاريخية لا يتعلق بها اثبات حكم شرعي أو نفيه كما هو الغالب على الروايات التاريخية فان الأمر عندئذ يختلف . ويقبل في هذا الباب من الروايات الضعيفة

---

(١) هذا التفريق والتساهل نلحظه بوضوح في تصرف الحافظ بن حجر العسقلاني في جمعه بين الروايات في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري . فانه في الوقت الذي يقرر فيه رفض رواية محمد بن اسحاق اذا عنعن ولم يصرح بالتحديث ورفض رواية الواقدي لأنه متروك عند علماء الجرح والتعديل فضلا عن غيرهما من الأخباريين الذين ليس لهم رواية في كتب السنة . من أمثال عوانه والمدائني .
فانه يستشهد برواياتهم ويستدل بها على بعض التفصيلات ويحاول الجمع بينها وبين الروايات الأخرى التي هي أوثق اسنادا . وهذا دليل لقبوله لأخبارهم فيما تخصصوا فيه من العناية بالسير والأخبار ، وهذا منهج معتبر عند العلماء المحققين وان لم يقبلوا رواياتهم في الأحكام الشرعية فنجد ابن حجر يقول في محمد بن اسحاق "امام في المغازي صدوق يدلس" التقريب ١٤٤/١ ويقول في الواقدي تقريب ١٩٤/٢ . متروك مع سعة علمه . ويقول عنه في التهذيب ٣٦٣/٩ "استقر الاجماع على تركه".
ونورد فيما يلي بعض النماذج من تصرف ابن حجر واعتباره لروايات الاخباريين .
١- في أول كتاب المغازي ٢٧٩/٧ ذكر عدد غزوات الرسول وعدد بعوثه وسراياه وعدد الغزوات التي وقع فيها قتال فاستشهد بأقوال أهل السير مثل ابن اسحاق والواقدي وابن سعد وذكر خلافهم وجمع بين أقوالهم وأقوال من هم أوثق منهم . من رواة الصحيح وفعل مثل هذا في ٢٩١/٧ عند حديثه عن عدد أهل بدر .
٢- في ٢٩٦/٧ جعل رواية ابن اسحاق جامعة بين الروايات رغم مخالفتها لما في =

مالا يقبل في سابقه ، لا سيما وقد قال بعض الفقهاء بجواز العمل بالحديث الضعيف[1] في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب .

= الصحيح وذلك في قصة مقتل أبي جهل يوم بدر .

٣- في ٧/ ٣٣١ في قصة بني النضير ومتى كان حصارهم ذكر ابن اسحاق أنها كانت بعد أحد وبعد استشهاد القراء في بئر معونة . والذي في البخاري عن عروة أنها كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر أي قبل أحد ، وقد مال ابن حجر الى ترجيح رواية ابن اسحاق رغم ايراده سببا للغزوة غير ما ذكر ابن اسحاق وصححه .

٤ - في ١٢/ ٦٥ استشهد برواية عوانة بن الحكم .

٥- في ١٢/ ٥٧ استشهد برواية للمدائني .

(١) تقدم قريبا قول الامام أحمد بن حنبل وقد كان هو وعبد الرحمن بن مهدي وابن المبارك وأبو داود يرون العمل بالحديث الضعيف وهو عندهم مقدم على آراء الرجال ومن الذين منعوا العمل به أبو بكر بن العربي ،. أنظر تفصيل ذلك في السيوطي تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ١/ ٢٦٨ وما بعدها . واستكمالا لذلك . أنظر تعليق أحمد شاكر في الباعث الحثيث ص ٩١ .

والشروط المطلوبة في المؤرخ ليكون مقبول الرواية نوعان : . .

شروط تتعلق به ذاته ، وأخرى تتعلق بما ينقله ويرويه ،

أما الشروط المتعلقة بذاته فهي .

ـ العدالــة.(١)

ـ القدرة على التمييز بين المقبول والمردود من الروايات وذلك بمعرفة الرواة وما قيل فيهم من جرح أو تعديل . ومعرفة الأصول المنهجية في النقد والموازنة بين الروايات المتعارضة وكيفية الجمع بينهما .

يقول ابن تيميه:لا بد أن يكون مع الانسان أصول كلية يرد اليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت والا فيبقى في كذب وجهل وظلم في الكليات . فيتولد فساد عظيم"(٢)

ـ العلم بأصول الأحكام الشرعية وبمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم وبمدلولات الألفاظ ومواضعها وللامام ابن تيميه كلام في غاية الأهمية حول هذا الشرط ذكره في مستهل جوابه عندما سئل عن حكم قتال التتار . فذكر أن هناك أصلين ينبغي أن يستكملا قبل الفتـــوى "أحدهما ـ المعرفة بحالهم ، والثاني معرفة حكم الله في أمثالهم"(٣) وهذان الأصـــلان يتوقفان على العلم المنافي للجهل . اذ الكلام في الناس لا يجوز بغير علم وبصيره .

ـ مصاحبة الورع والتقـوى بحيث لا يأخذ بالتوهم والقرائن التي تختلف خوفا مـــن الدخول تحت قوله صلى الله عليه وسلم "اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث"(٤) ومتى لــم

---

(١) العدل هو المسلم البالغ العاقل الذي سلم من الفسق وخوارم المروءة (أنظر أحمـــد شاكر الباعث الحثيث ص ٩٢" .

(٢) الذهبي ،المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٢٠ .

(٣) ابن تيميه ، مجموع الفتاوى ٥١٠/٢٨ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه ٨٨/٧ ومسلم في كتاب البر والصلة حديث رقم ٢٥٦٣ .

يكن ورعا فانه وان كان عالما فانه لا يجد من الورع والتقى ما يحجزه ويوجب له الفحص والاجتهاد وترك المجازفة .(١)

ـ الضبط لما يراه أو يسمعه(٢)

ـ تجنب الغرض والهوى وهذا أثر يعز وجوده الا في القلة النادرة . ولكنه مع الشرط السابق مع الشعور بالمسؤليه والخوف من الله واستحضاره ذلك في الذهن يستطيع التخلص بحول الله من الهوى المضل .

ـ حسن التصور للموضوع الذى يكتب فيه . وذلك بأن يفهم الموضوع الذى يبحثه فهما جيدا ويحيط به من كافة جوانبه .

ـ أن يكون جيد العبارة عف اللسان عن المنكر من القول .(٣)

وبخصوص الشروط التى تتعلق بما يرويه المؤرخ فقد ذكر السبكى(٤) فى طبقات الشافعية

---

(١) السخاوى ،الاعلان بالتوبيخ ص٧٠ .

(٢) هذا الشرط كما ذكرنا سابقا قد يتساهل فيه فى بعض الأخبار التاريخية فيؤخذ عمن ضعف ضبطه أو كان كثير الغلط والغفلة وذلك لأنه شرط خارجى لا يتعلق بأمر قادح فى العدالة والأمانة الا أن علماء الحديث وضعوه للاحتياط لغرض الوصول الى اللفظ النبوى .

(٣) حول الشرطين الأخيرين ، أنظر الصفدى ،الوافى بالوفيات ١/٤٦ .

(٤) هو الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى ولد سنة ٧٢٧ هـ جدّ فى طلب الحديث فكتب كثيرا ألف كثيرا وانتشرت مؤلفاته فى حياته وتولى التدريس فى غالب مدارس دمشق وخطابة الجامع الأموى وتولى رياسة القضاء وحصل له محن فى ولايته أبان فيها عن شجاعة وقوة مناظرة وتوفى سنة ٧٧١هـ " الشوكانى ،البدر الطالع ١/٤١٠ " .

قاعدة في المؤرخين[1] وجعل من الشروط اللازمة لما يرويه المؤرخ ما يلي :-

١ - اعتماد اللفظ دون المعنى وذلك بأن ينقل الكلام بنصه دون أن يتصرف فيه بتقديم أو تأخير أو تدوين المعنى ، ومن هنا انتقد العلماء ابن حبان حيث تصرف في ألفاظ الجرح والتعديل المروية عن العلماء في نقد الرواة[2] وعبر عنها من عند نفسه.

٢- أن يسمي المؤرخ المصدر الذي نقل عنه معلوماته وبذلك تتضح مصادره وتعرف.

٣- أن يكون نقله مضبوطا فلا يجوز أن يأخذ من الشيخ أثناء المذاكرة ثم يدونه بعد ذلك. لأنه في هذه الحالة ربما ينسى بعض الكلام فيقل الضبط.

٤- زاد السخاوي شرطا آخر وهو "التحري فيما يراه من الوقائع التي كانت بين أعيان الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم ، لما أمرنا به من الامساك عما كان بينهم والتأويل له بما لا يحط من مقدارهم ، ويلتحق بذلك ما وقع بين الأئمة ، سيما المتخالفين في المناظرات والمباحثات"[3] وهذا الشرط مهم للغاية وعدم مراعاته كان السبب في وقوع كثير من الأخطاء والانحرافات في كتابة التاريخ الاسلامي . وكان ما دون من مثل هذه الأخبار عونا للمستشرقين والحاقدين على الاسلام وعملائه فيما نشروه من دراسات عن التاريخ الاسلامي حتى أخفوا معالمه الأساسية وأظهروه في صورة قاتمة شوهاء لا تزيد على كونها صراعا على السلطة وتكالبا على الشهوات ، وفسروا التاريخ الاسلامي كما يحلو لهم تفسيرا ماديا . أو قوميا أو علمانيا .

---

(١) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٢ ذكر ذلك في ترجمة أحمد بن صالح المصري وقد طبعت هذه القاعدة مع قاعدة أخرى في الجرح والتعديل مستقلة بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة .

(٢) أنظر الذهبي ، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٠٧ في ترجمة ابن حبان ، وأنظر كذلك الميزان ١/ ٢٧٤ و ٤/ ٨ .

(٣) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ص٦٤-٦٥ .

يقول السبكي "لا يزال طالب العلم عندي نبيلا حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ويقضي لبعضهم على بعض" (١)

ويقول الشوكاني (٢) في جواب من سأله عن مذهب أهل الحق في شأن ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم في الخلافة . " ان كان هذا السائل طالبا للنجاة فليدع الاشتغال بهذه الأمور في هذا المضيق الذي تاهت فيه الأفكار . فان هؤلاء الذين تبحث عن حوادثهم وتتطلع لمعرفة ما شجر بينهم قد صاروا تحت أطباق الثرى ولقوا ربهم في المائة الأولى من البعثة ونحن الآن في المائة الثالثة (٣) عشر . فما لنا والاشتغال بهذا الشأن الذي لا يعنينا "ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه" (٤) وأي فائدة لنا في الدخول في الأمور التي فيها ريبه وقد أرشدنا الى أن ندع ما يريبنا الى ما لا يريبنا (٥) ويكفينا من تلك القلاقل والزلازل أن نعتقد أنهم خير القرون وأفضل الناس" (٦) الى أن قال " فرحم الله امرأ اشتغل بما أوجبه الله عليه وطلبه منه وترك ما لا يعود عليه بنفع لا في الدنيا ولا في الآخرة بل يعود عليه بالضرر ، ومن كان خلاف هذا فهو مغرور مخدوع قاصر الباع عن ادراك الحقائق ومعرفة الحق على وجهه كائنا من كان" (٧).

---

(١) السبكي ، قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين ص٥٢ .

(٢) هو العلامة محمد بن علي الشوكاني ولد بهجرة شوكان سنة ١١٧٣ ونشأ في مدينة صنعاء وطلب العلم على شيوخها ولم يرحل في طلب العلم لظروف ذكرها في ترجمته لنفسه وقد بلغ رتبة الاجتهاد وترك الالتزام بالمذهب الزيدي الذي تفقه به ومصنفاته في فنون العلم كثيرة في التفسير والحديث والفقه والعقائد والتراجم وتوفي بصنعاء سنة ١٢٥٠ "أنظر البدر الطالع له ٢/ ٢١٤-٢٢٥ .

(٣) أي عصر المؤلف .

(٤) رواه مسلم في المقدمة ١/ ١٠ .

(٥) جزء من حديث رواه أحمد والترمذي والنسائي وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة ٢/ ٨٤٥ .

(٦) ارشاد السائل الى دلائل المسائل ص٤٥ .

(٧) نفس المصدر ص٤٦ .

وما أحسن ما قال امام أهل السنة الامام أحمد بن حنبل (١) " وقد سئل عن الفتن أيام الصحابة فما زاد أن تلا قول الله عز وجل " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون " (٢) . وهذا الذى قرره الأئمة رحمهم الله هو الحق الذى تؤيده النصوص الشرعية وتقتضيه القواعد المنهجية . قال تعالى زاجرا المؤمنين عن مجاراة الشائعات التي يقولها أهل السوء في اخوانهم المؤمنين " ولولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين " (٣) وقال تعالى " ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم " (٤) فقد أمرهم بالرجوع الى ما علموا من ايمان المؤمنين الذى يدفع السيئات وأن يعتبروا هذا الأصل العظيم ولا يعتبروا كلام أهل السوء الذى يناقضه ويقدح فيه . " وقد دلت الآيتين على قاعدة جليلة وهى الرجوع الى الأمر المعلوم المحقق للخروج من الشبهات والتوهمات . وقد يعبر عنها بأن الموهوم لا يدفع المعلوم وأن المجهول لا يعارض المحقق " (٥) . كما قال تعالى " يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها " (٦) وقال تعالى " يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا .. الآية " (٧) وقال تعالى : " يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " (٨) فقد أمر سبحانه بالتبين والتثبت في خبر الفاسق دون العدل والثقة ، حتى لا نصيب أحدا بجهالة والمقالة سوء وقد جاء في الحديث " اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث " (٩) وقوله " كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع " (١٠) .

---

(١) حافظ حكمى ، معارج القبول ٢ / ٤٩١ .
(٢) سورة البقرة آية ١٣٤ و ١٤١ .
(٣) سورة النور آية ١٢ .
(٤) سورة النور آية ١٦ .
(٥) أنظر عبد الرحمن بن ناصر السعدى . القواعد الحسان لتفسير القرآن ١٩٥ .
(٦) سورة الأحزاب آية ٦٩ .
(٧) سورة الحجرات آية ١٢ .
(٨) سورة الحجرات آية ٦ .
(٩) متفق عليه أنظر اللؤلؤ والمرجان ٣ / ١٩٠ .
(١٠) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ١ / ١٠ .

لقد دلت هذه النصوص على القاعدة المنهجية التي يجب التمسك بها وهي الرجوع الى الأمر المعلوم الثابت وأن هذا الأمر لا يدفع بالظنون والشبهات والأوهام ، وأنه لا بد من الرجوع الى المصادر الأصلية لمعرفة الحقيقة (١) فلا يؤخذ من الكذابين والفاسقين لأن فسقهم يدفعهم الى تصوير الأمر على خلاف ما هو عليه وأن المرء المسلم لا بد له من التثبت والتحقق مما يسمع وأن لا يأخذ من كل من هب ودب (٢)، ثم يرويه قبل معرفته لحاله ثم بيان ذلك. والا كان من الكذابين ،

٤ - معرفة حدود الأخذ من كتب أصحاب الأهواء والزندقة :

من الأمور المهمة في المصادر معرفة الحدود التي تراعى عند الرجوع الى كتب أصحاب الأهواء من الفرق التي ضلت الطريق وفارقت الصراط المستقيم اما بدعوى تأويل غير سائغ ،أو استجابة لشهوة وهوى. أو عن زندقة وكفر. وقد اعتنى العلماء بضبط مذاهب الفرق وأقوالهم لكي تعلم وتعرف حتى أفرد بعضهم ذلك بمؤلفات خاصة مثل أبي الحسن الأشعري "ت ٣٣٠" في مقالات الاسلاميين ، وأبي الحسين الملطي الشافعي "ت ٣٧٧" في "التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع" ، وأبي محمد بن حزم "ت ٤٥٦" في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" ومثل أبي الفتح الشهرستاني "٥٤٨" في كتابه الملل والنحل" كما أن أصحاب الفرق أنفسهم قاموا بتدوين مذاهبهم ومعتقداتهم وأخبارهم

---

(١) قال تعالى "كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة . قل فأتوا بالتوراة فأتلوها ان كنتم صادقين" آل عمران ٩٣" فردهم الى المصدر الأصلي ولم يصدقهم بمجرد الدعوى .

(٢) كان السلف رضي الله عنه لا يحملون العلم الا من الثقات العدول لذلك تجد في كتبهم مثل هذه الأبواب "نهي الرجل أن يأخذ العلم الا ممن تقبل شهادته ويكون مشهورا بالطلب، وباب صفة من لا يؤخذ عنه العلم" باب صفه من يؤخذ عنه العلم "أنظر مقدمة الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ص٢٤٠ و ٢٤٢ و ٢٤٧ .

وتراجم رجالهم وعلمائهم ، ومناظراتهم وردودهم على المخالفين لهم ومنهم من اشتغل بالتاريخ العام فدون الأخبار وصاغها وفقا لمعتقده الديني ومذهبه السياسي فأبرز مثالب خصومه وأخفى كثيرا من جهودهم وحسناتهم ، ولأجل هذا فانه لابد للمؤرخ المسلم أن يتعرف على مؤلف ما يرجع اليه من المصادر فيتعرف على عقيدته واتجاهه السياسي والمذهبي لأن هذه المعرفة تمكنه من التعامل مع النصوص التي يوردها ذلك المؤرخ بما تكوّن لديه من خلفية عن اتجاهاته وآرائه ثم يقارنها بغيرها مما عند أصحاب الفرق الأخرى وما عند الثقات العدول من المسلمين .

والموقف من كتب أصحاب الفرق والأهواء ينظر له من ثلاث زوايا هي بحسب موضوع الرواية فما كان متعلقا بنقل حكم من أحكام الشريعة وروايته فان علماء أصول الحديث قد قرروا في كتبهم أن الرواية عن المبتدعة تنقسم الى قسمين . فمن كانت بدعته مكفرة مثل الروافض الذين يسبون أبي بكر وعمر ويكفرون الصحابة ومثل طوائف الباطنية من قرامطة واسماعيلية ونصيرية وغيرهم من الزنادقة كالخرمية والحلولية والثنوية فهؤلاء لا تقبل روايتهم ولاكرامه .(١)

والقسم الثاني المبتدعة الذين لا تصل بدعتهم الى الكفر والخروج من الملة . فمن كان منهم معروفا بالكذب أو قلة الضبط فلا تقبل روايته . وهذا شرط في كل راو مبتدعا أم غير مبتدع ومن كان مشهورا بالورع والتقوى والضبط لما يرويه فتقبل روايته حتى وان كان داعية لبدعته شريطة أن لا يكون ما يرويه مؤيدا لبدعته ، واحتجوا لهذا بأخراج البخاري في صحيحه لعمران ابن حطان الخارجي مادح عبد الرحمن بن ملجم - قاتل علي رضي الله عنه - فهو من أكبر الدعاة الى بدعته ،. ولكن لمّا عُرِفَ بالورع والتقوى وأنه لا يكذب أخرج الأئمة حديثه.(٢)

---

(١) راجع الذهبي ، ميزان الاعتدال ١/٤ في ترجمة أبان تغلب فقد فصل في ذلك وبين بيانا شافيا .

(٢) أنظر الحافظ بن كثير ، اختصار علوم الحديث ص١٠٠ ، السيوطي تدريب الراوي ١/٢٢٤ - ٢٢٦ .

وماكان متعلقا بالاخبار عن أهل السنة سواء فى التاريخ العام أم فى التراجم الشخصية فهذا ينظر فيه الى تعصب الراوى من عدمه . فمن لاحت عليه أمارات التعصب أسقط خبره لأن الخصومة حجاب ساتر عن رؤية الحقيقة وكما قيل.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

أما من لا يلحظ عليه التعصب وكان عدلا فى ذاته فيسبر خبره ويقارن بغيره من الأخبار وبالوجهة العامة للمجتمع الاسلامى .

والزاوية الثالثة فى النظر هى روايتهم الأخبار عن أهل طائفتهم ومذهبهم وهذا كالاقرار منهم فهو حجة عليهم خاصة حكاية أقوالهم ومذاهبهم فهم أعرف ببعضهم بعضا وبأصول مذهبهم ومنطلقاته الفكرية . وكما قيل فى المثل " من فمك أدينك".

وها هنا مسألة يجدر التنبيه عليها وهى أن بعض الباحثين المعاصرين يطلقون القول بأنه لا تقبل أقوال أهل المذاهب والأديان والفرق المتخالفة بعضهم فى بعض فلا يقبل مثلا قول اليهود فى النصارى ولا قول النصارى فى المسلمين ولا قول المسلمين فى النصارى واليهود ولا قول الشيعة فى السنة ولا قول السنة فى الشيعة والمعتزلة (١) . وهذا القول فيه خطأ منهجى علمى من عدة وجوه فأولا أقوال أهل الدين وشهادة بعضهم على بعض ليست مرفوضة باطلاق انما كل قول ظهر أن الحامل عليه هو التعصب فهو الذى يرفض أما ما عدا ذلك فمن الممكن قبوله وفق معايير معينة سبقت الاشارة الى بعضها .

ثانيا أقوال العدول الثقات - ولا عدالة مع غير الاسلام - التى اذا سبرت وتتبعت وجدت مطابقة للحق والواقع مقبولة باطلاق .

---

(١) أنظر أحمد أمين ، ضحى الاسلام ص د من مقدمة الجزء الثالث.
وأنظر كذلك زهدى جار الله ، المعتزلة ص ك ل من المقدمة " ط القاهرة ١٣٦٦ هـ"
وأنظر الشيخ جمال الدين القاسمى ، تاريخ الجهمية والمعتزلة . فقد أشار الى هذا من طرف خفى وبناء كتابه يدل على ذلك ، وأنظر على وجه الخصوص الصفحات ١٦ ، ٤٢ ، ٦٩ ، ١٠٢ . وأنظر . خالد العسلى جهم بن صفوان ومكانته فى الفكر الاسلامى (ط - بغداد ١٩٦٥ م) الصفحات ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ حيث أنهم كلا من الامام أحمد وابن قتيبة =

وليس من العدل والأنصاف أن تساوى بين المسلمين والكافرين والحق والباطل . قال تعالى "أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون"(١) لأن المسلم هو الوحيد الذى يقوم على رعاية الحق وحراسته والعمل بمقتضاه بموجب تكليف ربانى لذلك فهو الشاهد على البشرية بما عملت . قال تعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا"(٢) فاذا ألغينا شهادته - كما يرى هؤلاء الكتاب - فمن يقم بالحق ويشهد به .. ؟ أيكون الملحدون والعلمانيون والمتحررون من الأديان أولى بالشهادة وقول الحق من المسلم ؟ ان هذا لا يقول به عاقل . وذلك أن المسلم لديه من الموانع عن الكذب ما ليس لدى غيره . يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن المعلمى "ت ١٣٨٦" "وأما كتاب العصر فانهم مقتدون بكتاب الافرنج الذين يتعاطون النظر فى الاسلاميات ونحوها . وهم مع ما فى نفوسهم من الهوى والعداء للاسلام انما يعرفون الدواعى الى الكذب ولا يعرفون معظم الموانع منه .

فمن الموانع التدين والخوف من رب العالمين الذى بيده ملكوت الدنيا والآخرة وقد قال سبحانه "انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله"(٣) وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم "علامة المنافق ثلاث وان صلى وصام وزعم أنه مسلم . اذا حدث كذب واذا أؤتمن خان واذا وعد أخلف"(٤) واخلاف الوعد أغلب ما يكون اذا كان الوعد كذبا . والخيانة تعتمد الكذب كما لا يخفى . وقال أبو بكر الصديق "الكذب مجانب للايمان"

= والدارمى وابن القيم بالتحيز والتعصب على الجهمية وابراز مساوئهم . وفى ص ٢٠٢ و ٢٠٧ ذكر أن الأحاديث النبوية الواردة فى الصحاح لا تعبر الا عن وجهة نظر بعض المسلمين وخاصة المحدثين وأنهم أثبتوا هذه الأحاديث لكى يفهموا المسلمين أن آراء خصومهم مناهضة للاسلام .

(١) سورة القلم آية ٣٥-٣٦ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٣) سورة النحل آية ١٠٥ .

(٤) رواه البخارى ١٤/١ . ومسلم ٧٨/١ .

وأولئك الكتاب لا يعرفون هذا المانع لأنهم لا يجدونه في أنفسهم . ولا يجدون فيمن يخالطونه من تقهرهم سيرته على اعتقاد اتصافه بهذا المانع لضعف الايمان في غالب الناس ورقة التدين ، ولا يعرفون من أحوال سلف المسلمين ما يقهرهم على العلم باتصافهم بذلك المانع . لأنهم انما يطالعون التواريخ وكتب الأدب كالأغاني ونحوها وهذه الكتب يكثر فيها الكذب . والحكايات الفاجرة . كان فجرة الاخباريين يضعون تلك الحكايات لأغراض منها دفع الملامة عن أنفسهم وترويج الفجور والدعاية اليه وترغيب الامراء والأغنياء في الفجور وتشجيعهم عليه والتقرب الى الامراء والأغنياء بالحكايات الفاجرة التي يلذ لهم سماعها الى غير ذلك . وما في هذه الكتب من الصدق انما يصور طائفة مخصوصة كالامراء والشعراء والأدباء . ولو عكف أولئك الكتاب على كتب السنة ورجالها وأخبارهم لعلموا أن هذه الطائفة كان ذلك المانع غالبا فيهم .

ومن الموانع من الكذب خوف الضرر الدنيوي وأولئك الكتاب يعرفون شرط هذا المانع وهو لحوق الضرر المادي -- أما شطره المعنوي فان أولئك الكتاب لا يقدرون قدره .

وقد كان العرب يحبون الشرف ويرون أن الكذب أفحش العيوب المسقطة للرجل كما في قصة أبي سفيان بن حرب مع هرقل الروم عندما سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم وطلب من أصحابه أن اذا كذب أن يكذبوه ، قال أبو سفيان . فوالله لولا الحياء أن يأثروا على كذبا لكذبت عليه"[1] ولا شك أن أبا سفيان كان واثقا أن أصحابه لن يكذبوه أمام هرقل ولكنه أنف من الكذب وخاف أن يعير به فيما بعد .

---

(١) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ١/٢٧-٢٨ .

٥- معرفة ضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين :

عرفنا فى القاعدة السابقة أنه يتوجب على المؤمن عندما يرجع الى أى مصدر أو مرجع أن يتعرف على مؤلفه واتجاهه الفكرى والسياسى وعلى ضوء هذه المعرفة يستطيع أن يأخذ منه وفق ضوابط محددة . وفى هذه القاعدة نحاول التعرف على الضوابط الواجب مراعاتها والالتزام بها عند الحاجة الى الرجوع لمصدر مؤلفه غير مسلم .

وهذه الضوابط لابد منها لأن المسلم صاحب منهج مستقل فى تصوره وغايته وطريقة عطه ، ومنهجه هذا ربانى متلقى من الله بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن خصائصه الكمال والشمول ولذلك لا يحتاج الى شئ من غيره . كما أن له الهيمنة والحكم على كافة المناهج ، قال تعالى " وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله . الآية"(١)

والنظر الى كتب غير المسلمين للأخذ منها يكون بحسب الموضوع .

فاذا كان الموضوع متعلقا بديانتهم وهى ديانة وثنية فانه حينئذ لا بأس من الأخذ عنهم مع النظر والمقارنة أما اذا كانوا من أهل الكتاب وما يذكرونه عن ديانتهم ينسبونه الى الله سبحانه وتعالى أو الى رسولهم أو غيره من رسل الله عليهم الصلاة والسلام فان هذا لا يقبل منهم ولا يؤخذ عنهم الا وفقا لضوابط رواية الاسرائيليات التى مرت فى القاعدة الثانية من قواعد المصادر . حتى لا ننسب الى الله أو الى رسول من رسله مالم يقله .

واذا كان الموضوع متعلقا بديننا من شرح أو تفسير أو اطلاق أحكام على الشخصيات الاسلامية أو على علم من علوم الاسلام أو نظام من النظم الاسلامية أو دراسة لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم فانهم لا يصدقون فيما يقولونه ولا يحل للمسلم أن يأخذ عنهم فى هذا

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .

المجال لأنهم ليسوا أهلا أن يؤخذ عنهم شيئا من دين الله، ولأن من شروط البحث في هذه القضايا الايمان بالله ورسله واليوم الآخر . فاذا كان علماء الاسلام لا يثبتون الأحكام بما يرويه المسلم ضعيف الضبط . فكيف يحق لقوم مؤمنين أن يحملوا عن كافر ساقط العدالة بل يحمل من الحقد والبغضاء على هذا الدين وأهله ما الله به عليم . ان القول في الأحكام الشرعية وفي النظم الاسلامية وفي تقدير رجاله وتاريخه لا يؤخذ الا من المسلم العارف الثقة، أما غير ذلك فلا اعتبار لقوله ولخلافه لو خالف.(١)

اما اذا كان ما في كتبهم ليس له تعلق بشيء من الأنواع السابقة فانه يخضع لموازين النقد العلمي وما ثبت منه لا شيء على من أخذ به ، ولا سيما اذا كان ذلك وصفا لحالهم وأوضاعهم ومعاشهم لأنهم بها أخبر ، ولها أدرى .

---

(١) علماء الاصول يقسمون الخلاف في فروع الأحكام الى خلاف معتبر وهو ما يكون بين الصحابة وعلماء الصدر الأول وأئمة المذاهب الأربعة والعلماء المجتهدين نظرا لوحدة المصدر واختلاف الفهم .

وخلاف غير معتبر مثل خلاف "الشيعة الامامية وغيرهم من الطوائف الضالة . لأن مصدر التلقي عندهم غير مصدر التلقي عند جمهور الأمة . ولذلك لا يعتد بخلافهم ولا يذكر في كتب الفقه . فكيف الحال بمن يذكر خلاف الكفار الأصليين . ؟ .

- قواعـــد في الأســلوب والعرض -

لما كان الاسلوب هو الأداة التي يعرض بواسطتها المؤرخ موضوعه فانه يلزمه أن يعتنى به . ويراعى المستوى العلمى والوسط الاجتماعى الذى يكتب له بحيث يكون واضحا ومؤديا للأهداف العلمية التي قصدها من بحثه .

وبما أن دراسة التاريخ فى حس المسلم مرتبطة بعقيدته ، والتاريخ أداة من أدواته فى الدعوة الى الله وتحقيق عبوديته باقامة منهجه وتحكيم شريعته فانه يتوجب عليه ملاحظة بعض القواعد في اسلوب الكتابة وطريقة العرض والتى نوردها فيما يلى : . .

١ - جعل العقيدة الاسلامية المحور الأساسى فى عرضه .

وذلك بتركيزه على التصورات الاسلامية الصحيحة أثناء العرض الموضوعى للحادثة التاريخية مع ملاحظة المحافظة على الوقائع التاريخية وعدم الاخلال بها وعرضها كما جاءت فى مصادرها الصحيحة .

وعليه أن يتابع تأثير العقيدة فى الحوادث والوقائع وتوجيهها لها ، وعليه أن يعتنى بعرض النتائج المترتبة عن الالتزام بالعقيدة من حصول النصر والتمكين (١) فى الأرض وتدفق الخيرات (٢) . وانتشار الأمن والطمأنينة فى النفوس وانقطاع سبل الفساد ، وأيضا عرض النتائج المترتبة عن الانحراف العقيدى ، أو التقصير فى ذلك .

قال تعالى : " لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين

---

(١) قال تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . . " النور ٥٥ .

(٢) قال تعالى " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . . " الأعراف ٩٦ . وقال تعالى : " وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا " سورة الجن آية ١٦ .

ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور"(١) فان هؤلاء القوم لما أعرضوا عن دين الله وظلموا أنفسهم أرسل الله عليهم سيل العرم فشتتهم ومزقهم كل ممزق حتى قيل فى المثل " تفرقوا أيدى سبأ" وهذه سنة الله فى كل من أعرض عن عبادته وكذب رسله .

وان البشرية على طول تاريخها كلما فاءت الى هذه العقيدة وتمسكت بها حصل لها السعادة والتمكين فى الأرض . وكلما بعدت عنها أصيبت بالأمراض الاجتماعية والخلقية وفشا فيها الظلم والجور وسلط عليها الأعداء .

فالارتكاز على محور العقيدة والتذكير به فى كل مناسبة . وربط الحوادث به وبمقتضياته هو أسلوب القرآن وطريقته فى عرضه لتاريخ الأنبياء عليهم السلام فانه يركز على الوحدانية واخلاص العبودية لله . ونبذ الشرك والمشركين وبيان تناقضهم . ويجعل القصص ونتائجه مرتبط بذلك .

٢- التركيز فى العرض على الأهداف والغايات : . .

المؤمن له فى الحياة هدف وغاية عليا يسعى دائما لتحقيقها وهى عبادة الله وحده . وعند دراسته لحقبة معينة من الزمن أو حادثة من الحوادث فانه لا ينظر الى هذه الدراسة كوسيلة من الوسائل للوصول الى الغاية العليا . فلا ينفق كل جهده فى الوسيلة ويترك الغاية . ولذلك ينبغى أن لا تشغلنا الدقائق التفصيلية فى حوادث التاريخ عن العبرة من الحدث والرؤية الشاملة له ومن الاعتبار الذى يترك فى النفس أثرا . وانفاق الوقت والجهد فى البحث عن أمور لا طائل تحتها ولا تعود على البحث بفائدة وليست من هدف المسلم ولا غايته فى الحياة .

---

(١) سورة سبأ ، الآيات : ١٥ - ١٧ .

الا أن يكون البحث في التفصيلات متعلق به مقصد شرعي فلا بأس حينئذ من البحث عنه ومحاولة اثباته . وهذا هو ما يلحظ من توجيه القرآن للذين تجادلوا في عدد أصحاب الكهف حيث قال تعالى : " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب . ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل . فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا "(١) فالخلاف حول عدد أصحاب الكهف يستخلص منه أن الناس دائما يتعلقون بالأمور الجانبية التي لا فائدة ترجى من وراء معرفتها ويختلفون في ذلك ثم يخوضون بالجدل فيه بغير علم ويتركون المقاصد والأمور المهمة وهي أخذ العبرة من وراء سياق القصة . وانه ليستوي في أخذ العبرة أن يكون عددهم ثلاثة أو خمسة أو سبعة أو أقل أو أكثر . فالعبرة في أمرهم حاصلة بالعدد القليل أو الكثير.(٢)، ولكن اذا وجد علم صحيح بعددهم فانه لا مانع من الأخذ به واثباته كحادثة تاريخية . فالذي يجب على المسلم هو التركيز على الأهداف والغايات والتذكير بها في كل مناسبة.

٣- <u>أن يكون العرض موحيا بتحبيب الخير وتبغيض الشر.</u>

المؤرخ المسلم ليس ناقلا لما قيل وما حدث في الزمن الماضي فقط انما هو صاحب رسالة وحامل مشعل هداية للبشرية وميزانه في معرفة الخير والشر ليس عرف الناس ولا ما تواضع عليه أهل زمن أو قررته هيئة من الهيئات أو زعيم من الزعماء . انما ميزانه هو شرع الله ولذلك فانه اذا درس تاريخ واقعة معينة أو تاريخ شخصية من الشخصيات أو دولة من الدول وجب عليه أن يعرض ذلك بأمانة وصدق وأن يفحص ويدقق وينقد المصادر والمراجع ويتثبت غاية التثبت ثم عليه أن لا يظهر الباطل بمظهر الحق ولا يظهر الخير بمظهر الشر . انما يسمى

---

(١) سورة الكهف آية ٢٢ .

(٢) حول تفسير الآية راجع تفسير ابن كثير ٥/١٤٤ وسيد قطب في ظلال القرآن ٥/٢٢٦٥ .

الأشياء بأسمائها الشرعية فالحق حق مهما كان فاعله والباطل مهما كان قائلـــه . والميزان هو شرع الله . فاذا رأى غدرة أو ظلم أو اهانة لأحد أو تعد لحدود اللـــه فانه لابد أن ينبه على أن ذلك تجاوز ومخالفة لشرع الله واذا رأى عدلا واحسانا وجهـادا في سبيل الله وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر أشاد به ومدح صاحبه ليكون قدوة في هـذا الفعل الطيب وهذا من أعظم غايات دراسة التاريخ وثمراته .

٤ - ابراز دور الأنبياء وأثرهم في تاريخ البشرية : . .

الأنبياء عليهم السلام يمثلون خط الاستقامة ومنهج الحق في هذا الوجود بما علمهم الله وأنبأهم به من الوحي . وقد جاءوا بعقيدة واحدة هي افراد الله بالعبادة . والاستسلام له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله .

والاسلام بهذا المعنى هو دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم وهو الدين الذى لا يقبل الله سواه . قال تعالى "ان الدين عند الله الاسلام"(١) وقال "ومن يبتـغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"(٢)

ودور الأنبياء وأتباعهم يمثل في تاريخ البشرية كلها خطا مستقلا ومرتبطا بعضـــه مع بعض من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم ، وتقف بازائه الجاهليات على تعدد أنواعها واختلاف عصورها . فالجاهليات تشكل أمة واحدة وحزبا واحدا في مقابل أمة الاسلام ودعـوة الحق وحزب الرحمن وأتباع الرسل والأنبياء .

والتاريخ البشرى كله منذ أن خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الأرض وكلفه بالخلافـة فيها وأنزل عليه الهدى ، يمثل صراعا بين الحق والباطل .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥ .

بين أتباع الهدى وأتباع الضلال . فالأنبياء وأتباعهم يريدون تطبيق شرع الله وتنفيذه . وأعداؤهم من دعاة الباطل يريدون تنفيذ آرائهم وأهواء طواغيتهم ، وكل فترة يتغلب فيها دعاة الحق وينفذوا منهج الله نجد البشرية تنعم بالأمن والاستقرار وتفيض فيها الخيرات . وذلك أن منهج الله هو الحق الموافق للفطرة البشرية والمتسق مع ناموس الكون . قال تعالى " ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون "(١) وقال " وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا "(٢).

كما أننا نجد أن كل فترة تسيطر فيها الجاهليات تصاب البشرية بالشقاء ويسود فيها الظلم - ولا أظلم من الشرك بالله - وتبتلى بالمصائب.(٣) حتى ان الأرض لتئن من ذلك الظلم وتفرح بزوال الظالمين . قال تعالى: فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين "(٤) بل ان قطع دابر الظالمين من النعم التي تستوجب شكر الله وحمده قال تعالى : " فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين "(٥) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ان الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب "(٦) فاتباع الرسل هم الذين استثنوا من هذا المقت والسخط .

ولأجل ذلك فان على المؤرخ المسلم أن يبرز هذا الأثر وهذا العمل الذى قام به رسل الله عليهم السلام وخلفهم عليه أتباعهم ، وأن يتتبع آثاره في الحياة البشرية . في عمارة الأرض . وفى أخلاق الناس وفى آدابهم وثقافاتهم وأنظمتهم وفي أفكار دعاة الاصلاح وخططهم.

---

(١) سورة الأحقاف آية ٣ . (٢) سورة الجن آية ١٦ .

(٣) الأمثلة الواقعية في التاريخ على كلتا الحالتين أكثر من أن تحصى وأنظر على سبيل المثال أبو الحسن الندوى . ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ فصل الانسانية في الاحتضار وفصل رحلة المسلم من الجاهلية الى الاسلام . وفصل المجتمع المسلم . وأنظر كذلك سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامي . فصل تيه وركام .

(٤) سورة الدخان آية ٢٩ . (٥) سورة الأنعام آية ٤٥ .

(٦) طرف من حديث طويل رواه مسلم فى كتاب الجنة ٤ / ٢١٩٧ .

فان كل الحق لا تضيع هباء ولا بد أن تترك أثرا . ولقد أمتن الله سبحانه وتعالى على الأمة الاسلامية وعلى العرب خاصة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون "(١) .

وقال : " لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين "(٢) وفي آية سورة الجمعة قوله تعالى : " هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم "(٣) .

فهو الذى زكى أخلاقهم وعلمهم الكتاب والحكمة وعلمهم مالم يكونوا يعلمون ورفعهم من الضلال المبين الذى كانوا فيه قبل بعثته الى الهدى والنور والصراط المستقيم .

٥ - تحرى استعمال المصطلحات الاسلامية : . .

لقد كان من تأثير الغزو الفكرى الأوربى للمسلمين أن شاعت بينهم مصطلحات وألفاظ ومفاهيم غريبة عن عقيدتهم وثقافتهم حتى كادت أن تختفى المصطلحات الاسلامية . ووقع فى ذلك كثير من الكتاب الذين كتبوا فى التاريخ الاسلامى مع أن كثيرا منهم لا يتهمون فى دين ولا صدق نية . لكنهم كانوا ضحايا الفكر العلمانى الوافد . الذى لم يعد يسلم منه حتى أصحاب الثقافة الشرعية . فنجد مع الأسف أنه قد شاع استعمال كثير من المصطلحات الدخيلة على الفكر الاسلامى ليس فى مجال التاريخ الاسلامى وحده وانما فى أغلب كتب الثقافة الاسلامية . ومن هذه المصطلحات نوع له بريق ومعانى مضللة مثل الوحدة العالمية الاخاء الانسانى ، السعى لخدمة البشرية ، السلام الدولى ، والتعاون العالمى ،

---

(١) سورة البقرة آية ١٥١ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٤ .

(٣) سورة الجمعة آية ٢ .

المساواه ، الحرية ، زمالة الأديان ، التقارب بين المؤمنين بالله في مواجهة الالحاد والشيوعية . . . الخ تلك العبارات الموهمة وغير المحددة الدلالة ، والمسلم قبل أن ينساق وراء هذه الألفاظ الرنّانة ويأخذه بريقها يجب عليه أن يزن مثل هذه المصطلحات — بالميزان الشرعي ويسأل نفسه ما هي أصول الوحدة التي ندعو لها بمثل هذه العبارات ، وما ركائزها ؟ وعلى أي أساس نقيم هذه الوحدة العالمية ؟ ثم هذه الدعوة للمساواه والحرية والعدالة . على أي منهاج تقام وما هو المفهوم والميزان الذى يحدد دلالة هذه الألفاظ . وما ضوابط ذلك ؟ ثم هذا التقارب بين الأديان وهذه الزمالة والتعاون ضد الالحاد على أي منهج يقوم ؟

ان هناك منهجا ربانيا واحدا ومئات من المناهج والمفاهيم الجاهلية .

فهل المقصود هو اقامة البشرية على المنهج الرباني والعبودية لله وحده وتحكيم شريعته ؟ أم المقصود اقامة خليط من هذه المناهج والمفاهيم المتضادة ؟! يجب أن يكون واضحا في تصور المسلم وعقيدته أنه لا لتقاء بين الحق والباطل ولا بين الهدى والضلال ولا بين الاسلام والكفر . وأن الكفر وان اختلفت مناهجه وتعددت طرقه وتباينت درجاته فانه ملة واحدة . سواء كانوا نصارى أو يهود أو مشركين وثنيين أو شيوعيين . . وليعلم أن منهج الرسل عليهم السلام في اقامة الدين الحق لم يكن على شئ من هذا الخليط . انما قام على البراءة من الشرك والمشركين واقامة الحنيفية السمحة ملة الاسلام .

كما أن هناك مجموعة من المصطلحات الأوربية جرى ترجمتها واستعمالها لدى طائفة من الكتاب المسلمين وهي ذات مضامين ودلالات محلية وتاريخية ولا يمكن فصلها عن ذلك الوسط الاجتماعي والظروف التاريخية والثقافية التي لابست نشوء هذا المصطلح أو ذاك . مثال ذلك مصطلح . الديمقراطية . والاشتراكية . والثيوقراطية . والدكتاتورية ، والامبراطورية واليمين واليسار والمحافظين ، والليبرالي ، والامبريالي والأحرار ، والأرستقراطية . . . الخ فمثلا الديمقراطية لا يمكن أن تستعمل كمرادف أو بديل لمصطلح "الشورى" في المفهوم الاسلامي . لأن الشورى في الاسلام مقيدة بالنصوص الشرعية . بينما الديمقراطية تعني في

أبسط معانيها " حكم الشعب بالشعب للشعب " أى أن الشعب هو مصدر التشريع .
ومثال آخر مصالح الاشتراكية لا يمكن أن يكون بديلا لمعنى التكافل الاسلامى . لأن هذا التكافل يرتبط بأهداف ودوافع ايمانية لا تلتقى مع أهداف المذهب الاقتصادى الاشتراكى فى طريق ولا منهج . وقد تابعنا المستعمرين - مع الأسف - حتى فى التوزيع الجغرافى والتوزيع التاريخى الذى استخدموه ، وتلقينا مصطلحاتهم فى ذلك وسلمنا لهم ولو فكرنا قليلا لأدركنا المعانى الحقيقية لهذه المصطلحات وأنه لا ارتباط لها بواقعنا ولا تاريخنا .
فمثلا فى التوزيع الجغرافى يقولون الشرق الأدنى والشرق الأوسط . والشرق الأقصى .
وذلك أن المستعمر الأوربى اعتبر نفسه فى مركز الأرض فأطلق هذا التوزيع بالنسبة لموقعه . (١)
وكذلك التوزيع التاريخى مثل العصور القديمة والعصور الوسطى والعصور الحديثة . وهذا التوزيع متميز بمراحل وتقلبات تاريخية عاشتها أوربا مما يجعل لكل فترة من هذه الفترات مميزاتها وخصائص ومفاهيم مستقلة تبعا للتطورات والانقلابات الفكرية والعقائدية التى عاشتها أوربا فى كل حقبة من هذه الحقب بينما التاريخ الاسلامى بما فيه تاريخ الأنبياء يمثل وحدة واحدة بالنظر الى المفاهيم والنظم السائدة والتى لا تتبدل تبعا لتبدل الزمان والدول والحكام . لأنه تاريخ أمة ذات عقيدة واحدة لم تتبدل . واذا كان القصد من التوزيع الى عصور لغرض التأليف والدراسة فليس بلازم أخذ هذا التوزيع الأوربى ولا متابعتهم عليه لأنه يفتت تاريخنا ويوجد الحواجز بين عصوره . ومما يبعث فى النفس أسى وحسرة أن نرى طائفة من المسلمين عندما يعرضون لتاريخ أمة من الأمم الكافرة فى التاريخ ينبهرون من تقدمها فَيُنْشِقُونَ عليها روح التقدم والحضارة ويثنون عليها ثناء كثيرا ويفخرون بمنجزاتها وآثارها . وتجدهم كذلك يخلعون مثل هذه الألقاب على الدول الكافرة المعاصرة كقولهم

---

(١) لما كان المسلمون فى أوج عزهم وكانت بغداد هى عاصمة الأرض الاسلامية كلها كانت الدويلات التى قامت فى ظل الخلافة العباسية شرق بغداد تسمى الدويلات المشرقية والتى غرب بغداد تسمى الدويلات المغربية . فجعلوا بغداد هى المركز .

العالم المتحضر . والعالم المتقدم ، والدول العظمى ، في حين يسمون الدول الاسلامية . بالبلدان النامية والعالم المتخلف أو دول العالم الثالث.

وكل هذا الانبهار والاعجاب من فقدانهم للميزان القرآني لمعنى التقدم والحضارة. ولانخداعهم بالتيسيرات المادية التي وجدت في هذه الدول ومن نسيانهم للسنة الربانية التي دل عليها قوله تعالى "فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون" (١)

ومن فقدانهم لمفهوم الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله التي هي أوثق عرى الايمان .

٦- الابتعاد عن أسلوب التعميم قبل حصول الاستقراء: ..

ومما يلزم المؤرخ ملاحظته في عرضه أن لا يستعمل أسلوب التعميم وانما تكون عباراته محددة الدلالة ، واضحة المعنى ، وأن لا يطلق حكما عاما على أهل بلد أو على أهل زمان أو على جنس من الأجناس ، أو ينفي حدوث واقعة معينة . قبل حصول الاستقراء التام.

فمثلا حادثة مقتل الخليفة الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه وموقف أهل المدينة من ذلك . لا يصح أن نقول ان أهل المدينة كلهم تخاذلوا عن نصرته أو رغبوا في قتله . أو نقول كما تقول الطائفة المخذولة - الروافض - ان الصحابة أجمعوا على قتله . وأنّى لهم مثل ذلك !! بل نقول ان أهل المدينة قد وقفوا الى جانب خليفتهم ودافعوا عنه كما تدل على ذلك الأخبار الصحيحة ولكنه رضي الله عنه منعهم من ذلك وألزم كل من يرى أن له عليه طاعة بالخروج من الدار لأنه لا يريد اراقة الدماء ووقوع مذبحة بين المسلمين من أجله ، ورأى أن أقصى

---

(١) سورة الأنعام آية ٤٤ .

ما يصل اليه أمر الثوار هو قتله وفرح بالشهادة وتأول حديث رسول الله في تبشيره بالجنة على بلوى تصيبه (١) بهذا الأمر الذى وقع له من حصار الثوار .

ومثل أن نأتى الى مجتمع من المجتمعات أو عصر من العصور فنحكم على أخلاق أهله من خلال شعر اثنين أو ثلاثة أو حتى مائة من الشعراء الماجنين . فنقول ان ذلك العصر عصر مجون وتهتك وخلاعة . .

فمن المعروف أن كل مجتمع يحوى عناصر مختلفة من الصالحين والطالحين والحكم يكون للغالب منهما كما أنه لا يجوز أن نطلق مثل هذه الأحكام على أسرة من الأسر أو طائفة من الطوائف فنقول ان أسر بنى أمية أسرة ظالمة أو نقول ان فرقة المرجئة أو المعتزلة كلهم زنادقة ومنافقون . لأن كل طائفة لا تخلو من بعض الخيرين أو العوام أو المجتهدين المتأولين . غير أن الحكم كما قلنا يكون للغالب .

---

(١) رواه البخارى ، أنظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ٧ / ٥٢٠ كما قد روى عن عثمان أنه رأى رسول الله في المنام أثناء حصار الثوار فسأله رسول الله ودعاه للافطار معه مما شوقه رضى الله عنه للقاء الله فمنع الحرس وطلب منهم الخروج عنه والتخلية بينه وبين الثوار .

الباب الثالث

دراسة لمناهج مؤرخي القرون الثلاثة الأولى من الهجرة

تمهيد :

تمهيـــــد :

ان محاولة التعرف على دوافع التدوين التاريخي عند المسلمين وتتبع المحاولات الأولى التي تمت في هذا الحقل أمر له أهميته في دراسة التدوين التاريخي وظهور الرواد الأوائل في التأليف المنهجي المتخصص . من حوالي منتصف القرن الثاني الهجري وما بعده . لذا فاننا في هذا التمهيد سنحاول ايضاح دوافع التدوين التاريخي عند المسلمين ونتتبع البدايات الأولى والمراحل التي مرّ بها التدوين التاريخي .

دوافع التدوين التاريخـــي :

لقد كان الغالب على العرب قبل البعثة النبوية "الأميه" أي شيوع الجهـل بالقراءة والكتابة . وقد قال الله تعالى : ((هو الذي بعث في الأميين رسولا منهـم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مـبين))(١) وقال صلى الله عليه وسلم ((انا أمة أميه لا نكتب ولا نحسب))(٢) وبسبب هذه الأميه الشائعة فيهم كان التدوين عندهم قليلا جدا . وكان جل اعتمادهم على الذاكرة والحفظ .

وكان اهتمامهم التاريخي ينصب على جانبين اثنين هما :

- أخبار الأيام والمغافـرات .
- ذكر الأنساب والمفاخر والمآثر والمثالب .

وكانوا يصوغون أخبار هذه الموضوعات في نسق قصصي مشوق يتذاكرونه في الأسـفار

---

(١) سورة الجمعة آية ٢ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢ / ٢٢٠ .

والأسطار ، وربط نظموه شعرا ليسهل عليهم حفظه واستذكاره .

و((الشعر ديوان العرب))(١) الذى يجمع أخبارها وأنسابها . ونظرا لقلة التدوين عندهم فانه لم يصلنا عنهم أى كتاب مصنف فى تاريخهم ، وانما نقل هذا التاريخ رواية شفوية وأشعارا محفوظة ، وهذا لا يمنع أن تكون هناك مدونات(٢) غير مرتبة فى الشعر والأنساب ، أو بعض الأخبار . لكنها لم تأخذ صفة التدوين التأليفى لأن العرب لم يكن لهم فى الجاهلية عناية بالتأليف ثم لم يكن لهم من سعة النظرة وشمولها ومن الرابطة الجامعة ما يدفعهم الى الاهتمام بالتدوين والتأليف التاريخى المنظم . وانما نظرة أحدهم ورابطته لا تتعدى منطقته التى يعيش فيها . وقبيلته التى يحيا فى كنفها وحمايتها ويتغنى بمآثرها وأيامها .

لكن لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين الذى أخرجهم من الظلمات الى النور ، وقرأ عليهم القرآن ودونه فى صحف يقرأونها - فكان بذلك أول كتاب كامل دونه العرب مدونا بلغتهم - تغيرت نظرتهم هذه وتغير عالمهم وعلموا منه التصور الصحيح لمعنى ربوبية الله وأن حق هذه الربوبية ولازمها هو توحيد الألوهية أى افراد الله بالعبادة ((ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين))(٣) أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تتذكرون))(٤) .

---

(١) هذا القول منسوب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ،أنظر ناصر الدين الأسد ،مصادر الشعر الجاهلى ص٢٥١ ، وقال ان السيوطى قد نسبه فى كتابه المزهر الى عبدالله ابن عباس رضى الله عنه .

(٢) تدل الأخبار على وجود بعض المدونات عن تاريخ الدول التى قامت فى اليمن مثل التبابعه والحميريين وذلك فى أديرة الحيرة فى شمال الجزيرة عن تاريخ المناذرة ، كما أنه قد كان عند عرب الجزيرة بعض الصحف التى دونوا فيها بعض أشعارهم مثل المعلقات ، التى علقت بالكعبة ومثل بعض الأخبار وقوائم الأنساب والمعاهدات والصكوك ، أنظر المصدر السابق ص٦٠ وما بعدها .

(٣) سورة الأعراف آية ٥٤ . (٤) سورة النحل آية ١٧ .

كما علموا منه وحدة أصل البشرية ومنشأها . قال تعالى : ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا)) (١) .

وقال تعالى : ((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير)) (٢)

وعلموا منه وحدة الدين الذى ارتضاه الله لهذه البشرية ، قال تعالى : ((ان الدين عند الله الاسلام)) (٣) وقال تعالى ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)) (٤)

وقوله تعالى ((قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)) (٥)

كما وضح لهم المصير والنهاية وأن ذلك يكون بحسب الأعمال فى هذه الحياة الدنيا . كما بين لهم سنن التقدم والأنهيار وقيام الحضارات والدول وأسباب سقوطها وذلك من خلال ما قصه عليهم من تاريخ الأنبياء ومواقف أقوامهم منهم ، حيث أتى هذا القرآن بنظرة جديدة الى تاريخ الماضيين والتفكر فى أحوالهم .

كما أنه قد بين لهم أن الله سبحانه وتعالى فى هذا الكون سننا لا تتبدل ولا تتحول كما قال تعالى ((فهل ينظرون الا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)) (٦)

---

(١) سورة النساء آية ١ .
(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٩ .
(٤) سورة الشورى آية ١٣ .
(٥) سورة البقرة آية ١٣٦ .
(٦) سورة فاطر آية ٤٣ .

كل هذا كان له أثره في تصورهم واهتمامهم مما أعطى لهم بعدا زمنيا في النظر الى الماضي قوامه التاريخ البشرى كله من خلال سلسلة الأنبياء والرسل وتتابعهم من آدم عليه السلام حتى ختمت الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك تصحح تصورهم عن الكون منذ الخلق حتى يوم القيامة ، فعلموا أن هناك حياة أخرى أوسع من هذه الحياة وأطول هي الحياة الآخرة .

فلما تصححت مفاهيمهم واستقام تصورهم ، تحولت رابطتهم من النظرة القريبة الجذور ، الضيقة الحدود ، الى رابطة الاسلام والايمان الممتدة في شعاب الزمن والمتطاولة على مدى التاريخ البشرى ، فربطهم بأبيهم آدم أول البشر وأول الأنبياء ، وبنوح أول الرسل وابراهيم واسماعيل واسحاق وموسى وعيسى وتلك السلسلة الكريمة الطويلة من الأنبياء وأتباعهم المؤمنين ،

فلما تغيرت نظرة العربى الى الماضي - بعد أن دخل في الاسلام واهتدى بهديه - الذى كان يراه قريبا ضيقا في نطاق قبيلته وأرضه التي ولد فيها وعمره الذى يحياه انفتح له باب الدراسة التاريخية المرتبطة بتاريخ الماضين من الأنبياء والأمم والمرتبطة أيضا بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبذلك وجدت النظرة العالمية الشاملة عند المسلمين الى التاريخ ، وان كان جل عنايتهم في البداية قد انصب على دراسة سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم وتاريخ المسلمين من بعده ، وهذا شئ طبيعي لأهمية هذه الفترة في حياة الأمة الاسلامية ، ولتوفر المعلومات عن السيرة النبوية وتاريخ المسلمين مما لم يتوفر مثله ولا قريبا منه في معرفتهم بالتاريخ الماضي .

وبجانب هذه النظرة التي أوجدها الاسلام في أتباعه عن الماضي وأهميته ، وعن الحاضر وأثره وعن المستقبل وضرورة العمل والتخطيط له ، كانت هناك دوافع أخرى ، نشأت وصاحبت تكون الأمة الاسلامية وحاجاتها العلمية والعملية فمن تلك الدوافع أهمية السنة النبوية في التشريع وفي حياة المسلم . قال تعالى ((لقد كان لكم في رسول الله

أسوة حسنة لمن كان يرجوالله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) (١) فلكي يعرف المسلم سنة النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن يعرف هديه في حياته الخاصة وفي مغازيه وفي تعامله مع أصحابه ومع المخالفين له ليتعرف على الأحكام الشرعية اذ أن سيرته منهج عملي وسوابق تاريخية في كيفية تطبيق التشريع الاسلامي ، وفي منهج الدعوة الى الله ، وطريقة بناء المجتمع الاسلامي وتأسيس الدولة الاسلامية ، ولتحقيق هذه الحاجة بدأ العمل في جمع أخبار السيرة النبوية والمغازى وتدوينها .

أما تدوين الأنساب والعناية بها فقد كان وراءه دوافع شرعية مثل أحكام المواريث والتركات ومعرفة الأرحام والأقارب لغرض برهم وصلتهم ، وحاجات عملية عند ما دونت الدواوين خاصة ديوان الجند وديوان العطاء فقد كان توزيع الجند في الجهاد والفتوح يتبع التوزيع القبلي (٢) فكانت كل فرقة أو سرية من الجيش تتكون من قبيلة من القبائل ويرأسها أحد أفراد القبيلة ، خاصة في حروب الردة وفي فتوح العراق والشام . كما أن ديوان العطاء قد جعل عمر بن الخطاب أسس التوزيع فيه على أساس القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم السابقة في الاسلام . مما أدى الى البحث في تاريخ الصحابة رضي الله عنهم ، وأخبارهم ومآثرهم ومعرفة طبقاتهم وأنسابهم كما أن للعصبية القبلية والعناية بأدب الأيام وشعر النقائض والحركة الشعوبية أيضا أثر واضح في العناية بالأنساب وتدوينها وظهور كتب المثالب .

أما أخبار فتوح البلدان فقد احتيج لمعرفتها وتدوينها لأغراض ومطالب شرعية مختلفة لعل من أبرزها معرفة البلدان التي فتحت عنوة وتمييزها عما فتح صلحا وكذلك معرفة أي سكان البلاد أهل عهد وأيهم أهل ذمة ، لما يترتب على هذه المعرفة من أحكام شرعية في التعامل مع أهل البلاد وجباية الأموال لبيت مال المسلمين من الخراج والجزية وغيرها .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٢) أنظر ، ابن كثير ، البداية والنهاية ٦/٣٢٥ .

أما العناية بتراجم الرجال وتدوين ذلك مرتبا على نظام الطبقات أو حسب البلدان والمدن أو حسب تاريخ الوفيات أو على حروف المعجم (١) فقد كان من أول دوافعه التدقيق في رواة الأخبار النبوية لتمييز الصحيح من السقيم حيث ينبني على ذلك معرفة ما في السند من علل كالاتصال أو الانقطاع ونحو ذلك وقد نشأ عن هذا التدوين ظهور تواريخ المدن ممثلة في تراجم رجالها وعلمائها .

كما أنه قد كان لظهور الفرق مثل الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية وغيرهم أثر واضح في التدوين التاريخي لأن كل فرقة قد اهتمت بأخبار فرقتها والأحداث التي صارت لها وبيان مذهبها والرد على خصومها .

كما كان للقصاص والوعاظ أثر في ايجاد التحسس التاريخي عند العامة والتنبه الى أهمية الأخبار والقصص مما أوجد الرغبة في حفظها وتدوينها .

فقد كان القصاصون يستعينون بالحكايات والأخبار والقصص التاريخي في ابلاغ ما يريدون من المواعظ أو كسب جمهور العامة واقناعهم بالقضية التي يدعون لها . لأن الفرق قد حاولت استغلال وضع القصاصين فقامت بنشر بعض القصص المؤيدة لمذهبهم بل ربما اشتغل بعض دعاتها بالقصص لبلوغ ما يريدون .

فهذه هي أبرز الدوافع في التدوين التاريخي وهناك دوافع أخرى ثانوية - فردية كانت أو جماعية - مثل الرغبة في تدوين تاريخ خليفة معين . أو طائفة أو قبيلة أو بلد ومثل وضع التاريخ الاسلامي (٢) وتحديد بداية ذلك بالهجرة النبوية الى المدينة . مما ساعد على ضبط الأحداث وترتيبها .

---

(١) حول أسس تنظيم كتب علم الرجال ، أنظر أكرم ضياء العمري ، بحوث في تاريخ السنة ص ٦٤ .

(٢) المشهور أن الذي وضع التاريخ الهجري هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك في السنة الرابعة من خلافته الموافقة للسنة السابعة عشرة من الهجرة وكان سبب وضعه للتاريخ هو ما كتبه أبو موسى الأشعري وكان واليا له على البصرة ((انه تأتينا من قبلك كتب ليس لها تاريخ)) وقيل قد رفع له صك محله شعبان فقال ما ندري أي الشعبانين المتقدم =

وقد كانت الرغبة العلمية الخالصة وحب تدوين العلم وحفظه دافعا للكثيرين لجمع المعلومات التاريخية وتبويبها وتنسيقها . ثم ان التدوين بصفة عامة ظاهرة من ظواهر التمدن واستقرار الدولة وتوسع أنشطتها .

= أم الآتي . فاستشار عمر الصحابة في ذلك فقال بعضهم أرخ بمبعث النبي وقال بعضهم أرخ بوفاته . فقال عمر لا ، بل نؤرخ بمهاجره ، فان مهاجره فرق بين الحق والباطل فأرخ بالهجرة . وفي رواية أخرجها الحاكم في مستدركه ان الذي أشار عليه بالتاريخ من الهجرة هو علي بن أبي طالب ، وقد قال البخاري في صحيحه باب التاريخ . من أين أرخوا التاريخ ؟ فكأن هذا الاستفهام إشارة الى الخلاف الحاصل في ذلك ثم ساق بسنده عن سهل بن سعد أنه قال ((ما عدوا من مبعث النبي ولا من وفاته ما عدوا الا من مقدمة المدينة)) وفي مسند أحمد كما يذكر ابن كثير أن أول من أرخ يعلي بن أميه عندما كان باليمن أميرا لعمر بن الخطاب .

وذكر الحاكم في الاكليل عن الزهري أن أول من أرخ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مقدمة المدينة . وقال الحافظ بن حجر في فتح الباري ان سند هذه الرواية معضل . وقد روي أن رسول الله قد أرخ بعض كتبه مثل عهد أهل نجران سنة خمس من الهجرة ومثل عهد أهل مقنا سنة تسع ولكن الذي يظهر أنه لا يصح سند شيء من هذا المعهود ، أنظر التعليق في هامش فتوح البلدان ١/ ٧٢ .

اما ما يذكر بأن عمر بن الخطاب والصحابة قد استشاروا الهرمزان ، فأشار عليهم بأن للعجم تاريخ يسمونه ((ماه روز)) أي حساب الأيام والشهور فقد قال عنه الدكتور مصطفى الأعظمي ان هذه القصة أقحام بلا سبب ، أنظر كتاب النبي ص ٢٣ وحول وضع التاريخ الهجري أنظر ، تاريخ خليفة بن خياط ص ٥ والتاريخ الصغير للبخاري ص ٥ ١- ١٦ ومستدرك الحاكم ٣/ ١٣ والبداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٠٦ وفتح الباري ٧/ ٢٦٨ وصبح الأعشى ٦/ ٢٤٠ والسخاوي ، الاعلان ص ٧٨ والسيوطي الشماريخ في علم التاريخ ص ١٩ - ٢٣ .

كيفيـــة التدويــــن :

نظرا لأنه لم يصل الى أيدى الباحثين فى العصور الحديثة مؤلفات تاريخية مـــن القرن الأول الهجرى (١) فقد اختلفت آراؤهم فى بداية التدوين التاريخى وكيفيته . بـل وفى تدوين العلوم الاسلامية عموما ووصل الأمر ببعض الباحثين وخاصة المستشرقين منهــم الى آراء غريبة وأحكام ساقطة (٢) . حيث تصور هؤلاء الباحثون أن العلم الاسلامى ومن ضمنه الروايات التاريخية قد جرى نقله بالرواية الشفوية دون تدوين طوال القرن الأول وحـتى منتصف القرن الثانى الهجرى .

ووصل شذوذ الرأى وقلة الفهم ببعضهم الى القول باختراع الأسانيد ووضعهـا فى وقت متأخر . وقد ناقش الاستاذ البحاثة فؤاد سيزكين (٣) هذه الآراء والاختلافات والشطط فى الأحكام وأرجعها الى عدم فهم هؤلاء الباحثين لطرق تلقى العلم وتحمله (٤) عنــد

---

(١) أقدم ما وصل الينا من المؤلفات التاريخية . كتاب التيجان فى ملوك حمير المنسوب الى وهب بن منبه وهو مطبوع ، وكتاب الملوك وأخبار الماضيين لعبيد بن شريه الذى استقدمه معاوية من اليمن وأمر بتدوين أخباره كما يروى ابن النديم فى الفهرست ص١٠٢ وقد طبع الجزء الذى ربما من الكتاب فى حيدر آباد باسم "أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها "أنظر نشأة التدوين التاريخى لحسين نصار ص١٠ والسيرة النبوية لمحمد بن اسحق بعد أن هذبها عبدالملك بن هشام وقد وجد فى المغرب جزء من السيرة لابن اسحق وطبع أخيرا . ويذكر هورفنس أنه توجد قطعة من المغازى منسوبة لوهب بن منبه فى مكتبة "هيدلبرج" كما توجد قطعة فى المغازى لموسى ابن عقبة فى المكتبة البروسية وقد نشرها "سخاو" مع ترجمة المانيه عام ١٩٠٤م "المغازى الأولى ومؤلفوها ص٤٣ و٧١".

(٢) أنظر حول هذا . فؤاد سزكين فصل تدوين الحديث وفصل التدوين التاريخى من كتابه تاريخ التراث العربى المجلد الأول وخاصة الصفحات ٨٧-٨٨ و٩٠ و٩٤ و٩٥-٩٦ و١٠٧ و١٠٩ (ص٢٦٥-٢٦٦))

(٣) المصدر السابق ١/١٠٧ و١٠٩ .

(٤) طرق تحمل الحديث ثمانية أنواع هى : ١- السماع من لفظ الشيخ وهو أعلاها ويروى عنه بلفظ حدثنا وأخبرنا وسمعت . ٢- القراءة على الشيخ حفظا أو من كتاب وتسمى العرض عند بعضهم ويروى عنه بلفظ قرأت على فلان أو أخبرنا أو حدثنا قراءة عليه . ٣- الاجازة وهى أن يقول الشيخ لتلميذه أجزتك هذا الكتاب . وهى أنواع ويقول فى الرواية بها حدثنى =

العلماء المسلمين وخاصة أهل العصور الأولى . وفوق ذلك ينبغي أن لا ننسى الرغبة المبيته لدى الكثيرين منهم في تشويه العلم الاسلامي والتشكيك في صحته .

وانه بالبحث المتأنى في الأخبار المتكاثرة في كتب التراث (١) عن التدوين وكتابة الصحف من عصر الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم .

وبمحاولة اعادة ترتيب المادة العلمية المدونة في المؤلفات الأولى

وبتفهم طرق الرواية والتعليم التي كانت سائدة في تلك العصور .

ومعرفة كيفية ادارة مجالس العلم . . بالنظر في ذلك كله يزول الغموض الذى أحدثته بعض المؤلفات المعاصرة عن تدوين العلم في الاسلام . وتتبين لنا الخطوات والمناهج التي اتبعت في تدوين العلوم الاسلامية - والتاريخ بطبيعة الحال جزء منها - ويتضح أن التدوين قد تم منذ البداية .

= فلان أو أخبرني اجازه . ٤- المناولة مثل أن يناول الشيخ الطالب كتابا من سماعه ويقول له اروهذا عنى " ٥ - المكاتبة بأن يكتب اليه بشئ ما يرويه سواء قرنها بالاجازة أم لا ويكفى في صحتها معرفة المكتوب اليه خط الشيخ أو كاتبه . ويقول فيها كتب الى فلان أو حدثنى مكاتبة . ٦-أعلام الشيخ لتلميذه أن هذا الكتاب سماعه من فلان . ٧-الوصية مثل أن يوصى الشيخ بكتابه الذى يرويه الى شخص آخر . ٨ -الوجاده وصورتها أن يجد حديثا أو كتابا بخط شخص ويتأكد له صحة نسبه الكتاب اليه فله أن يأخذ منه بلفظ " وجدت في كتاب فلان . أنظر ((الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ص ١٠٩-١٢٦) وابن حجر - شرح نخبة الفكر ص ٣٢-٤٠) وتدريب الراوى للسيوطي ٢ /٨-٦٠ .

(١) أشبع هذه القضية بحثا كلا من د /محمد عجاج الخطيب في رسالته العلمية "السنة قبل التدوين " ود / محمد مصطفى الأعظمي في رسالته العلميه أيضا . دراسات في الحديث النبوى وتاريخ تدوينه . وقد ناقشا جميعا الشبهات التى أثيرت حول تدوين العلم في الاسلام وردا عليها ردا علميا موثقا بالنصوص والشواهد التاريخية .

فمن المعروف أنه ليس من طرق تلقى العلم عند المسلمين الأخذ من الكتب والصحف.[(١)] وكان العلماء يعيبون طريقة من يتلقى من الصحف مباشرة دون أجازة من الشيوخ ولا يحملون الرواية عنه .

ومن أقوالهم المشهورة ((لا تأخذ العلم من صحفى ولا من مصحفى ،[(٢)] ولعل هذا النظام التعليمى هو السبب فى تأخر انتشار الكتب والاعتماد عليها وحدها . غير أن هذا لا ينفى حصول التدوين منذ وقت مبكر . وهو غير التصنيف والتأليف المرتب للكتب .

فالكتابة والتدوين مرحلة مستقلة وسابقة على مرحلة تصنيف الكتب وتبويبها الذى تأخر الى حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى .[(٣)]

---

(١) من طرق التحمل التى أوضحناها قريبا . الاجازة . والمناولة . والمكاتبة . والاعلام . وهى تعنى موافقة صاحب الصحف أو الكتاب على أن تروى هذه المؤلفات عنه . لكنه لا يجيز ذلك غالبا الا بعد المطابقة على أصله وبعد أن يرى أهلية من أجازة وقدرته على تحمل العلم وروايته ، أما الوجادة فلم يعتبرها العلماء من طرق الرواية وانما هى ملحقة بها كما يقول الشيخ أحمد شاكر . الباعث الحثيث ص ١٣٠ . وقد أجاز العلماء العمل بها عند حصول الثقة بما يجده القارئ ، ويثق بأن هذه الصحيفة بخط الشيخ الذى يعرفه أو يثق بأن هذا الكتاب الذى ينقل منه ثابت النسبة الى مؤلفه .
وحول نظم الدراسة فى القرنين الأول والثانى . أنظر محمد مصطفى الأعظمى . دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه ص ٢٢٨-٢٧٠ .

(٢) يقصدون بقولهم لا تأخذ العلم من صحفى النهى عن أخذ العلم والرواية ممن كان مصدره الصحف المكتوبة دون أن يكون له اجازة بروايتها ولا حصل له السماع من شيوخ العلم . وبقولهم ولا من " مصحفى " أى الذى يأخذ القرآن من المصحف دون أن يتلقه من القراء المتخصصين بذلك .

(٣) ينقل أبن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة ١/٣٥١ نصا عن الامام الذهبى " يقول فيه انه فى سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الاسلام فى تدوين الحديث والفقه والتفسير . فصنف ابن جريج التصانيف بمكة . . . وصنف ابن اسحاق المغازى . وصنف معمر باليمن . . الى أن قال وكثر تبويب العلم وتدوينه ورتبت ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس . وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلمون من حفظهم ويروون =

ولقد كان علماء الصحابة ومن بعدهم يدونون ما يحتاجون اليه من الأحاديث والأخبار حتى يتمكنوا من اتقان حفظها ولكي يرجعوا اليها وقت الحاجة.(١) ولم يكن هدفهم من التدوين نشر هذه المدونات والصحف بين الناس ليتناقلوها كما هو الحال في المؤلفات اليوم ، وانما كان هدفهم هو حفظ العلم حتى لا يضيع . ومساعدة الذاكرة على الحفظ . ولذلك وردت الأخبار عن الكثير منهم أنه كان يكتب فاذا حفظ محاه.(٢) ومنهم من أوصى بأن تحرق صحفه بعد وفاته .(٣) ومنهم من كره أن يكتب عنه ما يحدث به أو يقول من فتاوى ورأي وكره الكتابة مطلقا ويقول احفظوا كما كنا نحفظ.(٤)

وقد ناقش الخطيب البغدادي في كتابه تقييد العلم(٥) سبب كراهية من كره من السلف الأولين كتابة العلم والتصنيف فيه . وأن ذلك يرجع الى خوفهم من اهمال القرآن

= العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة . فسهل ولله الحمد تناول العلم وأخذ الحفظ يتناقص فلله الأمر كله" وينقل هذا القول أيضا السيوطي في تاريخ الخلفاء ص٢٦١ . وانظر قول الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٠ ولكن باختلاف يسير في السياق .

(١) حول أخبار التدوين في القرن الأول راجع . د/محمد مصطفى الأعظمي . دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه . ص٤٢-٧٠ والباب الرابع من نفس الكتاب بأكمله من ص٨٤-٣٢٦ .

(٢) أنظر السنن لأبي داود ٢/ ٣١٩ . والبغدادي ،تقييد العلم ٥٨و٥٩و٦٠ وابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله ٨٠ و٨٤ و٨٦ . والقاضي عياض . الالماع ص٤٨ و١٤٩ .

(٣) ابن أبي خيثمة . كتاب العلم ص١٢٦ . والبغدادي تقييد العلم ٦١و٦٢ .

(٤) روى ذلك عن زيد بن ثابت وأنظر قصته مع معاوية بن أبي سفيان ومع مروان بن الحكم . في أبي داود ٣١٩/٢ ،وجامع بيان العلم ٧٦ . وتهذيب تاريخ دمشق ٥/ ٤٥٢ . كما روى عن غير واحد من الصحابة والتابعين ،أنظر تفصيل ذلك في تقييد العلم . ٣٦و٤٠ و٤١ و٤٣ و٤٥ و٤٦ .

(٥) أنظر القسم الثاني من الكتاب باب وصف العلة في كراهة كتابة الحديث من ص ٤٦-٦٣ .

والانكباب على درس غيره ، والى خوف الاتكال على الكتاب وترك الحفظ ، والى خوف أن يصير العلم الى غير أهله . حتى قال الامام الأوزاعي ((٨٨-١٥٧))((كان هذا العلم شيئا شريفا اذ كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه فلما صار في الكتب ذهب نوره وصار الى غير أهله))(١) .

وكانت طريقة العلماء في التعليم(٢) هي الجلوس في المساجد في الغالب أو في منازلهم أحيانا . ـ اذ لم تكن هناك مبان مخصصة للمدارس ـ وكان طلاب العلم يأتونهم فيسألونهم ،كل فيما يحتاجه ويهتم به ، وكان الشيوخ يملون عليهم الاجابات ويروون لهم الأحاديث والأخبار مسندة الى من تلقوها عنه فكان منهم من يملي من حفظه ولا يرجع الى الكتاب ومنهم من يملي من كتابه وصحفه التي جمعها ودونها لنفسه وكان الطلاب أيضا على شاكلتهم منهم من يدون ، ومنهم من يحفظ كما أنهم اذا انتهوا من نسخ ما يحتاجونه اليه وتدوينه عرضوه(٣) على الشيخ أو على نسخته المقابلة وذلك احتياطا في التوثق وزيادة الضبط ، ولم يكن أحد من العلماء يأذن في نشر مروياته وكتبه الا عن طريق التحديث أو الاجازة ولهذا نشطت الحركة العلمية في المدن والحواضر الاسلامية . حيث كان الطلاب يقصدون كل من لديه علم أو رواية فكانت الرحلة في طلب العلم(٤) من ألزم ما ينبغي على طالب العلم وذلك رغبة في التلقي من أفواه الشيوخ وطلبا لعلو الاسناد .

---

(١) روى هذا القول عن الأوزاعي ابن عبدالبر. في جامع بيان العلم ٨٦ والبغدادي في تقييد العلم ٦٤ .

(٢) عن طريقة التدريس في العصور الأولى . أنظر الأعظمي دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ص٢٢٧ -٢٥٥ .

(٣) كان عروة ابن الزبير ممن يأمر بذلك . فقد روى عنه ابنه هشام أنه كان يقول له . كتبت؟ فأقول نعم .قال عرضت كتابك ؟ قلت لا . قال لم تكتب . أنظر محمد مصطفى الأعظمي . دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ١٥٨ .

(٤) أخبار الرحلة في طلب العلم وما حصل للعلماء في سبيل ذلك تملأ التاريخ الاسلامي وخاصة كتب التراجم ومعجمات الشيوخ . وقد رحل جابر بن عبدالله الصحابي المشهور الى الشام ليسمع حديثا من عبدالله بن أنيس الجهني . أنظر فتح الباري ١/١٧٤-١٧٥ وقد وضع الخطيب البغدادي كتابا في أخبار الرحلة في طلب الحديث وخصه بأخبار من رحل في طلب الحديث الواحد فقط .

فقد كان الاعتماد في الرواية على السماع من الشيوخ ، أو القراءة عليهم حتى تحصل لهم الاجازة بالرواية عنهم ، ولم يكن يلجأ الى الوجادة الا في أضيق الحدود . وحتى بعد شيوع التصنيف وظهور الكتب ، لم يكن الاعتماد عليها وحدها وانما كانت في درجة ثانوية نظرا للنظام التعليمي السائد وطرائق تحمل العلم وتلقيه . فكان دور الكتب مقصورا على حفظ المعلومات مدونة ومساعدة الذاكرة وتصحيح أوهامها .

ومن هذا الاستعراض لكيفية تدوين العلم ونظام التعليم نستطيع أن نتبين المراحل التي مر بها التدوين التاريخي حتى اكتملت مناهجه .

ـ مرحلة التدوين الشخصي بالنسبة للهدف من التدوين ، حيث كان الاخباري أو المؤرخ يدون ما يسمعه من أفواه الرواه الذين شاهدوا الحدث أو سمعوه ممن شاهده أو ما يشاهده من أحداث معاصرة له ، وكل ذلك في صحف غير مرتبة ولا مبوبه ، فقد تجد في الصحيفة الواحدة الخبر عن السيرة النبوية والقصيدة من الشعر وقائمة النسب وغيرها . فالهدف هو جمع المادة العلمية وتسجيلها لا تنسيقها وتبويبها . وحينما يروى أحدهم فانما يروى ـ في غالب الأحيان ـ من حفظه رغم أن الأصول مدونة عنده .

ـ أما المرحلة الثانية فهي مرحلة تدوين الموضوعات المفردة المستقلة ، وظهور الرسائل التاريخية الصغيرة ، فقد بدأ الاخباريون في هذه المرحلة بفصل المواد العلمية بعضها عن بعض وتخصيص كل موضوع بكتاب ، أو رسالة تحمل عنوانا خاصا . وقد لا يتجاوز بعضها بضع صفحات . وهذه المرحلة قد امتدت خلال القرن الثاني كله تقريبا . وعند التدقيق في أسماء الكتب التي ألفت في هذه الفترة نجد أنها قد شملت مساحة واسعة من التاريخ واهتمت بعدة جوانب من حياة الناس واهتماماتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية .

ومن الذين ألفوا في هذه المرحلة :

ــ محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) الذي كتب في الأنساب والأخبار وغيرها .(١)

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ص١٠٧ حيث يذكر أنه ألف كتبا في التفسير والأنساب .

ـــ عوانه بن الحكم (ت ١٤٧ هـ) الذى ألف كتابا سماه "التاريخ" كما أنه ألف كتابا آخر فى : سيرة معاوية وبنى أمية . (١)

ـــ محمد بن اسحق ، صاحب السيرة (ت ١٥١) الذى أكمل بناءها التاريخى ووضعها فى سياقها من التاريخ العالمى حيث شملت كتابته المبتدأ (٢) - وهو سياق موجز لتاريخ الأنبياء عليهم السلام وتاريخ العرب قبل البعثة النبوية - والسيرة ، والمغازى ، وتاريخ الخلفاء ، فقد ذكر ابن النديم أن له كتابا فى تاريخ الخلفاء رواه عنه الأموى . (٣)

ـــ أبو مخنف لوط بن يحى الأزدى (ت ١٥٧ هـ) أورد له صاحب الفهرست أكثر من ثلاثين كتابا تشمل : الفتوح والردة ، والجمل ، وصفين ، والنهروان ، ومقتل على ، ومقتل حجر بن عدى ، ومقتل الحسين ، وكتاب الشورى ، ووقعه الحره ، وكتاب مصعب وولايته على العراق ، ومقتل عبدالله بن الزبير (٤) .. وغيرها

ـــ أبو اليقظان النسابة (ت ١٧٠ هـ) الذى أهتم بالأنساب والمثالب ، وله كتاب حلف تميم ، وكتاب أخبار تميم ، وكتاب نسب خندف وأخبارها ، وكتاب النسب الكبير . (٥)

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٢ .

(٢) جعل المبتدأ كا لتمهيد والتوطئة للكتابة فى السيرة والمغازى وربما كان منفصلا عن السيرة ولذلك نجد ابن حجر فى فتح البارى ٦ / ٥٠٥ ينقل عنه مشيرا اليه بقوله " وقد ساق ابن اسحق قصتهم - أى أصحاب الأخدود - فى المبتدأ مطوله .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٥ والأموى هو سعيد بن يحى بن سعيد بن أبان بن العاص، ستأتى ترجمته .

(٤) المصدر السابق ص ١٠٥ .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ص ١٠٦ .

– سيف بن عمر التميمي (ت ١٨٠ هـ) وله كتاب الفتوح الكبير ، وكتاب الردة ، وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي .(١)

– هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦ هـ) الذي كتب في الأنساب والأخبار أكثر من مائة وخمسين كتابا في(٢) موضوعات متعددة من المآثر والأحلاف والمنافرات وأخبار الأوائل وأخبار الاسلام وأخبار البلدان وأخبار الشعراء وأيام العرب والأنساب والأسمار .

– الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧ هـ) صاحب كتاب تاريخ العجم وبني أميه وكتاب التاريخ على السنين وكتاب طبقات الفقهاء والمحدثين .(٣)

– محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) صاحب كتاب أخبار النبي وكتاب طبقات الصحابة .(٤)

– أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) الذي نسب له أكثر من مائة كتاب في الأنساب والمثالب والغريب والفتوح والنوادر .(٥)

– نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ) الذي كتب في موضوعات متعددة وله : كتاب الغارات ، وصفين ، والجمل ، ومقتل حجر بن عدي ، ومقتل الحسين بن علي .(٦)

– أبو الحسن محمد بن علي المدائني (ت ٢٢٤ هـ) الذي ترك وحده حوالي (٢٤٠) كتابا تشمل(٧) مساحة واسعة وجوانب متعددة من تاريخ صدر الاسلام .

وقد امتازت هذه الفترة بظهور هذه المجموعة من الاخباريين الذين أكثروا من تأليف الرسائل التاريخية في الموضوعات المفرده . وباستثناء ابن اسحاق والواقدي لم نجد

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) نفسه ص ١٠٨-١١٠ .

(٣) نفسه ص ١١٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ١١١ .

(٥) نفسه ص ٥٦ .

(٦) المصدر نفسه ص ١٠٦ .

(٧) ابن النديم ، الفهرست ص ١١٣-١١٧ .

للبقية كبير عناية بالسيرة . ولعل هذا راجع الى أن البحث في السيرة كانت قد استقرت مناهجه وبحثت مختلف جوانبه منذ المرحلة الأولى على يد عروة والزهري وموسى ابن عقبة وغيرهم ، كما أن السيرة كانت مما يعتني به المحدثون ، ويتداولون روايتها ضمن الحديث النبوى .

والمرحلة الثالثة من مراحل التدوين التاريخي هى ظهور المؤلفات التاريخية الشاملة على أساس الترتيب الزمني المتسلسل ، فيبدأ المؤرخ مثلا ببداية الخليقة ثم يذكر الأجيال والأمم بعد ذلك حتى يأتي الى البعثة النبوية ثم يذكر الأحداث مسلسلة سنة بعد سنة على نظام الحوليات ، وهذا الترتيب يقوم على فكرة أساسية ويؤدى غرضا مهما ، ففكرته الأساسية تنطلق من الشعور بوحدة التاريخ الاسلامي ، أى تاريخ النبوات المتعاقبة لأن دين الأنبياء ودعوتهم واحدة . والغرض الذى يؤديه مثل هذا العرض للأحداث هو معرفة مواقف الأمم والأقوام - عبر التاريخ البشرى - من دعوة الأنبياء عليهم السلام والاطلاع على النتائج التي ترتبت على تلك المواقف . فأما الذين آمنوا بالله وصدقوا أنبياءهم وآزروهم فقد أنجاهم الله ومكن لهم في الأرض ووعدهم في الآخرة بحسن المآب . وأما الذين كذبوا الأنبياء واتبعوا ما كان عليه آباؤهم من جهل وضلال وأطاعوا طواغيتهم فقد أهلكهم الله وسلط عليهم عذابه في الدنيا وأوعدهم في الآخرة بسوء المصير . وأهم من يمثل هذه المرحلة هو خليفة بن خياط وأبو حنيفة الدينورى . واليعقوبي ومحمد بن جرير الطبرى .

وهناك نوع من التأليف في هذه المرحلة اتخذ الترتيب على الطبقات منهجا له كما فعل محمد بن سعد وخليفة بن خياط وغيرهما .

وفي الحقيقة أن النظرة العالمية للتاريخ والترتيب على الأساس الزمني قد ظهرت أولياته عند بعض كتاب المرحلة الثانية (١) من مراحل التأليف والتدوين التاريخي كما فعل

---

(١) هذا فيما وصلنا من المؤلفات وقد تشكل روايات عروة بن الزبير والزهرى - لو جمعت - مثل هذه النظرة .

ابن اسحاق (ت ١٥١ هـ) حيث قسم كتابه في السيرة على ثلاثة أقسام هي :- المبتدأ ، والسيرة ، والمغازى ، وكتب كتابا في تاريخ الخلفاء [١] ، وكما فعل عوانة بن الحكم ت (١٤٧ هـ) الذى سمى أحد كتبه " كتاب التاريخ " جمع فيه الحديث عن الرده والفتوح وعهد الراشدين [٢] ، وكذلك الهيثم بن عدى (ت ٢٠٧ هـ) الذى سمى أحد كتبه "التاريخ على السنين " ونسب له كتاب في تاريخ العجم، [٣] والتاريخ على نظام السنين والحوليات أو على نظام الطبقات هو الذى استقر عند مؤرخى القرن الثالث واستمر الى عهود متأخرة ، كما هو عند ابن الجوزى وابن الأثير وابن كثير والذهبى .

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ص ١٠٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٢ .

ـ الفصـــــل الأول ـ

أنواع التأليـــف التاريخـى :

لقد شمل التأليف التاريخى فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية الشـــريفة أنواعا شتى من فعاليات الأمة واحتياجاتها العلمية والعملية واتخذ مسارب متعددة بين العلماء على مختلف اتجاهاتهم وتخصصاتهم العلمية .

التأليـــف فى السـيرة :

كان أقدم أنواع التأليف التاريخى ظهورا هو الاهتمام بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وجمع أخبارها والتأليف فيها لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلم لهذه الأمة فقـــد أخرجهم الله به من الظلمات الى النور فصاروا به أمة بعد أن كانوا شيعا وأحزابا بل صاروا خير أمة أخرجت للناس . والاهتمام بسيرته صلى الله عليه وسلم نشأ مقرونا بالاهتمام بسـنته لأن سيرته جزء من السنة وفيها أحكام وتشريعات والأسوة بها مطلوبة بنص القرآن ((لقــد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)) (١) وقد أهتم المسلمـون على مختلف مستوياتهم بالسيرة النبوية المطهرة وعلموها أبناءهم . كما يعلمونهم السـورة من القرآن (٢) . ولذلك كانت روايتها وتدوينها والتأليف فيها ممتزجا مع تدوين السـنة النبوية أحيانا ومفردا عنها فى أحيان أخرى . لكنه مر فى نفس المراحل التى مر بها تدوين السنة .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٢) نقل ابن كثير فى البداية والنهاية ٣ / ٢٤٢ عن على بن الحسين قال كنا نعلم مغازى النبى كما نعلم السورة من القرآن " وقال الزهرى فى علم المغازى علم الآخرة والدنيا .

اهتمام الصحابة بالسيرة :

تدل الأخبار أن كثيرا من الصحابة قد دونوا أخبار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه وأولوها عناية خاصة وكانوا يملونها على تلاميذهم . روى ابن سعد بسنده الى أبي عمرو ابن حريث العذري قال ((وقد وجدت في كتاب آبائي . قالوا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر سنة تسع وفدنا اثنا عشر رجلا فيهم حمزة ابن النعمان العذري))(١) كما يصف عبيد الله بن عبد الله بن عتبة سعة علم ابن عباس بقوله ((... ولقد كان يجلس يوما ما يذكر فيه الا الفقه ويوما التأويل ويوما المغازي ويوما الشعر ويوما أيام العرب..))(٢). ومن المعروف أن ابن عباس رضي الله عنه قد ترك من الكتب ما يوصف في كثرته بأنه حمل بعير وقد كان ذلك عند مولاه كريب ثم تركها كريب عند موسى بن عقبة صاحب المغازي(٣) المشهور. كما أننا نجد في السيرة روايات كثيرة عن ابن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده(٤)، وجده هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان من أبرز الصحابة اهتماما بتدوين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انه كان يكتب كلما يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أبو هريرة ما من أحد من أصحاب النبي أكثر حديثا مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب"(٥) وكان من كتبه صحيفة يسميها " الصادقة "

---

(١) الطبقات الكبرى ١/٣٣١.

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢/٣٦٨.

(٣) روى ابن سعد في طبقاته ٥/٢٩٣ بسنده الى موسى بن عقبة قال : وضع عندنا كريب حمل بعير أو عدل بعير من كتب ابن عباس قال فكان علي بن عبد الله بن عباس اذا أراد الكتاب كتب اليه أبعث الي بصحيفة كذا وكذا قال فينسخها فيبعث اليه باحداهما .

(٤) أنظر في ذلك المسند للامام أحمد ٢/١٧٩، ١٨٠، ١٨٤، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٢٢.
فقد روى أشياء تتعلق بما كتبه الرسول بين المهاجرين والأنصار وأخرى عن غزوة بني المصطلق ومن فتح مكة وغزوة هوازن وغزوة تبوك .

(٥) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١/٢٠٦.

وقد ترك هذه الصحف عند أحفاده فرواها عمرو بن شعيب . ولذلك اختلف علماء الجرح والتعديل في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وانتقدها بعضهم معللا ذلك بأنه انما يروى من صحيفة . قال الذهبي " وبعضهم تعلل بأنها صحيفة رواها وجادة ولهذا تجنبها أصحاب الصحيح . والتصحيف يدخل على الرواية من الصحف بخلاف المشافهة بالسماع"(١) ويروى ابن أبي خيثمة في "العلم" وكذلك البغدادى في "تقييد العلم" عن وكيع عن أبيه عن عبد الله بن حنش قال "رأيتهم يكتبون على أكفهم بالقصب عند البراء"(٢) مما يدل على أن البراء بن عازب رضي الله عنه كان يملى على من يحضر مجلسه ، ويميل الدكتور محمد مصطفى الأعظمي الى أنه قد أملى شيئا كثيرا من مغازى رسول الله مستدلا بما رواه أبو اسحق السبيعي عن البراء بن عازب في المغازى فقد أحصى روايته عنه في صحيح البخارى والتى تتعلق بأحداث السيرة فقط فبلغت ٢٥ رواية شملت هجرة الصحابة الى المدينة ثم هجرة رسول الله وغزوة بدر وأحد وقتل أبي رافع اليهودى وغزوة الخندق والحديبية وعمرة القضاء وفتح مكة وغزوة حنين(٣) .

د ور التابعين في تدوين السيرة :-

ثم بعد جيل الصحابة رضي الله عنهم قام التابعون على تدوين السيرة وجمع أخبارها ومدارستها وتدريسها وكان من أشهر القائمين بذلك أبان بن عثمان(٤) بن عفان ((ت ١٠٥هـ)) الذى تدل الأخبار على أنه دون شيئا من أخبار سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه

---

(١) الذهبي ، ميزان الاعتدال ٢٦٦/٢ .

(٢) ابن أبي خيثمة ، كتاب العلم ص٤٤ ، البغدادى ، تقييد العلم ص١٠٥ .
محمد مصطفى الأعظمي ، مغازى رسول الله لعروة بن الزبير ص ٢٥ و٢٦ .

(٣) هو أبان بن عثمان بن عفان تولى امارة المدينة سبع سنين . قال ابن سعد ثقة روى عن أبيه وقد أخرج له مسلم والأربعة توفي بالفالج سنة ١٠٥هـ "أنظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٥١/٤-٢٥٢ .

قال ابن سعد في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن : " ثقة قليل الحديث الا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من أبان بن عثمان فكان كثيرا مانقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها "(١) والملاحظ قلة الرواية في كتب السيرة عن أبان بن عثمان . ولعله لم يبرز التلامذة الذين يقومون بنشر علمه من بعده (٢) .

ومن المهتمين بجمع أخبار السيرة عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٣ هـ) فقد كان يجلس للناس يحدثهم بالمغازي . وقد مر على مجلسه عبد الله بن عمر فقال " لقد شهدت القوم فلهو أحفظ لها وأعلم بها "(٣) ، وقد ذكر له صاحب مجمع الزوائد (٤) روايته للسرية التي أغارت على رعية - بفتح الراء واسكان العين - السحيمي ، الذى كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا في أديم أحمر فرقع به دلوه . كما روى عنه خبر سرية بكر بن وائل . وخبرا آخر عن قتال أهل الردة .

مقسم بن بجره ((ت ١٠١ هـ)) ويقال ابن نجدة . مولى ابن عباس سمى بذلك للزومه له (٥) .

وقد احتفظ عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه بنقول عنه شملت عدد غزوات النبي وسراياه وأسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر ، وتآمر عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أحداث تتعلق بغزوة فتح مكة وغير ذلك (٦) .

---

(١) الطبقات الكبرى ٥ / ٢١٠ .

(٢) الأعظمي . مغازي عروة ص ٢٧ .

(٣) ابن حجر . تهذيب التهذيب ٥ / ٦٧ .

(٤) الهيثمي ، مجمع الزوائد ٦ / ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٢٠ .

(٥) ابن حجر . تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٨٨ .

(٦) عبد الرزاق ، المصنف ٥ / ١٩٤-١٩٥ و ٣٤٤ و ٣٥٣ و ٣٥٥ و ٣٧٤-٣٧٦ و ٣٨٩ .

ومن المعاصرين لهؤلاء عروة بن الزبير (٢٢-٩٣هـ) وهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة وقد قام بدور متميز في ارساء قواعد الكتابة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فكان الخلفاء والامراء والعلماء يكتبون اليه ويسألونه وينقل لنا الطبري نصوصا طويلة من كتابات عروة بن الزبير الى عبد الملك بن مروان (١) وقد أورد الحافظ ابن حجر في الفتح نقلا عن عمر بن شبه في كتاب مكة نص كتاب عروة بن الزبير الى الوليد ((أما بعد فانك كتبت الي تسألني عن قصة الفتح ...)) (٢) وقال ابن حجر أيضا " وقد أخرج الاسماعيلي من طريق عبد الله بن محمد بن يحي عن هشام عن أبيه أنه كتب الى الوليد ((أنك سألتني متى توفيت خديجة ..)) (٣) ومن الثابت أن لعروة كتابا في المغازي كان معروفا ومتداولا بين العلماء قال محمد بن عمر ((كان عروة فقيها عالما حافظا ثبتا حجة عالما بالسير وهو أول من صنف في المغازي)) (٤) ويذكر ابن النديم أن له كتابا في المغازي (٥) وكذلك الذهبي (٦) وابن حجر (٧) وحاجي خليفة (٨) والسخاوي (٩) ، وقد قام الدكتور محمد مصطفى الأعظمي باستخراج ما روى عن عروة في المغازي من طريق أبي الأسود فقط فتبين أنها تغطي فترة طويلة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من نزول الوحي عليه حتى وفاته وانتقاله الى الرفيق الأعلى (١٠) ، وقد شارك أبو الأسود في رواية مغازي عروة بن الزبير كل من الزهري وهشام بن عروة ويحي ابن عروة . ومنهج عروة في كتابه المغازي حسبما يتضح من النسخة المستخرجة يقوم على

---

(١) تاريخ الأمم والرسل ٢/٣٢٨ و ٤٢١ و ٤٢٢ .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ٨/٢٧ .

(٣) المصدر السابق ٧/٢٢٥ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ٩/١٠١ .

(٥) الفهرست ص ٢٢٦ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٦/١٥٠ .

(٧) فتح الباري ٥/٣٢٢ .

(٨) حاجي خليفة ، كشف الظنون ٢/١٧٤٧ .

(٩) السخاوي الاعلان بالتوبيخ ص ٨٨ .

(١٠) أنظر د/ محمد مصطفى الأعظمي مغازي عروة بن الزبير " نسخة مستخرجه " طبع مكتب التربية بدول الخليج بالرياض سنة ١٤٠٠هـ .

وعبد المنعم هذا كذاب كان يكذب على وهب وعلى أبيه.(١) وهو حفيد لوهب من جهة بنته وعلى كل فلم يصلنا من هذه الطبقة والتي قبلها كتب تامة في السيرة النبوية وانما روايات هنا وهناك في كتب السنة ومجاميعها وفي كتب السيرة والتاريخ .

وقد تلى هؤلاء طبقة أخرى فيها بعض الأسماء التي تتمتع بشهرة واسعة في السيرة وهم عبد الله بن أبي بكر بن حزم (٢) وعاصم بن عمر بن قتادة (٣) ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٤) . وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل المعروف بيتيم عروة بن الزبير.(٥)

فأما عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فقد توفي سنة ١٣٥ هـ وقيل ١٣٠ هـ عن سبعين عاما.(٦) وله روايات كثيرة في السيرة تراها عند ابن اسحق (٧) وعند ابن جرير.(٨)

---

(١) قال الذهبي في الميزان ٢ / ٦٦٨ عبد المنعم بن ادريس اليماني قصاص مشهور ليس يعتمد عليه . وأفصح أحمد بن حنبل فقال كان يكذب على وهب بن منبه وقال البخاري ذاهب الحديث وقال ابن حبان يضع الحديث على أبيه وعلى غيره . مات سنة ٢٢٨ ببغداد .

(٢) عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري امام ثقة ثبت خرج حديثه الجماعة "أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٥ / ١٦٤-١٦٥ .

(٣) عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري الظفري المدني روى له الجماعة وهو ثقة ولم يتكلم فيه أحد بجرح (أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٥ / ٥٣-٥٤) .

(٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري الحافظ أحد الأئمة الاعلام روى عبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر وأنس وجابر بن عبد الله وغيرهم من الصحابة . أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٩ / ٤٤٥ .

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود الأسدي أبو الأسود المدني يتيم عروة أخرج حديثه الجماعة وهو ثقة ، أنظر تهذيب التهذيب ٩ / ٣٠٧ .

(٦) ابن حجر . تهذيب التهذيب ٥ / ١٦٥ .

(٧) سيرة ابن هشام في أكثر من عشرين موضعا ،أنظر منها ١ / ٢٣٦ و ٢٥٧ و ٢٦٥ و ٢٩٨ و ٢٦٨ و ٣٠٢ و ٣٢٥ و ٤٢٥ و ٤٤٤ و ٢ / ٢٨٢ و ٣٠٩ و ٥٩٠ و ٦١٢ و ٥٠ .

(٨) روى عنه ابن جرير في تاريخه ٧٢ قطعة كلها في أحداث تتعلق بالسيرة .

الاستشهاد بالآيات القرآنية ويستعمل الأشعار لكن بقلة ويهتم كثيرا بالانساب . وله عناية بايراد الوثائق والكتب التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنه قليل الاستعمال للأسانيد . بينما تجد نفس الروايات في كتب السنة مسندة وخاصة ماكان عن طريق الزهري . ويرى الدكتور محمد مصطفى الأعظمي أن هذا راجع الى طبيعة كتب السيرة التي يفقدها تكرر الأسانيد عند كل جزئية سيكلها وتسلسلها الزمني والسرد المتتابع للأحداث .(١)

ومن هذه الطبقة شرحبيل بن سعد الخطمي المدني مولى الأنصار المتوفى سنة ١٢٣هـ عن أكثر من مائة سنة قال علي بن المديني . قلت لسفيان بن عيينة كان شرحبيل بن سعد يفتي قال نعم ولم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه ..)(٢) وهذا النص وان كان لا يعطي دلالة صريحة على أن شرحبيل كتب كتابا في السيرة والمغازي الا أنه يدل على أنه قد احتفظ بقوائم فيها أسماء البدريين وأسماء المهاجرين الأوائل ومن حضر أحدا كما تدل بعض النصوص الأخرى(٣).

ومنهم أيضا وهب بن منبه اليماني ((ت ١١٤ هـ)) من الأبناء وكان مطلعا على الكتب السابقة ويعزى له أنه قال قرأت ثلاثة وتسعين كتابا مما أنزل الله على الأنبياء(٤)) ويقول عنه حاجي خليفة انه جمع المغازي"(٥) وقد وجدت قطعة من هذه المغازي تنسب له . عثر عليها المستشرق "بيكر" بين مجموعة أوراق بردي " شتاينهارت "المحفوظة الآن بهيدلبرج وتاريخ نسخ القطعة سنة ٢٢٨ وتبدأ بهذه العبارة (أخبرنا محمد بن أبي بكر أبو طلحة حدثنا عبد المنعم عن أبيه عن أبي الياس عن وهب ، ويتكرر مافي هذا الاسناد الى وهب))(٦) .

---

(١) محمد مصطفى الأعظمي . مغازي عروه بن الزبير ص ٦٦-٦٧ .

(٢) ابن حجر . تهذيب التهذيب ٤ / ٣٢١ .

(٣) أنظر المصدر السابق ١٠ / ٣٦١ .

(٤) كتاب التيجان في ملوك حمير المنسوب لوهب من رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام ص ٩ .

(٥) كشف الظنون ٢ / ١٧٤٧ .

(٦) يوسف هوروفتش ، المغازي الأولى ومؤلفوها ص ٣٤-٣٥ .

ومما يدل على أنه كتب في السيرة ورتب أحداثها حسب الترتيب الزمني واستوعب المغازي والبعوث بشكل خاص ، النص الطويل الذي أورده ابن جرير في تاريخه (١) ، حول عدد بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وقد ساقها مرتبة وعددها خمس وثلاثون سرية .

أما عاصم بن عمر بن قتادة المتوفى سنة ١٢٦ هـ وقيل ١٢٧ هـ . فلا نشك أيضا أنه قد جمع المغازي وحدث بها لما رواه ابن سعد قال ((كان راوية للعلم وله علم بالمغازي والسير أمره عمر بن عبد العزيز أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة ففعل)) (٢) .

وقد ذكر ابن هشام في السيرة له أكثر من ٢٧ قطعة (٣) وذكر له الطبري قريبا من ذلك (٤) .

وقد شملت أحداثا متفرقة من السيرة ومن المغازي كما أن له عناية بالشعر وروايته وقد أورد ابن اسحق قصيدة كعب بن زهير " بانت سعاد فقلبي اليوم متبول " التي أنشدها بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم من روايته (٥) كما أورد من رواتيه أيضا قصيدة كعب الأخرى في مدح الأنصار (٦) والتي مطلعها :

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب (٧) من صالحي الأنصار .

وثالث هؤلاء هو الامام الحجة الثقة محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ وقد كان واسع المعرفة له مشاركات في علوم كثيرة . وقد روى السيرة عن عروة بن الزبير كما يذكر السخاوي (٨) وروى عنه يونس بن يزيد مشاهد النبي (٩) صلى الله عليه وسلم . ونقل أبو القاسم السهيلي

---

(١) تاريخ الرسل والأمم ٣/١٥٤-١٥٨ . (٢) ابن حجر تهذيب التهذيب ٥/٥٤ .

(٣) أنظر منها على سبيل المثال ١/٦٦ و٤٥٠٧ و٤٢٥ و٥٢ و٥٤١ و٢٥٤ و٤٨/٢ و٦٩ و١٦٠ و٢٦٠ و ٣٥٥ و١٤ و١٢٢ و٢٢ و٢٦ و٢٩٨ .

(٤) أنظر منها ٢/١٥١ و٢٥٢ و٢٦٢ و٣٦٣ و٣٨٦ و٤٤٦ و٤٨٤ و٢٩٤ و٢/٢٦ و٢٧ و٧٦ و٧٢ و٩٢ و١٠١ و١٠٥ و ١٠٩ و١١٥ و١٤٤ .

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢/٥٠٢ . (٦) المصدر السابق ٢/٥١٤ .

(٧) المقنب ـ الجماعة من الخيل . يريد بها القوم على ظهور جيادهم .

(٨) الاعلان بالتوبيخ ص ٨٨ .

(٩) نفس المصدر والصفحة .

فى الأرض الآنف عن سير الزهرى فى قصة بحيرى الراهب[١] وفى زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بخديجة[٢] وقد وصفها السهيلى بقوله (وهى أول سيرة ألفت فى الاسلام)[٣] . وقد روى عنه الطبرى فى تاريخه فى أكثر من مائة موضع جلها فى السيرة النبوية[٤] . واذا رجعنا لأبواب المغازى والسير فى كتب الحديث النبوى نجد مئات الروايات عن الامام الزهرى . ففى كتاب المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعانى مثلا نجد هذا الاسناد ((عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى ..)) يتكرر كثيرا فى القسم الذى خصصه للمغازى[٥] . وأيضا فى

---

(١) السهيلى ، الروض الأنف ١/٢٠٥ .   (٢) المصدر السابق ١/٢١٤ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) تاريخ الأمم والرسل ١/١١٤ و١٩٢ و٢٤٧٠ و٢٦٥-٢٦٦ و٢/١٦١ و٢٣٩ و٢٤٠ و٢٧٣ و٢٨١ و٢٦٧-٢٩٦ و٣٠٥ و٣١٢ و٣٥٦ و٣٩٨ و٤٨٠ و٤٩٥ و٢/١٧ و٢٠ و٢٥ و٤٣ و٤٩ و٦٢ و٦٣ و٦٦ و٧٥ و١٠١ و١٨٨ و١٩٠ و٢١٠ و٢١٢ و٢١٤ و٢١٦ و٢٤٠ و٢٤٣ و٤٣١ و٤٣٢ و٤/٥٧ و٥٨ و٦٩ و١٦٤ و٢١١ و٢١٤ .

(٥) أورد   فى كتاب المغازى وحده ٤٢ حديثا من روايته من مجموع أحاديث كتاب المغازى البالغ عددها ٦٧ حديثا تشمل الأحاديث من رقم ٩٧١٨ حتى ٩٧٨٤ من المجلد الخامس من كتاب المصنف لعبد الرزاق الصنعانى مما جعل الدكتور سهيل زكار يقتطع هذا الجزء من المصنف وينشره مستقلا بعنوان المغازى النبوية من تصنيف الامام محمد ابن مسلم الزهرى . وقد ادعى أن هذه هى السيرة التى كتبها الزهرى وقد كتب لها مقدمة تحتاج الى نقد . كما أنه لم يتبع منهجا معينا فى ترتيب المرويات وانما نقلها كما هى فى المصنف وأدخل معها ماليس من رواية الزهرى . كما علق بعض التعليقات التى فسر فيها الحوادث على غير وجهها الصحيح وشكك فى بعض الروايات رغم صحتها وثبوتها فى كتب السنة الاخرى ومن أشدها شناعة ماذكره فى ص ١٢٥ فى الحاشية اذ قال عن قصة أصحاب الأخدود ((هذه رواية شاذة حول مسألة أصحاب الأخدود التى عالجها أصحاب كتب السيرة والتواريخ مع كتب التفسير وهى لا تتوافق مع شهادات شهود العيان للحادثة التى حفظتها لنا اللغة السريانية)) وطلب من القارئ أن يراجع كتاب الشهداء الحميريون العرب فى الوثائق السريانية تأليف اغناطيوس يعقوب الثالث ومن المعلوم أن قصة أصحاب الأخدود وردت الاشارة لها فى القرآن الكريم فى سورة البروج وزادت السنة فأوضحت ما أبهم القرآن كما فى صحيح مسلم ٤/٢٢٩٩ وغيره من دواوين السنة . فهل نكذب بهذه الأحاديث الصحيحة لنصدق أغناطيوس ومن جرى مجراه .

كتاب الجهاد (١). وهذا كله يدل على أن الزهري قد جمع أحاديث السيرة النبوية ورتب مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح بذلك السهيلي . لكن لم يصلنا من ذلك شيء بشكل مستقل وانما وصلتنا روايات في كتب السنة وكتب السير والتواريخ (٢).

أما أبو الأسود الذي عرف بيتيم عروه بن الزبير . لأن أباه عبد الرحمن بن نوفل قد أوصى اليه بتربيته . فقد روى عن عروه وعلي بن الحسين وسليمان بن يسار وعكرمة وغيرهم روى عنه الزهري وهو من أقرانه وابن اسحاق ومالك وعمرو بن الحارث والليث وابن لهيعة وشعبة . وقد أخرج له الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم (٣). وله كتاب في المغازي أخذه عن شيخه عروة بن الزبير وحدث به في مصر عندما نزلها (٤). ورواه عنه عبد الله بن لهيعة المحدث المعروف (٥)(٦). وقد توفي في آخر سلطان بني أمية في سنة بضع وثلاثين ومائة.

---

(١) أنظر في كتاب الجهاد من مصنف عبد الرزاق الصفحات ٥/٢٦٦ و ٢٧٢ و ٢٧٨ و ٢٨٣ و ٢٨٧ و ٢٩١ و ٢٩٤ - ٢٩٥ حيث ذكر في هذا الموضع الأخير عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) ذكر الدكتور محمد مصطفى الأعظمي في المغازي لعروة بن الزبير ص ٩٢ أنه يعمل على اخراج سيرة الزهري من كتب السنة . كما أن استاذي الدكتور حسام الدين السامرائي قد عمل هيكلا للسيره النبوية من رواية الزهري في كتب السير والتواريخ .

(٣) الذهبي . سير أعلام النبلاء ٦/١٥٠ ، وابن حجر تهذيب التهذيب ٩/٣٠٧ - ٣٠٨.

(٤) الذهبي . سير أعلام النبلاء ٦/١٥٠.

(٥) السخاوي . الاعلان بالتوبيخ ص ٨٨.

(٦) عبد الله بن لهيعة القاضي الامام العلامة محدث ديار مصر مع الليث ولد سنة خمس أو ست وتسعين وطلب العلم في صباه ولقي الكبار بمصر والحرمين . وكان من بحور العلم على لين في حديثه . روى له مسلم مقرونا . . وروى له البخاري مقرونا دون أن يسميه في عدة مواضع من صحيحه كما قال الحافظ ابن حجر . " أنظر الذهبي سير أعلام النبلاء : ٨/١١-٣١ . وتهذيب التهذيب ٥/٣٧٣-٣٧٩.

كما يقول الواقدي[١]. والذهبي في ترجمته يرى بأنه " من العلماء الثقات عداده في صغار التابعين"[٢] وقال ابن البرقي " لا يعلم له رواية عن أحد من الصحابة مع أن سنه يحتمل ذلك[٣].

وسبق أن ذكرنا أن الدكتور محمد مصطفى الأعظمي قد قام باستخراج مغازي عروة ابن الزبير . من رواية أبي الأسود عن طريق ابن لهيعة . وقد نقل عن هذه السيرة العلماء المتأخرون مثل ابن كثير في البداية والنهاية[٤] وابن حجر في فتح الباري[٥] وفي الاصابة[٦] ولكن فيما يبدو أن النسخة التي نقلا عنها وكانت معروفة ومتداولة باسم " المغازي " هي منسوبة لابن لهيعة من روايته عن أبي الأسود ، وقد نسبها ابن حجر مرة الى أبي الأسود فقال " وعند أبي الأسود في المغازي عن عروة أن جبريل نزل اليه.."[٧].

ظهـــور المؤلفات في الســيرة :-

بعد الامام الزهري وطبقته قام بعبء التأليف ثلاثة من أشهر المؤلفين في السيره وهم موسى بن عقبة " ت ١٤١ " ومعمر بن راشد " ت ١٥٤ " ومحمد بن اسحق المطلبي " ت ١٥١ " وقد كان لهؤلاء الثلاثة دور بارز في التأليف في السيره ودفعوا بها خطوات الى الامام .

أما موسى بن عقبة فقد كان من الثقات المتخصصين في هذا الفن وكان الامام مالك يثني على مغازيه ويوصي بها فيقول ((عليكم بمغازي موسى بن عقبة فانه رجل ثقه طلبها على كبر السن ليقيد من شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكثر كما كثر غيره))[٨] وقال مرة

---

(١) تهذيب التهذيب ٦/٣٠٨.
(٢) سير أعلام النبلاء ٦/١٥٠.
(٣) تهذيب التهذيب ٦/٣٠٨.
(٤) أنظر ابن كثير، البداية والنهاية ٤/٤٨ ، ٨٨ ، ٩٩ .
(٥) أنظر، ابن حجر فتح الباري ٧/٢٧٧.
(٦) أنظر الاصابة ١/٢١٢و ١٨١و ٢/٢٦و ٤٥و ٥٠و ٧٢.
(٧) أنظر فتح الباري ٨/١٢٨.
(٨) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٦/١١٥.

وقد سأله أحدهم عن المغازى : ((عليك بمغازى الرجل الصالح موسى بن عقبة فانها أصح المغازى)) [١] وقد كانت مغازى موسى بن عقبة معروفة متداولة الى عصور متأخرة قال الذهبى فى وصفها ((وأما مغازى موسى بن عقبة فهى فى مجلد ليس بالكبير سمعناها ، وغالبها صحيح ، ومرسل جيد لكنها مختصرة تحتاج الى زيادة وبيان وتتمه)) [٢] وقد روى الجماعة لموسى بن عقبة [٣] واعتمد البخارى مغازيه فى صحيحه .

وهذه المغازى تعتبر اليوم فى حكم المفقود ، وقد وجدت قطعة من تهذيب لها وقام بنشرها المستشرق " سخاو " مع ترجمة بالألمانية لها سنة ١٩٠٤ [٤] ، ولكن الكثير من مغازى موسى بن عقبة موجود فى كتب السنة والمغازى والدلائل .

أما معمر بن راشد الأزدى مولاهم البصرى نزيل اليمن فقد كان من أوعية العلم مع الصدق والتحرى والورع والجلالة وحسن التصنيف)) [٥] . وقد أخذ العلم عن قتادة والزهرى وهمام ابن منبه وأبى اسحاق السبيعى وثابت البنانى وغيرهم وأخذ عنه عمرو بن دينار والسفيانان [٦] وابن المبارك ومحمد بن عمر الواقدى وعبد الرزاق بن همام الصنعانى وغيرهم [٧] . والرواية عنه فى السيرة ومغازى رسول الله منشوره فى الكتب الستة ومسند أحمد ومصنف عبد الرزاق ومعاجم الطبرانى وفى كتابات من جاء بعده من كتاب السيره مثل الواقدى فقد روى عنه فى الجزء الموجود من مغازيه قرابة خمسين قطعة . [٨] وقد ذكر له صاحب الفهرست كتاب

---

(١) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٢) نفس المصدر ٦/١١٦ .

(٣) نفس المصدر ٦/١١٤ .

(٤) يوسف هوروفتش ، المغازى الأولى ومؤلفوها ص ٧٠ .

(٥) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ٧/٦ .

(٦) السفيانان هما " سفيان بن عيينه وسفيان الثورى " .

(٧) الذهبى سير أعلام النبلاء ٧/٥-٦ .

(٨) أنظر مغازى الواقدى وعلى سبيل المثال ١/١٨٤ قصة قتل كعب بن الأشرف و ١/١٦٦ غزوة بني سليم ببحران و ١/١٩٩ غزوة أحد و ١/٣٥٤ غزوة الرجيع و ١/٣٦٢ غزوة بنى النضير و ١/٣٨٤ غزوة بدر الموعد و ٢/٤٤١ غزوة الخندق .

المغازى (١) . وكان من أكثر من حمل عنه العلم عبد الرزاق بن همام الصنعانى حيث يقول "كتبت عن معمر عشرة آلاف حديث." (٢) والمطلع على كتاب المصنف لعبد الرزاق يجد مصداق هذا القول (٣) . قال الذهبى ((وقع لى من جامعه الجزء الأول والثانى والثالث)) (٤) ولكن مع الأسف لم يصلنا كتاب مستقل لمعمر بن راشد لا فى المغازى ولا غيرها . (٥)

وثالث هؤلاء هو امام أهل المغازى ومقدمهم محمد بن اسحاق المطلبى مولاهم ولد سنة ٨٠ ورأى مالك بن أنس بالمدينة . (٦) كان كثير الرواية وتخصص فى علم المغازى والأخبار وأخذ عن أهل الكتاب (٧) . قال الزهرى لا يزال بالمدينة علم جم ما دام فيهم ابن اسحق)) (٨) وقال الشافعى ((من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق (٩))) وقد تكلم بعض علماء الجرح والتعديل فى محمد ابن اسحاق (١٠) وقد روى له البخارى فى الصحيح معلقا . (١١) واستشهد به وأكثر عنه فى غير صحيحه فيما يحكى فى أيام النبى وأحواله .

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ص ١٠٠ .

(٢) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ٧ / ١١ .

(٣) أنظر بشكل خاص كتاب الجهاد وكتاب المغازى فى مصنف عبد الرزاق فى المجلد الخامس

(٤) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ٧ / ١٤

(٥) قال محقق الجزء السابع من سير أعلام النبلاء ٧ / ٤ فى الحاشية بأن كتاب الجامع لمعمر قد طبع مدرجا فى مصنف عبد الرزاق وهو يبدأ من الجزء العاشر ص ٣٧٩ وينتهى بنهاية الكتاب . ولم يشر محقق المصنف الى ذلك . وذكر محمد حميد الله فى تقديمه لمغازى ابن اسحاق المطبوعة فى المغرب ص / يز / أنه يوجد مخطوطان فى تركيا لكتاب الجامع لمعمر بن راشد .   (٦) أنظر سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٤ و ٣٥ .   (٧) المصدر السابق ٧ / ٥٣ .

(٨) نفس المصدر ٧ / ٣٦ .   (٩) نفس المصدر والصفحة .

(١٠) أستوعب الكلام فى عدالة ابن اسحق ابن سيد الناس فى مقدمة كتابه عيون الأثر ص ٨ ١ - ٢٢ وكذلك الذهبى فى الميزان ٣ / ٤٦٨ - ٤٧٥ وانتهى الى أنه صدوق يدلس فلا تقبل روايته اذا عنعن ووصل الى هذه النتيجة فى الحكم على ابن اسحاق الحافظ ابن حجر فقال فى التقريب ٢ / ١٤٤ ((امام فى المغازى صدوق يدلس)) .

(١١) أنظر صحيح البخارى مع الفتح ٧ / ٢٧٨ .

أما مسلم فقد روى له مقرونا مع غيره.(١) ومن أبرز من تكلم في ابن اسحاق الامام مالك وهشام بن عروة.(٢) قال الذهبي وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن اسحق غير واحد من العلماء لأشياء منها تشيعه ونسب الى القدر ويدلس في حديثه. فأما الصدق فليس بمدفوع عنه.(٣) ثم قال في موضع آخر ((وهذان الرجلان - مالك ومحمد بن اسحاق - كل منهما قد نال من صاحبه لكن أثر كلام مالك في محمد بعض اللين ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة وارتفع مالك وصار كالنجم. والآخر فله ارتفاع بحسبه ولا سيما في السير وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه عن رتبة الصحة الى رتبة الحسن الا فيما شذ فيه فانه يعد منكرا هذا الذي عندي في حاله والله أعلم))(٤) أما علي ابن المديني فقد قال " انه ليبين - بفتح اللام والباء - في حديثه الصدق. يقول مرة حدثني أبو الزناد. ومرة ذكر أبو الزناد ويقول حدثني سفيان بن سعيد عن سالم أبي النضر وهو من أروى الناس عن أبي النضر.

ويقول حدثني الحسن بن دينار عن عمرو بن شعيب.. وهو من أروى الناس عن عمرو، ولم أجد له سوى حديثين منكرين))(٥).

---

(١) الذهبي سير أعلام النبلاء ٧/٥٥. وابن حجر. تهذيب التهذيب ٩/٤٥.

(٢) قال عنه مالك دجال من الدجاجلة نحن نفيناه من المدينة.. أنظر المصدر السابق ٧/٥٠-٥١ وقال هشام ابن عروه أنه كذاب ونفى أن يكون سمع من زوجته فاطمه بنت المنذر (المصدر السابق ٧/٥١) وقد رد الناقد ابن المديني قول مالك وقال ان مالك لم يجالسه ولم يعرفه وأي شيء حدث به ابن اسحق بالمدينة (٧/٤٤) ورأى غير ابن المديني أن قول مالك هذا ليس للحديث انما لأنه اتهم بالقدر (٧/٤٢) وقال علي ابن المديني، الذي قال هشام بن عروه ليس بحجة لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها (٧/٤٤) وقال الذهبي ان فاطمة بنت المنذر زوجة هشام أكبر منه بنيف عشرة سنة وأسند منه فانها روت عن أسماء بنت أبي بكر وصح أن ابن اسحاق سمع منها وما عرف بذلك هشام أفبمثل هذا القول الواهي يكذب الصادق. كلا والله!! نعوذ بالله من الهوى والمكابرة. ولكن صدق القاضي أبو يوسف اذ يقول ((من تتبع غريب الحديث كذب، وهذا من أكبر ذنوب ابن اسحاق فانه يكتب عن كل أحد. ولا يتورع سامحه الله (٧/٤٩-٥٠).

(٣) المصدر السابق ٧/٣٩. (٤) نفس المصدر ٧/٤١. (٥) نفس المصدر ٧/٥١.

وقد كون ابن اسحاق مدرسة في السيرة تكاد تكون مستقلة في منهجها عن مدرسة أهل الحديث وكان من أتباعها الواقدي وابن سعد وغيرهم وسنأتي على دراسة مناهجهم في الفصل القادم .

السيرة في مدرسة علماء الحديث :-

أما مدرسة أهل الحديث فقد استمرت بالعناية بالسيرة النبوية سواء بالتأليف المستقل أو بتخصيص بعض الأبواب في المسانيد والجوامع والسنن للسيرة النبوية والشمائل والدلائل والمغازي وأحاديث أحكام الجهاد ومناقب الصحابة وفضائلهم .

ولقد لقيت السيرة النبوية في هذه الكتب العناية الكثيرة من النقد والتحقيق لأنها نقلت بالأسانيد وخضعت لموازين الجرح والتعديل وعرفت أحوال الرجال الذين رووها ففي الصحيحين كتب مستقلة للمغازي والسير والفضائل عدا الأخبار المنثوره في مختلف الموضوعات والأبواب المرتبة على الأحكام الفقهية خاصة باب الجهاد وأحكامه .

وفي غيرهما من كتب السنن مثل سنن الترمذي وأبو داود وابن ماجه والنسائي ومستدرك الحاكم وصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان ومصنف عبد الرزاق ومسند أحمد وموطأ مالك ومسانيد عبد بن حميد والحميدي والطيالسي والسنن الكبرى للبيهقي ومعاجم الطبراني وغيرها من دواوين السنة . فانه لا يخلو كتاب من هذه المدونات الحديثيه من أخبار السيرة والمغازي وما يلحق بها من تاريخ الخلافة الراشدة والفتن والحوادث العظام التي أخبر عنها الرسول عليه السلام .

وقد أفردت هذه المدرسة السيرة والمغازي النبوية بمؤلفات مستقلة شملت كافة جوانب حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فهناك كتب في المغازي وأخرى في المعجزات ودلائل النبوة وكتب في الشمائل النبوية .

فمن الذين أفردوا المغازي بمصنفات مستقلة :

سليمان التيمي : (ت ١٤٣)

هو سليمان بن طرخان التيمي أبو المعتمر البصري المتوفى سنة ١٤٣ عن سبع وتسعين سنه روى عن أنس بن مالك وطاووس وأبي اسحاق السبيعي وأبي عثمان النهدي، والأعمش وهو من أقرانه وثابت البناني وأبي مجلز وغيرهم وعنه ابنه معتمر وشعبه والسفيانيان وابن علية وابن المبارك وأبو عاصم النبيل.(١)

وقد أخرج له الجماعة وهو من رجال الجرح والتعديل الذين يقبل قولهم في نقد الرجال(٢) وكان كثير الحديث ومن العباد المجتهدين(٣) وقد جمع أخبار السيرة وأفردها بمصنف رواه عنه ابنه معتمر(٤) وروى هذه السيرة عن معتمر محمد بن عبد الأعلى(٥) وقد صرح بذلك الحافظ ابن حجر، ويبدو أنها كانت متميزة ينقل عنها فقال ((ووقع في السيرة التي جمعها سليمان التيمي فرواها محمد بن عبد الأعلى عن ولده معتمر بن سليمان عن أبيه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم في حراء وأقرأه "اقرأ باسم ربك"...))(٦)

وقد ذكر هذه السيرة أبو بكر بن خير الأشبيلي في فهرسته(٧) فقد كانت ضمن مروياته

---

(١) ابن حجر تهذيب التهذيب ٤/ ٢٠١-٢٠٢

(٢) المصدر السابق ٩/ ٤٥.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٠٢.

(٤) معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي البصري روى عن أبيه وحميد الطويل وغيرهم وروى عنه الثوري وابن المبارك وابن مهدي وعبد الرزاق. وقد أخرج له الجماعة قال ابن سعد. كان ثقة ولد سنة مائة ومات سنة سبع وثمانين ومائة، أنظر. تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٢٧.

(٥) محمد بن عبد الأعلى الصنعاني القيسي أبو عبد الله البصري روى عن معتمر بن سليمان وعبد الرزاق وعبد الرحمن بن مهدي وروى عنه مسلم وأبو داود وابن ماجه والنسائي قال ابن حبان ثقه وقال أبو زرعة وأبو حاتم ثقة مات بالبصرة سنة ٢٤٥هـ، أنظر تهذيب التهذيب ٩/ ٢٨٩.

(٦) فتح الباري ١/ ٢٣ ، وأنظر كذلك ٧/ ٤٦٧.

(٧) الأشبيلي ،فهرست ما رواه عن شيوخه ص ٢٣١.

وساق سنده بها الى مؤلفها . كما ذكرها أبو القاسم السهيلي ونقل عنها في الروض الأنف.[(١)] ويظهر أن نسخة المغازي كانت تحت يد السهيلي فقد كان يقارن بينها وبين مغازي موسى بن عقبه ومغازي ابن اسحاق. كما أشار لهذه المغازي الحافظ السخاوي.[(٢)]

ويعتبر كل من الزهري ومحمد بن اسحاق من أقران التيمي ومع ذلك فانه لم يرو عن أحد منهما ، أما ابن اسحاق فانه لم يرتضيه بل كذبه.[(٣)] وأما الزهري فلم يذكر الذهبي[(٤)] ولا ابن حجر[(٥)] أنه من شيوخه . وهذا يدل كما يقول الدكتور فاروق حماده[(٦)] على أن مخرج السيرة النبوية لم يكن واحدا وانما وصلتنا من مصادر متعددة موثوقة من غير طريق ابن اسحاق والواقدي وأضرابهم من الذين ورد القدح في عدالتهم .

أبو معشر السندي ((ت ١٧٠))

الامام المحدث صاحب المغازي نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني أبو معشر.[(٧)] وكان يعاصر ابن اسحق . ولكنه تأخر عنه في الوفاة الى سنة ١٧٠هـ وقد ذكره ابن سعد في الطبقة السادسة من التابعين من أهل المدينه وقال فيه ((مات ببغداد سنة سبعين ومائة وكان كثير الحديث ضعيفا))[(٨)] وقيل كان أميا[(٩)] الا أنه حفظ المغازي والسير وأخبار الناس فقد

---

(١) أنظر ، السهيلي الروض الأنف ١/١٧١ و ٢٧٢ ، ٢/٤٨ و ٥٣ .

(٢) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ص ٨٦ .

(٣) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٦/٤٥ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٦/٦٦١ .

(٥) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤/٢٠١ .

(٦) د / فاروق حماده ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ٦١ .

(٧) أنظر ترجمته في الجرح والتعديل ٨/٤٩٣ والفهرست ص ١٠٥ وتذكرة الحفاظ ١/٢٣٤ . وميزان الاعتدال ٤/٢٤٦ وسير أعلام النبلاء ٧/٤٣٥ . وتهذيب التهذيب ١٠/٤١٩ .

(٨) أنظر الطبقات ٥/٤١٨ .

(٩) الذهبي سير أعلام ٧/٤٣٧ و ٤٣٦ . وابن حجر تهذيب التهذيب ١/٤٢٢ .

حدث عنه ابنه محمد بن أبي معشر بالمغازي له[1] . وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي وذكر مغازي أبي معشر فقال كان أحمد بن حنبل يرضاه ويقول كان بصيرا بالمغازي[2] ونجد رواياته كثيرة عند الواقدي[3] والطبري[4] وهي لا تقتصر على مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته بل تشمل أحداث التاريخ الاسلامي حتى وفاته في سنة سبعين ومائة من الهجرة وكان يهتم بشكل خاص بسنوات الوفاة للخلفاء وعدد هم ومن أقام الحج للناس في كل عام .
واذا صح الخبر عنه بأنه كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة كما يحكي ابنه فانه ربما اتخذ كاتبا يدون له ما يبلغه من الأخبار ولعله ابنه محمد هذا وهو أمر لا يستغرب فان أبا معشر كان من الحفاظ وقد ترجمه الذهبي في تذكرة الحفاظ كما ترجمه السيوطي في طبقات الحفاظ .
وذكر صاحب الفهرست أن له كتابا في المغازي[5] وهذه المغازي غير موجودة اليوم فيما نعلم لكن معظمها موجود مفرق في بعض الكتب وخاصة مغازي الواقدي . وتاريخ الطبري .
أما عدالة أبي معشر فقد قال عنه الحافظ بن حجر في التقريب " ضعيف ، أسنّ واختلط "[6] وقال عنه أبو حاتم . صدوق[7] ، وقال أبو زرعة ، صدوق في الحديث وليس بالقوي[8] .

---

(١) الذهبي . سير أعلام النبلاء ٧/٤٣٦ .
(٢) الجرح والتعديل ٨/٤٦٤ .
(٣) يروى عنه الواقدي في مغازيه ويذكره دائما ضمن رواته الذين يصدر بهم الخبر عند الحديث عن الغزوات .
أنظر مثلا ص ١٩ ، ١٠٦ ، ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٤٦ ، ٢٤٦ ، ٣٨٤ ، ٤٠٤ ، ٤٤١ ، ٦٢٢ و ٨٨٥ و ٩٢٢ .
(٤) روى عنه الطبري في تاريخه في أكثر من مائة موضع تشمل أحداثا متفرقة غالبها في السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي . أنظر منها ١/٤٤ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٢/١٢٢ ، ٢٤٠ ، ٢١٢ ، ٤٢٠ ، ٤/٦٠ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١١٤ ، ١٤٦ ، ٦/٢٠٩ ، ٤١٧-٤١٦ و ٨/٦٢ و ١٢٢ و ١٧١ و ٢١٣ .
(٥) ابن النديم الفهرست ص ١٠٥ .
(٦) ابن حجر ، تقريب التهذيب ٢/٢٩٨ .
(٧) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٨/٤٦٥ .
(٨) نفس المصدر .

وقال ابن مهدي "أبو معشر تعرف وتنكر"(١) وقال البخاري منكر الحديث،(٢) وقال أبو داود والنسائي ضعيف(٣). وقال ابن معين هو ضعيف يكتب من حديثه الرقاق.(٤)

أبو اسحاق الفزاري "ت ١٨٥"

هو ابراهيم بن محمد أبو اسحاق الفزاري الامام الثقة صاحب التصانيف فقد روى عن حميد الطويل وأبي اسحاق السبيعي والأعمش وموسى بن عقبة ومالك وشعبة والثوري وروى عنه الأوزاعي وهو من شيوخه وابن المبارك ومحمد بن كثير المصيصي.(٥) وقد وثقه الأئمة وكان ثقة صالحا صاحب سنه وهو الذي أدب أهل الثغر وعلمهم السنة وكان يأمر وينهى . واذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه وكان كثير الحديث وله فقه . وقال الخليلي : أبو اسحاق امام يقتدى به وهو صاحب كتاب السير نظر فيه الشافعي وأملى كتابا على ترتيبه ورضيه وقال الحميدي: "قال لي الشافعي لم يصنف أحد في السير مثله".(٦)
مات سنة ١٨٥(٧) وقال البخاري سنة ١٨٦(٨) . وقد بقيت هذه السيرة حتى أعصر متأخره

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧/٤٣٦ .
(٢) نفس المصدر ٧/٤٣٧ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) نفس المصدر .
(٥) أنظر، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ١/١٥١ .
(٦) المصدر السابق ١/١٥٢ .
(٧) نفس المصدر والصفحة.
(٨) التاريخ الصغير ٢/٢٢٨ .

فقد رواها ابن خير الاشبيلي في فهرستة عن شيوخه.(١) وذكرها الحافظ ابن حجر في الفتح.(٢) ويوجد جزئين من هذا الكتاب في مكتبة القرويين بالمغرب.(٣)

الوليد بن مسلم الأموي " ت ١٩٥ "

هو أبو العباس الوليد بن مسلم الأموي الامام الحافظ ولد سنة ١١٩ وتوفي في المحرم سنة ١٩٥ هـ(٤) روى عن صفوان بن عمرو والأوزاعي وابن جريج وابن عجلان وابن أبي ذئب والثوري وخلق غيرهم ، وروى عنه الليث بن سعد وهو من شيوخه والحميدى وأحمد ابن حنبل واسحاق بن راهويه ومحمد بن عائذ وابن المديني وغيرهم.(٥) صنف التصانيف وعني بهذا الشأن أتم عنايه وقالوا ان تصانيفه بلغت سبعين كتابا . قال أحمد : ما رأيت في الشاميين أعقل منه . وكان من أحفظ الناس للأحاديث الطوال والملاحم .(٦) وقال أبو زرعة الرازى كان الوليد أعلم من وكيع بأمر المغازى.(٧) قال الذهبي : "كان من أوعية العلم ثقة حافظا لكن ردئ التدليس فاذا قال حدثنا فهو حجه".(٨) وقال في تذكرة الحفاظ.

---

(١) أنظر فهرست ابن خير ٢٢٦.

(٢) أنظر فتح الباري ١/ ٢٢ و ٦/ ٧٧.

(٣) فاروق حماده . مصادر السيرة النبوية وتقويمها ص٦٢ . قلت وتوجد صورة عن هذه النسخة في مكتبة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة . وهي على ورق قديم وبخط صعب القراءة.

(٤) الذهبي . سير أعلام النبلاء ٩/ ٢١٢ . وأنظر التذكرة ١/ ٣٠٤.

(٥) ابن حجر . تهذيب التهذيب ١١/ ١٥١-١٥٢ وأنظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٢١٢.

(٦) الذهبي . تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٢.

(٧) تهذيب التهذيب ١١/ ١٥٢.

(٨) أنظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٢١٢.

" قلت لا نزاع في حفظه وعلمه وانما الرجل مدلس فلا يحتج به الا اذا صرح بالسماع".(١) وقد خرج حديثه الجماعة . وذكر كتابه في السير غير واحد من العلماء فذكره ابن النديم في الفهرست(٢) وقال ابن خير الأشبيلي "كتاب سير الوليد بن مسلم عن الأوزاعي حدثني به أبو محمد بن عتاب وساق سنده ، أخبرنا أبو العباس الوليد بن محمد(٣) بن مسلم قال سألت أبا عمرو الأوزاعي رحمه الله ."(٤) وذكره أيضا الحافظ السخاوي في الاعلان بالتوبيخ(٥). ويظهر أن أكثر الأحاديث الواردة فيها هي من روايته عن الأوزاعي ، ومن المعروف أن الأوزاعي قد كتب كتابا في السير.(٦) ولكن من خلال بعض النصوص التي ذكرها ابن سيد الناس

---

(١) تذكرة الحفاظ ، ١/٣٠٤ . (٢) أنظر الفهرست ص ١٢٢ و ٢٨٤ .

(٣) يظهر أن محمد هنا زائدة . (٤) فهرست ابن خير ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٥) الاعلان بالتوبيخ ص ٨٨ .

(٦) كتب الامام الأوزاعي كتابا في السير - ويعنون بهذا الاسم (السير) أحكام الجهاد وسيرة رسول الله وصحابته مع غير المسلمين - وكان الأوزاعي صاحب غزو وجهاد وقيل انه لما وقع في يده كتاب السير الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة . قال لمن هذا الكتاب . ؟ فقالوا لمحمد العراقي . فقال ما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب . فانه لا علم لهم بالسير ، ومغازي رسول الله وأصحابه انما كانت من جانب الحجاز والشام دون العراق . فانها محدثه فتحا . فلما بلغت مقالته أهل العراق رد عليه أبو يوسف القاضي بكتابه المعروف بالرد على سير الأوزاعي وهذا الرد مطبوع أما محمد بن الحسن الشيباني فقد فرغ نفسه للتأليف في السير وأحكام الجهاد من خلال السيرة النبوية وعمل الصحابة فصنف كتابه المعروف ((بالسير الكبير)) وقد شرحه الفقيه الحنفي محمد بن أحمد السرخسي وهذا الشرح مطبوع في خمسة مجلدات كبيرة بعناية معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

في كتابه عيون الأثر يتبين أن الوليد بن مسلم يروى في السير من غير طريق الأوزاعي ، وقد روى عنه هذه السيرة محمد بن عائذ القرشي صاحب المغازي .(١) وهو من تلاميذه .

عبد الرزاق الصنعاني "ت ٢١١"

هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني الامام صاحب التصانيف رحل في طلب العلم وروى عن ابن جريج ومعمر فأكثر عنه والأوزاعي وسفيان الثوري وروى عنه الأئمة أحمد بن حنبل وإسحق وابن معين والذهلي وعلي بن المديني وأحمد بن صالح المصري .(٢) ولد سنة ١٢٦ هـ وتوفي سنة ٢١١ هـ عن ٨٥ سنة وعمي في آخر عمره ولقن ما ليس في كتبه ونقم عليه التشيع وما كان يغلو فيه(٤) قال أحمد بن حنبل : أتينا عبد الرزاق قبل المئتين وهو صحيح البصر ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع(٥) ، وحديث عبد الرزاق مخرج في الصحيحين .(٣)

له من المؤلفات كتاب المصنف مطبوع وله كتاب في المغازي ذكره ابن خير في مروياته(٦) والسخاوي في الاعلان بالتوبيخ .(٧) وكتاب المغازي في مصنف عبد الرزاق يغطي جل أحداث السيرة النبوية وغالب رواياته عن معمر عن الزهري .(٨)

---

(١) أثار عيون الأثر ٢ / ٢٠ و٩٥ و١١٧ .

(٢) الذهبي سير أعلام النبلاء ٩ / ٥٦٤-٥٦٥ .

(٣) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٦٤ .

(٤) المصدر السابق ١ / ٣٦٤ .

(٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٩ / ٥٦٥ .

(٦) فهرست أبي بكر بن خير ص ٢٣٦ .

(٧) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ص ٨٨ .

(٨) ذكرنا في ترجمة الزهري أن الدكتور سهيل زكار قد سلخ هذا القسم وطبعه في كتاب باسم المغازي النبوية من تصنيف الامام الزهري .

محمد بن عائذ القرشي "ت ٢٣٢"

محمد بن عائذ القرشي الدمشقي الامام المؤرخ صاحب المغازى . تولى ديوان الخراج بالشام أيام المأمون (١) : وكانت ولادته سنة ١٥٠ هـ وتوفى سنة ٢٣٢ وقيل أربع وثلاثين . (٢) وقد اعتنى بالمغازى وجمعها حتى لقب بصاحب المغازى (٣)، قال الذهبي " جمع كتاب المغازى وسمعت معظمه . وله كتاب الفتوح ، والصوائف . ونجد ابن سيد الناس (٤) وابن كثير (٥) وابن حجر (٦) يكثرون النقل عن مغازيه وقد سمعها الذهبي كما صرح آنفا وكذلك ابن سيد الناس ساق سنده بها في آخر كتابه (٧) وأغلب رواياته عند ابن سيد الناس عن الوليد بن مسلم عن عبدالله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير والوليد من شيوخه فكأنه تلقى المغازى منه وقد ذكرها السخاوى (٨) . أما عن عدالته فقد وثقه غير واحد من العلماء وقد خرج له أبو داود والنسائي في سننهما (٩) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/١٠٥ .

(٢) المصدر السابق ١١/١٠٦ .

(٣) أنظر المصدر السابق . والبداية والنهاية ١٠/٣١٢ ، وتهذيب التهذيب: ٩/٢٤١ .

(٤) أنظر عيون الأثر ٢/١٠و٢٠و١٧و١١٧و١٣٧و١٣٩و١٤٢و١٤٦و١٤٩و١٦٤ .

(٥) أنظر البداية والنهاية ٣/٢٢٠و٢٢١و٢٢٢و٣٢٢و٣٢٥ ،

(٦) أنظر فتح الباري ٧/٢٠٢و٢٢٦و٢٢٧و٢٣٧و٣٤٢و٢٥٥و٣٦٠و٣٦٦ .

(٧) ابن سيد الناس ، عيون الأثر ٢/٤٢٨ .

(٨) السخاوى ، الاعلان بالتوبيخ ص ٨٨ .

(٩) أنظر ترجمته في الميزان ٢/٥٨٦ ، وسير أعلام النبلاء ١١/١٠٤ - ١٠٦ وتهذيب التهذيب ٩/٢٤١ - ٢٤٢ .

سعيد بن يحي الأموي "ت ١٤٩"

سعيد بن يحي بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموي القرشي البغدادي أبو عثمان روى عن أبيه وعمه محمد ووكيع وابن المبارك ، وعنه الجماعة سوى ابن ماجه . توفي سنة ٢٤٩[١] ، كتب في المغازي وكانت مغازيه معروفة متداولة لدى العلماء حتى القرن التاسع الهجري رواها ابن خير الاشبيلي عن شيوخه[٢] وذكرها الذهبي[٣] وكذلك السخاوي في الاعلان بالتوبيخ[٤] ونقل عنها ابن جرير الطبري في تاريخه[٥] وابن كثير في البداية والنهاية[٦] وفي التفسير[٧] والذي يظهر أن هذه المغازي قد تلقاها من والده يحي بن سعيد ، ولذلك نسبها اليه ابن عبد البر في كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير[٨] والكتاني في الرسالة المستطرفة.[٩]

وقد كتب في السيرة النبوية من غير هؤلاء الذين ذكرتهم عدد لا يحصى من العلماء في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة منهم من أفردها بمؤلف مستقل ومنهم من جعلها ضمن جامعه ورواياته في الحديث ، أو مؤلفاته التاريخية . وسنكتفي بذكر بعض الأسماء التي كان لها مشاركة في رواية السيرة النبوية والتأليف فيها مثل يزيد

---

(١) تهذيب التهذيب ٤/٩٧-٩٨ .
(٢) أبو بكر بن خير ، فهرست ما رواه عن شيوخه ص ٢٣٧ .
(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/٣٢٦ .
(٤) السخاوي ، الاعلان ص ٨٨ .
(٥) تاريخ ابن جرير ١/١٤٦ و ٢/٢٦٤ و ٣/٢٧ و ٦٨ و ١٦٢ و ١٤٩ .
(٦) البداية والنهاية ٣/٥٧ و ٢٧٨ و ٢٨٢ و ٢١٦ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٤٣ .
(٧) تفسير ابن كثير ٢/١٤٦ .
(٨) ابن عبد البر ، الدرر ص ٢٢ وأنظر كذلك تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤/١٣٢-١٣٣ .
(٩) أنظر الرسالة المستطرفة ص ١٠٩ وكذلك تاريخ التراث لسزكين ١/٤٦٨ .

ابن رومان الأسدى.(١)

وداود بن الحصين الأموى(٢) وعبد الرحمن بن عبد العزيز بن حنيف الأنصارى(٣) ويونس ابن يزيد الأيلى(٤) ويونس بن بكير الشيبانى(٥) وسعيد بن المغيرة المصيصى(٦) وأحمد ابن محمد بن أيوب البغدادى الوراق.(٧) وحجاج بن يوسف بن أبى منيع الرصافى(٨)

---

(١) يزيد بن رومان الأسدى ثقة روى له الجماعة. كان محدثا ومؤلفا فى المغازى. روى عن عروة والزهرى وتوجد مقتطفات من مروياته عند الطبرى تبلغ ١٥ موضعا. أنظر فهرس الطبرى ١٠ / ٤٥٦ وترجمته فى التهذيب ١١ / ٣٢٥، وتاريخ التراث ١ / ٤٥٥.

(٢) داود بن الحصين روى له الجماعة وتوفى سنة ١٣٥. أنظر ترجمته تهذيب التهذيب ٣ / ١٨١ وتاريخ التراث لفؤاد سزكين ١ / ٤٥٦ وقد سماه داود بن الحسين ولعل هذا التصحيف من "المترجم".

(٣) عبد الرحمن الأنصارى خرج له مسلم ووثقه ابن حبان وغيره وقال ابن سعد كان كثير الحديث عالما بالسير توفى سنة ١٦٢ هـ، أنظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٦ / ٢٢٠ وأنظر تاريخ التراث ١ / ٤٦٥.

(٤) يونس بن يزيد الأيلى امام حافظ روى له الجماعة توفى سنة ١٥٩، أنظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ١ / ١٦٢ وتهذيب التهذيب ١١ / ٤٥٠. قال السخاوى فى الاعلان بالتوبيخ ٨٨ روى عن الزهرى مشاهد النبى صلى الله عليه وسلم.

(٥) يونس بن بكير الشيبانى شيخ صدوق وهو أحد رواة السيره عن ابن اسحاق وقد لقبه الذهبى فى تذكرة الحفاظ بصاحب المغازى ١ / ٣٢٦ وتوفى سنة ١٩٩ هـ.

(٦) سعيد بن المغيرة الصياد أبو عثمان المصيصى ثقه من الطبقة العاشرة مات فى حدود سنة ٢٢٠ روى له النسائى وذكر كتابه فى السيرة فى عمل اليوم والليلة. وقد حدث بالسيرة فى قرية المصيصه من قرى الشام "أنظر ترجمته فى التهذيب ٤ / ٨٨ وتقريب التهذيب ١ / ٣٠٦ ومصادر السيرة النبوية لفاروق حماده ص٦٧.

(٧) أحمد بن محمد أبو جعفر الوراق وثقه غير واحد من العلماء توفى سنة ٢٢٨ هـ وله كتاب فى المغازى نقل منه ابن حجر فى فتح البارى ٧ / ٢٦٤ وأنظر ترجمته فى التهذيب ١ / ٧٠ ومصادر السيرة لفاروق حماده ص ٦٧.

(٨) حجاج بن أبى منيع قال عنه فى التهذيب ٢ / ٢٠٧ شيخ ثقه روى عن جده عن الزهرى =

وأبو حذيفه اسحاق بن بشـــر بن محمد البخارى.(١) وعبد الرحمن بن عمرو - أبو زرعه الدمشقى(٢) ومحمد بن صالح بن دينار الثمار(٣) وعبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلـــــــى الغسانى.(٤)

المؤلفـــات فى دلائل النبوة :

ومن الذين أفردوا دلائل النبوه والمعجزات بمؤلفات مستقلة الامام أبو زرعة الـــرازى المتوفى سنة ٢٦٤هـ. فقد ألف كتابا فى دلائـل النبوة نقل منه الحافظ بن كثير ووصفه بأنه كتـــاب جليل(٥) وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبـــة المتوفى سنة ٢٦٧ فقد ذكر أن له

= نسخة من المغازى ذكرها السخاوى فى الاعلان ص ٨٨.

(١) اسحاق بن بشر البخارى ولد فى بلخ وعاش فى بخارى وهو شيعى أتهم بالكـــذب كما فى تاريخ بغداد ٦/٣٢٦ وله ترجمة فى أعيان الشيعة ٢/٢٣١. أنظــــر تاريخ التراث ١/٤٦٦. توفى سنة ٢٠٦ وله كتاب المبتدأ والفتوح والرده والجمل وصفين.

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان أبو زرعة الدمشقى امام ثقه توفى سنة ٢٨١ وله كتاب التاريخ طبع بدمشق يلتزم فيه الاسناد أورد جمله من أحداث السيرة وخلافه الراشدين وأيام بنى أميه وأطرافا من خلافة بنى العباس بشكل موجز. وبقية كتابه فى تاريـــخ الرجال. أنظر ترجمته طبقات الحنابلة. لأبى يعلى ١/٢٠٥ وتهذيب التهذيـــب ٦/٢٣٦. وستقدم دراسة عن كتابه ((التاريخ)) فى الفصل الثانى.

(٣) محمد بن صالح الثمار. ثقه روى له الأربعة وهو من أهل المغازى أنظر ترجمته فـــى تهذيب التهذيب ٩/٢٢٥.

(٤) عبد الأعلى بن مسهر الغسانى أبو مسهر الدمشقى روى له الجماعة وكان عالما بالمغازى وأمر الناس توفى سنة ٢١٨هـ، أنظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ١/٣٨١ وتهذيـــب التهذيب ٦/٩٨.

(٥) أنظر البداية والنهاية ٤/٢٥٩.

كتابا في دلائل النبوة [١]، وابراهيم بن اسحاق الحربي المتوفى سنة ٢٨٥ [٢]، وأبو داود وسليمان بن الأشعث السجستاني صاحب السنن المتوفى سنة ٢٧٥هـ [٣]. وأبو بكر جعفر بن محمد الفريابي المتوفى سنة ٣٠١، ولم يصلنا من هذه الكتب شئ فيما نعلم عدا ماذكره فؤاد سزكين في كتابه تاريخ التراث [٤] من أن كتاب الفريابي في دلائل النبوة توجد مخطوطة له في المكتبة الظاهرية بدمشق في ١٦ ورقة تحت رقم (٢٧ سيره) وعليه سماع في عام ٥٧٤هـ. وأقدم ماوصل الينا من المؤلفات في دلائل النبوة كتابين من القرن الخامس الهجري هما كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ وهو مطبوع، وكتاب دلائل النبوة أيضا لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي صاحب السنن الكبرى. المتوفى سنة ٤٥٨ هـ. وهو أجود من سابقه يقول فيه الامام الذهبي ((عليك به فانه كله هدى ونور)) [٥] وقد نشر من كتاب البيهقي جزآن [٦]، والباقي لا زال مخطوطا.

المؤلفات في الشمائل:

أما الشمائل والصفات النبوية فأقدم من ذكر أنه أفردها بمؤلف مستقل هو أبو البختري وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعه الأسدي ((ت حوالي ٢٠٠ هـ)) وقد نسب له ابن النديم كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. [٧]

وأبو الحسن علي بن محمد المدائني ((ت ٢٢٤))الأخباري المعروف ذكر له ابن النديم [٨] كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم.

وداود بن علي الظاهري المتوفى سنة ٢٧٠هـ. الذي كتب كتابا في صفة أخلاق النبي [٩] صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ابن النديم الفهرست ص٢٨ وكشف الظنون ١/ ٧٦٠.
(٢) كشف الظنون ١/ ٧٦٠.
(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة. وسماه في الرسالة المستطرفه بأعلام النبوه.
(٤) فؤاد سزكين، تاريخ التراث ١/ ١٦٤. (٥) أنظر الكتاني، الرسالة المستطرفة ص١٠.
(٦) نشرته المكتبة السلفية بالمدينة المنورة. وآخر المنشور هو غزوة بدر.
(٧) أنظر ابن النديم، الفهرست ص١١٢ وأنظر ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٣٥٢.
(٨) ابن النديم، الفهرست ص١١٢. (٩) المصدر السابق ص٢٧٢.

ومحمد بن عيسى الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ وله كتاب فى الشمائل النبوية مروى بالأسانيد على طريقة المحدثين وقد طبع بمصر سنة ١٢٨١ هـ بشرح أحمد عبد الجواد الدومى . ومن هذا الاستعراض للكتابات الأولى فى السيرة النبوية ماكان منها فى المغازى أو أخبار البعثه . وماكان فى المعجزات والدلائل على نبوة النبى صلى الله عليه وسلم أو فى الشمائل والصفات النبوية يتبين لنا مدى الاهتمام الذى لقيته سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم على كافة المستويات الثقافية لأن سيرته الشريفة جزء من سنته ، وسنته هى المصدر الثانى للتشريع .

ولقد وصلتنا - ولله الحمد والمنه - سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مروية بالأسانيد المتصلة الجياد من غير طريق الأخباريين والمؤرخين . وبالأخص ماكان متوقفا على معرفته حكما شرعيا . ولم يتفرد الاخباريون أمثال ابن اسحاق والواقدى وابن سعد الا بأمور لا يتوقف على معرفتها شيئا من أحكام الشرع مع أن حديث محمد بن اسحاق حسن اذا لم يعنعن . وقد جمع الامام البخارى فى صحيحه الذى سماه ((الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)) من أصول السيرة مافيه غنية عما سواه . وقد استطاع شارحه الحافظ بن حجر العسقلانى بما أوتى من سعة الاطلاع وقوة الحفظ أن ينخل كتب المغازى والسير والرجال والتواريخ والمسانيد والسنن ويستخلص أوثق رواياتها ويجمع بينها وبذلك يكون كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى من أوثق مصادر السيرة النبوية وأشملها ، ولاغنى عنه لباحث فى تاريخ النبوه والخلافة الراشدة وماكان فيها من الأحداث.

التأليف في التراجم :

لقد صاحب الاهتمام بتدوين السنة النبوية ودراستها الاهتمام بمعرفة نقلتها والبحث في أحوالهم لمعرفة عدالتهم وامكانية الاحتجاج بما يروونه ، ومن المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم لا يبحث عنهم لغرض الجرح والتعديل لأنهم كلهم عدول ، وانما يبحث عنهم لأنهم الطبقة الأولى التي حملت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وللتأكد من اتصال الأسانيد ومعرفة المرفوع من المرسل الى غير ذلك من مباحث علم المصطلح ، فمعرفتهم تعتبر من ألزم الأمور لمن يشتغل بعلم الحديث (١).

ولأجل هذا كان الاهتمام بمعرفة الصحابة وتمييزهم عن غيرهم ثم معرفة الطبقة التي حملت عنهم رواية السنة ثم الذين بعدهم ، وهكذا .

ومن أوائل الذين صنفوا في تراجم الصحابة :

- محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ) ضمن كتابه الطبقات الكبرى .
- علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) في كتابه معرفة من نزل الصحابة من سائر البلدان (٢).
- خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ) ضمن كتابه الطبقات
- محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) في كتابه تاريخ الصحابة (٣)
- يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ) ضمن كتابه المعرفة والتاريخ
- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ) في كتابه تسمية أصحاب رسول الله (٤) .
- محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي المعروف بمطين (ت ٢٩٧هـ)

---

(١) أنظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ١/١ .
(٢) الكتاني ، الرسالة المستطرفة ص١٢٧ وأنظر السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ص٩٢ .
(٣) السخاوي الاعلان ص٩٢ .
(٤) المصدر السابق .

ـ محمد بن يحى بن ابراهيم ابن منده (ت ٣٠١ هـ) .

ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) فى كتابه ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين .

أما الرواه من غير الصحابة فقد أخذ تدوين تراجمهم عدة أتجاهات ، فمنهم من كتب عن الضعفاء والمجروحين (١) ومنهم من كتب فى الثقات (٢) فقط ومنهم من جمع بينهما (٣) ومنهم من كتب فى معرفة الكنى (٤) ومنهم من كتب فى تراجم الرواه عن شيخ معين (٥) ومنهم الذى

---

(١) من الذين كتبوا فى الضعفاء يحى بن معين وعلى بن المدينى وأبو حفص الفلاس ومحمد ابن عبد الله البرقى والبخارى فى كتابيه الضعفاء الكبير والضعفاء الصغير وأبو زرعة الرازى والجوزجانى والنسائى والعقيلى ((أنظر ،أكرم ضياء العمرى بحوث فى تاريخ السنة ص ٨٠-٩٠ وقارن بالسخاوى ص ١٠٠ .

(٢) من الذين أفردوا الثقات بكتب مستقله أحمد بن عبد الله العجلى (ت ٢٦١ هـ) وأبو العرب محمد بن أحمد التميمى وأبو حاتم بن حبان البستى ((المصدر السابق وقارن بالسخاوى ص ١٠٠ .

(٣) ومن الذين جمعوا بينهما الليث بن سعد (ت ١٧٩) وعبد الله بن المبارك ومحمد ابن سعد فى الطبقات الكبرى ويحى بن معين فى كتاب التاريخ وابن المدينى وأبوبكر عبد الله بن أبى شيبه وأحمد بن حنبل ومحمد بن اسماعيل البخارى فى كتبه الثلاثة التاريخ الكبير ، والأوسط ، والصغير ، ويعقوب بن سفيان الفسوى وأبو زرعة الدمشقى . وابن ماجه القزوينى صاحب السنن . وابن أبى خيثمة فى كتابه التاريخ الكبير ((أنظر المصدر السابق ص ١٠٢-١٠٣ وقارن بالسخاوى ص ١١٠ .

(٤) اشتهر بعض الرواه بلقبه أو بكنيته وبعض الأسماء تتفق فى الكنى مما يوقع فى لبس فيظن الشخصين شخصا واحدا لذلك ظهرت كتب توضح الكنى وتوضح المتفق والمفترق والمتشابه من الأسماء والكنى ومن أوائل من ألف فى ذلك على بن المدينى فى كتاب الكنى وكذلك الامام أحمد فى كتاب الأسماء والكنى وأيضا البخارى ومسلم والنسائى : ((المصدر السابق ص ١٢٦-١٢٧)) .

(٥) كما فعل مسلم بن الحجاج حيث صنف فى ((رجال عروه)) وفى القرن الرابع ظهرت مؤلفات فى رواة الكتب الستة وخاصة رجال الصحيحين ، ورجال الموطأ .

كتب معجم شيوخه (١) ومنهم من ترجم لرجال العلم والرواية فى بلد معين (٢)، ومن أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع اتسع نطاق علم التراجم فلم يعد مقتصرا على ذكر الصحابة والمحدثين وانما شمل بقية المشتغلين بالعلم على مختلف الحقول العلمية وتعدى ذلك الى المشتغلين بالادارة ووظائف الدوله . وكل من عرف برأى أو مذهب أو حرفه فظهرت كتب (٣) فى تاريخ الخلفاء وأخرى فى تاريخ الوزراء وتراجمهم وفى تراجم الأمراء ، وفى طبقات الفقهاء عامة ثم فى طبقات فقهاء كل مذهب من المذاهب الأربعة وكتب فى طبقات القراء وفى طبقات الحفاظ وفى طبقات النحاه وفى طبقات اللغويين وطبقات الشعراء وفى العباد والصوفية وفى تراجم القضاه والأطباء وفى تراجم أصحاب الفرق مثل الشيعة والخوارج والمعتزلة .. وغيرهم . حتى شمل التأليف فى التراجم المغنين والحمقى والمغفلين وعقلاء المجانين والعرجان والعميان وغيرهم من أصحاب العاهات . وان كان بعض هذه الأنواع لم يظهر الا فى القرن الخامس وما بعد .

والتأليف فى التراجم من الأهميه بمكان للمؤرخ لأنه يحوى أخبارا تاريخية قد تكون نادرة ، وقد يجد الباحث فى دراسة التراجم ما يسد به الثغرات التى تبقى عادة فى المؤلفات التاريخية ولا تتعرض لها ، كما أن هذه الأخبار التى تأتى عرضا تكون عادة أقرب الى الصواب والخلو من الدس والغرض .

---

(١) من أول من فعل ذلك يعقوب بن سفيان الفسوى وأحمد بن شعيب النسائى وأبو يعلى الموصلى (ت ٣٠٧ هـ) .

(٢) كتب محمد بن على بن حمزه الفراهينانى (ت ٢٤٧ هـ) كتاب التاريخ فى رجال المحدثين بمرو كما كتب أبو الحسن أحمد بن سيار المروزى (ت ٢٦٨ هـ) كتابا فى أخبار مرو وكذا ابن ماجه القزوينى (ت ٢٧٣ هـ) فى تاريخ قزوين ، وأسلم بن سهل الواسطى المعروف ببحشل (ت ٢٨٨ هـ) فى تاريخ واسط وأغلب الكتب المنسوبة للمدن تعنى بتراجم علمائها ورواة الحديث بها ولا تتعرض للخطط ومتابعة الأحداث التاريخية التى مرت على المدينة .

(٣) حول هذه الأنواع من التراجم وأسماء المؤلفات التى كتبت فيها ، أنظر السخاوى الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ الصفحات ٨٥ و ٩٥-١٠٨ .

ولكتب التراجم أهمية خاصة فى التعريف بالحياة الثقافية للمدن والأقطار التى تناولت تراجم علمائها ، كما أنها مهمة لمعرفة الأصول التاريخية ودراستها لما تحويه من التعريف برواة الأخبار وبيان أحوالهم وعقائدهم واتجاهاتهم الفكرية ودوافعهم وأغراضهم . كما تظهر أهمية خاصة فى نوع من الدراسات التاريخية التى ظهرت حديثا وهى ما يسمى بعلم ((تاريخ التاريخ)) لمعرفة الرواد الأوائل فى الدراسات التاريخية عند العلماء المسلمين .(١)

وقد أطلق كثير من المؤلفين فى علم الرجال على كتبهم اسم ((التاريخ))(٢) ، وقد اعتبرت كتبهم فى التراجم فرعا من فروع التاريخ حتى عند العلماء المتأخرين الذين كتبوا فى مفاهيم علم التاريخ وتحديد مجالاته وفوائده وأغراضه من أمثال السخاوى (ت ٩٠٢هـ)(٣) والسيوطى (ت ٩١١هـ)(٤)

فتـــوح البلـــدان :

من المجالات التى شملها التأليف التاريخى فى القرون الثلاثة الأولى ، البحث فـى فتوح البلدان وقد ذكرنا فى التمهيد للباب الثالث الدوافع والعوامل التى أدت الـى الاهتمام بهذا النوع من الجانب التاريخى .

---

(١) حول أهمية علم الرجال للدراسات التاريخية ، أنظر أكرم ضياء العمرى ، بحوث فـى تاريخ السنة ص ٢٠ وما بعدها .

(٢) أطلق الامام البخارى على بعض مصنفاته فى الرجال اسم التاريخ وهى ((التاريخ الكبير)) ((والتاريخ الأوسط)) و ((التاريخ الصغير)) كذلك فعل على بن المدينى وأحمد ابن حنبل وابن أبى خيثمة وأبو زرعة الدمشقى وغيرهم .

(٣) أعتبر السخاوى علم التاريخ فن من فنون الحديث النبوى ، أنظر الاعلان ص ٤٤ .

(٤) أنظر الشماريخ فى علم التاريخ ص ٦٦ حيث جعل من فوائد التاريخ معرفة وفيات الشيوخ ومواليدهم ، والرواة عنهم فيعرف بذلك كذب الكاذبين وصدق الصادقين .

وبالنظر الى أسماء الكتب التى ألفت فى الفترة موضوع البحث نجد أن من المؤلفين من أهتم بجمع أخبار فتح بلد معين مثل فتح فارس ، فتح الأبله ، فتح برقه ، فتح الأهواز . ومنهم من جمع أخبار الفتوح فى جهة من الجهات مثل فتوح الشام ، فتوح العراق ، فتوح خراسان ، فتوح مصر وأفريقيه .

ومنهم من جمع أخبار الفتوح بصفة عامة ، مثل ((كتاب الفتوح الكبير)) ومثل كتاب فتوح البلدان ، ومنهم من جمع أخبار فتوح قائد من القواد ومن أوائل الذين ذكر عنهم الاهتمام بتصنيف الكتب فى أخبار الفتوح :

- أبو عثمان شراحيل بن مرثد الصنعانى الشامى - شهد اليمامة وفتح دمشق ، لقبه كل من أبى زرعه الدمشقى (١) وابن حبان (٢) بصاحب الفتوح مما يدل على أن له كتابا معروفا فى الفتوح .
- يزيد بن عبيدة بن أبى المهاجر السكونى الدمشقى . له كتاب فى الفتوح . (٣)
- أبو مخنف لوط بن يحى الأزدى (ت ١٥٧ هـ) له كتاب فتوح العراق وفتوح الشام . (٤)
- سيف بن عمر التميمى (ت ١٨٠ هـ) صاحب كتاب الفتوح الكبير والرده . (٥)
- عبيد الله بن سعد الزهرى . ذكر له صاحب الفهرست كتاب فتوح خالد بن الوليد (٦)
- اسحاق بن بشر من أصحاب السير والأحداث ونسب له كتاب الفتوح . (٧)
- محمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧ هـ) له كتاب فتوح الشام وكتاب فتوح العراق . (٨)

---

(١) أنظر تاريخه ١ / ٢٦٠ .

(٢) أنظر تهذيب التهذيب ٤ / ٢٢٠ .

(٣) أنظر تاريخ أبى زرعة الدمشقى ١ / ١٧٧ .

(٤) ابن النديم ، الفهرست ص ١٠٥ . (٥) المصدر السابق ص ١٠٦ .

(٦) نفس المصدر ص ١٠٧ . (٧) نفس المصدر ص ١٠٦ .

(٨) نفس المصدر ص ١١١ وكتابه عن فتوح الشام مطبوع متداول لكنه قد أعيدت صياغته فى فترة متأخرة على نسق القصص الشعبى وأدخلت فيه بعض الروايات الاسطورية .

ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩) له كتاب فتوح أرمينيه وكتاب فتوح الأهـواز (١)

ـ أبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٤هـ) الذي كتب العديد من الكتب في الفتوح منها ما هو شامل ومنها ما هو على شكل رسائل صغيرة وموضوعات منفرده عن بعض المعارك أو بعض القاده ، ومن كتبه في الفتوح ، كتاب فتوح الشام أيام أبي بكر ،كتاب فتوح العراق ، كتاب فتـوح خراسان كتاب فتوح سجستان ،كتاب فتوح مصر،كتاب فتوح الجزيرة ، كتاب فتوح جرجان وطبرستان ، كتاب فتـح الأبله ، كتاب فتح برقه ، فتح مكران ، كتاب خبر ساريه بن زنيم، كتاب موادعـة النوبـه، (٢)

ـ أبو اسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي (من أهل القرن الثاني)له كتاب فتوح الشام. (٣)

ـ عبد الرحمن بن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) صاحب كتاب فتوح مصر وأفريقيه . (٤)

ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) صاحب كتاب الفتوح (٥) وهو من أشمل كتب الفتوح التي وصلتنا وأجودها .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٦ .

(٢) أنظر قائمة كتبه في الفتوح في المصدر السابق ص ١١١-١١٦ ولكن مع الأسف لـم يصلنا شيء من كتب المدائني رغم كثرتها .

(٣) كتاب فتوح الشام للأزدي مطبوع ، وأنظر عن نسبة الكتاب اليه ابن حجـر، تهذيب التهذيب ٤٢٨/٦ وسوف نترجم للأزدي في فصل تراجم الاخباريين والرواة الآتي .

(٤) أنظر ابن خير الأشبيلي فهرست ما رواه عن شيوخه ص ٢٢٨ وقد طبع القسم التاريخي من هذا الكتاب وسوف تقدم عنه دراسه في الفصل القادم أما القسم الثاني وهو خـاص بتراجم القضاه والمحدثين ومروياتهم فلا يزال مخطوطا .

(٥) كتابه في فتوح البلدان معروف ومتداول ومن أجود طبعاته الطبعة التي حققها صلاح الدين المنجد .

كتـــب الأمـــوال :

لقد شمل التأليف التاريخي في القرون الثلاثة الأولى البحث في النظم المالية للدولة الاسلامية وخاصة الموضوعات التي لها علاقة وارتباط بحركة الفتوح فقام العلماء بتدويـــن أحكام الخراج ، والأموال التي تؤخذ من أهل الذمة وأهل العهد ، وحكـم أموال أهل الحرب وقد اعتمدوا في ذلك على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وعلى فتاوى الصحابة ، وعلى السوابق التاريخية (السنه العمليه) للخلفاء الراشدين رضي الله عنهـم

- وكان القاضي أبو يوسف (ت ١٨٢ هـ) هو أول من صنف كتابا مستقلا في أحكـام الأموال والذي سماه كتاب الخراج وذلك استجابة لطلب الخليفة العباسي هـارون الرشـيد.(١)
- يحي بن آدم القرشي (ت ٢٠٣ هـ) ((الذي كتب كتابا سماه ((الخـراج)) (٢)
- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) فقد صنف كتابا جليلا سماه كتاب الأموال.(٣)

التأليـــف في الأنســاب :

من أنواع التأليف التاريخي في القرون الثلاثة الأولى التصنيف في الأنساب وتدوينهـا ، وعلم الأنساب من العلوم المعروفة عند العرب في جاهليتهم وقد كانوا يعرفون هذا العلـم للمفاخرة وللحط من قدر مجهولي النسب أو من كان في نسبهم قدح - حسبما تعارفـوا عليه من قيم وموازين - وقد وجه الاسلام هذا الاهتمام بما يتمشى مع أصوله ومبادئه فجعـل

---

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف من أشهر الكتب المصنفة في موضوع الخراج وسوف تقدم عنه دراسة في الفصل الآتي .

(٢) كتاب الخراج ليحي بن آدم كتاب معروف مطبوع ومن أجود طبعاته الطبعة الـتي حققها الشيخ أحمد محمد شاكر.

(٣) كتاب الأموال لأبي عبيد مطبوع عدة طبعات وسنقدم عنه دراسة في الفصل القادم .

من أغراض العناية بالأنساب ومعرفتها صلة الأرحام ، وحفظ الحقوق في المواريث والتركات ،فقد جاء في الأثر تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم))(١) كما جعل من أغراض علم الأنساب معرفة العاقله ،(٢)

وقد صرف الاسلام المفاخرة بالنسب التي كانت تحدث بين عرب الجاهلية الى حب الله ورسوله والافتخار بالاسلام والانتساب اليه والى ما قدم الانسان من عمل في خدمة أمته كما وجه غريزة حب الاقتتال والتنافر الى حب الاستشهاد في سبيل الله ، ثم قرر ميزانا للتفاضل بين الناس وهو التقوى ((ان أكرمكم عند الله أتقاكم))(٣) وبذلك أحل أخوة الاسلام ورابطة الايمان محل أخوة النسب ورابطة القبيلة أو القومية العرقية أو الوطنية الضيقة ، كما قرر موازين الولاء والنصرة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وموازين البغض والبراء لمن عاد الله ورسوله والمؤمنين .

وقد كان تدوين الأنساب والتأليف فيها مدفوع باهتمامات وأغراض متعددة ،شخصية كانت ،أو رسميه فنجد مثلا أحد أفراد القبيله يعمد بدافع شخصي الى تدوين أنساب قبيلته وفروعها وبعض أخبارها ومشهور رجالاتها وشعرائها ،ولقد كان للأحداث الداخلية المبكرة في الدولة الاسلامية وظهور الأحزاب والفرق أثر في عودة العصبية القبيلة كما كان لنظام الاسكان في المدن الجديده في البصره والكوفه والذي تم على الأساس القبلي أثر في المحافظة على العصبية القبلية وان كان لا يخلوا من الفوائد من ناحيه التنظيم العسكري . فكان لهذه العوامل أثرها في علم الأنساب مما يوجب الاحتياط والتثبت في صدق المعلومات التاريخية التي تحويها .

---

(١) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعا ٤ / ٣٥١ وقال عنه حديث غريب من هذا الوجه .

(٢) عاقلة الرجل هم عصبته وقرابته من جهة الأب وهم الذين يتحملون دية من قتله خطأ ، وقال أهل العراق هم أهل الدواوين . أهـ وهذا يشير الى أن الدواوين قد سجلت الأسماء فيها حسب الأنساب والعواقل ،أنظر الرازي ، مختار الصحاح ص٤٤٧ .

كما كان للاهتمامات الرسمية من قبل الخلافة أثر في التصنيف في هذا العلم ، ومن المعروف أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد دون ديوان العطاء على أساس الأنساب [١] كما أن ديوان الجند قد دون على هذا الأساس فكان المجاهدون يوزعون في المعارك الى كتائب ووحدات عسكرية على أساس قبلي [٢] ، لما يحققه مثل هذا التوزيع من تضامن وتآلف وحرص على الثبات والنكاية في العدو .

وقد ساهم مجموعة من الأخباريين في رواية الأنساب وحفظها ، وفي التصنيف والكتابة فيها ، وكان بعض مؤلفاتهم مقصورا على النسب ، وبعضها كتابة تاريخية من خلال الأنساب ، أي ترتيب المعلومات التاريخية ترتيبا نسبيا ، ومن الذين كانت لهم مشاركة في ذلك :

- دغفل النسابه وهو من أوائل من أهتم بالانساب كان حيا أيام معاويه ووفد عليه ويقول ابن النديم انه لا مصنف له [٣] .
- صحار بن العباس العبدى وكان معاصرا لدغفل [٤] .
- محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) الذي وصفه ابن النديم بقوله ((ويتقدم الناس بالعلم بالأنساب [٥] .
- عوانه بن الحكم (ت ١٤٧ هـ) قيل انه جمع ديوان العرب وأشعارها وأنسابها [٦] .

---

(١) روى ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣ / ٢٩٥ أن عمر بن الخطاب لما دون الديوان دعا عقيل بن أبي طالب ومخرمه بن نوفل وجبير بن مطعم وكان ثلاثتهم من نسابي قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدءوا ببني هاشم ثم بنو تيم رهط أبي بكر ثم بنو عدى رهط عمر فلما نظر فيه عمر اعترض وقال أبدأوا بالأقرب فالأقرب من رسول الله فاذا استوى القوم في القرابة من رسول الله قدم أهل السابقة .

(٢) أنظر ، ابن كثير ، البداية والنهاية ٦ / ٣٢٥ وأنظر أخبار معركة القادسية في الطبري ٣ / ٥٢٩ - ٥٦٨ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ص ١٠١ .

(٤) نفس المصدر ص ١٠٢ .

(٥) نفس المصدر ص ١٠٧ .

(٦) نفس المصدر ص ١٠٢

- حماد بن سابور بن المبارك (ت ١٥٦ هـ) قال ابن النديم ((ولم ثر لحماد كتابا وانما روى عنه الناس وصنفت الكتب بعده))[1].
- سعيد بن عبد الحكم بن أبي مريم له كتاب النسب، وكتاب المآثر.[2]
- خالد بن طليق الخزاعي . ولاه المهدي قضاء البصره وهو من النسابين.[3]
- أبو اليقظان النسابه واسمه سحيم بن حفص (ت ١٩٠ هـ) كان أخباريآ ناسبا له كتاب نسب خندف وحلف تميم وكتاب النسب الكبير.[4]
- الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧ هـ) ومن كتبه كتاب المثالث الكبير، وتاريخ الاشراف الكبير.[5]
- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) له كتب كثيرة في الأنساب والمثالب.[6]
- هشام بن محمد بن السائب الكلبي له كتاب النسب الكبير وله رسائل مفرده في أنساب القبائل.[7]
- أبو الحسن علي بن محمد المدائني، له كتاب نسب قريش وأخبارها.[8]
- أبو خالد الغنوي، له كتاب في الأنساب.[9]
- محمد بن عبدة العبدي له كتاب النسب الكبير على مثال كتاب هشام الكلبي.
- علان الشعوبي، من أهل فارس، كان ينسخ للرشيد والمأمون والبرامكه في بيت الحكمة عمل كتاب الميدان[10] في مثالب قبائل العرب، وهو يعبر عن الصراع الشعوبي بين العرب والفرس.
- مصعب بن عبد الله الزبيري (ت ٢٣٦ هـ) له كتاب النسب الكبير وكتاب نسب قريش[11] وسوف نقدم دراسة لكتابة نسب قريش في الفصل القادم.

---

(١) نفس المصدر ص ١٠٤.
(٢) نفس المصدر ص ١٠٧
(٣) نفس المصدر ١٠٧.
(٤) نفس المصدر ص ١٠٦، ١٠٧.
(٥) نفس المصدر ص ١١٢.
(٦) أنظر قائمة كتبه في المصدر السابق ٥٩.
(٧) أنظر قائمة كتبه في الأنساب ص ١١٠.
(٨) المصدر السابق ص ١١٤.
(٩) نفس المصدر ص ١١٧.
(١٠) نفس المصدر ص ١١٨.
(١١) نفس المصدر ص ١٢٢.

- أبو جعفر محمد بن حبيب العالم النسابه (ت ٢٤٥ هـ) وله كتب في التاريخ والأنساب واللغة والشعر منها كتاب المؤتلف والمختلف في النسب وكتاب المحبر، كتاب المعاثر (١) وسوف تتقدم دراسة عنه وعن كتابه المحبر في الفصل القادم .
- أبو عبد الله الزبير بن بكار الزبيري (ت ٢٥٦ هـ) قاضي مكه له كتب كثيرة في الأنساب والأخبار والأيام (٢) .
- أحمد بن محمد بن حميد بن حذيفه العدوى المعروف بالجهمي عاش أيام المتوكل له كتاب أنساب قريش وأخبارها (٣) ، وكتاب الانتصار في الرد على الشعوبيه .
- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) مؤرخ جغرافي نسابه له كتاب البلدان وكتاب الفتوح وكتاب أنساب الاشراف (٤) ، وهو كتاب كبير يجمع بين الأخبار والأنساب بل لعل أثر الأنساب فيه لا يعد كونه اتخذ ذلك وسيلة لترتيب الكتاب فدون التاريخ على أساس دور الأسر والأفراد ومساهمتهم في ذلك .

ومن استعراض هذه القائمة لأسماء الذين ساهموا في القرنين الثاني والثالث بالكتابة والتأليف في حقل الأنساب - وهي بالطبع ليست قائمة بكل من ساهموا في هذا الميدان - يتضح لنا كثرة المشتغلين بهذا العلم وربما تتضح لنا من خلال ذلك أثر الاتجاهات التي صاحبت تدوين الأنساب مما صبغ ذلك بصيغة لا تخلو من العصبية لقبيلة أو بلد أو نحلة .

---

(١) نفس المصدر ص ١١٩ .
(٢) نفس المصدر ص ١٢٢ .
(٣) نفس المصدر ص ١٢٤ .
(٤) نفس المصدر ص ١٢٦ .

تواريــخ المدن وخططهــا :

ومن أنواع الكتابات التاريخية التي ظهرت في هذه الفترة . العناية بتواريخ المــدن الاسلامية وتسجيل أخبارها وتراجم علمائها وخططها وكانت المدينتين ، مكة والمدينـــة ، من أول المدن التي اهتم بها المؤرخون ، نظرا لأهميتهما الدينية فهما موطن الرســـالة ، فمكة قبلة المسلمين وموطن حجهم لوجود المسجد الحرام بها ، والمدينة طمعتهم الأولـى بها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى شرعت زيارته .

ومن أوائل من أثر عنه التصنيف في تواريخ المدن والأمصار الاسلامية .

- محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧هـ) الذى كتب كتابا سماه أخبار مكه .(١)
- الهيثم بن عدى الثعلبي (٢٠٧هـ) له كتاب في خطط الكوفه .(٢)
- محمد بن الحسن بن زباله (ت ١٩٩هـ) صنف كتابا في تاريخ المدينة نقل عنه السمهودى في وفاء الوفاء .(٣)
- أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي (كان حيا سنة ٢٤٤هـ) الذى كتب ((أخبار مكه وما جاء فيها من الآثار)) (٤) وتصنيفه هذا هو ما جمعه جده أحمد بن محمـــد ابن الأزرق (ت ٢١٩هـ) .
- محمد بن اسحاق الفاكهي ((كان حيا سنة ٢٧٢هـ) كتب كتابا فـــــــى تاريخ مكه على منوال الأزرقي ويقول الفاسي (٥) انه أجود من كتاب الأزرقي ويغني عنه وكتاب الأزرقي لا يغني عنه .

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ص ١١١ . (٢) نفس المصدر ص ١١٢ .

(٣) أنظر السمهودى ، وفاء الوفاء الصفحات ١/ ٢٩١ ، ٣٦٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤١٢ ، ٤٢٥ ، وغيرها .

(٤) هذا الكتاب مطبوع متداول وسنعقد دراسة عنه في الفصل القادم .

(٥) أنظر تقي الدين الفاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ١/ ١٤ وكتاب الفاكهي توجد له مخطوطة في أوربا وقد طبع المستشرقون منه الزيادات على الأزرقي ضمـــن مجموعة تواريخ مكة المكرمة .

ـ أبو زيد عمر بن شبه النميري (ت ٢٦٢هـ) وهو من المؤرخين الثقات وقد كتب في تواريخه كثير من المدن الاسلامية . فله كتاب في تاريخ مكة وآخر في تاريخ الكوفة وثالثا في تاريخ البصرة ورابعا في تاريخ المدينة[1] .

وكتب ابن شبه في تواريخ المدن كما يتضح من النقول التي وصلتنا في كتب الآخرين[2] وحسبما يتضح من القسم الذي وجد من تاريخ أخبار المدينة[3] ـ تركز على دارسة الخطط وتتناول الأحداث التاريخية التي مرت بها المدينة . وليس له كبير عناية بالتراجم .

ـ أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب المعروف بابن طيفور (ت ٢٨٠هـ) الذي كتب كتابا في تاريخ بغداد وهو يؤرخ للمدينة تاريخا سياسيا كما يتضح من القسم الذي وجد من الكتاب[4] وربما أنه قد تعرض للخطط في أول الكتاب .

ـ أسلم بن سهل الواسطي المعروف ببحشل (ت ٢٨٨هـ) ألف كتابا في تاريخ علماء واسط[5] ، وهو كتاب تراجم ، وركز فيه على رجال الحديث ورواته .

ـ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده (ت ٣٠١هـ) كتب تاريخ أصبهان[6] وهو أيضا كتاب تراجم المحدثين من أهل أصبهان .

وقد تتابع بعد ذلك ظهور المصنفات في تواريخ المدن الاسلامية منها ما يركز على دراسة الخطط والأحداث التاريخية بها ، ومنها ما يؤرخ للمدينة من خلال تراجم علمائها

---

(١) أنظر ابن النديم ، الفهرست ص ١٢٥ .

(٢) أنظر ، ابن حجر فتح الباري ١٢/٥٤ .

(٣) وجدت منه نسخة ناقصة ، وطبعت أخيرا بتحقيق فهيم شلتوت على نفقة أحد تجار المدينة .

(٤) وجد منه الجزء السادس ، وهو يتحدث عن بغداد في عهد الخليفة المأمون ويهتم بالأحداث التاريخية دون التراجم والوفيات . وقد نشرته مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٨٨هـ

(٥) أنظر ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ٦/١٢٧ .

(٦) أنظر ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ٣/٢٤ .

وربما كان للمنافسه العلمية بين المدن والعصبية للأمصار أثر في كثرة تواريخ المدن والتركيز على تراجم العلماء لأن العلماء هم أهم ما تتميز به المدن المتنافسة.(١)

ولذلك تجد على امتداد القرنين الرابع والخامس ظهور كثير من المؤلفات في تواريخ المدن والأمصار مثل تاريخ الرقه لمحمد بن سعيد القشيرى الذى أملاه سنة ٣٣٤هـ وتاريخ مصر لعبد الرحمن بن يونس (ت ٣٤٧هـ) وطبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأنصارى (ت ٣٦٩هـ) ، وتاريخ داريا ، للقاضى عبد الجبار الخولانى (ت ٣٧٠هـ) كما كتب الحافظ أبو نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠هـ) كتابا سماه ((ذكر أخبار أصبهان)) . وكذا أبو عبد الله الحاكم (٤٠٥هـ) الذى كتب تاريخ نيسابور ، والخطيب البغدادى - (ت ٤٦٣هـ) فى تاريخ بغداد وابن عساكر فى تاريخ دمشق وغيرهم .

---

(١) أنظر ، أكرم ضياء العمرى ، بحوث فى تاريخ السنه ص ١٩٤ .

أخبـــار الخلافة والأحداث الداخلية :

من الأنواع التي شملها التأليف التاريخي أخبار الخلافة سواء كان التأليف يشمل كل الخلفاء حسب ترتيب خلافتهم أو الاقتصار على أخبار خليفة واحد أو الخلفاء الراشدين أو خلفاء بني أميه أو خلفاء بني العباس ، كما شمل التأليف الأخبار الداخلية في الدولة مثل الفتن والمعارك التي وقعت بين المسلمين ومثل أخبار الثورات التي قامت بها الفرق الخارجة على الخلافة مثل الخوارج والشيعة والزيديه والباطنية ، أو الثورات التي تزعمها بعض الطامعين في الخلافة أو كانت استجابة لدافع عصبيه أو دفعا لظلم وقع من الخلافة أو أحد عمالها وولاتها .

وهذه قائمة بمن عرفنا أنهم أسهموا في هذه الموضوعات .

- عوانه بن الحكم الكلبي (ت ١٤٧ هـ) بكتابيه سيرة معاوية وبني أميه[١] ، وكتاب الوليد بن يزيد بن عبد الملك .
- أبو مخنف لوط بن يحي (ت ١٥٧ هـ) بكتبه[٢] التي منها الشورى ومقتل عثمان ، مقتل الحسين ، كتاب المختار بن أبي عبيد ، مقتل عبد الله بن الزبير ، كتاب الجمل ، كتاب صفين ، أهل النهروان والخوارج ، حديث الأزارقه .
- سيف بن عمر التميمي (ت ١٨٠ هـ) له كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي ، وكتاب في الرده[٣] .
- هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦ هـ) له كتاب أولاد الخلفاء ، أمهات الخلفاء ، أخبار زياد بن أبيه[٤] .
- محمد بن عمر الواقدي وقد أسهم بكتب كثيرة منها الجمل ، صفين ، سيرة أبي بكر ووفاته ووضع عمر الدواوين وتصنيف القبائل على أنسابهم[٥] .

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ص١٠٢ .
(٢) أنظر قائمة كتبه في المصدر السابق ص١٠٥-١٠٦ .
(٣) المصدر السابق ص١٠٦ .
(٤) أنظر قائمة كتبه في المصدر السابق ص١٠٨-١٠٩ .
(٥) أنظر قائمة كتبه في نفس المصدر ص١١١ .

- الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧ هـ) له كتاب تاريخ الخلفاء، الخوارج، أخبار الحسن ابن علي.(١)

- نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ) له من الكتب في هذا الموضوع الجمل، صفين مقتل حجر بن عدي.(٢)

- خالد بن خداش بن عجلان (ت ٢٢٣ هـ) له كتاب الأزارقه وحروب المهلب، أخبار آل المهلب.(٣)

- أبو الحسن علي بن محمد المدائني (٢٢٤ هـ) أسهم في هذا الموضوع بكتب كثيرة(٤) بعضها كبير وبعضها على عادته في شكل بحوث ورسائل صغيره. فمن كتبه تسمية الخلفاء وكتابهم، تاريخ أعمار الخلفاء على الخلفاء، كتاب الخلفاء الكبير يحوي على تاريخ الخلفاء الراشدين وبني أميه وبني العباس حتى المعتصم، كتاب مقتل عثمان، كتاب الرده، كتاب الجمل، كتاب الخوارج، كتاب من راهط، كتاب أخبار الحجاج ووفاته.

- خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) له كتاب التاريخ خصصه لتاريخ الخلافة والأحداث التي وقعت في ظلها.

- محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) له كتاب تاريخ الخلفاء.(٥)

- عمر بن شبه (ت ٢٦٢ هـ) له كتاب مقتل عثمان، أخبار المنصور، كتاب محمد وابراهيم ابني عبد الله بن حسن.(٦)

- ابن أبي طيفور واسمه محمد بن أحمد الجرجاني، له كتاب أبواب الخلفاء.(٧)

---

(١) المصدر السابق ص ١١٢.

(٢) نفس المصدر ص ١٠٦.

(٣) نفس المصدر ص ١١٢.

(٤) أنظر قائمة كتبه في المصدر السابق ص ١١٥.

(٥) نفس المصدر ص ١١٦.

(٦) نفس المصدر ص ١١٢ وقد نقل الطبري فيما يبدو أخبار ثورتهما على المنصور من هذا الكتاب، أنظر تاريخ الطبري ٧/٥٥٢-٦٠١ و ٦٢٢-٦٤٣.

(٧) ابن النديم الفهرست ص ١٢٢ وقال ان معنى أبواب الخلفاء أي الذين يأنسون به ويستسرونه.

ـ اسماعيل بن عيسى العطار ، له كتاب الفتن ، كتاب الرده ، كتاب الجمل ، كتاب صفين (١) .

ـ أبو عبدالله محمد بن زكريا الغلابي ، له كتاب صفين ، الجمل ، الحره ، مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، كتاب التوابين وعين الورده (٢) .

التاريخ العالمي :

من الأنواع التي شملها التأليف التاريخي في الفترة موضوع البحث الكتابة في التاريخ العالمي أو ما يمكن أن يسمى المؤلفات الجامعة في التاريخ فقد أورث هذا الدين للباحثين المسلمين سعة في النظر الى الكون وشمولا في النظره التاريخيه وضرورة الاستفادة من التجارب البشرية على مدار التاريخ العالمي وملاحظة سنن الله الجاريه من خلال حركة التاريخ البشرى . ولذلك أخذ المؤرخون المسلمون يؤلفون في تاريخ البشرية من مبدئها ويعتبر ابن اسحاق من الرواد الأوائل الذين كتبوا بهذا الشمول وربط بهذه النظرة أيضا وذلك بكتبه عن المبتدأ وعن السيرة النبوية ثم عن تاريخ الخلفاء الى عصره .

وقد برز في هذا النوع من التأليف ثلاثة (٣) من المؤرخين المسلمين هم :

ـ أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) صاحب كتاب الأخبار الطوال .

ـ أحمد بن اسحاق بن واضح اليعقوبي (ت حوالى ٢٨٤هـ) له كتاب التاريخ المعروف باسم تاريخ اليعقوبي .

ـ محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) بكتابه تاريخ الرسل والملوك والمشتهر باسم تاريخ الطبري .

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١١٢ .

(٢) نفس المصدر ص ١٢١ .

(٣) قدمنا في فصل مناهج المؤرخين دراسة عن كل واحد منهم وعن كتابه .

وقد شمل التأليف التاريخي بالاضافة الى ما سبق التأليف في القصص التاريخية وأيام العرب في الجاهلية ولكن غلب على هذا النوع الخيال والأساطير والاختلاق والوضع وكان للتعصب للقبيلة أو للموالي أثر على هذه المؤلفات ، ويمثل هذا النوع كتاب التيجان في ملوك حمير (١) المنسوب لوهب بن منبه ((ت ١١٤ هـ)) .

كما شمل التأليف النوادر والطرائف والحكايات التي هي في حقيقتها أخبار تاريخية لكنها لا تندرج تحت نوع من الأنواع السابقة .

فبعض العلماء جمع نوادر وحكايات فئة محددة مثل البخلاء الذين جمع الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في أخبارهم ونوادرهم كتابا سماه كتاب البخلاء (٢) . ومثل معلمي الصبيان أو العميان أو المكاريين ... ومنهم من جمع طرائف وحكايات مختلف الطوائف كما جمع ذلك ابن قتيبه (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه ((عيون الأخبار)) (٣) وكما جمع ذلك ابن عبد البر النمري (٤٦٣ هـ) في كتابه بهجة المجالس وأنس المجالس)) (٤) .

ومن هذا الاستعراض يتضح لنا تعدد المناحي التي شملها التأليف التاريخي واتساع نطاق الدراسات التاريخية فهي لم تكن قاصرة على سرد أخبار الدولة ووقائع المعارك الحربية ، كما يتبادر الى أذهان البعض ، فيتصور نتيجة لذلك أن التاريخ عند المسلمين لم يعن بغير الجانب السياسي والعسكري وقد ساعد على مثل هذا الوهم واقع الدراسات التاريخية في معاهدنا وجامعاتنا ومناهج تدريسها ، غير أن هذا لم يكن

---

(١) هذا الكتاب طبع مرارا فكانت أول طبعاته في الهند سنة ١٣٤٧ هـ ثم طبع في اليمن عن مركز الدراسات والأبحاث اليمنية بصنعاء .

(٢) كتاب مشهور طبع مرارا في مصر وبيروت .

(٣) طبع في أربعة مجلدات في مصر عن دار الكتب وعن المؤسسة المصرية للتأليف .

(٤) طبع بمصر في مجلدين كبيرين في سلسلة تراثنا .

مفهوم علماء الصدر الأول للتاريخ . ولعل خير دليل على ذلك أسماء مؤلفاتهم ، فهذا الامام البخاري يكتب ثلاث كتب في الرجال ويسميها ، التاريخ الكبير ، والتاريخ الأوسط ، والتاريخ الصغير . وهذا بحشل الواسطي يسمي كتابه في تراجم العلماء والمحدثين في مدينة واسط ((تاريخ واسط)) ومثله الأزدي صاحب كتاب تاريخ الموصل ، والسهمي صاحب تاريخ جرجان والحاكم النيسابوري في تاريخ نيسابور فقد دون العلماء تاريخ الأمة والمجتمع بكل اتجاهاته ونشاطاته الفكرية والعملية ، فكما شمل الفتوح وتاريخ الخلفاء والأحداث الداخلية مثل حروب الردة والفتن التي كانت بين المسلمين شمل أيضا تاريخ العلم والعلماء وطبقات الصحابة والتابعين والقضاة والمحدثين والحفاظ والفقهاء والشعراء والأدباء والأطباء والكتاب والوزراء وأخبار الرحلات في طلب العلم وفي التجارة والسياحة وتواريخ الفرق والمذاهب والملل ، وحتى الحكم والنوادر والفكاهات والطرائف والأخبار المتفرقة كان لها نصيبها من الاهتمام . وكان قمة هذا التأليف وجامعه التاريخ العالمي الذي يؤرخ للخليقة من بدايتها ويتتبع سير الأنبياء والأمم القديمة حتى يأتي للتاريخ الاسلامي فيؤرخ له حسب الترتيب الزمني سواء على نظام الحوليات كما فعل الطبري أو على نظام الموضوعات كما فعل الدينوري .

ـ الفصـــــل الثانـــــى ـ

عرض لمناهـــج مؤرخـى هذه الفترة

عرضنا فى الفصل السابق للمسارات التى شطها التدوين التاريخى فى القرون الثلاثـــة الأولى من الهجرة النبوية ورأينا ازدياد المادة التاريخية واتساع نطاقها وتشعبه وشموله أنواعا كثيرة من اهتمامات الأمة وحاجاتها يؤكد ذلك كثرة المشتغلين بهذا الجانب من المعرفة .

ولذا فاننا سوف ندرس فى هذا الفصل نماذج من هؤلاء المؤرخين نرجو أن تكـــون شاملة لكافة الاتجاهات والمناحى فى التأليف التاريخى لأنه من الصعب أن نقوم بحصـــر كل الذين كتبوا فى التاريخ الاسلامى خلال ثلاثة قرون وتقدم دراسة عن كل واحد منهم فـى مثل هذا الفصل.(١)

وستكون عناصر الترجمة لمن ندرسهم مركزة على الأمور التالية :

- تعريف موجز بحياة المترجم ، وطلبه العلم .
- توثيقه ، وبيان عقيدته .
- مؤلفاته ، على أن يكون التأكيد على المؤلفات التاريخية .
- منهجه فى التأليف.

ونبـــدأ بالمؤلفين فى السيرة والمغازى النبوية ونأخذ نموذجين هما محمد بن اسحاق ابن يسار ومحمد بن عمر الواقـــدى .

---

(١) فى الفصل الثالث الآتى بعد هذا الفصـل نقدم تراجم موجزة ومركزة لبعض الأخباريين والرواه .

١- محمد بن اسحاق بن يسار (٨٠-١٥١هـ) .

هو العلامة الحافظ الاخباري أبو بكر القرشي الكلبي مولاهم المدني صاحب السيرة النبوية ولد سنة ثمانين ورأى أنس بن مالك الصحابي بالمدينة وسعيد بن المسيب من كبار التابعين ، وطلب العلم بالمدينة من أول صباه على عادة أهل تلك الفترة في التلقي من الشيوخ .

يقول عنه الذهبي ((انه أول من دون العلم بالمدينة قبل مالك وذويه وكان في العلم بحرا عجاجا ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي)) (٢)

وكان من شيوخه ، أبوه اسحاق وكذلك عمه موسى ، وأبان بن عثمان . وسعيد المقبري . وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج . وعمرو بن شعيب والزهري والتيمي ومكحول وفاطمة بنت المنذر وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وصالح بن كيسان وشعبه ومحمد بن السائب الكلبي . (٣) وغيرهم . خرج من المدينة فأتي الجزيرة والكوفة والري وبغداد وقدم على أبي جعفر المنصور بالحيرة - فكتب له المغازي . (٤) وكان قد رحل قبل ذلك الى مصر ودخل الاسكندرية سنة ١١٥هـ وروى عن جماعة من أهل مصر منهم عبيد الله بن المغيرة ويزيد بن أبي حبيب . (٥)

وقد روى عن ابن اسحاق خلق كثير غالبهم من العراقيين لأنه خرج من المدينة قديما فلم يرو عنه من أهلها غير ابراهيم بن سعد . (٦) ولعل انتقاد الامام مالك وهشام بن عروة له - والذي ذكرنا أسبابه في الفصل السابق - كان السبب في عزوف أهل المدينة عن حديثه ، من روى عنه يزيد بن أبي حبيب شيخه المصري ، ويحي بن سعيد الأنصاري وهما تابعيان . وشعبة والثوري وابن عيينه وجرير بن حازم وزياد البكائي ويونس بن بكير ويحي بن سعيد الأموي . (٧)

---

(١) للاستزادة في ترجمته ، أنظر ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ١٩١/٧ ، الخطيب ، تاريخ بغداد ٢١٤/١ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ٧/١ ، والذهبي ، تذكرة الحفاظ ١٧٢/١ ، وسير أعلام النبلاء ٣٣/٧ ، وميزان الاعتدال ٤٦٨/٣ ، وابن حجر تهذيب التهذيب ٣٨/٩ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٥/٧ . (٣) المصدر السابق ٣٤/٧ .

(٤) أنظر المصدر السابق ٤٨/٧ . (٥) نفس المصدر ٤٨/٧

(٦) نفس المصدر ٤٨/٧ .

(٧) عن أسماء شيوخه أنظر المصدر السابق ٣٥/٧ ، وتهذيب الكمال للمزي خ ورقه ١١٦٧ .

وقد ذكر ابن سعد أنه توفى سنة ١٥٠ هـ [١] أما خليفة بن خياط فذكر أن وفاته سنة ١٥٣ هـ أو ١٥٢ هـ [٢] ، ورواية ابن سعد هي المشهورة في وفاة ابن اسحاق . والفرق بين الروايتين يسير.

وبالنسبة لعقيدته فانه قد رمي بالتشيع ونسب الى القدر [٣] ، ولكن تشيعه لم يكن له أثر فى كتابته للسيرة ، مما يدل على ضعف هذا الاتهام ، أو ربما يكون تشيعه من جنس ما أثر عن بعض السلف من التشيع الذى لا يحمل صاحبه على التزيد والكذب.

أما رميه بالقدر فان بعض العلماء ينفيه عنه كما روى أبو العباس بن عقدة قال حدثنا موسى بن هارون بن اسحاق سمعت محمد بن عبد الله بن نمير يقول ((كان ابن اسحاق يرمى بالقدر وكان أبعد الناس منه)) [٤]

أما عدالته فقد سبق أن استعرضنا أقوال علماء الجرح والتعديل فيه [٥] ، حيث اتضح أنه ((يدلس)) وهو صدوق فى نفسه ، ويروى الغرائب ويحدث عن المجهولين بأحاديث باطلة [٦] كما أنه كان يحمل عن أهل الكتاب ، فاذا صرح بالتحديث يزول التدليس ويكون حديثه حسنا . وهو امام فى المغازى .

وقد ألف ابن اسحاق سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وهى تشمل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وشيئا من أخبار الجاهلية ثم سيرته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة حتى الهجرة ثم حياته فى المدينة ومغازيه وبعوثه حتى وفاته صلى الله عليه وسلم . وينسب له كتاب فى تاريخ الخلفاء [٧] وآخر فى تاريخ الأنبياء عليهم السلام [٨] .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٢٢/٧ .
(٢) طبقات خليفة بن خياط ٢٧١ .
(٣) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ٣٥/٧ .
(٤) المصدر السابق ٤٣/٧ .
(٥) فى الفصل الأول من هذا الباب .
(٦) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ٤٣/٧ .
(٧) أنظر ابن النديم - الفهرست ١٠٥ وقال بأن الأموى قد رواه عنه .
(٨) أنظر السخاوى الاعلان بالتوبيخ ص٦٢ حيث قال وفى قصص الأنبياء المبتدأ لمحمد بن اسحاق .

وبذلك يكون مجموع ما كتبه محمد بن اسحاق يمثل نظرته لوحدة التاريخ الاسلامي تبعا لوحدة الرسالة والمنهج الرباني .

أما طريقته في الترتيب والتأليف . فلا نكاد نتبينها كاملة لأن كتبه لم تصلنا الا من خلال بعض النقول التي وجدت في مؤلفات العلماء الذين جاءوا بعده وأقربها هو تهذيب السيرة الذي قام به عبد الملك بن هشام وقد أبان ابن هشام عن منهجه في الاختصار فقال ((وأنا انشاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم ومن ولد - بفتح اللام والدال - رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده ، وأولادهم لأصلابهم ،الأول فالأول ،من اسماعيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يعرض من حديثهم ،وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل على هذه الجهة للاختصار ،الى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شئ ، وليس سببا لشئ من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه))(١) وعلل صنيعه هذا بأنه لأجل الاختصار . ثم ترك بعض الأشياء انتقادا لابن اسحاق فقال : ((وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها . وأشياء بعضها يشنع الحديث به . وبعض يسوء بعض الناس ذكره . وبعض لم يقر لنا البكائي(٢) بروايته))(٣) .

وقد حافظ ابن هشام فيما يبدو على نص ابن اسحاق وذلك انه يقدم له بقوله ((قال ابن اسحاق)) ثم يورد نص كلام ابن اسحاق . واذا عقب عليه فانه يفصل ذلك بقوله : ((قال ابن هشام)) ،واذا كان لديه رواية تخالف قول ابن اسحاق فانه يسوقها بسنده هو(٤) . وغالب اضافاته هي في تصحيح الأنساب(٥) أو شرح بعض الجمل والاستشهاد لذلك بالشعر(٦) ،وعند المقارنة بين تهذيب بن هشام لسيرة ابن اسحاق من رواية زياد البكائي وبين

---

(١) ابن هشام ، السيرة ١/٤ .

(٢) هو زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي أحد رواة السيرة عن ابن اسحاق قال ابن حجر في التقريب ١/٢٦٨ صدوق ثبت في المغازي وفي حديثه عن غير ابن اسحاق لين ،وروايته هي التي اختصرها ابن هشام وقد روى له البخاري حديثا واحدا مقرونا مع غيره ، كما في تهذيب التهذيب ٣/٣٧٦ .

(٣) ابن هشام السيرة النبوية ١/٤ .   (٤) أنظر على سبيل المثال ١/٩٠ و١٦٢ و٢٠٠ .

(٥) أنظر الصفحات ١/١٤ و٤٧ و٤٠ و٤٧ .   (٦) أنظر الصفحات ١/٦٠ و٦١ و٢٥٥ و٢٥٦ .

ما ورد من رواية يونس بن بكير لسيرة ابن اسحاق[١]، نجد بعض الاختلافات الطفيفة في السياق وفي التقديم والتأخير. وبعض الزيادات.[٢] في الأخبار والأشعار وهي التي نص ابن هشام على أنه يحذفها.

ومنهج ابن اسحاق في جملته يقوم على ايراد الأخبار بالأسانيد التي وصلته وهذه الأسانيد منها الموصول ومنها المنقطع والمعضل في حين أن بعض الأخبار يوردها بدون اسناد ويظهر هذا بشكل واضح في القسم الأول من السيرة وهو قد يعتمد في معلوماته عن مجهولين فيقول ((حدثني بعض أهل العلم))[٣] أو ((حدثني بعض بني فلان))[٤] أو ((حدثني بعض أهل مكة))[٥] أو ((حدثني من لا أتهم))[٦] أو ((زعم رجال من بني فلان))[٧] أو ((حدثت عن فلان))[٨] - والملاحظ أنه اذا ما شك في صحة الرواية عبر عن ذلك بقوله ((فيما يذكرون))[٩] أو ((فيما يزعمون))[١٠] واذا أورد أكثر من رواية ولم يستطع الترجيح ختم كلامه بقوله ((فالله

---

(١) يونس بن بكير الشيباني هو الراوي الثاني لسيرة ابن اسحاق.
قال فيه النسائي ليس بالقوي. وقال أبو حاتم محله الصدق وقد روى له مسلم في المتابعات ((سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٤٥)) وروايته للسيرة كانت مفقودة ثم وجدت منها بعض القطع في المغرب وقطعة صغيرة في الظاهرية بدمشق. ونشر هذه القطع سهيل زكار وصدرت عن دار الفكر في بيروت سنة ١٣٩٨ هـ وقبل ذلك نشرها محمد حميد الله بالمغرب.

(٢) كل من ابن هشام ويونس ابن بكير زاد في السيرة روايات عن طريقه ليست في أصل ابن اسحاق وربما تصرفا في الترتيب، أنظر عن زيادات يونس بن بكير الصفحات ٥، ٦، ٢٨، ٣٣، ٤١، ٤٤، ٤٣، ٥٨، ٧١، ٧٢، ٧٢، ٧٤، ٧٥ من النسخة التي طبعت في المغرب بتحقيق محمد حميد الله سنة ١٣٩٦ هـ.

(٣) أنظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٩١، ٥٢٧، ٦٢٩.

(٤) نفس المصدر ١/ ٤٧٥، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٥، ٥١٦، ٥٢١، ٥٢٨، ٥٦٤.

(٥) نفس المصدر ١/ ٦٤٤.

(٦) نفس المصدر ١/ ٢٠٩، ٥٤٧، ٦٠٧، ٦٣٣، ٦٢٤.

(٧) نفس المصدر ١/ ٦٢٦.

(٨) نفس المصدر ١/ ٥٧١.

(٩) نفس المصدر ٤٥٩، ٥٢١.

(١٠) المصدر السابق ١/ ٢٠، ٥٦٣٦.

أعلم أى ذلك كان)) (١) كما أنه يجمع الروايات أحيانا مع بعضها دون تمييز لها ويقدم لها بذكر الأسانيد مجموعة (٢) ويسوق ملخصها ويستشهد بالآيات القرآنية ويذكر أسباب النزول ويشرح بعض المعانى فى الآيات (٣)، وأحيانا يقدم بين يدى الروايات بتمهيد من عنده يلخص فيه الخبر . أو يبين سبب الحادثة التاريخية ونتيجتها (٤). وهذا المنهج الذى سلكه ابن اسحاق ، حاول أن يجمع فيه بين منهج المحدثين القائم على الأسانيد لغرض التوثيق العلمى ، وبين منهج الاخباريين المتحررين من الالتزام بالأسانيد التى كانت سمة العلم والمعرفة فى ذلك العصر ، ولعله كان يهدف الى اخراج السيرة النبوية فى صورة مترابطة الأجزاء ، متسلسلة الأحداث ليسهل على الناس حفظها وقد لقيت سيرته قبولا عند عامة المسلمين - خاصة بعد التهذيب الذى أجراه ابن هشام - فأصبحت سهلة الحفظ والتلقين للطلاب المبتدئين وللعامة الذين لا يهمهم الاسناد . وحتى العلماء فانهم اشتغلوا بها تهذيبا وشرحا واختصارا ونظما . ورغم ذلك فانها لم تسلم من النقد . فقد عاب نقاد الحديث على ابن اسحاق منهجه فى دمج الروايات وجمع الأسانيد وسياقها مساقا واحدا دون أن يميز ألفاظ الرواة كما هو الشأن عند علماء الحديث. (٥) وجمع ابن اسحاق للأسانيد - والذى تبعه فيه تلاميذ مدرسته فى السيرة مثل الواقدى وابن سعد - ليس كجمع ابن شهاب (٦) الزهرى وعروة بن الزبير وغيرهما من ثقات المحدثين كما ادعى ذلك

---

(١) نفس المصدر ١/ ٦٠٠ . (٢) نفس المصدر ١/ ٦٠٦ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٤٦٧ و ٤٧٥ و ٤٨٢ و ٤٨٤ و ٥٢١ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٦ .

(٤) نفس المصدر ١/ ٤٢٨ و ٤٣٤ و ٤٣٨ و ٥٤٥ و ٤٦٨ .

(٥) أنظر ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢ . فقد سئل الامام أحمد عن ابن اسحاق فقال ((انى رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا)) .

(٦) الذى روى عن الزهرى واحتج به بعضهم على أن الزهرى استعمل الاسناد الجمعى هو رواية واحدة ذكرها البخارى فى صحيحه ٦/ ٤ . كتاب التفسير ، عند قوله تعالى ((لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا . . الآية)) . . عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن مسعود =

بعض الكتاب المعاصرين (١) لأن هؤلاء يجمعون الأسانيد اذا كان الرواة كلهم ثقات وزيادة الثقة مقبولة اذا لم تخالف رواية من هو أوثق منه ، كما هو مقرر في علم المصطلح (٢) ، أما ابن اسحاق فانه يجمع بين رواية الثقة وغير الثقة ويسوقها مساقا واحدا (٣) . دون أن يميز بين المعروف وألفاظ الرواة فيختلط قول الثقة مع غيره ومع ذلك فلا بد من الاشارة الى انه نظرا لتوسع ابن اسحاق في مصادره فقد تفرد بزيادات منها الصحيح ومنها الضعيف كما أن له شذوذات خالف بها الصحيح مثل قوله أن الأمير في سرية الرجيع هو مرثد بن أبي مرثد وأن عدد أصحاب السرية ستة نفر (٤) والذي في البخاري أن الأمير عاصم بن ثابت وأن عددهم عشرة (٥) .

ومثل ما أورده من أن القراء الذين قتلوا في بئر معونه أربعون رجلا (٦) والذي في صحيح البخاري أن عددهم سبعون (٧) .

= عن حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم . حين قال لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا . وكل حدثني طائفة من الحديث وبعض حديثهم يصدق بعضا . وان كان بعضهم أوعى له من بعض . الذي حدثني عروة عن عائشة أن عائشة قالت . . . ثم ساق حديث الافك ، فقد نص على أن هذا لفظ عروه . وبذلك ينتفي قول من قال انه جمع الأسانيد ولم يفرق بين ألفاظ الرواة كما يجمع ابن اسحاق وغيره ولمزيد ذلك أنظر فتح الباري ٨ / ٤٥٦-٤٥٧ .

أما عروة فلم أجد له جمعا للأسانيد الا في قصة الحديبية التي أخرجها البخاري في صحيحه ٥ / ٦٧ حيث قال حدثني . . . ثم ساق سنده الى عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمه ومروان ابن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه قالا خرج النبي صلى الله عليه وسلم . الحديث)) والمسور ومروان تابعيان خرج حديثهما البخاري كما ترى وجمع الثقات لا بأس به .

(١) أنظر يوسف هورفتش ، المغازي الأولى ومؤلفوها ص ١٨ وعبد العزيز الدوري نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٩٤ .

(٢) أنظر ابن حجر ، شرح نخبة الفكر ص ٤٥ .

(٣) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٩٦ / ٢ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٤١٢ ، ٥١٩ .

(٤) ابن هشام ٢ / ١٦٩ .

(٥) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٧ / ٣٧٨ .

(٦) ابن هشام ٢ / ١٨٥ .

(٧) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٧ / ٣٨٥ .

ومثل قوله أن أصحاب الحديبية سبعمائة [١] والذي في الصحيحين أنهم ألف وأربعمائة [٢] ومثل عدة أبا موسى الأشعري في المهاجرين الى الحبشة [٣] بينما ورد عن أبي موسى في صحيح البخاري أنه هاجر بقومه الى المدينة عندما بلغه مخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة غير أن السفينة ألقت بهم الى الحبشة وهناك لقوا جعفر بن أبي طالب فمكثوا عنده حتى قدموا معه يوم فتح خيبر. [٤] وعلى كل حال فابن اسحاق يعتبر رائدا للكتابة في السيرة وصاحب مدرسة لها منهجها المستقل عن مدرسة علماء الحديث وقد سهل للناس دراسة السيرة وتنظيمها في نمط قصصي متسلسل ولذا وصفه العلماء بأنه امام في المغازي والسير.

٢ - محمد بن عمر الواقدي الأسلمي [٥] (١٢٠-٢٠٧هـ)

ولد بالمدينة سنة ١٣٠هـ [٦] ونشأ في طلب العلم ورحل كعادة أهل زمانه لملاقاة العلماء والتلقي عنهم فأخذ عن صغار التابعين . فمن بعدهم في الحجاز والشام وغير ذلك . ومن شيوخه محمد بن عجلان وابن جريج ومعمر بن راشد وابن أبي ذئب وأفلح بن حميد الأوزاعي . وخلق كثير حتى من عوام المدنيين وحدث عنه محمد بن سعد كاتبه وأبو بكر ابن أبي شيبه ومحمد بن يحيى الأزدي ومحمد بن شجاع الثلجي وأبو بكر الصاغاني ومحمد ابن الفرج الأزرق وغيرهم. [٧] قال ابن سعد في الطبقات ((قدم بغداد في دين لحقه سنة ثمانين ومئة ثم خرج الى الشام والرقه ثم رجع الى بغداد فولاه المأمون القضاء ولم يزل قاضيا بها حتى مات لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع ومأتين)) [٨] ويقول عنه

---

(١) ابن هشام ٢/٣٠٩.
(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٧/٤٤١.
(٣) ابن هشام ٢/٢٦١.
(٤) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٧/٤٨٤.
(٥) أنظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/٣٣٤ والجرح والتعديل ٨/٢٠ تاريخ بغداد ٢/٣ وميزان الاعتدال ٣/٦٦٢ وسير أعلام النبلاء ٩/٤٥٤ وتهذيب التهذيب ٩/٣٦٣.
(٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٩/٤٥٧.
(٧) نفس المصدر ٩/٤٥٤-٤٥٥.
(٨) طبقات ابن سعد ، ٧/٣٣٤.

الذهبي انه ((جمع فأوعى وخلط الغث بالسمين والخرز بالدر الثمين فاطرحوه لذلك ومع هذا فلا يستغني عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم))(١)

وقد ذكر علماء الجرح والتعديل أقوالا كثيرة في عدالته وسعة علمه بعضها يوثقه وبعضها يجرحه فقال البخاري " سكتوا عنه ، تركه أحمد وابن نمير ".(٢) وقال مسلم " متروك الحديث"(٣) وقال النسائي " ليس بثقة ".(٤) وقال محمد بن سلام الجمحي . " الواقدي عالم دهره"(٥)

وقال ابراهيم الحربي ((الواقدي أمين الناس على أهل الاسلام ،كان أعلم الناس بأمر الاسلام . فأما الجاهلية فلم يعلم فيها شيئا))(٦)

وقال الخطيب البغدادي ." هو ممن طبق ذكره شرق الأرض وغربها وسارت بكتبه الركبان في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات والفقه وكان جوادا كريما مشهورا - بالسخاء "(٧) ثم ذكر قصة تدل على كرمه ،وقال الذهبي " لا شيء للواقدي في الكتب الستة الا حديث واحد عند ابن ماجه . حدثنا ابن أبي شيبة ،حدثنا شيخ لنا . فما جسر ابن ماجة أن يفصح به وما ذاك الا لوهن الواقدي عند العلماء . ويقولون ان ما رواه عنه كاتبه في الطبقات هو أمثل قليلا من رواية الغير عنه".(٨)

ثم قال الذهبي في ختام ترجمته في سير أعلام النبلاء ((وقد تقرر أن الواقدي ضعيف يحتاج اليه في الغزوات والتاريخ وتورد آثاره من غير احتجاج أما في الفرائض فلا ينبغي أن يذكر فهذه الكتب الستة ومسند أحمد وعامة من جمع في الأحكام نراهم يترخصون في اخراج

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٩/٤٥٤ .
(٢) نفس المصدر ٩/٤٥٧ .
(٣) نفس المصدر ١٨١ ب
(٤) نفس المصدر .
(٥) نفس المصدر .
(٦) نفس المصدر ٩/٤٥٨ .
(٧) تاريخ بغداد ٣/٥ وأنظر القصة في ٣/١٩-٢٠ .
(٨) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٩/٤٦٤ .

أحاديث أناس ضعفاء بل ومتروكين ومع هذا لا يخرجون لمحمد بن عمر شيئا . مع أن وزنه عندي أنه مع ضعفه يكتب حديثه ويروى لأني لا أتهمه بالوضع، وقول من أهدره فيه مجازفة من بعض الوجوه . كما أنه لا عبرة بتوثيق من وثقه كيزيد وأبي عبيد والعربي وصحن ، اذ انعقد الاجماع اليوم على أنه ليس بحجة وأن حديثه في عداد الواهي)) (١) .

وقال ابن كثير ((الواقدي عنده زيادات حسنه وتاريخ محرر غالبا فانه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوق في نفسه مكثار)) (٢) وقد استوعب الكلام على عدالته ابن سيد الناس في مقدمة كتابه عيون الأثر ، فقال ان سعة العلم مظنة لكثرة الأغراب . وكثرة الأغراب مظنة للتهمه والواقدي غير مدفوع عن سعة العلم فكثرت بذلك غرائبه)) (٣) وقال : ((وقد روينا عنه من تتبعه آثار مواضع الوقائع وسؤاله أبناء الصحابة والشهداء ومواليهم عن أحوال سلفهم ما يقتضي انفرادا بروايات وأخبار لا تدخل تحت الحصر)) (٤) .

والذي يظهر من كلام النقاد في الواقدي قبول رواياته في الأخبار والسير، ولكن لا يعارض بها الروايات الصحيحة لأنه ليس بحجة اذ انفرد فكيف اذا خالفه غيره ممن هو أوثق منه .

وقد زعم ابن النديم - وهو من شيوخ الرافضة - أن الواقدي كان يتشيع وأنه حسن المذهب يلزم التقيه . (٥) وقد ترجم له صاحب كتاب أعيان الشيعة ونقل قول ابن النديم هذا . كما ترجم له أغا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة الى تصانيف الشيعة . (٦) غير أن هذه كلها لا تعطينا دليلا قاطعا على تشيع الواقدي لأن من عادة الروافض أن ينسبوا الى مذهبهم بعض المشاهير لغرض تكثير سوادهم .

---

(١) نفس المصدر السابق ٦ / ٤٦٦ .

(٢) أنظر ، فاروق حماده ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ص ٥٠ .

(٣) عيون الأثر ١ / ٢٦ .

(٤) نفس المصدر ١ / ٢٧ .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ص ١١١ .

(٦) أنظر مقدمة مغازي الواقدي ١٦ .

ويحتاج الأمر لاثبات ذلك تقصى أقوال الواقدى نفسه . ولم أجد فيما اطلعت عليه من أقواله ما يؤيد تشيعه وما ورد في مغازيه المطبوعة من تخصيص على بن أبى طالب بقوله ((عليه السلام)) كلما ورد ذكره كما هى عادة الشيعة في كتبهم . لا يعتبر دليلا اذ ربما أن ذلك من تصرف النساخ خاصة اذا علمنا أن هذه المغازى مروية من طريق محمد بن شجاع الثلجى [١] ، الذى يوصف بأنه كذاب ومتهم فى دينه ..

والواقدى قد تولى القضاء للرشيد ثم للمأمون ومع ذلك لم يرد له ذكر فى فتنة القول بخلق القرآن ولعل وفاته سنة ٢٠٧ التى كانت قبل اظهار المأمون لهذا المذهب وامتحان القضاة والعلماء به سببا فى ذلك .

أما مؤلفاته فقد ذكر ابن النديم منها قرابة ثلاثين [٢] مؤلفا أغلبها فى موضوعات مفردة صغيرة فى التاريخ والحوادث ولا نعلم من كتبه اليوم غير المغازى [٣] ، وقد استفاد ابن سعد فى كتابه الطبقات من علم شيخه الواقدى وأخذ عنه كثيرا . وكذلك فعل الامام ابن جرير الطبرى حيث استفاد من مؤلفات الواقدى فى السيرة والمغازى والفتوح وتاريخ الخلافة الى سنة ١٧٩هـ [٤] ونقل عنه فى ٢١٧ موضعا [٥] والذى بقى لنا من مؤلفات الواقدى هو قسم المغازى من

---

(١) أنظر ترجمته فى ابن حجر . تهذيب التهذيب ٦/ ٢٢٠ .

(٢) الفهرست ص ١١١ .

(٣) حققها المستشرق مارسدن جونس ونشرها فى ثلاثة مجلدات .
يلاحظ أن للواقدى كتاب فى فتوح الشام ذكره ابن النديم فى الفهرست ص ١١١ . لكنه غير الكتاب المعروف المتداول بهذا العنوان والذى طبع فى مصر ولبنان بعنوان فتوح الشام وطبع به أخبار بعض البلدان فى مصر مثل البهنسا)) لأن هذا كتاب قصص يختلف فى سياقه وأسلوبه وعباراته عن أسلوب الواقدى والعصر الذى عاش فيه اذ يكثر فيه السجع المتكلف وركاكة العبارة وضعف البناء الشعرى فيما يورده من أشعار منسوبة للفاتحين من الصحابة والتابعين . كما أنه يغرق فى التفصيلات والوصف الخيالى للأبطال ويذكر أبطالا غير معروفين مثلما ذكره عن أبى الهول وأنه قاد ألفا من عبيد السودان مع ميسره بن مسروق العبسى ٢/ ٢ كما أن الرواه الذين رويت هذه الفتوح عنهم لم أجد لهم تراجم فى كتب الرجال . وهذا كله يؤكد عدم صحة نسبة الكتاب للواقدى .

(٤) الطبرى ٨/ ٢٦١ . (٥) أنظر فهرس تاريخ الطبرى ١٠/ ٤٠٣/ ٤٠٤ .

السيرة النبوية وهو يتحدث عن الغزوات التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وعن السرايا التي يبعثها رسول الله من قبله ويؤمر عليها بعض أصحابه ومنهجه في هذا القسم من السيرة هو ذكر مصادر معلوماته مجموعة وما يسوقه من الأخبار هو مجموع ما حدثه به هؤلاء الرواة الذين ذكرهم وغيرهم ممن لم يذكرهم. (١)

وقد ساق في مقدمة كتابه بعد ذكر الرواة الذين أخذ عنهم (٢) سرايا الرسول ومغازيه - منذ مقدمه المدينة الى وفاته - مرتبة ترتيبا تاريخيا ، وحدد تاريخ حدوث كل غزوة أو سرية واسم أميرها ووجهتها ، كما اعتنى بتحديد المواقع تحديدا جغرافيا مختصرا . ثم لخص هذه المعلومات بقوله ((فكانت مغازي النبي صلى الله عليه وسلم التي غزاها بنفسه سبعا وعشرين غزوة - وقاتل في تسع ثم ساقها . . وكانت السرايا سبعا وأربعين سرية)) (٣) ، ثم ذكر الذين استخلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عندما يخرج من الغزوات (٤) ثم ساق ما بلغه عن شعار المسلمين في كل غزوة. (٥)

وبعد هذا الاجمال شرع في التفصيل على حسب التسلسل التاريخي . ويذكر أحيانا الأسانيد مجموعة في أول كل غزوة (٦) أو سرية وأحيانا لا يذكرها اعتمادا على ما ذكره في أول الكتاب ويكتفي بقوله : قالوا (٧) وفي بعض المواضع يسند الرواية من طريق واحد . (٨) وللواقدي عناية

---

(١) أنظر مغازي الواقدي ١ / ١-٢ .

(٢) من الغريب أن الواقدي الذي ولد بالمدينة سنة ١٢٠ على سعة مصادره لم يأخذ من محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥٠ ولعل السبب في ذلك عدم لقياهما لأن ابن اسحاق خرج من المدينة قبل ولادة الواقدي أو قبل بلوغه سن التحمل لأننا لا نعرف تاريخ خروج ابن اسحاق من المدينة . ثم ان الواقدي قدم بغداد بعد وفاة ابن اسحاق كما يذكر ذلك ابن سعد في الطبقات ٧ / ٣٣٤ .

(٣) مغازي الواقدي ١ / ٧ .

(٤) المصدر السابق ١ / ٧ و ٨ .

(٥) نفس المصدر ١ / ٨ .

(٦) نفس المصدر ١ / ١٩ و ٣٤ و ٣٥ و ٤٠ .

(٧) ١ / ١٩ .

(٨) أنظر مثلا ١ / ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ٢١ و ٢٢ .

بالنسبة التاريخي للوقائع والغزوات كما أنه يعتني بذكر الرجال الذين لهم اسهامات معينة في الغزوة من انفاق وبذل أو مشورة ورأى أو موقف بطولي ويذكر الأسرى وكذلك الشهداء من المسلمين والقتلى من الكفار ويرتبهم على حسب قبائلهم كما نذكر كل من اشترك في بدر من المسلمين اظهارا لفضلهم ومكانتهم . ومن الملاحظ أنه لا يعتني بالشعر كثيرا بالقياس الى ابن اسحاق كما يلاحظ اهتمامه بتحديد الأمكنة والمواقع الجغرافية حتى انه كان يتتبع ذلك ويقف عليه بنفسه[١] ، واذا كانت الغزوة قد نزل فيها قرآن ، فانه يذكر ذلك ويفسره مجملا ، وقد تفرد الواقدى بزيادات تخص وصف المعارك ، وفي الحوادث الجانبية ، وفي السرايا لا توجد عند ابن اسحاق . ولعل هذا ما لحظه ابن كثير عندما وصف الواقدى ((بأن عنده زيادات حسنه وتاريخ محرر)) . كما أنه يبدى نقده لبعض الأخبار بعبارات موجزة[٢] كقوله " وهذا أثبت " ، " والمجمع عليه عندنا " . . ، " وكان أثبتهم عندنا " . " والثابت عندنا " . كما أنه يفاضل بين الأقوال مثل قوله . " والقول الأول أثبت عندنا " ، " وأصحابنا جميعا على ذلك " ، " ما رأيت من أصحابنا أحدا يدفعه . " في حين أنه يذكر في بعض الحالات مختلف الأقوال ولا يرجح منها شيئاً[٣] .

وقد تقدم الواقدى خطوة على منهج ابن اسحاق في الابتعاد عن طريقة المحدثين وعدم الالتزام بالأسانيد وألفاظ الرواه وصاغ المغازى في نسق واحد مترابط الأحداث في اسلوب قصصي واضح العبارة مما يسر حفظها على عامة الناس . وهذا المنهج جيد لو كان الواقدى نفسه من الثقات ، ولو أنه لم يخلط في مصادره بين الثقات وغيرهم .

---

(١) يروى الخطيب البغدادى في ترجمته ٣/٦ انه قال ((ما أدركت رجلا من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم الا وسألته هل سمعت أحدا من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ؟ فاذا أعلمنى مضيت الى الموضع فأعاينه . ولقد مضيت الى المريسيع فنظرت اليها وما علمت غزاة الا مضيت الى الموضع حتى أعاينه . . ويقول هارون القروى . رأيت الواقدى بمكة ومعه ركوة فقلت أين تريد ؟ فقال أريد أن أمضى الى حنين حتى أرى الموضع والوقعة .

(٢) أنظر مثلا ١/١٦ و ٢٥ و ٥٠ و ١٥٩ و ٢٢٨ و ٢٤٧ و ٢٥٦ .

(٣) أنظر مثلا المغازى ١/٢٥٥ .

- المؤلفين في الأنساب -

مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري (١٥٦ - ٢٣٦ هـ)

نشأ بالمدينة وسكن بغداد وكان والده أميرا على اليمن ، سمع أباه ومالك بن أنس وابراهيم بن سعد وعبد العزيز الدراوردي وهشام بن عبد الله المخزومي وسفيان بن عيينه ، وغيرهم.(١)

وحدث عنه ابن ماجه والنسائي بواسطة وابن أخيه الزبير بن بكار القاضي وأبو يعلى الموصلي وأبو القاسم البغوي وموسى بن هارون وأبو العباس السراج ، ومسلم خارج الصحيح ، وأبو داود خارج السنن ، ويعقوب ابن أبي شيبه وأبو خيثمة وابنه أبو بكر.(٢)

قال عنه الامام أحمد ((مصعب الزبيري ثبت.(٣) ووثقه ابن معين وقال انه عالم بالنسب))(٤) وقال العباس بن مصعب ((أدركته وهو أفقه قرشي في النسب))(٥) وقال أبو زرعة الدمشقي " لقيته بالعراق وكان فاضلا."(٦) وقال الدارقطني " ثقة"(٧) وقال ابن أخيه الزبير بن بكار " كان أوجه قريش مروءة وعلما وشرفا وبيانا"(٨) وقد ذكره ابن حبان في الثقات.(٩)

قال الذهبي : ((كان صدوقا عاليا اخباريا كبير المحل ، وقد تكلم فيه لوقفه في القرآن))(١٠) قال أبو بكر المروزي كان من الواقفة(١١) وقال الحسين بن فهم " كان مصعب اذا سئل عن القرآن يقف ويعيب من لا يقف"(١٢). وقد توفي ببغداد في شوال سنة ٢٣٦ هـ ، وهو ابن ثمانين سنة.(١٣)

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٠.
(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ١٠ / ١٦٣.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.
(٧) نفس المصدر.
(٨) نفس المصدر.
(٩) نفس المصدر السابق.
(١٠) الذهبي ، ميزان الاعتدال ٤ / ١٢٠.
(١١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٠ والواقفة هم الذين توقفوا في مسألة خلق القرآن فلم يقولوا انه منزل كما لم يقولوا انه مخلوق.
(١٢) الذهبي ، ميزان الاعتدال ٤ / ١٢١.
(١٣) ابن سعد الطبقات الكبرى ٧ / ٣٤٤ وتاريخ بغداد ١٣ / ١١٤ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٢ ، والميزان ٤ / ١٢١ وابن حجر ، تهذيب التهذيب ١٠ / ١٦٣.

وقد كتب مصعب الزبيري كتابين في النسب هما "كتاب النسب الكبير" "وكتاب نسب قريش".(١) فأما الأول فلا نعلم شيئا عن وجوده، ولعله كان شاملا للأنساب العربية كما يظهر من عنوانه. أما كتابه الثاني فقد خصصه في نسب قريش وهو مطبوع.(٢) ومنهج مصعب في كتابه نسب قريش، هو ايراد الأنساب والأخبار غير مسندة، على خلاف عادة المؤلفين في تلك الفترة، وقد نص على بعض مصادره(٣) وبعضها اكتفى بالاشارة اليه بمثل قوله "ذكر عن.." "وقال بعضهم". "ويقولون". "وقال بعض من يعلم" و "خزاعة تقول" "وقد قالوا" و "يحدث عن.."(٤) - بالبناء للمجهول - أما غالب معلوماته فيثبتها بدون الاشارة الى مصدر معين أو مجهول. كما أنه يستشهد بالشعر، ويجعله دليلا في بعض ما يذهب اليه من رأي في الأنساب،(٥) ويستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ولكن بقلة.(٦) كما أنه يستعمل عبارات تدل على شكه في صحة المعلومات التي يوردها مثل قوله ((وزوروا في ذلك شعرا)) وقوله ((وأحدثوا هذا الشعر)) و ((يزعمون)) و ((زعموا)).(٧)

وقد رتب كتابه على الأنساب فبدأ بذكر نسب معد بن عدنان وساقه الى ابراهيم الخليل عليه السلام ثم رفعه الى آدم عليه السلام ثم تتبع من فروع عدنان أجداد قريش، خزيمة، وكنانة، والنضر، وفهر وقصي، وعبد مناف الى عبد المطلب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أبناء النبي وبناته وما تفرع عنهن.

ثم عاد الى نسب أولاد عبد المطلب فبدأ بالعباس ثم أبو طالب وأولاده علي وجعفر وعقيل، ثم ولد الحارث.. الخ ثم ساق بقية فروع قريش حسب قرابتهم من رسول الله

---

(١) ابن النديم - الفهرست ص ١٢٢.

(٢) حققه ا. ليفي بروفنسال ونشرته بالقاهرة دار المعارف/في سلسلة ذخائر العرب رقم ١١.

(٣) أنظر الصفحات ٤، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٤٠.

(٤) أنظر أمثلة لذلك في الصفحات ٤، ٨، ٩، ١٢، ٢٠٢، ٢٣٧، ٣٠٨.

(٥) أنظر مثلا الصفحات ٥، ٩، ١٠، ٢٠، ٢٧، ٢٣.

(٦) أنظر مثلا الصفحات ٨، ١٢، ١٩، ٢٢، ٢٠٢، ٣٠٣، ٣٢٠.

(٧) أنظر عن هذه الأمثلة الصفحات ٥، ٧، ٩، ٤٤، ٢٨٧، ٣٠٨.

صلى الله عليه وسلم وقدم ذكر الخلفاء الراشدين وأولادهم وبقية نسلهم في أول ذكره قبائلهم ، ويهتم في سياقه للأنساب بذكر النساء - الأمهات والبنات - ومن تزوجهن وأولادهن ويتتبع ذلك حتى يذكر نهاية كل ولد ومن أعقب منهم ومن مات بدون عقب . والكتاب شامل لكثير من الأخبار التاريخية من البعثة النبوية حتى أيام المؤلف في العصر العباسي الأول ، التي قد لا يوجد بعضها عند غيره . كما أنه يحرص في غالب الأحيان على تسجيل تاريخ الوفيات . وأسبابها . وكتابه نموذج للكتابة في الأنساب والأخبار المتعلقة بها والتي يتساهل العلماء في الرواية والتثبت فيها لأن احتمال الوضع والكذب يقل في هذا المجال ، ولذلك لم يلتزم الزبيري في كتابه اسنادا ولا حتى ايضاح مصادره ، وهذا يقلل ولا شك من درجة الثقة في معلوماته ، خاصة اذا انفرد بشيء من ذلك .

محمد بن حبيب النسابه (ت ٢٤٥ هـ)

هو العلامة الاخباري أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي ، وحبيب اسم أمه أما اسم أبيه فلا يعرف.(١) كان مولى لمحمد بن العباس بن محمد الهاشمي ، ولذلك ينسب اليهم (٢) كما أن تاريخ ولادته غير معروف ، وقد عمل في أول حياته معلما لأولاد مولاه محمد بن العباس.(٣) ويظهر أنه قد ضاق ذرعا بهذا العمل.(٤) حدث عن هشام بن محمد الكلبي وابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان.(٥) وروى عنه محمد بن أحمد بن أبي عرابة وأبو سعيد السكري،(٦) وقد أكثر عنه وروى كتابه المحبر.

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ٢ / ٢٧٧ ، وياقوت ، معجم الأدباء ١٨ / ١١٢ .

(٢) ياقوت معجم الأدباء ١٨ / ١١٢ . (٣) نفس المصدر ١٨ / ١١٢ .

(٤) يذكر ياقوت في معجم الأدباء ١٨ / ١١٢ عنه أنه كان يقول اذا قلت للرجل ما صناعتك ؟ فقال معلم . فاصفع ثم أنشأ يقول " ان المعلم لا يزال معلما لو كان علم آدم الأسماء . من علم الصبيان صبوا عقله حتى بني الخلفاء والخلفاء .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ص ١١٦ وأنظر تاريخ بغداد ٢ / ٢٧٧ .

(٦) الخطيب ، تاريخ بغداد ٢ / ٢٧٧ .

قال الخطيب البغدادي ((محمد بن حبيب صاحب كتاب المحبر . كان عالماً بالنسب أخبار العرب موثقاً في دينه)) (١) .

وقال ابن النديم ((كان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل وعمل قطعة من أشعار العرب)) (٢) وقال ((كان مؤدبا وكتبه صحيحه)) (٣)

وقد اتهمه المرزباني ، بأنه كان يسرق كتب الناس ويدعيها ، وذكر قصة في ذلك (٤) . كما ذكر محمد حميد الله ، أن ابن حبيب كان يميل الى الشيعيه ، ولم يجزم بذلك ، وذكر بعض الملاحظات التي ربما دلت على أنه شيعي . مثل قوله عندما يذكر أبوبكر أو عمر ((رحمه الله)) واذا ذكر علي بن أبي طالب قال ((رضي الله عنه)) وذلك في كتابه المحبر (٥) ،

ومن اطلاعي على كتاب المحبر لم أر عنده تشيعا ظاهرا .

وقد كتب ابن حبيب كثيراً من المؤلفات (٦) ، غالبها في الأخبار والأنساب منها المنمق ، كتاب العمائر ، كتاب الموشح ، المحبر ، غريب الحديث ، الأنواء ، مقاتل الفرسان ، كتاب القبائل الكبير والأيام - في نيف وعشرين جزءاً - كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها ، وكتاب من نسب الى أمه من الشعراء ... وغيرها .

وأغلب هذه الكتب مفقود ووجد منها كتاب المحبر وهو من جيد كتبه كما يقول ياقوت (٧) . وكتاب مختلف القبائل ومؤتلفها (٨) ، وكتاب المنمق (٩) . وكتاب من نسب من الشعراء

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ص ١١٩ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) ياقوت ، معجم الأدباء ١٨/١١٣ .

(٥) أنظر كتاب المحبر لابن أبي حبيب ص ٩ - ٥٠ ط دائرة المعارف العثمانية .

(٦) أنظر قائمة كتبه في فهرست ابن النديم ص ١١٩ ومعجم الأدباء ١٨/١١٥-١١٧ .

(٧) معجم الأدباء ١٨/١١٦ .

(٨) طبع في أوربا بتحقيق المستشرق وستنفلد سنة ١٨٥٠م ثم أعيد طبعه وتحقيقه من قبل ابراهيم الأبياري سنة ١٤٠٠هـ .

(٩) يقول الاستاذ محمد حميد الله انه يوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة دائرة المعارف العثمانية بحيدرأباد ((أنظر المحبر ص ١٥)) .

الى أمهاتهم .[١] وكتاب المقتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام .[٢] وسوف نحاول التعرف على منهجه من خلال كتابه المحبر . وهذا الكتاب من رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري المولود سنة ٢١٢ هـ والمتوفى سنة ٢٧٥ هـ .[٣]

وهو مجموعة من الاخبار والأنساب في طرائف الموضوعات التي تصلح مادة للسمر والتسلية الموجهة التي لا تخلو من فائدة علمية بل ربما تكون نادرة . وليس للكتاب مقدمة توضح غرض المؤلف ومنهجه . ويشتمل الكتاب على موضوعات طريفه وهامه نذكر بعضها وبينها . مثل المدد التي بين ألأنبياء وأعمارهم)) و ((مبدأ تاريخ العرب ومولد النبي))و تسمية من أقام الحج)) و ((الخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون)) وهو يعرض على ذكر من ولى الحج في كل عام ، وعلى ذكر مدد حكم الخلفاء ونهاية كل واحد ، وعلى ذكر أمهاتهم ، وأمهاتهن ويسترسل في ذلك الى عشر طبقات وربما الى أكثر ، ((ذكر أبناء القرشيات من الخلفاء)) ذكر أبناء العربيات)) ((ذكر أبناء أمهات الأولاد)) ((ذكر أصهار النبي - صلى الله عليه وسلم)) ((ذكر أصهار الخلفاء)) ذكر أزواج النبي ، وغزواته ثم سراياه ، ذكر من جمع القرآن ، ومن شهد بدرا ومن شهد الجمل ، ومن شهد صفين ، وأصحاب شرط الخلفاء ، وأشراف الكتاب ، والحمقى والعميان والعرجان والبرصان والحولان ، رجل جمع أربع نسوة كلهم تدعى عاتكه ، قريش الظواهر ، قريش البطاح ، فتاك العرب ، دهاة العرب ، أصنام العرب وأسماء المفسدين في الأرض ، أسماء المنافقين ، من نصب رأسه ، الفرارون . . . الخ . . ولم يستعمل الاسناد وباستثناء ما أشار اليه من اعتماده على هشام الكلبي والواقدي فانه لم يوضح مصادره الا نادرا . ويظهر أنه عول كثيرا على كتب هشام الكلبي في الأنساب

---

(١) يوجد منه نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة وأخرى بالقاهرة "المصدر السابق" .

(٢) توجد له نسخة في عاشر أفندى (رقم ٨٧٣ / ١ في استانبول) ((المصدر السابق)) .

(٣) هو الحسن بن الحسين بن عبيد الله المعروف بالسكري النحوي اللغوي الثقة المكثر سمع يحي بن معين ومحمد بن حبيب وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخي وكان ثقة صادقا يقرئ القرآن وانتشر عنه من كتب الأدب مالم ينتشر عن أحد من نظرائه ، وكان اذا جمع جمعا فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة (ياقوت ، معجم الأدباء ٨ / ٩٤) .

والأخبار وعلى مغازى الواقدى بالنسبة لسياق مغازى رسول الله وسراياه . وصرح بذكر الواقدى فى ثلاثة مواضع.[1] أما الكلبى فقد صرح بذكره فى مواضع كثيرة[2] خاصة فى أول كتابه كما أنه صرح بالأخذ عن بعض اليهود فى أعمار الأنبياء[3] والمدد التى كانت بينهم وقارن بين رواياتهم وروايات الكلبى ووضح الاختلاف ثم علق عليه بقوله ((فهذا التفاوت شديد فى هذه الأقوال وبين قول الأول وقول ابن الكلبى والله أعلم كيف هى ؟ وأيها أصح فانى لم أقف على الأصح منها))[4] ، وفى بعض الأحيان يشير الى مصادره بصفة فيها جهالة مثل قوله ((ذكر لى بعض من لقيته - وروى .. وكان فيما ذكروا[5] . وكان من مصادره مؤلفات الهيثم بن عدى فقد روى عنه بواسطة أبى حاتم البجلى .[6]

وقد روى هذا الكتاب كما أوضحنا من قبل تلميذه الحسن بن الحسين السكرى وله عليه اضافات[7] كما أن الكتاب قد أضيفت عليه اضافات أخرى اذ أنه يذكر فى أسماء الخلفاء أحداثا بعد وفاة ابن حبيب ووفاة راويه السكرى ، فقد سجل تولى المعتضد العباسى الخلافة فى رجب سنة ٢٧٩ هـ . وبعد ذلك مباشرة ترد هذه العبارة ((قال أبو سعيد السكرى أخبرنى محمد حبيب أبو جعفر بذلك كله .[8])) ... والكتاب فى عمومه جمع بين الأنساب والأخبار وهو مبتكر فى ترتيبه وتبويبه ، ويعبر عن السعة والشمول الذى بلغه التأليف التاريخى فى القرن الثالث الهجرى ، وأن تدوين التاريخ لم يكن قاصرا على الحكام والمعارك الحربية كما يتوهم بعض الناس ، كما أنه يمثل التحرر من الأسانيد التى تعيق سبك الكتابة التاريخية ، ولكن يبقى بعد ذلك أن نضع مثل هذا الكتاب فى اطاره الذى أراده مؤلفه وهو طرائف الأخبار وأحاديث الأسمار ، فلا تعتبره مرجعا أصيلا موثقا .

---

(١) أنظر الكتاب ص ١٨ و ١٩٩ و ٤٠٦ .

(٢) أنظر الصفحات ١-٤ و ٢١ و ١٢ و ٤١ و ٣٦ و ٣٢ و ٣٨ و ٣٩ و ٣٢٦ و ٤٦٠ .

(٣) أنظر الكتاب ص ٢ .

(٤) أنظر الكتاب ص ٥ .

(٥) أنظر الصفحات ٥٠ و ٨٤ و ١٦١ و ٢٦٢ .

(٦) أنظر الكتاب ص ٢ .

(٧) أنظر الصفحات ١٢٢ و ٢١٢ و ٤٧٥ .

(٨) أنظر الكتاب ص ٣٤ ولاحظ أن وفاة المؤلف سنة ٢٤٥ هـ ووفاة راويه السكرى سنة ٢٧٥ هـ .

ـ المؤلفين في التراجم والطبقات ـ

محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠ هـ)

هو محمد بن سعد بن منيع الهاشمي

مولاهم أبو عبد الله البغدادي كاتب الواقدي ولد بعد الستين ومائة بالبصرة وطلب العلم في صباه ، وسمع من هشيم بن بشير وابن عيينه ووكيع وعبد الله بن نمير والوليد بن مسلم واسماعيل بن عليه ومحمد بن عمر الواقدي وأبي مسهر وغيرهم . وحدث عنه أبو بكر بن أبي الدنيا والحارث بن أسامه والحسين بن محمد بن عبد الرحمن ابن فهم والبلاذري وأبو القاسم البغوي .(١)

قال الذهبي في التعريف به الحافظ العلامة الحجة (٢)

روى الخطيب أن مصعب الزبيري سأل يحي بن معين عن حديث رواه محمد بن سعد فقال كذب ثم علق الخطيب على ذلك بقوله ((قلت محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فانه يتحرى في كثير من رواياته . ولعل مصعبا الزبيري ذكر ليحي عنه حديثا من المناكير التي يرويها الواقدي فنسبه الى الكذب))(٣) وقال الذهبي في الميزان هذه لفظة لا مرها عائد الى الشئ المحكي ويحتمل أن يقصد بها ابن سعد لكن ثبت أنه صدوق(٤) ووصفه ابن حجر بقوله ((أحد الحفاظ الكبار الثقات المتحرين))(٥)

قال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه فقال يصدق رأيته جاء الى القواريري يسأله عن أحاديث فحدثه))(٦) ، وتوفي ابن سعد ببغداد يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاثين ومأتين ودفن بباب الشام وهو ابن اثنتين وستين سنه .(٧)

---

(١) الذهبي . سير أعلام النبلاء ١٠/٦٦٤ و٦٦٥ .

(٢) المصدر السابق ١٠/٦٦٤ .

(٣) تاريخ بغداد ٥/٣٢١ .

(٤) الذهبي ، الميزان ٣/٥٦٠ .

(٥) تهذيب التهذيب ٩/١٨٢ .

(٦) الجرح والتعديل ٧/٢٦٢ .

(٧) تاريخ بغداد ٥/٣٢٢ .

وقد عاصر محمد بن سعد الخليفة العباسي المأمون (١٦٨-٢١٨هـ) الذى امتحن العلماء بالقول بخلق القرآن . ويذكر الطبرى فى حوادث سنة ٢١٨هـ أن المأمون كتب الى اسحاق بن ابراهيم فى أشخاص سبعة نفر ، منهم محمد بن سعد كاتب الواقدى ، فأشخصوا اليه فامتحنهم وسألهم عن خلق القرآن فأجابوا جميعا أن القرآن مخلوق . فأطلقهم الى مدينة السلام وأحضرهم اسحاق بن ابراهيم داره فشهر أمرهم وقولهم بحضرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث فأقروا بمثل ما أجابوا به المأمون فخلى سبيلهم))(١)

والذى يظهر أن ابن سعد كان مكرها فقد هدد بالقتل ان لم يجب ، ولعله تاب من ذلك ، اذ لم نجد أحدا من علماء الجرح والتعديل يقدح فى عدالته بسبب هذا الموقف ، بل انهم قبلوا قوله فى جرح الرجال وتعديلهم ونقلوا ذلك فى كتبهم ومصنفاتهم .

وقد ذكر الذين ترجموا ابن سعد أن له كتبا عديدة من أشهرها كتاب الطبقات الكبرى . وله كتاب الطبقات الصغير(٢) وكتاب سيرة النبى ومغازيه .(٣) وقد ذكر ابن النديم أن ابن سعد ((ألف كتبه من تصنيفات الواقدى))(٤) وهذا قول لا يستند الى دليل ، اللهم الا اكثار ابن سعد الرواية عن شيخه الواقدى ، ولكن هذا لا يجعلنا نعتبر كتب ابن سعد نسخة مكررة عن كتب الواقدى بدلالة تعدد موارد ابن سعد من غير طريق الواقدى ، بل واستقلاله بأمور فى جرح الرجال وتعديلهم لم تكن عند الواقدى .(٥)

وأشهر كتب ابن سعد هو كتاب الطبقات الكبرى وفى أوله سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ومغازيه ، فى مجلدين من المطبوعه . وعند ذكره للطبقة الأولى من الصحابة وهم الذين شهدوا

---

(١) أنظر تاريخ الطبرى ٨/٦٣٤ .

(٢) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ١٠/٦٦٤ .

(٣) ابن النديم - الفهرست ص ١١١ .

(٤) المصدر السابق ص ١١١ .

(٥) أنظر على سبيل المثال كتاب الطبقات ٦/ ٢١٠-٢٤٥ و ٢٤٥-٢٥٦ و ٣٥٨-٤١٧ .

بدرا جعل أولهم محمدا صلى الله عليه وسلم وترجم له في صفحة ونصف.[١] ولم يشر الى أنه خصص سيرته ومغازيه بكتاب مستقل مما يدل على أن السيرة والمغازي التي كتبها ابن سعد لم تكن كتابا مستقلا انما هي جزء من الطبقات . وحتى ابن النديم الذي ذكر أن لابن سعد كتابا في السيرة سماه ((أخبار النبي))[٢] قال عندما وصف كتاب الطبقات الكبرى " بأنه يحتوي على أخبار النبي وطبقات الصحابة ..))[٣]

وقد أثنى العلماء على كتاب الطبقات الكبرى فقال الخطيب البغدادي ((وصنف كتابا كبيرا في طبقات الصحابة والتابعين والخالفين الى وقته فأجاد فيه وأحسن))[٤] ، وقال الذهبي ((كان من أوعية العلم ومن نظر في الطبقات خضع لعلمه))[٥]

وقد رتب ابن سعد كتابه الطبقات ترتيبا جمع به بين عدة مناهج[٦] فرتبه على الطبقات وجعل أساس ذلك النظر الى السابقة والفضل ثم رتب من ترجمهم في كل طبقة على الأنساب خاصة في طبقات الصحابة[٧] ، أما طبقات ما بعد الصحابة فلم يتقيد في ترتيبهم داخل الطبقة بالأنساب . وانما رتبهم على المدن التي سكنوها واستقروا بها ، وأعاد ذكر الصحابة الذين سكنوا هذه المدن - ماعدا أهل المدينة .

---

(١) أنظر ٢ / ٧-٨ .

(٢) الفهرست ص ١١١ .

(٣) الفهرست ص ١١١ .

(٤) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢١ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٦٥ .

(٦) راجع عن أسس تنظيم كتب علم الرجال . أكرم ضياء العمري . بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٩٤-١٠٠ .

(٧) جعل ابن سعد الصحابة خمس طبقات كما ذكر ذلك السيوطي في تدريب الراوي ٢ / ٢٢١ وجعلهم الحاكم اثنتي عشرة طبقة كما في معرفة علوم الحديث ص ٢٢-٢٤ . وقال أحمد محمد شاكر في الباعث الحثيث ص ١٨٤ وزاد بعضهم أكثر من ذلك والمشهور ما ذهب اليه الحاكم)) . وحيث أن النسخة المطبوعة من طبقات ابن سعد غير كاملة فاننا لا نستطيع منها تبيين طريقته في تقسيمهم الى خمس طبقات ، غير أنه بالرجوع الى صورة مخطوطة القسم الناقص ومقارنتها مع المطبوعة .

أتضح صحة قول الامام السيوطي أن ابن سعد جعلهم خمس طبقات هي ، الطبقة =

فانه بعد أن ذكر طبقات الصحابة عموما ـ ذكر طبقات التابعين من أهل المدينة وجعلهم سبع طبقات وقد يرتبهم في داخل كل طبقة حسب الأنساب . ثم ذكر من سكن مكة من الصحابة وذكر طبقات التابعين من أهل مكة وجعلهم خمس طبقات ثم ذكر من نزل الطائف من الصحابة وأتبعهم بالفقهاء والمحدثين من أهل الطائف وعلى هذا المنوال سار في تعداد المدن الاسلامية ومن سكنها من الصحابة ثم من جاء بعدهم ممن يروى عنه العلم وقد لاحظ في ترتيبه للمدن الموقع الجغرافي مع النظر الى الأهمية العلمية للمدينة فذكر بعد المدينة مكة ثم الطائف ثم اليمن ثم اليمامة ثم البحرين وهذه كلها بالجزيرة ثم ذكر الكوفة والبصرة وواسط والمدائن وبغداد وخراسان والري وهمدان وقم والأنبار وهي من بلاد المشرق ثم ذكر المدن في مغرب الخلافة فذكر بلاد الشام ثم بلاد الجزيرة ثم أهل العواصم والثغور ثم مصر ثم أيلة ثم أفريقية ثم الأندلس . وقد خصص القسم الأخير من كتابه (١) للنساء فبدأ ببنات النبي وعماته ثم زوجاته ثم المهاجرات ثم نساء الأنصار ثم النساء اللواتي روين عن أزواج النبي وغيرهن من التابعيات .

= الأولى ((من شهد بدرا)) ، الطبقة الثانية من لهم اسلام قديم ولم يشهد وا بدرا ومن شهد أحدا ، والطبقة الثالثه في الذين أسلموا قبل فتح مكة ، والطبقة الرابعة في مسلمة الفتح ومن أسلم بعدهم وهذه الطبقة غير موجودة في النسخة المطبوعة من الطبقات. الطبقة الخامسه هم الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحداث مثل الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وابن عباس وقد أكد لي صحة هذا التقسيم ما ذهب اليه ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة الذي قسم الصحابة في الفضل والسابقة الى خمس طبقات هي نفس التقسيم السابق بل اتفق مع ابن سعد في أسماء المترجمين في كل طبقه وكلاهما جعل العباس بن عبد المطلب في الطبقة الثانية وهو لم يسلم على الرواية المشهورة الا قبيل الفتح . مما يمكننا القول أن ابن الجوزي أخذ هذا التقسيم من ابن سعد ـ وكانت لديه نسخة كاملة من الطبقات ـ فاختار من كل طبقة ما يناسب كتابه .

(١) يشمل كامل الجزء الثامن من طبعة بيروت .

ولم يفصل ابن سعد بين طبقات التابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم بفواصل واضحة ولكنه لاحظ عنصر الزمن في ترتيب الطبقات في كل مدينة ولم يحدد عمر الطبقة بسنوات معينة، وانما لاحظ ((اللقى)) أو المعاصرة .

ومنهج ابن سعد في القسم الأول الذي خصصه للسيرة والمغازي .

لا يبعد عن منهج مدرسة ابن اسحاق في دراسة السيرة ، فقد جمع الأسانيد (١) ، كما أنه نقل أسانيد استاذه الواقدي (٢) ، وقد أخذ من مغازي ابن اسحاق عن غير طريق شيخه الواقدي فقد روى عن طريق رويم بن يزيد المقرى عن هارون بن أبي عيسى عن محمد بن اسحاق (٣) ، كما أخذها من طريق عبد الله بن أدريس الأودي عن ابن اسحاق (٤) ، ومن طريق عبد الله بن عمرو ابن معمر عن عبد الوارث بن سعيد عن ابن اسحاق (٥) ، ومن طريق أحمد بن أيوب عن ابراهيم ابن سعد عن ابن اسحاق (٦) .

كما أخذ من مغازي موسى بن عقبه من غير طريق شيخه (٧) وأيضا مغازي أبو معشر السندي (٨) .

وطريقته هي سياق الخبر الرئيسي عن الغزوة ، والذي يرويه عن مجموعة الرواه الذين ذكرهم ، في أول حديثه عن الغزوات ثم يكمل الحديث بروايات مفردة من مصادر متعددة يسوقها بأسانيدها ، ويلاحظ أنه اذا عاد لرواية الجماعة يقدم ذلك بقوله ((قالوا)) (٩) .

واذا بدأ في الحديث عن غزوة جديدة فانه لايعيد الأسانيد مجموعة كما يفعل الواقدي وانما يعطف على ذلك بقوله ((ثم غزوة كذا أو ثم سرية كذا)) (١٠) .

---

(١) أنظر الطبقات الكبرى ٢ / ٢٩٥ ، ٦ و ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٥٨ .
(٢) نفس المصدر ١ / ٩١ ، ١١٨ ، ١١٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ .
(٣) نفس المصدر ١ / ٥١ ، ٢ / ٥ .
(٤) نفس المصدر ٢ / ٥ ، ٥٥ .
(٥) نفس المصدر ٢ / ١٢٤ .
(٦) نفس المصدر ٢ / ٦ .
(٧) نفس المصدر ٢ / ٦ .
(٨) نفس المصدر ٢ / ٥ .
(٩) نفس المصدر ٢ / ٦ ، ١١ ، ٣٦ .
(١٠) نفس المصدر ٢ / ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٧ ، ١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ .

وقد سار ابن سعد شوطاً في رواية السيرة وسبكها في قصة مترابطة الحلقات يسهل على عامة الناس دراستها واستذكارها دون أن تشغلهم كثرة الأسانيد التي تقطع مثل هذا الترابط الموضوعي .

أما في قسم الطبقات فانه يذكر أيضاً الأسانيد مجموعة عند ذكره لأول الطبقة ثم يذكر الروايات مفردة في كل ترجمة ، ويقل استعماله للأسانيد في الأجزاء الأخيرة من الكتاب ، خاصة التراجم القصيرة .(١)

وقد استفاد ابن سعد من طريقة الواقدي في الاهتمام بتحديد المواقع جغرافيا . ونظرته النقدية أفضل ممن سبقوه فقد استخدم أسلوب المعارضة بين الروايات(٢) ثم يرجح ، وينقد الروايات بعبارات مقتضبة قريبة من عبارات الواقدي ، كقوله ((وهذا الثبت أنه يوم الجمعة .))(٣) و((الأول أثبت))(٤) كما أنه كان يرجع الى بعض المصادر الأولية مثل قوله ((نظرنا في كتاب نسب الأنصار فلم نجد نسبه فيه))(٥) وهذا يدل على أنه كان يرجع الى قوائم الأنساب وبعض الكتب والوثائق ليؤكد معلوماته .

ولمحمد بن سعد مشاركة في الجرح والتعديل فقد بين رأيه في الرجال توثيقاً وترجيحاً وقد أخذ بقوله كثير من النقاد ووافقوه على ذلك وهو لم يكن من المتشددين في النقد ولا من المتساهلين .(٦)

---

(١) أنظر الطبقات ٧/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ .

(٢) نفس المصدر ٢/ ٢٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ .

(٣) نفس المصدر ٢/ ٢١ وأنظر أيضاً ٢/ ٢٧٥ ، ٥٧٧ ، ٥٨٤ ، ٦١٤ .

(٤) نفس المصدر ٢/ ٦٤ لكن ما رجحه ابن سعد هنا هو خلاف الصحيح أنظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٧/ ٤٣١ وذلك في قصة اغارة الرسول على بني المصطلق وهم غارون كما في صحيح البخاري . ولهذا قال الحافظ في الفتح ٧/ ٤٣١ ((والحكم بكون الذي في السير أثبت مما في الصحيح مردود ولا سيما مع امكان الجمع)) .

(٥) الطبقات ٣/ ٦٢٦ .

(٦) اليك نموذج من عباراته في تقدير الرجال ، ثقة ان شاء الله ، وكان قليل الحديث ، وكان ثقة مأموناً ثبتاً ، وكان شيخاً ، ليس بذاك ، اختلط في آخره ، كثير الغلط ، كان مرجئاً ، صاحب سنة وجماعة ، كان ضعيفاً جداً ، صالح الحديث صدوق .

أبو زرعة الدمشقي (ت ٢٨١ هـ)

عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله ابن صفوان النصري أبو زرعة الدمشقي شيخ الشام في وقته.(١) ولد في حدود المائتين(٢) وعاش قرابة ثمانين سنة. وتلقى تعليمه الأولي بدمشق ثم رحل كما هي عادة العلماء في ذلك الزمان في طلب العلم ودخل بغداد وأقام بها زمنا وروى فيها عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين(٣) وغيرهم ورحل أيضا الى مدن الشام والى الحجاز.(٤) وروى عن محمد بن المبارك الصوري وعبد الرحمن بن جعفر الرقي وأبي مسهر الغساني وعفان وأبي نعيم ومحمد بن عائذ وأحمد بن خالد الوهبي وسعيد بن منصور وسليمان بن حرب وغيرهم.(٥)

وروى عنه أبو داود صاحب السنن ويعقوب بن سفيان وهو من أقرانه. وابن أبي حاتم وأبو جعفر الطحاوي وأبو العباس الأصم. وأبو القاسم الطبراني(٦) وأبو بكر الخلال.(٧) وقد لقبه أحمد بن أبي الرازي "بشيخ الشباب"(٨) لما رأى من حرصه على العلم وتقدمه فيه. قال ابن أبي حاتم: كان رفيق أبي وكتب عنه وكتبنا عنه وكان صدوقا ثقة(٩)، وقال أيضا "سئل عنه أبي فقال صدوق"(١٠) وقال أبو بكر الخلال "امام في زمانه رفيع القدر حافظ عالم بالحديث والرجال وصنف من حديث الشام ما لم يصنفه أحد"(١١)، وقد كانت وفاة أبي زرعة سنة ٢٨١ هـ وقيل ٢٨٠ هـ.

---

(١) ابن حجر. تهذيب التهذيب ٦/٢٣٦.

(٢) شكر الله القوجاني، مقدمة تاريخ أبي زرعه ص ٢٨.

(٣) أبو يعلى. طبقات الحنابلة ١/٢٠٥.

(٤) المصدر السابق ١/٢٠٥.

(٥) ابن حجر تهذيب التهذيب ٦/٢٣٦.

(٦) نفس المصدر ٦/٢٣٧.

(٧) أبو يعلى طبقات الحنابلة ١/٢٠٥.

(٨) الذهبي، تذكرة الحفاظ ٢/٦٢٤.

(٩) ابن أبي حاتم. الجرح والتعديل ٥/٢٦٧.

(١٠) نفس المصدر.

(١١) أبو يعلى، طبقات الحنابلة ١/٢٠٥.

(١٢) أبو يعلى، طبقات الحنابلة ١/٢٠٦.

مؤلفاتـــــه :

له مؤلفات كثيرة ذكر منها محقق كتاب تاريخ أبي زرعة خمسة وعشرين كتابا ،(١) من أهمها لموضوع بحثنا كتاب الطبقات ، لكن لا يعرف له وجود ، وكتاب التاريخ .(٢)

يمكن القول بأن منهج أبي زرعة في ترتيب كتاب التاريخ غير واضح لأن الكتاب فيما يبدو لم ينقحه مؤلفه وانما بقي مسودة غير مرتبة ، ويدل على هذا قول تلميذه أبو بكـــر الخلال الذي ذكر بأنه ((جمع كتابا لنفسه في التاريخ وعلل الرجال))(٣) مما يدل علـــى أنه جمع الكتاب لنفسه ليكون بمثابة المذكرة أو الفهرس ليرجع له في تدريسه وتأليفه . ولا يعترض على هذا بأن الخلال ذكر أنه سمعه منه . لأن الخلال كان من خواص تلاميذه فربما يسمع منه في مجالس خاصة بعض مؤلفاته وان لم تنقح .

ولذلك نجد في الكتاب عدم الترتيب والتنسيق اضافة الى كثرة التكرار .(٤)

وكتابه جمع به بين الأخبار التاريخية والترجمة الموجزة لبعض الصحابة والتابعين ورواة الحديث وكان يحرص في ذكر الرجال على بيان سماع بعضهم من بعض ومعاصرتهم لبعـــض ليكون معينا على معرفة علل الحديث واتصال أسانيدها من عدمه ، كما أنه قد أفـــرد أخبار بعض الشخصيات بالذكر مثل أخبار عبدالله بن بسر(٥) ـ ووفاة فاطمة بنت رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم(٦) وأخبار أسماء بنت أبي بكر.(٧) وأخبار محمد بن اسحاق(٨) ـ والنقباء فـــي بيعة العقبة .(٩)

---

(١) شكر الله القوجاني مقدمة تاريخ أبي زرعه ص ٥٠-٥١ .

(٢) أنظر المصدر السابق ص ٥٤-٥٥ .

(٣) أبو يعلى . طبقات الحنابلة ١/٢٠٥ .

(٤) راجع فهرس موضوعات الكتاب .

(٥) أنظر كتاب التاريخ ٢١٣ .

(٦) نفس المصدر ٢٠٠ .

(٧) نفس المصدر ٤٩٦ .

(٨) نفس المصدر ٥٣٧ .

(٩) نفس المصدر ٥٧٥ .

وعند استعراض موضوعات الكتاب ، يتبين أنه لم يرتب وفق أي من المناهج المعروفة في عصر أبي زرعة ، فهو لم يرتب تراجمه على الطبقات أو على تاريخ الوفيات أو على أسماء المدن ، أو على حروف المعجم ، أو على الأنساب .

وحتى الحوادث التاريخية لم تكن مرتبة ترتيبا تاريخيا دقيقا ، لقد بدأ أبو زرعة كتابه بذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم وإقامته في مكة ومبعثه ثم ذكر وفاته وسنه ثم شيبه ثم ذكر دفنه ونسبه ونعته صلى الله عليه وسلم ثم تاريخ مغازيه وبعد ذلك عقد بابا للتاريخ ثم ذكر خلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ، ووصل بخلافة عثمان رضي الله عنه الأحداث في خلافة معاوية وأسماء من كان في عهده من كبار الصحابة والتابعين ، ولم يذكر خلافة علي بن أبي طالب بل استمر في ذكر خلفاء بني أمية حتى آخرهم ثم سرد أسماء الخلفاء العباسيين الى هارون الرشيد ، ثم ذكر أسماء من تولى القضاء في دمشق وفلسطين ومصر ثم عاد لذكر الوقائع التي كانت بالشام في خلافة أبي بكر وعمر ، ومن أصيب في هذه الوقائع من المسلمين وأسماء من توفي بالشام من أصحاب رسول الله ، ثم أتبع ذلك بوفيات التابعين ومن بعدهم من أهل العلم والرواية ، وأطال في هذا حيث تشكل هذه المعلومات ثلث الكتاب تقريبا .

ثم يعود مرة أخرى فيذكر أزواج النبي ثم أخبار أسماء بنت أبي بكر ، ثم يعقد فصلا في أخبار مجالسة العلماء والمذاكرة بالعلم ، ثم يذكر أسماء النقباء من الأنصار في بيعة العقبة ثم يجعل فصلا في ذكر من غير اسمه ، وقد ضمن هذا الفصل بعض الأخبار التي ليست داخلة تحت العنوان ثم يعود مرة أخرى فيذكر من مات من أصحاب رسول الله والتابعين بالشام ، ثم يتبع ذلك بموضوع يجعل عنوانه حكايات ثم يختم الكتاب بأخبار أبي عمرو الأوزاعي .

ومن هذا الاستعراض لبعض عناوين موضوعات الكتاب يتضح أنه غير مرتب ويفتقر الى تنسيق غير أن أبا زرعة له جوانب جيدة في تدوين معلوماته من أبرزها ، التزامه الشديد بالاسناد لكل نص يورده سواء كان النص حديثا نبويا أو أثرا أو خبرا تاريخيا ، حتى وفيات الرواه

وأسماء من عاصروهم أو التقوا بهم تأتي مسنده .

وأسانيده ليست طويله ورجاله معروفون وغالبهم من الثقات ،

والأسانيد متصلة في الأغلب الأعم [١] وهو يستخرج بعض الفوائد والأدلة من الأخبار [٢] ، كما يرجح بعض الروايات المتعارضة عن أمر واحد [٣] وهو في عرضه لمواده في التراجم نجد أنه يركز مرة على سني الوفيات [٤] ومرة على كتابة العلم [٥] وتدوينه وأخرى على بيان هيئات الرواه وصفاتهم [٦] ، ومرة على توثيقهم أو جرحهم [٧] ومرة سؤالات يوردها هو على شيوخه عن بعض الرواه فيدون اجاباتهم وحكمهم عليهم [٨] ، ومرة عن الفتيا المفتين وخطر الفتيا . وكل هذه الأمور مهمة في معرفة عدالة الراوي ومعرفة علل الأسانيد ولذلك وصف أبو بكر الخلال كتابه بأنه في التاريخ وعلل الرجال .

وقد تفرد بمعلومات تاريخية وعلمية تبين صلات العلماء مع بعضهم وعلاقاتهم مع السلطة ، والمعلومات التي يقدمها توضح بعد ذلك حالة المجتمع الاسلامي خلال القرون الثلاثة الأولى . وأخبار أبي زرعة مهمة لأمرين أولهما أنه يوردها معززة بالأسانيد الجيدة ، وثانيهما انه من الثقات .

---

(١) توجد بعض الأسانيد غير المتصلة وهي قليلة جدا بالنسبة لما حواه الكتاب اذ به حسب ترقيم المحقق ٢٢٣٠ نصا مسندا ، وأنظر على سبيل المثال الصفحات ١/٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٢) أنظر ص ١/٣٢١ .

(٣) أنظر ١/١٨٤ مع ما في ١/١٨٦ عن غزو معاويه لجزيرة "قبرص" .

(٤) أنظر الصفحات ١/٢٥٠-٢٥٧ ، ١/٢٧٦-٢٨٦ ، ٢/٦٨٨-٧١٤ .

(٥) أنظر ١/٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٢-٣٦٥ ، ٤١٢ .

(٦) ١/٣٥١ ، ٥٨٢ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١١ ، ٦٦٥ .

(٧) ١/٢٧٧-٢٨٥ .

(٨) ١/٣٦٣-٣٦٧ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧-٤٦٧ .

وكيع القاضي (ت ٣٠٦ هـ)

هو محمد بن خلف بن حيان بن صدقه بن زياد الضبي القاضي المعروف بوكيع وكنيته أبو بكر . كان عالما فاضلا عارفا بالسير وأيام الناس وأخبارهم وله مصنفات كثيرة ، وكان حسن الأخبار، (١) حدث عن الزبير بن بكار وأبي حذافة السهمي والحسن بن عرفه والعلاء بن سالم ومحمد بن عبدالرحمن الصيرفي ، والعباس بن محمد الدوري وعبدالله بن أحمد بن حنبل . وابن أبي خيثمة . وغيرهم .

وروى عنه أحمد بن كامل القاضي وأبو الطيب البهلول . وعلى بن محمد بن لؤلؤ ومحمد ابن عمر الجعابي . وغيرهم. (٢)

تقلد القضاء على كور الأهواز كلها. (٣) وتوفي ببغداد يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثمائة . (٤)

تحدث عنه الحافظ الدارقطني فقال : ((أبو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقه الضبي البغدادي ، كان فاضلا نبيلا فصيحا من أهل القرآن والفقه والنحو)) . (٥)

وقال أبو الحسين بن المنادي ((أقل الناس عنه للعيين شهر به)) (٦) ، وقال الذهبي ((هو صدوق انشاء الله .)) (٧)

وقد وصفه الخطيب البغدادي بأنه كثير التصنيف وذكر من مؤلفاته : ((كتاب الطريق ، وكتاب الشريف)) ، ((وكتاب عدد أي القرآن والاختلاف فيه .)) ، ((وأخبار القضاة)) ((والمكاييل والموازين)) (٨) والذي وصلنا من مؤلفاته هو كتاب أخبار القضاة)) وقد طبع

---

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ٥/٢٣٦ .
(٢) المصدر السابق ٥/٢٣٦و٢٣٧ .
(٣) نفس المصدر ٥/٢٣٧ .
(٤) نفس المصدر ٥/٢٣٧ .
(٥) ابن حجر، لسان الميزان ٥/١٥٧ .
(٦) الذهبي ، ميزان الاعتدال ٣/٥٣٨ .
(٧) نفس المصدر والصفحة .
(٨) الخطيب ، تاريخ بغداد ٥/٢٣٦-٢٣٧ .

في ثلاثة مجلدات ، وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه أخبار القضاة في الدولة الاسلامية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الى وقته في نهاية القرن الثالث الهجري ، ووضع لكتابه مقدمة بين فيها غرضه من تأليف الكتاب وطريقته في ترتيبه ، وأتبع ذلك بالحديث عن عظم مسؤولية القاضي وما جاء من الأحاديث والآيات التي شددت في ذلك وتحدث عن الرشوة وخطرها وعن التحذير من طلب الولاية ، وأوضح صفة القاضي ، ومن ينبغي أن يستعمل على القضاء ثم دخل الى موضوع الكتاب الرئيسي فبدأ بالكلام عن القضاء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنهج وكيع في كتابه يمكن تبينه من خلال جملة صفات منها : التزامه بالاسناد ، وغالبه بصيغة التحديث أو الاخبار ((حدثنا - أخبرنا)) وخاصة في الأحاديث النبوية ، وفي مرويات القضاة الذين يترجم لهم . أما الأحداث التي تتعلق بتاريخ ولاية القاضي واسمه ونسبه ، فانه لا يلتزم فيها بالاسناد دائما فهو يسند بعضها ويترك بعضها (١) ويبدو أنه يأخذ مثل هذه المعلومات من كتب تحت يده (٢) . كما أنه يعلق على بعض الأخبار من عنده ويسبق ذلك بقوله ((قال أبو بكر)) (٣) واذا صادفته روايات متعددة فانه يذكرها ويرجح بعضها (٤) وبعضها لا يرجحه بل يتركه (٥) وهو ينقد الأحاديث ويبين عللها (٦) ولكن يقله كما أنه ينقد الرجال ويوضح رأيه فيهم (٧) وقد ينقل أقوال علماء الجرح والتعديل أمثال يحيى بن معين وعلي بن المديني وابن أبي شيبه (٨) .

---

(١) أنظر على سبيل المثال ، أخبار القضاة ١ / ٢٣ و ٢٤ و ٢٣ و ٢٢ و ٢ / ٣١٠-٣٢٢ .

(٢) أنظر ١ / ١١٤ نقد روى عن كتب محمد بن عمر الواقدي .

(٣) أنظر ١ / ١٥١ ، ٢ / ١٨٤ ، ١٨٥ . (٤) أنظر ١ / ١١٤ و ٢ / ٣٦ .

(٥) أنظر ١ / ١١٦ ، ٢٨٨-٢٨٩ . (٦) أنظر ١ / ١٠ ، ١٣ .

(٧) أنظر ١ / ٤٧ ، ٢٠١ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ .

(٨) أنظر ٢ / ١٢٢-١٢٣ و ١٨٩ و ١٩١ .

وعناصر الترجمة عنده للقاضي ، تتكون في الغالب من[1] سياق نسبه وذكر تاريخ ولايته القضاء ، وتاريخ عزله اذا عزل أو وفاته . ويذكر نماذج من قضاياه وما صار له في الولاية من المواقف البارزة ، ثم يذكر مروياته من الأحاديث النبوية اذا كان له رواية ويطيل في ذلك أو يقصر حسب المعلومات المتوفرة لديه وحسب منزلة القاضي عند علماء الحديث واذا كان مكثرا من الرواية مشهورا كبعض الصحابة مثل علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري ومثل كبار التابعين ، كالشعبي والحسن البصري فانه يقتصر على ذكر أخبارهم مدة ولايتهم ولا يذكر مروياتهم في الحديث النبوي لكثرتها وشهرتها ، وقد نص على ذلك في مقدمته[2] .

واذا كان القاضي قد تولى القضاء في بلد واحد أكثر من مرة فانه يشير الى ذلك في موضعه على حسب التسلسل التاريخي . واذا تولى القضاء في أكثر من مدينة فانه يترجم له في أول مرة واذا جاء على ذكره في البلد الثاني يذكر ما كان في هذه الولاية ويشير الى أنه سبق أن استقصى أخباره[3] .

وقد جمع وكيع في تنظيم كتابه بين الترتيب على المدن والتسلسل التاريخي فقد بدأ بقضاة المدينة من عهد النبي وطوال الخلافة الراشدة ثم انتقل الى قضاة العهد الأموي ثم العباسي الى سنة ٢٠٤هـ[4] ثم ذكر معلومات يسيرة عن قضاة مكة والطائف واعتذر عن ذلك بقوله ((لم ينته الينا أخبار قضاة مكة على التأليف فأخرجت ما انتهى اليّ من أخبار من ولي القضاء بها متفرقا))[5] ، وتوسع في قضاة البصرة مثل توسعه في قضاة المدينة . ثم ذكر قضاة الكوفة وأطال في ترجمة شريح القاضي وابن شبرمه[6] ثم ذكر قضاة أهل الشام .

---

(١) بعض القضاة لا يذكر الا اسمه فقط خاصة في قضاة مكة وبغداد وافريقية والأندلس .

(٢) أنظر مقدمة المؤلف ١/٥ .

(٣) أنظر مثلا ٣/١٨٨ و ١٩٠ .

(٤) أنظر ١/٢٦١ وذكر أن الفترة من سنة ٢١٦ كانت فترة المحنه بخلق القرآن ولم يذكر القضاة فيها .

(٥) أنظر ١/٢٦١ .

(٦) شغلت ترجمة شريح الصفحات ١٨٩-٣٦٩ من المجلد الثالث وابن شبرمه من ٣٦ -١٢٠ من المجلد الثالث .

دمشق وفلسطين وافريقيه والاردن ثم الأندلس وحران ثم الموصل . ثم ذكر قضاة مصر منذ فتحها .

ثم ذكر قضاة بغداد وقاضي القضاه بسر من رأى ، ثم تعرض لذكر قضاة النواحي المتفرقة فذكر المدائن وخراسان ومرو وواسط والأهواز . والملاحظ أنه أوجز في تراجم القسم الأخير من كتابه .[(١)] بل انه يكتفي بتقديم قوائم بأسماء من ولى القضاء ببعض المدن التي ذكرها .

والكتاب عموما تسجيل تاريخي لسيادة العدل وتنفيذ الشريعة في الدولة الاسلامية خلال ثلاثة قرون كاملة كما أنه لم يغفل تسجيل بعض الهنات وجوانب التقصير التي تحدث من جانب بعض القضاة وكذلك محاولات بعض الحكام التدخل في شؤون القضاء .

وبالنسبة للمنهج التاريخي فان كتاب القاضي وكيع لا يضيف جديدا وانما التزم بالسمات العامة لمنهج المؤرخين في عصره من الاسناد ، والترتيب التاريخي ، والاكتفاء بالنقد اليسير ، والاستشهاد بالشعر ، وان كان لم يسلك مسلكهم في جمع الأسانيد أو الاكتفاء بالاشارة في أول الكتاب الى المصادر التي استقى منها معلوماته .

---

(١) خصص لقضاة الشام ومصر والمغرب وبغداد والمشرق (١٢٣) صفحة فقط . تشغل الصفحات ١٩٩-٣٢٢ من المجلد الثالث .

المؤلفين في فتوح البلـــــدان

ابن عبد الحكم المصري ((ت ٢٥٧ هـ)) :

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصري ولادة ووفاة.

وتاريخ ولادته غير معروف . ولكن يمكن أن نستنتج ذلك طالما عرفنا عمره وتاريخ وفاتـــه الذي كان في سنة ٢٥٧ هـ عن نحو سبعين سنة (١) وبذلك تكون ولادته في حدود سـنة ١٨٧ هـ ، وقد نشأ في بيت علم ، فقد كان والده فقيها كبيرا ، أنتهت اليه رياســـة المذهب المالكي (٢) وله مؤلفات في الفقه وكتاب في سيرة عمر بن عبد العزيز (٣) ، كما أن أخوته الثلاثة عبد الحكم ومحمد وسعد قد أشتهروا بالعلم في الفقه والحديث ولهم تصانيف في ذلك (٤) ،

وقد تلقى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم العلم والرواية عن أبيه وشعيب بن الليث وشعيب بن يحي التجيبي وأشهب وأسد بن موسى وسعيد بن أبي مريم وأبي صالح كاتب الليث وسعيد بن عفير وسعيد بن تليد وعلي بن معبد الرقي والنضر بن عبد الجبار وأبـي زرعه وغيرهم (٥) ، وروى عنه النسائي وأبو حاتم الرازي وعلي بن أحمد علان . وعمرو بن أبي الطاهر ومكحول البيروتي وأبو بكر الباغندي وعلي بن الحسن بن قديد وغيرهم (٦).

قال أبن أبي حاتم . كتب عنه أبي بمصر في الرحلة الثانية وروى عنه ، وهو صدوق ، وقال سئل عنه أبي فقال صدوق (٧) ، وقال النسائي لا بأس به (٨) ، وقال ابن يونس كان فقيها والأغلب عليه الحديث والأخبار (٩) ، وقال القضاعي كان من أهل الحديث عالما بالتواريــــخ ،

---

(١) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٦ / ٢٠٨ .

(٢) السيوطي ، حسن المحاضره ١ / ٣٠٥ .

(٣) هذا الكتاب مطبوع بتحقيق أحمد عبيد عدة طبعات أخرها طلعت عليه الطبعة الخامسة عن دار العلم للملايين ببيروت .

(٤) قد كان لهذه الأسرة موقف جيد من فتنة القول بخلق القرآن حتى ان أحدهم وهو عبد الحكم قد استشهد في السجن ، أنظر السيوطي ، حسن المحاضره ١ / ٤٤٧ .

(٥) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٦ / ٢٠٨ . (٦) المصدر السابق .

(٧) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٥ / ٢٥٧

(٨) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٦ / ٢٠٨ . (٩) نفس المصدر السابق .

صنف تاريخ مصر وغيره [1]. وقال ابن حجر ذكره ابن حبان في الثقات [2]، وأشهر مؤلفات ابن عبد الحكم كتاب ((فتوح مصر والمغرب)) [3]، وقد سماه ابن خير الأشبيلي في فهرسته ((فتوح مصر وأفريقيه)) [4]، أما السيوطي فقد سماه ((فتوح مصر)) [5] وهو أقدم ما وصلنا من المؤلفات في فتوح مصر وقد قسم مادة كتابه الى سبعة أقسام [6]، خصص القسم الأول للبحث في فضائل مصر وموجز تاريخها الى دخول الاسلام لها وأورد في هذا القسم كثيرا من الأحاديث التي يرويها مسنده، منها المرفوع ومنها الموقوف وغالبها من الروايات الاسرائيلية [7]. ومن المعروف أن أحاديث فضائل البلدان والقبائل والأجناس من أكثر الأبواب التي راجت فيها الأحاديث الضعيفة والموضوعة والقصص والحكايات المتلقاه عن أهل الكتاب. ولكن ليست كلها بهذه الصفة بل منها أحاديث صحيحة كما في فضائل مصر [8].

أما القسم الثاني فقد أورد فيه أخبار الفتح الاسلامي لبلاد مصر بقيادة عمرو بن العاص السهمي، في حين تحدث في القسم الثالث عن خطط مصر التي أقامها المسلمون في الفسطاط وغيرها من البلاد المصرية، وعن الخراج ومقداره وكيفية جبايته وعن النيل وأحواله واصلاح عمرو بن العاص فيه وحفره لخليج أمير المؤمنين. وبذلك قدم ابن عبد الحكم أول دراسة عمرانية واقتصادية لبلاد مصر في العهد الاسلامي.

وفي القسم الرابع تحدث عن أحوال مصر تحت ادارة عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد ابن أبي السرح وجهودهما في فتح بعض البلدان الأخرى مثل الفيوم وبرقة وطرابلس وبلاد النوبة والغزو في البحر وطرد الروم من الاسكندرية.

---

(١) نفس المصدر السابق. (٢) المصدر نفسه.

(٣) وقد وضع العنوان هكذا على القسم التاريخي الذي طبع بمصر بتحقيق عبد المنعم عامر وهو نفس العنوان المثبت على الصفحة الأولى من المخطوطة.

(٤) أنظر فهرست ابن خير ص٢٢٨. (٥) حسن المحاضره ١/٣٠و٤٤٦.

(٦) أنظر مقدمة المحقق ص: ن، س. (٧) مثل حديث موسى مع عوج أنظر ص ٣٦.

(٨) حديث وصية الرسول بأهل مصر واخباره بأنها ستفتح رواه مسلم رقم ٢٥٤٢. وهناك أحاديث أخرى في فضائلها رواها ابن عبد الحكم وصحح السيوطي بعضها في كتاب حسن المحاضره ١/١٢.

أما القسم الخامس فقد خصصه للكلام عن أخبار فتح افريقيا والأندلس وأسماء القادة الذين تولوا ذلك ، في حين خصص القسم السادس لتاريخ القضاة الذين تولوا القضاء بمصر منذ الفتح حتى سنة ٢٤٦ هـ .

أما القسم السابع ، وهو أكبر أقسام الكتاب ، فقد أفرده لمرويات الصحابة الذين دخلوا مصر من الأحاديث النبوية وذكر أن عددهم ٥٢ صحابيا بدأهم بعمرو بن العاص فاتح مصر ، وهذا القسم يعتبر مسندا لأحاديث الصحابة الذين دخلوا مصر .

وقد نشر من الكتاب الجزء التاريخي (١) وهو يشمل الأقسام الخمسة الأولى وسنقدم دراسة عن منهجه في هذا الجزء .

والكتاب منسق ومرتب ترتيبا تاريخيا ، ويعتمد على سياق الروايات مسندة الى رواتها ، لكن يلاحظ أنه قد م روايات أساسية تشكل الموضوع الرئيسي يسوقها في أول الحديث ثم يكملها بروايات مفرده . واذا كانت هناك روايات تخالف هذه الرواية الأساسية التي اعتمدها أو تزيد عليها فانه يذكرها بعد ذلك مسبوقة بقوله " قال غير ... (٢) أو قال ... (٣) فيذكر صاحب الرواية وسنده فيها واذا انتهى من سياق ذلك قال ((رجع الى حديث عثمان ابن صالح ... (٤) ، الى حديث أسد بن موسى ... (٥) ، الى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد ... (٦) ، مثلا .

وهذه الطريقة في اعتماد روايات أساسية ثم ذكر ما يزيد عليها أو يخالفها نجدها عند الطبري وهي خطوة مهمة في التطور الحاصل في الكتابة التاريخية تتضح أهميتها في ربط الأحداث مع بعضها وسياقها في مساق واحد لأن كثرة الأسانيد قد تسبب ارباكا للقارئ وتقطيع أو تشوش التسلسل التاريخي للحادثة .

---

(١) وعد الاستاذ عبد المنعم عامر الذي حقق القسم التاريخي باخراج القسم الثاني الخاص بالقضاة ومسانيد الصحابة الذين دخلوا مصر ، ولا أعلم هل طبع القسم الثاني أم لا .

(٢) من الأمثلة على ذلك . قال غير سعيد بن عفير ص٦٨ وقال غير وهب ٨٨ ، ٨٩ قال غير ابن لهيعة ١٧٦ قال غير عثمان بن صالح ٤١ ، ٩٢ ، ٩٤ .

(٣) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٢٢١-٢٢٢ ، ٢٢٩ و٢٤٦ و٢٤٧ .

(٤) " " " " ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٥ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٧٦ ، ٨٩ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٤٦ .

(٥) أنظر مثلا ص ٤١ ، ٣٦ (٦) أنظر مثلا ص١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ .

وقد جمع ابن عبد الحكم الأسانيد أحياناً [١] ، ونقده قليل جداً [٢] ويذكر اختلاف الروايات في الحادث الواحد ثم يتركها بدون ترجيح ، ربما لعدم ظهور ذلك له ويختم ذلك بقوله ((الله أعلم)) [٣] . ولكن غالب أسانيده مستقيمة ورجالها معروفون فقد حدث عن أبيه [٤] وعن أشهب [٥] ، وأسد بن موسى [٦] ، وأبي صالح كاتب الليث [٧] ، وشعيب بن يحي [٨] ، وعثمان بن صالح [٩] ، وسعيد بن عفير [١٠] ، ويحي بن أيوب [١١] .

وقد يعلن عمن لم يعاصرهم فقد على عن ابن لهيعة [١٢] وعن الليث بن سعد [١٣] ، ولعله كان يرجع الى مؤلفاتهم . ويلاحظ أنه لم يكثر من الرواية عن الاخباريين كغيره من المؤلفين في التاريخ والأخبار ، ومنهجه هو منهج المحدثين في اعتبار الأسانيد وعدم التدخل بمعلومات من قبله والعمل على الأسانيد في النقد .

---

(١) أنظر الصفحات ٨٠ ، ٩١ ، ١٦٣ .

(٢) " " ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٣) " " ١٢٧ ، ١٢٦ ، ٢٢٩ .

(٤) عبد الله بن عبد الحكم صدوق كما قال ابن حجر في التقريب ١ / ٤٢٧ .

(٥) امام ثقه ، أنظر التقريب ١ / ٨٠ .

(٦) صدوق ، أنظر التقريب ١ / ٦٣ .

(٧) هو عبد الله بن صالح ، صدوق كثير الخطأ ، ثبت في كتابه ، أنظر التقريب ١ / ٤٢٣ .

(٨) صدوق عابد ، أنظر التقريب ١ / ٣٥٢ .

(٩) صدوق ، أنظر التقريب ٢ / ٣٤٢ .

(١٠) صدوق أخرج له الشيخان ، أنظر التقريب ١ / ٣٠٤ .

(١١) صدوق ، أنظر التقريب ٢ / ٣٤٢ .

(١٢) أنظر مثال ذلك في فتوح مصر ص ٢٥٦ .

(١٣) " " " " " ص ٢٤٥ .

أحمد بن يحي البلاذري (ت ٢٧٩هـ):

هو أبو جعفر أحمد بن يحي بن جابر بن داود البلاذري ، ولد في أواخر القرن الثاني الهجري (١) ولقب البلاذري قيل خاص به كما يظهر من قول ابن النديم (٢) وقيل ان هذا اللقب عرف به جده جابر بن داوود كما يظهر من نص ذكره ياقوت في معجم الأدباء نقلا عن الجهشياري (٣) ولهذا قال ياقوت ((ولا أدري أيهما شرب البلاذر أحمد بن يحي أو جابر ابن داوود . وما ذكره الجهشياري يدل على أن الذي شرب البلاذر جده)) (٤)

وقد نشأ البلاذري في بغداد في أول حياته ثم رحل عنها في طلب العلم ، وزار كثيرا من البلدان الاسلامية كما يظهر من شيوخه الذين روى عنهم في كتابه فتوح البلدان ونقل ياقوت الحموي عن ابن عساكر في تاريخ دمشق أنه زار دمشق وسمع بها هشام بن عمار كما دخل حمص وسمع بها محمد بن مصفى ، وأنطاكية وسمع بها محمد بن عبد الرحمن ابن سهم (٥) ، وترجم له ابن حجر في لسان الميزان (٦) وذكر من شيوخه ، ابن سعد والد ولابي وعفان وعلي بن المديني ، ومن الذين رووا عنه محمد بن خلف المعروف بوكيع القاضي ، ويعقوب ابن نعيم وأحمد بن عمار ويحي بن النديم ،

والبلاذري كان أحد النقلة من اللسان الفارسي كما يروى ابن النديم (٧) ومما ترجم الى اللغة العربية كتاب ((عهد أرد شير)) الذي نظمه شعرا . وكانت وفاته سنة ٢٧٩هـ. (٨)

---

(١) تاريخ ولادته غير معروف بالتحديد ولكن يستنتج من الشعر الذي أورده ابن حجر في كتابه لسان الميزان ١/٣٢٢ في مدح الخليفة العباسي المأمون أن ولادته قبل المائتين لأن المأمون قد توفي سنة ٢١٨هـ. وأنظر أيضا مقدمة كتاب فتوح البلدان لصلاح الدين المنجد ص٧.

(٢) قال ابن النديم في الفهرست ص١٦٤ انه وسوس في آخر أيامه فشد في البيمارستان ومات فيه وسبب وسوسته أنه شرب ثمر البلاذر على غير معرفة فلحقه ما لحقه .

(٣) قال الجهشياري ان جده جابر بن داود البلاذري كان يكتب للخصيب بمصر ، معجم الأدباء ٥/٩٢ . (٤) المصدر السابق ٥/٩٢ . (٥) نفس المصدر ٥/٩٠ ، ٩١ .

(٦) ابن حجر ، لسان الميزان ١/٣٢٢-٣٢٣ . (٧) ابن النديم ، الفهرست ص١٦٤ .

(٨) الأتابكي ، النجوم الزاهرة ٢/٨٢ .

توثيقـــــه :

نقل ياقوت عن ابن عساكر أنه قال ((وبلغني أن البلاذري كان أديبا راويه ، له كتب جياد ، ومدح المأمون بمدائح وجالس المتوكل ومات في أيام المعتمد ووسوس في آخر عمره))(١)

وقال ياقوت ((وهذا الذي ذكره ابن عساكر هو من كلام المرزباني في معجم الشعراء))(٢).

وقال عنه ياقوت ((كان عالما فاضلا شاعرا راوية نسابة متقنا وكان مع ذلك كثير الهجاء بذئ اللسان))(٣) وأورد نماذج من أهاجيه(٤).

أما ابن حجر فانه لم يورد شيئا من أقوال علماء الجرح والتعديل في توثيقه ، واكتفى بنقل كلام ابن عساكر أعلاه والبلاذري ليس له رواية في الكتب الستة(٥) ولذا لم يهتم علماء الجرح والتعديل في البحث في عدالته .

ومن خلال ما ذكره في كتابه ((فتوح البلدان)) يتضح أنه يميل لبني العباس ، فاننا نجد أنه اذا ذكر خليفة منهم فانه يلقبه بالخلافه أو بأمير المؤمنين ويترضى عليه ، أما اذا ذكر أحدا من خلفاء بني أميه فانه يذكره باسمه المجرد ولا يترحم عليه ماعدا عمر بن عبد العزيز ، ولم يفضل هذا من معاويه رضي الله عنه وهو صحابي ، كما أنه قد وصف الدولة العباسية بقوله ((ولما جاءت الدولة المباركة))(٦)

مؤلفاتـــــه :-

أورد ابن النديم قائمة بأسماء كتبه(٧) ونقلها عنه ياقوت(٨) وهي كتاب البلدان الصغير ، كتاب البلدان الكبير ولم يتمه . كتاب الأخبار والأنساب ، وعند ياقوت كتاب جمل نسب الاشراف ووصفه بأنه كتاب معروف مشهور(٩) كتاب عهد أردشير ترجمه شعرا . وزاد ياقوت كتاب الفتوح

---

(١) ياقوت معجم الأدباء ٥/٩٩ .
(٢) نفس المصدر ٥/٩٩ .
(٣) نفس المصدر ٥/٦٢ .
(٤) نفس المصدر ٥/٦٢، ٦٦، ٦٧ .
(٥) ولذلك لم يترجم له في التهذيب المتخصص لتراجم من لهم رواية في الكتب الستة .
(٦) أنظر، فتوح البلدان ص ٢٤٦ .
(٧) أنظر الفهرست ص ١٢٢ .
(٨) أنظر معجم الأدباء ٥/٩٩ .
(٩) نفس المصدر ٥/١٠٠ .

والذى وصلنا من كتبه كتاب أنساب الاشراف ، وهو كتاب كبير شامل للأخبار والأنساب ومخطوطته تقع في ١٢٦٤ صفحة ، (١) وقد طبع منه خمسة أجزاء والباقى لا زال مخطوطا .
والكتاب الثاني الذى وصلنا من كتب البلاذرى هو كتاب فتوح البلدان ، وهو كتاب شامل لفتوح البلدان في مشرق الدولة الاسلامية وفي مغربها وان كان لم يفصل كثيرا في فتح الأندلس كما فصل في فتح العراق والشام .

ومنهج البلاذرى في كتابه فتوح البلدان يمكن أن نتبينه من خلال طريقته في ترتيب الكتاب ومنهجه في التوثيق .

ففي ترتيب مادة الكتاب فان المؤلف لم يلاحظ العنصر الزمنى فقط وانما لاحظ الموقع الجغرافي للبلد المفتوح ، فقد بدأ بالحديث عن فتوح النبى صلى الله عليه وسلم وكانت كلها بالجزيرة العربية ، ثم ساق بعد ذلك أخبار ردة العرب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم بدأ بفتوح الشام وألحق بها فتوح أرمينيه ، ومصر ، واطرابلس وأفريقيه وطنجه والأندلس وجزائر البحر وختم ذلك بالحديث عن أمر القراطيس. (٢)

ثم بدأ بذكر فتوح العراق والمشرق فذكر فتوح السواد والقادسيه والمدائن وهمذان وأصبهان والري وآذربيجان وطبرستان وسجستان وكابل وخراسان والسند وختم الكتاب بالحديث عن أحكام أراضى الخراج وعن العطاء في عهد عمر وعن تدوين الديوان ثم أمر الخاتم والنقود والخط ، وهى موضوعات في النظم والحضارة .

---

(١) توجد من كتاب الانساب نسخة في مكتبة عاشر أفندى باستانبول ولها صورة في اثني عشر مجلدا في دار الكتب الوطنيه بمصر ، أنظر ص ٢٢ من مقدمة كتاب أنساب الاشراف بتحقيق محمد حميد الله .

(٢) أى الورق الذى يستعمل للكتابة وكان يصنع في مصر وكان يأتى للمسلمين من بلاد الروم ، أنظر فتوح البلدان ١/ ٢٨٢ بتحقيق المنجد .

واذا تحدث عن فتح بلد يذكر كل أحواله الى عصره مراعيا فى ذلك الترتيب التاريخى

أما منهجه فى التوثيق ، فهو يجمع الأسانيد كغيره من مؤرخى هذه الفترة فقد قال فى أول كتابه . موضحا منهجه فى جمع الروايات .

((أخبرنى جماعة من أهل العلم بالحديث والسيرة وفتوح البلدان ، سقت حديثهم واختصرته ورددت من بعضه على بعض . .)) [١] ثم أخذ يسوق أخباره مقدما لها تارة بقوله ((قالوا)) [٢] وأحيانا بروايات مفرده منها المسند الموصول [٣] ومنها المقطوع [٤] ومنها ما فيه الروايه عن المجاهيل الذين لم يسمهم ، وقد يروى عن مسمين لكن حالهم مجهولة ، فنجد فى أسانيده مثل قوله ((عن أشياخ من أهل الطائف)) [٥] . حدثنى أشياخ من أهل البطائح)) [٦] سمعت مشايخ من البصريين)) [٧] عن مشايخ من أهل اليمن)) [٨] عن مشايخ من أهل الشام)) [٩] حدثنى فلان عن مشائخ أدركهم)) [١٠] حدثنى شيخ من أهل حمص)) [١١] حدثنى جماعة من أهل العلم بأمر الشام [١٢] ، بعض أهل منبج [١٣] ، ديار ربيعة [١٤] ، أهل الرقة [١٥] شيخ من أهل السيرة [١٦] ، شيخ من أهل واسط. [١٧]

---

(١) أنظر عن البلاذرى أنه لم يسم أحدا ممن أخذ عنه كما كان يفعل من سبقه مثل ابن اسحاق والواقدى وابن سعد الذين يذكرون أسماء الرواه جملة ، لكنه أوضح كثيرا منهم فى أثناء كتابه .

(٢) أنظر على سبيل المثال الأسانيد رقم ٤١-٦١ و٦٧١ و٧٨١ و٩٦١ و٧١ و٨٥٧-١٥٧ و٢٦٦٨ و٤٩٦٨٠ .

(٣) أنظر على سبيل المثال الأسانيد رقم ٢٥-٢٦١ و١ و٢٢ و٧٢ و٨٠ و١٨٥ و٦٢-٧٢٦ و٨٠١ و ٣٦٠١-٤٦٠١ .

(٤) أنظر الأسانيد ٢٣ و٨١ و٨٦ و٠١-٩٤١ و٩٧١ و١-٩٩١ و٥٠٢ و١٨١ و٢٢١ و٩٢٢ و٦٧٠ .

(٥) أنظر كتاب فتوح البلدان ص٦٦ .

(٦) نفس المصدر ص١٠٦ .

(٧) نفس المصدر ص١١٩ .

(٨) نفس المصدر ص١٢٢ .

(٩) نفس المصدر ص١٢٠ ، ١٤٠ .

(١٠) نفسه ص١٤٠ .

(١١) نفسه ص١٥٨ .

(١٢) نفسه ص١٧٠ .

(١٣) نفسه ص٢٢٧ .

(١٤) نفسه ص٢١٤ .

(١٥) نفسه ص٢١٩ .

(١٦) نفسه ص٢٥٠ .

(١٧) نفسه ص٣٥٥ .

وبعض الأخبار يوردها من محفوظاته ويسبقها بقوله ((قال)) [١] وبعضها نقلا من كتب من سبقه فيسند لهم مباشرة دون ذكر السند وهذا يعرف في مصطلح الحديث بالمعلق، [٢] فقد علق عن هشام الكلبي [٣] وروى عنه بواسطة ابنه عباس، [٤] وعلق عن أبي مخنف، [٥] وروى عنه بواسطة، [٦] وعلق عن الواقدي، [٧] وروى عنه بواسطة [٨] محمد بن سعد وغيره، وعلق أيضا عن مالك بن أنس. [٩] وعلق عن أبي اليقظان النسابه، [١٠] ويروى عن محمد بن سعد بالعلو والنزول فمرة بصيغة التحديث [١١] ومرة بواسطة. [١٢]، وروى عن موسى بن عقبة صاحب المغازي بواسطة، [١٣] وروى عن المدائني مباشرة مصرحا بالتحديث [١٤] أحيانا، وقد لا يصرح بالتحديث، [١٥] ويذكر الروايات المتعددة ويتركها بدون ترجيح، [١٦] وأحيانا يرجح، [١٧] وعباراته في نقد الروايات وترجيح بعضها على بعض مقتضبة تشبه في ذلك عبارات الواقدي وابن سعد فمن عباراته في الترجيح ((والأول أثبت)) ((وذلك أثبت)) والأول أصح وأثبت، ورواية الواقدي أثبت. والخبر الأول أثبت هذه الأخبار. [١٨]

---

(١) نفس المصدر السابق ٦٥، ٦٦، ٢٤١، ٣٤٨، ٣٤٦، ٢٥٠، ٢٥١.

(٢) الحديث المعلق هو ما حذف من مبدأ اسناده راو أو أكثر ويكون ذلك من تصرف مصنف، والحديث المعلق من أقسام الحديث المردود حتى يعرف حال من حذف من السند، أنظر ابن حجر، شرح نخبة الفكر ص ٤٦.

(٣) فتوح البلدان ص ٦١، ٨٢، ٨٥. (٤) نفسه ٦٠، ٦٢، ٦٢. (٥) نفسه ٦٩.

(٦) نفسه ٤١٢. (٧) نفسه ص ٦، ١٨، ٤٤، ٤٦، ٥٠. (٨) نفسه ص ٥٠، ٥٢، ٧١، ٢٢٥.

(٩) نفسه ص ٩. (١٠) نفسه ص ٤٦، ٤٤٢، ٤٤٢.

(١١) نفسه ص ٢٢، ٥٠، ٥٢. (١٢) نفسه ص ٢٠٢. (١٣) نفسه ص ٦٨.

(١٤) المصدر السابق الصفحات ٤٢٠، ٤٣٤، ٤٣٧. (١٥) أنظر مثلا ٤٤٥، ٤٦٠.

(١٦) أنظر مثلا ص ٤٣٢ و٦٦١ و٦٧١ و٤٤٩ و١٦٥ و٤١٨.

(١٧) أنظر المصدر السابق ص ٩ و١٨ و١٤ و٤٦ و٦٦ و٢٤٢ و١٧ و٢٣٥ و٤١٩.

(١٨) نفس المصدر ص ٩٩، ١٤١، ١٦٦، ١٦٩، ٢١٧، ٢٥٢.

ومن عباراته في النقد ، وليس ذلك بثبت ، وهذا غلط[١] كما أنه يضعف بعض الروايات ولكن بطريقة غير مباشرة فيوردها بصيغة التضعيف كأن يقول ، ويقال ". و" وقد روى " ، " وقال بعض الرواة " ، " وزعم الهيثم بن عدي "[٢] كما أنه يذكر أقوال الفقهاء في المباحث الفقهية بعضها بسنده[٣] وبعضها الآخر غير مسند[٤] ومن هذا يتضح أن البلاذري لم يكن يلتزم الاسناد دائما واذا أسند فلا ينتقي في الرجال بل يحدث عن كل من وجد عنده معلومات تهمه في موضوع بحثه وهذا وان كان في ميزان علماء الحديث مما تترك رواية الرجل لأجله الا أنه في ميزان الدراسة التاريخية قد يتسامح أحيانا ، والبلاذري قد أبان كثيرا من مصادر معلوماته وحاول الاتصال بالأشخاص القريبين من الأحداث فكان يأتي لأهل كل بلد ويسألهم عن كيفية فتح بلادهم فيحدثه بعض مشائخهم وكبار السن فيهم .

والبلاذري بهذا الكتاب الذي خصصه للفتوح - وان لم يخله في الحقيقة من الفوائد عن نشأة بعض المدن وخططها وعن موضوعات في النظم الاسلامية والموضوعات الحضارية - يعبر عن رسالة الأمة الاسلامية[٥] ووظيفتها الأساسية وهي الدعوة والجهاد في سبيل الله .

وبالنسبة للمنهج التاريخي فان كتاب البلاذري في فتوح البلدان يعطي صورة عن المرحلة المنهجية التي وصلت لها كتابات المؤرخين المسلمين في القرن الثالث الهجري من الاعتماد على الاسناد والنظرة الموضوعية للأحداث ، والايجاز في التعبير عن المراد ، وعدم الاستطراد والبعد عن عبارات التهويل وأسلوب القصص وايراد الروايات المتعددة عن الخبر الواحد مع نقدها أو محاولة الجمع بينها أحيانا .

---

(١) نفس المصدر ص ١١٨ ، ١٤٦ .
(٢) أنظر ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٤٦ .
(٣) ٥١-٥٢ ، ٩٠ .
(٤) ٩٠-٩١ ، ٤٦-٥٤٧ .
(٥) أنظر ، عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٤٦ .

أبو الوليد الأزرقي (ت بعد ٢٤٤ هـ):

هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي أحد الاخباريين وأصحاب السير ، وتاريخ مولده غير معروف ، ولا أشار لذلك أحد من المؤلفين الذين وقفت على مؤلفاتهم . وقد روى عن جده أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي [1] ومحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني وابراهيم بن محمد الشافعي وعبد الله بن مسلمة القعنبي ، وروى عنه أبو محمد اسحاق بن احمد بن نافع الخزاعي وابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي .

كما أن تاريخ وفاته غير معروف ولكن الثابت أنه كان حيا في سنة ٢٤٤ هـ كما يتضح من النصوص التي أوردها في كتابه أخبار مكه.[2] وفي كتاب الأنساب للسمعاني قال عن وفاته ((مات ومئتين))[3] فكأنه قد سقطت كلمة وقد ذكر محمد بن نافع الخزاعي الذي روى كتاب أخبار مكه عن عمه اسحاق بن أحمد الخزاعي عن أبي الوليد الأزرقي مشاهدات له عن الكعبه أضافها على كتاب الأزرقي في سنة ثلاث وستين ومائتين))[4] مما يستنتج منه أن أبا الوليد قد توفي قبل هذا التاريخ لأن محمد بن نافع لم يرو عنه وانما روى عن عمه اسحاق عنه فهو لم يلق أبا الوليد .

---

(١) أكثر من الرواية عن جده في كتابه أخبار مكة فمروياته عنه تعدل نصف مروياته في الكتاب ، وجده ثقه روى له البخاري ، وتاريخ وفاته غير معروفه وذكر المزي أنه كان حيا في سنه ٢١٧ هـ ((أنظر تهذيب الكمال خ ١/ ٤١

قلت : قد روى عنه حفيده في أخبار مكه ١/ ٢٨٧ أحداثا وقعت سنة ٢١٩ هـ.

(٢) الأزرقي ، أخبار مكة ١/ ٢٦٤ ، دار الثقافة بمكة والثالثة ١٣٩٨ هـ.

(٣) أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢) ، كتاب الانساب صورة عن المخطوطة نشرتها مكتبة المثنى ببغداد ورقة ٢٨/ ب.

(٤) الأزرقي ، أخبار مكة ١/ ٢٦٥ ونص الزيادة ((وقد رأيتها حين جردت في آخر ذي الحجة سنة ثلاث وستين ومائتين فرأيت جدراتها كلون العنبر الأشهب من تلك الغالية)) .

وأقدم من ترجم للأزرقي هو ابن النديم . وقد ذكر له ((كتاب مكه وأخبارها وجبالها وأوديتها)) ووصفه بأنه كبير[١] ثم أبو سعيد السمعاني في كتاب الأنساب ، الذي أثنى فيه على كتابه ((أخبار مكه وقال : ((قد أحسن في تصنيف ذلك الكتاب غاية الاحسان))[٢] ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا .

كما ترجم له الفاسي في ((العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين))[٣] وقال انه كان حيا في خلافة المنتصر محمد بن جعفر العباسي (٢٤٧-٢٤٨) مستدلا بنص ذكره الأزرقي في كتابه[٤] ثم قال ((ولم أر من ترجمه واني لأعجب من ذلك))[٥]

وقال الألباني[٦] ((لم نجد له ترجمة في شيء من المصادر المعروفة المطبوعة والمخطوطة الا قول السمعاني في كتابه أخبار مكه))[٧] ولذلك فقد اعتبره الشيخ الألباني ، من ناحية روايته في حكم المستورين عند المحدثين الذين يستأنس بحديثهم ولا يحتج به))[٨]

ولم يعرف للأزرقي من المؤلفات سوى كتاب ((أخبار مكه)) وهو ثابت النسبة له ومعروف ومتداول بين العلماء والنقل عنه في كتبهم مشهور مستفيض وهو أول كتاب وصلنا من تاريخ مكه وخططها ،

لقد قسم الأزرقي كتابه الى قسمين ، أولهما خاص بالأخبار والأحاديث التي وردت في فضل مكه والكعبه وما حولها من الآثار الاسلاميه ، ويذكر فيه الأدوار التي مرت بها عمارة

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ص ١١٤ . (٢) السمعاني ، الأنساب ورقه ٢٨/ب .

(٣) تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي (ت ٨٣٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٢/ ٤٩ .

(٤) الأزرقي ، أخبار مكه ٢/ ٢٨٧ ، والنص الذي استدل به هو قول الأزرقي ((سقر هو الجبل المشرف على قصر جعفر بن يحي بن خالد البرمكي وهو بأصله . وكان عليه لقوم من أهل مكه يقال لهم آل قريش بن عباد مولى لبني شيبة ، قصر ثم ابتاعه صالح بن العباس بن محمد فابتنى عليه وعمر القصر وزاد فيه . وهو اليوم لصالح بن العباس ، ثم صار اليوم للمنتصر بالله أمير المؤمنين وكان سقر يسمى في الجاهلية الستار ، أهـ .

قلت : والنص فيه اضطراب كما هو ظاهر ، ويحتمل أن قوله ثم صار اليوم للمنتصر بالله أمير المؤمنين هو اضافة على نص الأزرقي الذي ذكر أن قصر سقر اليوم لصالح بن العباس .

(٥) الفاسي ، المصدر السابق ٢/ ٤٩ . (٦) الألباني ، فهرس مخطوطات دار الظاهرية قسم الحديث ص ٢٢٥ .

(٧) تقدم قوله قريبا . (٨) نفس المصدر

الكعبة والمسجد الحرام حتى عصره (١).

والقسم الثاني أفرده لجغرافية مكة وأسماء جبالها وأوديتها كما تضمن معلومات في الخطط والمقابر والمساجد والمزارع والآبار . ومنهجه في قسم الأحاديث والأخبار الرواية بالأسانيد كما هي عادة العلماء في ذلك العصر وشيوخه الذين روى عنهم في كتابه محدودون وأكثر من روى عنه جده أحمد بن محمد الأزرقي ، ومحمد بن يحى بن أبي عمر العدني ، أما بعض الشيوخ فانه لا يروي عنه الا الخبر أو الخبران (٢).

وهو يقتصر في هذا القسم على رواية ما ورد في فضائل مكة والكعبة والطواف بها وزمزم والمقام والمسجد وعلى ذكر عمارة هذه الأماكن ولا يتعرض للأحداث السياسية والحروب التي وقعت بمكة الا بقدر ما يتصل بموضوع عمارة الكعبة والمسجد الحرام . ولا يهتم بذكر الولاة على مكة ولا أمراء الحج الا اذا كان لأحد هم مساهمة في عمارة موضع من المواضع المقدسة أو بما له علاقة بها . وهو في هذا القسم يروي عن الرواة فيما لم يشاهده ويسجل مشاهداته فيما حضره فمثلا في صفة الكعبة وذرعها من الداخل والخارج وذكر عدد البلاط بداخلها أو على جدرانها وذرع بابها وصفته يذكر ما قام به هو من عمل (٣)، وكذلك ذكر عدد اسطوانات المسجد الحرام ومساحته وذكر المسافة بين المسجد الحرام ، ومنى ، ومزدلفه ، وعرفه ، ووصفه المساجد التي أقيمت في هذه الأماكن وذرعها ، كل ذلك قام به شخصيا وسجله كما يفهم من عباراته (٤) وهذا دليل على ضبطه لهذه الأمور وحرصه على تقديم معلومات وافيه ودقيقة .

---

(١) لقد أضاف الخزاعيان اسحاق بن أحمد (ت ٣٠٨ هـ) ومحمد بن نافع (ت بعد ٣٥٠ هـ) اضافات بما استجد من عمارة المسجد الحرام والكعبة في عصرهما وهما ممن روى كتاب الأزرقي فقد رواه اسحاق بن أحمد عن الأزرقي ورواه محمد بن نافع الخزاعي عن اسحاق بن أحمد (أنظر العقد الثمين ٢/ ٢٩٦) ((العقد الثمين ٢ / ٢٧٨)

(٢) مثل عبد الله بن مسلمه القعنبي ، أنظر أخبار مكه ١ / ٢٢٧ ومثل سليمان بن حرب أنظر ٢ / ١٥١ .

(٣) أنظر أخبار مكه الصفحات من ١ / ٢٨٨ الى ١ / ٣١٠ .

(٤) نفس المصدر ٢ / ١٨١-١٩٠ .

أما القسم الجغرافي فتقل فيه الرواية لأنه يسجل مشاهداته في وصف الأماكن وتحديدها ويذكر معلومات تاريخية عنها ربما كانت مستفيضة معرفة الناس بها في عهده ولعل هذا هو الذي دعاه الى ترك توضيح مصادر معلوماته عن مثل تلك الأحداث .

وقد ركز الأزرقي اهتمامه في هذا الكتاب على ذكر فضائل الحرم ومشاعر الحج والعناية بتحديد المواضع ووصفها وذكر العمارة والخطط التي مرت بها مكة دون التعرض لتاريخها السياسي والعلمي . بينما نجد معاصره عمر بن شبه قد جمع بين التاريخ السياسي والحضاري في تاريخه للمدينة ، وقد أهمل كل من الأزرقي وابن شبة جوانب التاريخ الثقافي والعلمي في مكة والمدينة بخلاف غيرهما ممن كتب في تواريخ المدن الاسلامية حيث أرخوا للمدن من خلال تراجم علمائها .

عمر بن شـــبه (١٧٣-٢٦٢هـ) :

هو الحافظ العلامة الاخبارى الثقة أبو زيد عمر بن شبه بن عبيدة بن زيد النميرى البصرى[١] ولد بالبصرة سنة ١٧٣هـ ولذلك نسب اليها ثم سكن بغداد حتى تحول منها - على أثـــر ظهور فتنة القول بخلق القرآن - الى سامراء وبها توفى في جمادى الآخرة سنة ٢٦٢هـ عن عمر يقارب التسعين عاما[٢]، وكان أبو زيد متعدد المواهب، واسع الثقافة فهـــــو: شاعر، وأديب، ونحوى، وعالم بالسير والأخبار وأيام الناس، وله مشاركة في رواية الأحاديث النبوية، فقد أخرج له ابن ماجه[٣] وقال عنه ابن أبي حاتم : ((كتبت عنه مع أبي، وهـــو صدوق صاحب عربية وأدب))[٤]، ووثقه الدارقطني[٥]، وذكره ابن حبان في الثقات وقـــال ((مستقيم الحديث وكان صاحب أدب وشعر وأخبار ومعرفة بأيام الناس))[٦].

وقال الخطيب البغدادى : ((وكان ثقة عالما بالسير وأيام الناس وله تصانيف كثيرة))[٧]

وقال المرزباني ((عمر بن شبه أديب فقيه واسع الرواية صدوق ثقة))[٨]

وقد روى ابن شبة العلم عن عدد من علماء عصره نذكر منهم[٩] عبد الوهاب الثقفي وحسين الجعفي والمدائني وأبو داود الطيالسي وابن مهدى ويحيى بن سعيد القطان والأصمعـــى وأبو زيد الأنصارى النحوى ومحمد بن جعفر غندر، ومحمد ابن أبي عدى وعفان بن مســـلم والوليد بن هشام القحذمي وأبو عاصم النبيل وابراهيم بن المنذر ومحمد بن سلام الجمحي وغيرهم.

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ ٢/٥١٦.
(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ١١/٢١٠.
(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/٤٦٠.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.
(٦) " " .
(٧) الخطيب، تاريخ بغداد ١١/٢٠٨.
(٨) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٨/٤٦١.
(٩) عن شيوخ ابن شبه، أنظر المزى، تهذيب الكمال ٢/١٠١٢، وابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/٤٦٠.

وقد روى العلم عنه ابن ماجه وأبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني وأحمد بن يحيى ثعلب النحوي وأحمد بن يحيى البلاذري وابن أبي الدنيا ويحيى بن صاعد وابن أبي حاتم واسماعيل بن العباس الوراق وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وأبو العباس السراج ومحمد بن أحمد الأثرم ومحمد بن مخلد الدوري وغيرهم.(١)

ولقد أمتحن عمر بن شبه كغيره من العلماء في ذلك العصر بفتنة القول بخلق القرآن. يروي الخطيب البغدادي بسنده الى أبي علي العنزي قال ((أمتحن عمر بن شبة بسر من رأى بحضرتي. فقال القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فقالوا له، فتقول من وقف فهو كافر، فقال لا أكفر أحدا، فقالوا له أنت كافر، ومزقوا كتبه فلزم بيته وحلف أن لا يحدث شهرا))(٢) وهذا الموقف منه يدل على سلامة عقيدته وعلى صبره وتحمله الأذى في سبيل ذلك.

وقد خلف أبو زيد عمر بن شبه كثيرا من المؤلفات في نواحي شتى من الثقافة والعلم فذكر ابن النديم له زهاء عشرين كتابا منها كتاب الكوفة، والبصرة، ومكة والمدينة، ومقتل عثمان، والشعر والشعراء، والتاريخ، وأخبار المنصور، وكتاب أشعار الشراه، وكتاب النسب، وأخبار بني نمير، وكتاب الاستعانة بالشعر، وكتاب الاستعظام للنحو ومن كان يلحن من النحويين.(٣)

ولا يعرف اليوم من كتب ابن شبه سوى كتاب ((تاريخ المدينة)) وقد نقل الحافظ ابن حجر من كتاب ابن شبة عن البصرة نصا طويلا فقد قال في الفتح ((وقد جمع عمر بن شبه في كتاب ((أخبار البصرة)) قصة الجمل مطولة وها أنا ألخصها وأقتصر على ما أورده بسند صحيح أو حسن وأبين ما عداه))(٤) كما نقل نصا آخر من كتاب مكة له.(٥)

---

(١) ابن حجر، تهذيب ٧/٤٦٥.

(٢) البغدادي، تاريخ ١١/٢٠٩.

(٣) ابن النديم. الفهرست ص ١٢٢.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ١٢/٥٤ وتوجد نصوص من تاريخ البصره عند الطبري لكنه لم يصرح بالنقل من كتاب.

(٥) نفس المصدر ٨/٢٧، ويظهر أن الكتاب تحت يده ينقل منه مباشره حيث يقول ((قال عمر بن شبة في كتابه مكة ...)).

أما تاريخ المدينة : فقد عثر على مخطوطة له في احدى المكتبات الخاصة في المدينة [١] ، وهذه النسخة مخرومة في مواضع متعددة في أولها وفي وسطها وفي آخرها . كما يقول محققها الاستاذ فهيم شلتوت [٢] ،

وكتاب تاريخ المدينة في صورته التي وصلتنا يضم ثلاثة أقسام أولها عن تاريخ المدينة وخططها في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ناقص من أوله . ومن آخره ، ولا يخلو من سقط في مواضع متعددة في وسطه كما أن الأحداث التي ذكرها غير مرتبة ترتيبا تاريخيا فنجده مثلا يذكر قدوم عروة بن مسعود الثقفي واسلامه ثم سرية نخله ، ثم هجرة صهيب وخباب وجبر وعمار ثم هجره عمر بن الخطاب ، كما أنه يذكر بعض المباحث الفقهية [٣] ، ومباحث في الفئ والأموال [٤] ومباحث في الخطط [٥] مثل المساجد والمقابر والأودية والسيول والآبار والمزارع ومنازل القبائل ودورها . وحدود المدينة وجبالها .

والقسم الثاني عن خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أما خلافة أبي بكر الصديق فهي غير مذكورة في هذا القسم من المخطوطة وقد افترض الاستاذ فهيم [٦] أحد فرضين لتفسير ذلك اما أن ابن شبه لم يكتب شيئا عن خلافة أبي بكر أو أنها سقطت من المخطوطة والذي أراه أن الافتراض الأول لا مبرر له .

---

(١) هي مكتبة السيد محمد مظهر الفاروقي ورقم المخطوط في المكتبة كما ذكر المحقق ٥٧ تاريخ وعدد صفحاتها (٤٠٤) .

(٢) أنظر مقدمة تاريخ المدينة ص/ن وطبع الكتاب في دار الاصفهاني بجده طبعة خاصة في أربعة أجزاء .

(٣) مثل الصلاة على الجنائز ١/ ٣ ومثل القصص والقاص ١/ ٧-١٥ ومثل كراهية البزاق في المسجد وكراهية انشاد الضاله فيه ١/ ١٨-٢٠ وذكر اللعان والظهار ٢/ ٣٧٦-٣٦٨ .

(٤) أنظر الصفحات ١/ ١٧٢-١٩٥ و ٢/ ٤٨٨ .

(٥) " " ١/ ٥٧-١٧٢ و ٢١٨-٢٢١ ومن ٢٠٤ - ٢٠٨ وغيرها .

(٦) أنظر مقدمة كتاب تاريخ المدينة لابن شبه ص/ن .

والقسم الثالث عن حياة أمير المؤمنين عثمان بن عفان وعن الفتنة في عهده وحتى استشهاده رضي الله عنه على أيدي أهل الفتنة . وقد توسع في أخبار الفتنة وذكر مواقف كبار الصحابة من ذلك[1] ، ويتوقف الموجود من الكتاب هنا لكن الطبري ينقل عن ابن شبه روايات كثيرة عن تاريخ المدينة طوال العهد الأموي والفترة الأولى من العهد العباسي خاصة ثورة محمد بن عبدالله بن حسن العلوي بالمدينة أيام المنصور[2] وثورة السودان بالمدينة سنة ١٤٥هـ .

ومنهج ابن شبه في كتاب تاريخ المدينة هو رواية الأخبار بالأسانيد على طريقة المحدثين ولم يجمع الأسانيد كما فعل من سبقه من الاخباريين وأهل السير كمحمد بن اسحاق والواقدي وابن سعد ولكن أسانيده ليست كلها موصولة بل منها الموصول ومنها المنقطع ، ومنها المعضل ، وكذلك مصادره ورجاله ليست بدرجة واحدة في الثقه بل منها المقبول ومنها المردود وتحتاج الى دراسة حديثيه لمعرفة الصحيح من الضعيف من الموضوع .

فمثلا نجده يسند الخبر الى مجهول فيقول ((أخبرني بعض مشيختنا))[3] حدثني أحمد بن معاويه عن رجل من قريش))[4] ، ذكر الأصمعي فيما حدثني عنه من أثق به[5] ، حدثنا محمد بن يحي قال حدثني من أثق به[6] ، وأحيانا يحذف جزءا من الاسناد ((حدثنا عبدالله ابن نافع في اسناد ذكره قال))[7] ،

وأحيانا يعلق الخبر أو لعله ينقل من كتب تحت يده فينسب القول الى قائله مباشرة دون ذكر السند . فيقول قال ابن اسحاق[8] ، وقال ابن هشام[9] ، وقال الواقدي[10] . وقال مالك[11] وقال أبو مخنف[12] ، وعن الحسن بن أبي الحسن[13] ، وعن عائشة رضي الله عنها[14] . وعن زيد بن أسلم[15] وعن سالم بن عبدالله[16] ، وعن محمد بن سعد[17] ((كتبت من كتاب اسحاق بن ادريس ولا أعلمه

---

(١) قد ذكر في هذا القسم أخبارا متضاده ولم يتكلم على شئ منها على طريقه "من أسند فقد حملك" وتحتاج الى نقد لرواتها لمعرفة الصحيح من غيره . أنظر الصفحات ٦٦ ، ٦٨-١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٤٩-١٦٦ .

(٢) أنظر تاريخ الطبري ٧ / ٥٢٥ وما بعدها ، وأيضا ٧ / ٦٢٩ وما بعدها عن ثورة السودان .

(٣) المصدر السابق ٦٦٢ . (٤) نفس المصدر ٦٨٢ . (٥) نفس المصدر ٦٩١ . (٦) نفسه ٦٥١ .

(٧) نفسه ، ٦٦٧ . (٨) نفسه ٤٧٧ و٤٧٨ و٥٢٧ . (٩) نفسه ٤٧٨ . (١٠) نفسه ٥٩٥ و١٧ و٢٢٦ .

(١١) نفسه ٦٧١ . (١٢) نفسه ٢٧٨ . (١٣) نفسه ٦٦٥ . (١٤) نفسه ٦٦٦ . (١٥) نفسه ٦٦٦ .

(١٦) نفسه ٦٧١ . (١٧) نفسه ٦٧٣ .

الا قرأ علي)) [١] وما وجدت في كتاب أبي غسان وقرأه علي ولا أدري أنسبه الى ابن شهاب أم لا . [٢]

ومن الملاحظ أنه يروى عن الشخص الواحد ممن لقيه بالعلو والنزول مما يدل على عدم تدليسه في الرواية فمثلا شيخه أبو غسان محمد بن يحي الكناني يروى عنه بصيغة التحديث فيقول حدثنا أبو غسان ، أو حدثنا محمد بن يحي [٣] ويقول قال أبو غسان ، [٤] ويقول حدثنا عن أبي غسان ، [٥] ويقول ((وما وجدت في كتاب أبي غسان .)) [٦]

وكذلك الواقدي روى عنه بواسطة ، [٧] وبصيغة التحديث [٨] وبصيغة التعليق قال الواقدي [٩] كما أنه روى عن محمد بن اسحاق تعليقا [١٠] وبواسطة [١١] وبصيغة التحديث . [١٢]

ونقده للروايات قليل [١٣] ويكتفي باشارات بسيطة على طريقة العلماء في عصره في الاكتفاء بايراد الأسانيد وبالاشارة الموجزة أحيانا الى ضعف الرواية أو مناقشتها لرواية أخرى .

وطريقة ابن شبه هي طريقة من قبله ومن عاصره من المؤرخين الذين رتبوا كتبهم على النمط الموضوعي مع التزام الاسناد ، وهو من أشدهم التزاما به ، وبالنسبة للمنهج

---

(١) المصدر السابق ٦٨٥ . (٢) نفسه ٦٨٨ .

(٣) نفسه ، ٥١ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٩ .

(٤) نفسه ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٧ - ٥٩ - ٨٠ ، ١٦٤ . (٥) نفسه ٦١ .

(٦) نفسه ٦٨٨ وهذا النص يدل على أن أبا غسان له كتاب في خطط المدينة وتاريخها وأبا غسان هذا هو مدني ثقه روى له البخاري كما في المزي ، تهذيب الكمال في ٣ / ١٢٨٨ وقد أكثر ابن شبة الرواية عنه خاصة في معالم المدينة ودورها ورباعها ومزارعها ومنازل القبائل فيها ص ١ / ٢-٢٧٢ .

(٧) ن ، م ص ٥١ .

(٨) ن ، م ٦٦١ . ولم يذكره المزي من شيوخه وعادته الاستقصاء ولكن اللقاء بينهما ممكن لأن وفاة الواقدي سنة ٢٠٧

(٩) ن ، م ، ٤٧٢ ، ٤٧٨ ، ٥٢٧ . (١١) ن ، م ص ٤٩٨ .

(١٢) ن ، م ٥٩٧ ولعل هذا وهم من الناسخ لأن ابن شبة لم يدرك محمد بن اسحاق الذي توفى سنة ١٥١هـ .

(١٣) أنظر نماذج منها في الصفحات ٣٠٢ ، ٤٨١ ، ٧٦٤ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٦ ، ٨٥٠ ، ٩٤٤ ، ١٠٢٧ ، ١٠٩٦ ، ١١٢٠ ، ١٣٠٦ .

التاريخي فانه لم يأت بجديد بل ان كتابه بالصورة التي وصلتنا يفتقد التنسيق والترتيب التاريخي ، وقد يكون هذا الاضطراب من أثر النساخ .

وابن شبه في تاريخه للمدينة لم ينهج نهج المحدثين الذين أرخوا للمدن بتراجم علمائها والواردين عليها كما فعل بحشل في تاريخ واسط ، والسهمي في تاريخ جرجان ، وأبو عبد الله الحاكم في تاريخ نيسابور والبغدادي في تاريخ بغداد وانما أرخ للمدينة تاريخا عمرانيا وسياسيا وتأتي أهمية المعلومات التي ذكرها في كتابه عن الخطط العمرانية للمدينة وتسجيل الأحداث الأولى في تاريخ الدولة الاسلامية بكونها أقدم نصوص وصلتنا في هذه الموضوعات .

" النظــــم الماليـــــة "

أبو يوسف القاضي (١١٣ - ١٨٢ هـ) :

هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد الأنصاري الكوفي قاضي القضـــاة في أيام هارون الرشيد .(١)

ولد أبو يوسف في الكوفة سنة ١١٣ هـ(٢) ، وقد نشأ في أسرة فقيرة فطلب الحديـــث في أول أمره ثم لزم أبا حنيفة وتفقه على مذهبه ويقال ان أمه منعته من طلب العلم وأمرتــــه أن يعمل ليكسب لهم رزقا فانقطع عن مجلس أبي حنيفة فترة فلما عاد سأله عن انقطاعـــــه فأخبره بالأمر فدفع اليه أبو حنيفة مائة درهم على أن يلزم حلقة العلم معه وقال اذا انتهــت فأعلمني ، وكان أبو حنيفة يتعاهده بالمائة بعد الأخرى .(٣) ولذلك تفقه عليه ونشر مذهبه وأحبه حتى كان يدعو له دبر كل صلاة(٤) وقد حدث عن هشام بن عروة ويحي بن ســــعيد الأنصاري وعطاء بن السائب ويزيد بن أبي زياد وأبي اسحاق الشيباني ومحمد بن اســحاق ابن يسار وسليمان الأعمش وغيرهم .(٥) وأخذ عنه العلم محمد بن الحسن الشيباني وبشــــر ابن الوليد الكندي وأحمد بن حنبل وكان أول شيوخه في الحديث ، ويحي بن معين وعمــرو ابن محمد الناقد وأحمد بن منيع وعلي بن مسلم الطوسي وغيرهم .(٦) وكانت وفاته سنة ١٨٢ هـ عن تسع وستين سنة وتولى القضاء ستة عشر عاما .(٧)

---

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤/٢٤٢و٢٤٣ وهو أول من دعي بهذا اللقب في الاسلام .
(٢) المصدر السابق ١٤/٢٤٢ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٨/٥٣٦ .
(٣) ذكر الخطيب ١٤/٢٤٤ هذه الرواية ، ورواية أخرى بأن الذي منعه هو والده .
(٤) وكيع ، أخبار القضاة ٣/٢٥٨ .
(٥) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤/٢٤٢ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٨/٥٣٦ .
(٦) المصدر السابق .
(٧) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤/٢٦١ .

وقد أثنى عليه العلماء في عصره وتكلم فيه بعض النقاد لأمور أخذوها عليه . وعن محمد بن الحسن قال ((مرض أبو يوسف فعاده أبو حنيفه فلما خرج قال ان يمت هذا الفتى فهو أعلم من عليها)) (١)

وقال أحمد بن حنبل ((أول ماكتبت الحديث اختلفت الى أبي يوسف وكان أميل الى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد . (٢) وقال ابن معين ما رأيت في أصحاب الرأي أثبت في الحديث ولا أحفظ ولا أصح رواية من أبي يوسف)) (٣) وروى عنه أيضا أنه قال ((أبو يوسف صاحب حديث، صاحب سنه)) (٤) كما روى عنه تليينه في الحديث)) (٥) ، وقال المزني هو أتبع القوم للحديث)) (٦) وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال ((كان شيخا متقنا لم يسلك مسلك صاحبيه الا في الفروع وكان يباينهما في الايمان والقرآن)) (٧) وقال ابن عدي ((ليس في أصحاب الرأي أكثر حديثا منه الا أنه يروي عن الضعفاء)) (٨) وقال البخاري تركوه . (٩) وقال أبو حاتم يكتب حديثه، (١٠) وقال أحمد بن حنبل صدوق ولكن من أصحاب أبي حنيفه لا ينبغي أن يروى عنه شيء)) (١١) وقال ابن حجر ((ذكر العقيلي بسند صحيح عن ابن المبارك أنه وهاه)) (١٢)

فهذه أقوال علماء الجرح والتعديل فيه . وهو ليس له رواية في الكتب السته (١٣) وقد ترك العلماء رواية الحديث عنه لأنه كما يقول ابن سعد ((غلب عليه الرأي وجفا الحديث، (١٤)

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٨/٥٣٦ .
(٢) أي محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة وزميل أبي يوسف.
(٣) المصدر السابق . (٤) نفس المصدر .
(٥) ابن حجر ، لسان الميزان ٦/٣٠١ . (٦) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤/٢٤٦ .
(٧) ابن حجر، لسان الميزان ٦/٣٠١ . (٨) نفس المصدر السابق .
(٩) الذهبي ، ميزان الاعتدال ٤/٤٤٧ . (١٠) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ٩/٢٠٢ .
(١١) نفس المصدر السابق ٩/٢٠١ . (١٢) ابن حجر، لسان الميزان ٦/٣٠١ .
(١٣) لم يترجم له الذين جمعوا رجال الكتب السته مثل المزي في تهذيب الكمال ولا الذهبي في ((من له رواية في الكتب السته ، ولا ابن حجر في تهذيب التهذيب ، وقد غفل ناشر كتاب تذكرة الحفاظ للذهبي أو لعل ذلك من الناسخ اذ رمز أمام اسم القاضي أبو يوسف (١/٢٩٢) الحرف ع - وهي رمز من أخرج له الجماعة .
(١٤) ابن سعد ، الطبقات ٧/٣٣٠ .

وقد ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ترجمة مطولة [١] ذكر فيها كثيرا من أخبارة في القضاء ومع هارون الرشيد وقد كان هارون يجله ويبالغ في اكرامه .

وروى عن أبي يوسف حكايات في الحيل والتخريجات لعلها لا تصح . [٢] وقد نسب القاضي الى الأرجاء على مذهب شيخه أبي حنيفه [٣] وقد مر معنا قريبا قول ابن حبان أنه خالف صاحبيه أبا حنيفة ومحمد بن الحسن الشيباني في الايمان والقرآن)) وقد أثنى عليه غير واحد من العلماء بأنه صاحب سنة . [٤] وروى عنه يحي بن يحي أنه قال عند وفاته ((كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه الا ما وافق كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم)) [٥] وكان يذم علم الكلام ويقول ((ان العلم بالكلام جهل)) [٦] .

وكانت له جهود في التأليف وتصنيف الكتب وقد وصف بأنه أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة)) [٧] وكان يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب الى جانب الفقه [٨] ووصلنا من كتبه ((الرد على سير الأوزاعي ، واختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى ، [٩] وكتاب الخراج . [١٠]

---

(١) في الصفحات ١٤ / ٢٤٢-٢٦٢ .

(٢) من ذلك ما ذكره الخطيب ١٤ / ٢٥١ في قصة الجارية التي أرادها هارون الرشيد وهي في ملك عيسى بن جعفر وقد حلف أن لا يبيعها ولا يهبها فأرشده أبو يوسف بأن يخرج من تلك اليمين بأن يهب نصف الجارية لهارون ويبيعه نصفها الآخر فلا يكون قد باعها ولا وهبها .

(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤ / ٢٥٦ و٢٥٧ ، وهم يسمون مرجئة الفقهاء ومذهبهم غير مذهب فرقة المرجئة التي تقول لا يضر مع الايمان معصية انما يخالفون أهل السنة بقولهم ان العمل ليس من الايمان ولكنه شرط من شروطه . حتى قال بعضهم ان الخلاف بينهم وبين أهل السنة لفظي ، أنظر ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٤ .

(٤) المصدر السابق ١٤ / ٢٥٢ وسير أعلام النبلاء ٨ / ٥٣٧ . (٥) المصدرين السابقين .

(٦) الخطيب . تاريخ بغداد ١٤ / ٢٥٣ . (٧) المصدر السابق ١٤ / ٢٤٦ .

(٨) نفس المصدر السابق .

(٩) طبع الكتابان بالقاهرة بتعليق أبو الوفاء الأفغاني .

(١٠) طبع عدة طبعات آخرها الطبعة التي صدرت عن دار الاصلاح بالدمام بتحقيق د / محمد ابراهيم البنا .

منهجه في كتاب الخراج :

هذا الكتاب عبارة عن خطة عمل لاصلاح الادارة المالية في الدولة الاسلامية في العصر العباسي وضعه أبو يوسف كما يظهر من مقدمته . بناء على طلب من الخليفة هارون الرشيد ليعمل به في جباية أموال الدولة من الخراج والعشور والصدقات والجزية ، وقد جعل أبو يوسف كتابه على صورة السؤال والجواب وقد أحصيت منها ثمانية وعشرين سؤالا [١] . لكن أبا يوسف لم يقتصر على اجابة الأسئلة وانما استطرد في الاجابة استطرادات مفيدة [٢] ، ووضع مقترحات وخطة عمل وطلب من الخليفة أن يعمل بها وقدم له نصائح قيمة في ادارة الدولة ومحاسبة العمال [٣] والموظفين على الخراج والبريد والصدقات وغيرها من الوظائف . ولم يكن مبحث الخراج الذي اشتهر به الكتاب الا أحد فصول الكتاب . فقد وضح الى جانب مبحث الخراج كافة موارد الدولة المالية [٤] ، وواجبات الدولة في اصلاح المرافق العامة ، وواجباتها في محاسبة موظفيها ، واقامة الحدود ، ونشر العدل ، وقتال أهل الشرك ، وأهل البغي ، ولم تخل تلك المباحث من ايراد السوابق التاريخية من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم [٥] ، وسيرة الخلفاء الراشدين [٦] وسيرة عمر بن عبد العزيز [٧] ، كما تضمنت دراسة مركزة عن الفتوح [٨] وبذلك يكون أبو يوسف قد قدم دراسة فقهية تاريخية

---

(١) تجدها موزعة على فصول الكتاب وذكر محقق كتاب الخراج أن عددها تسعة وعشرين سؤالا .

(٢) من أهمها المقدمة التمهيدية والباب الذي يليها والتي أورد فيها جملة من أحاديث الترغيب والترهيب لتكون باعثا على العمل ومرغبا فيه ، وأنظر أمثلة لذلك في الصفحات ٢٦ (١٢٠-١٢١ ، ١٧٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٢-٢٢٦ .

(٣) أنظر كتاب الخراج ١٧٦ ، ٢٢٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٣٠١ ، ٣٦١ .

(٤) أنظر ص٢٠٢ و٢٠٣ و٢٢٢ و ٢٢٣ .

(٥) أنظر أمثلة لذلك في الصفحات ٥٧ ، ٧٢-٢٨١ و٢٨١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣-٤٠٩ .

(٦) " " " " " ١٦٠-١٦٣ و ١٨٢-١٨٥ .

(٧) " " " " " ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ .

(٨) " " " " " ٧١-٧٦ و ٩٣-٩٧ .

للنظم الاسلامية ، وسجل للسوابق التاريخية من فتاوى الصحابة وسيرة الخلفاء الراشدين ، وقد ناقش آراء الفقهاء الذين سبقوه أو عاصروه ، ورجح ما رآه دون أن يتقيد بآراء شيخه أبي حنيفة . (١)

وطريقته في ايراد الأحاديث النبوية أو الأخبار التاريخية هي طريقة العلماء في عصره وهي التزام الاسناد . لكن هذه الأسانيد لا تكون دائما متصلة بل فيها المعضل والمنقطع. وفيها المبهم الذى لم يسم كقوله ((حدثني بعض أشياخنا ، حدثني شيخ من أهل الشام. حدثني غير واحد من علماء أهل المدينة ... شيخ قديم - كتبت الى شيخ من أهل الجزيرة . (٢)

- وقد استعمل الاسناد الجمعي بقلة. (٣) ونقد الأخبار التاريخية معدوم لكنه يناقش الاراء الفقهية (٤) ويستدل بالأحاديث النبوية وفتاوى الصحابة والوقائع التاريخية في حياة الراشدين .

والكتاب يعتبر أول دراسة للنظم الاسلامية جمع به مؤلفه بين الدراسة الشرعية والوقائع التاريخية ، ونقد فيه بعض الأوضاع والانحرافات (٥) المخالفة للشريعة ، وطلب من الخليفة اصلاح ذلك واقامة النظام المالي في الدولة على مقتضى العدل الرباني الذى جاءت به الشريعة وطبقها الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون ومن أقتدى بهديهم واستن بسنتهم .

ولقد كان القاضي أبو يوسف رحمه الله صريحا مع هارون الرشيد في بيان الاخطاء والمخالفات دون مواربة وطلب اليه في أدب واحترام تصحيح الأوضاع وأمره ونهاه وحذره وذكره بالله ورغبه في ثوابه وخوفه عقابه . (٦)

---

(١) أنظر الصفحات ٥،٩و١٥،١٢٨و١٧و١١٨و١١ .

(٢) أنظر أمثلة لذلك في الصفحات ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٤٤، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٦٨، ٨٥، ٩٣ .

(٣) أنظر مثلا ص ٢٨، ٦٦، ٢٠ . (٤) أنظر ٥، ٦٢، ٧٢، ١١٨، ١٢٦، ١٥١، ١٨٥ .

(٥) مثل الظلم والتعسف الذى يقع من بعض الجباة ومثل التعذيب وزيادة الضرائب، ومثل اقطاع الأراضي لكبار القادة ومثل التقبيل وأوضح أنه ضار بالرعيه مفسد لبيت المال ،كما انه انتقد تصرفات بعض القضاة وبين حكم الأراضي التي تحت ولاية قاضي السوء، وبين الموقف من أهل الدعاره والتلصص.

(٦) قال لهارون الرشيد في المقدمه ص ٣٢ ((لا تؤخر عمل اليوم الى غد فانك اذا فعلت ذلك =

أما دور كتاب الخراج وأثره في تطور الكتابة التاريخية فانه قد فتح بابا من أبواب الدراسات التاريخية وهو دراسة النظم الاسلامية مستندا الى السوابق التاريخية من الوقائع التطبيقية لمدلولات النصوص الشرعية ، وتبعه في هذا المنحى كثير من الكتاب والمؤلفين وهو لم يجعل كل ما وقع في ظل الدولة الاسلامية من وقائع ونظم مبررا للعمل بها أنما العمدة في هذا على النصوص الشرعية فما وافق الشرع من عمل الناس ونظمهم فهو السابقة التاريخية التي تتبع ويقتدى بها ، وما خالف النصوص الشرعيه من عمل الناس فلا يتابعون عليه لأن البشر يصيبون ويخطئون فلا تحسب أعمالهم وتطبيقاتهم على الشرع اذا كانت خاطئة اذ لابد من التفرقة بين أخطاء البشر وأحكام الشرع .

لذلك لم يعتبر القاضي يعقوب من أعمال الخلفاء وقضاياهم الا قضايا الخلفاء الراشدين الأربعة وقضايا عمر بن عبد العزيز الأموي .

أما قيمة هذا الكتاب من ناحية المنهجية التاريخية فان موضوع هذا الكتاب ليس تاريخا بحتا ، انما هو دراسة فقهية مستندة الى التطبيقات العملية لذلك لم يرتب الوقائع وفق ترتيب تاريخي انما كان يستشهد بها في المكان المناسب في بيان الحكم الفقهي . ولكنه يورد الوقائع مسندة مما يعطيها قيمة توثيقية .

= أصبحت وان الأجل دون الأمل فبادر الأجل بالعمل فانه لا عمل بعد الأجل .

وقال أيضا .. فلا تلقين الله عز وجل غدا وأنت سالك سبيل المعتدين فان ديان يوم الدين انما يدين الناس بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم . وقد حذرك الله فاحذر فانك لم تخلق عبثا ولن تترك سدى ، ص ٢٣ . وقال ((وقد كتبت لك ما أمرت به وشرحته لك وبينته فتفهمه وتدبره وردد قراءته حتى تحفظه)) ص ٢٥ . وأنظر ١١٦ و ٢٢٢ و ١٧٦ و ٢٠١ .

أبو عبيد القاسم بن سلام (١٥٧-٢٢٤هـ) :

هو الامام الحافظ المجتهد أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله ولد بهراه من أعمال خراسان سنة ١٥٧ هـ (١) وكان والده مملوكا روميا لرجل من أهل هراه. وتعلم القرآن في كتابها ولما شب رحل في طلب العلم الى البصره والكوفه وهناك التقى بكبار علماء العربية في عصره فأخذ قراءة القرآن عن أبي الحسن الكسائي وأخذ العربية عن أبي عبيدة معمر ابن المثنى وأبي زيد الأنصاري وغيرهما. (٢)

ثم رجع الى خراسان وعمل مؤدبا لأولاد هرثمة بن أعين (٣) أحد قادة هارون الرشيد ثم تحول منها الى "مرو" وأخذ يواصل عمله في التأديب والتعليم. وشاء الله أن يمر بهذه المدينة طاهر بن الحسين (٤) وهو في طريقه الى خراسان فطلب رجلا يحدثه ليله فقيل ما هنا الا رجل مؤدب. فأدخل أبو عبيد عليه فلما حادثه وجده أعلم الناس بالأيام والنحو واللغة والفقه. فقال له ((من المظالم تركك بهذا البلد ودفع اليه ألف دينار وقال له أنا متوجه الى خراسان في حرب ولست أحب وستصحابك خوفا عليك فأنفق من هذا المال حتى أعود اليك)) فألف أبو عبيد في هذه الفترة كتابه غريب المصنف : فلما عاد طاهر حمله معه الى ((سر من رأى)) (٥) ثم شاء الله أن يتعرف عليه ثابت بن نصر ابن مالك

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩١.

(٢) ن ، م ١٠/ ٤٩١.

(٣) هرثمة بن أعين أمير من القاده الشجعان له عناية بالعمران بني في أرمينيه وأفريقيه وغيرها ولاه الرشيد مصر سنة ١٧٨هـ ثم ولاه خراسان سنة ١٨١ فأقام فيها وكان مؤازرا للمأمون أيام الفتنة بينه وبين أخيه الامين ثم غضب عليه المأمون وسجنه ومات مسجونا بمرو سنة ٢٠٠هـ "الزركلي ، الاعلام ٨/ ٨١".

(٤) طاهر بن الحسين بن مصعب من كبار الوزراء والقاده في عهد المأمون صاحب أدب وحكمه وشجاعه وولاه المأمون خراسان والعراق ولد سنه ١٥٧ وتوفي مقتولا في سنة ٢٠٧هـ - البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٠-٢٦١.

(٥) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢/ ٤٠٦.

الخزاعي (١) فأخذه مؤدبا لأولاده ، ولما تولى طرسوس خط معه أبا عبيد وولاه القضاء بها وبقي قاضيا بتلك البلدة ثمانية عشر عاما (٢) ثم ترك القضاء ورحل الى مصر (٣) ثم عاد الى بغداد واستقر بها وأخذ يصنف التصانيف ثم قدم مكة حاجا وبقي بها الى أن توفي سنة ٢٢٤ هـ. (٤)

وقد أخذ العلم عن خلق كثير في العربية والأدب والفقه والحديث فمن شيوخه اسماعيل ابن جعفر وشريك بن عبدالله وسفيان بن عيينه ويحيى القطان وابن مهدي ويزيد بن هارون وخلقا كثيرا. (٥)

وقد حدث عنه أبو بكر الصاغاني وأحمد بن يوسف وأبو بكر بن أبي الدنيا وعلي ابن عبدالعزيز البغوي . وعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي وعباس الدوري . وأحمد بن يحي البلاذري وغيرهم (٦) ، وقد أثنى العلماء على أبي عبيد فقال ابن سعد ((كان مؤدبا صاحب نحو وعربية وطلب للحديث والفقه)) (٧) ، وقال الامام أحمد : أبو عبيد أستاذ (٨) ، ولما عرض عليه كتاب ((غريب الحديث)) لأبي عبيد استحسنه وقال جزاه الله خيرا (٩) ، وقيل انه استنسخه بيده (١٠) وقال ابن معين ثقة. (١١) وقال الآجري عن أبي داود ثقة مأمون (١٢) ، وقال الدارقطني ثقة امام جبل ، (١٣) وقال الحاكم هو الامام المقبول عند الكل. (١٤) وقال ابراهيم الحربي أدركت ثلاثة لن ترى مثلهم أبدا . تعجز النساء أن يلدن مثلهم ، رأيت أبا عبيد ما مثلته الا بجبل نفخ فيه الروح ، وقال أيضا كان يحسن كل شئ الا الحديث فانها صناعة أحمد ويحي .)) (١٥) وقال اسحاق ابن راهويه ((الحق يحبه الله ، أبو عبيد أفقه مني وأعلم مني)) (١٦) وكان يقرن في الفقه والاجتهاد

---

(١) ثابت بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي أخو أحمد بن نصر الشهيد تولى امارة الثغور سبعة عشر عاما وحسن أثره فيها ويذكر عنه فضل وصلاح وتوفي بالمصيصه سنة ثمان ومائتين ((تاريخ بغداد ٧/١٤٢-١٤٣ .

(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٨/٣١٦ . (٣) نفس المصدر ٨/٣١٥ .
(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧/٣٥٥ . (٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠/٤٩١ .
(٦) نفسه ١٠/٤٩٢ . (٧) ابن سعد ، الطبقات ٧/٣٥٥ . (٨) ابن حجر تهذيب ٨/٣١٦
(٩) نفسه ٨/٣١٧ . (١٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠/٢٩١ . (١١) ابن حجر تهذيب ٨/٣١٦ .
(١٢) نفسه ٨/٣١٦ . (١٣) نفسه ٨/٣١٦ . (١٤) نفسه ٨/٣١٦ .
(١٥) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢/٤١٣ . (١٦) ابن حجر ، تهذيب ٨/٣١٦ .

بالامامين الشافعي وأحمد بن حنبل.(١)

وقال ابن درستويه النحوي . كان أبو عبيد ذا دين وفضل وستر ومذهب حسن روى الناس من كتبه المصنفه في القرآن والفقه والغريب والأمثال وغير ذلك بضعا وعشرين كتابا وكتبه مستحسنه مطلوبة في كل بلد))(٢)

وقال ابن أبي حاتم ((سألت أبي عنه فقال كنت أراه في مسجده وقد أحدق به قوم معلمون ولم أر عنده أهل الحديث فلم أكتب عنه وهو صدوق)).(٣)

وقال ابن حبان في الثقات : كان أحد أئمة الدنيا صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام الناس . جمع وصنف وأختار ، وذب عن الحديث ونصره وقمع من خالفه))(٤)

قال الذهبي . ولم يتفق وقوع رواية لأبي عبيد في الكتب الستة))(٥) وعلق على ذلك الشيخ ناصر الدين الألباني بقوله : ((وذلك من الأدلة الكثيرة على أنهم لم يخرجوا لجميع رواه الحديث الثقات .(٦) وأبو عبيد واسع الثقافة متعدد الاختصاصات فشارك كل قوم في علمهم ورضيه الجميع كما قال الحاكم ، ولذلك جاءت مؤلفاته في نواحي متعددة من العلم . وأشهرها كتابه (غريب الحديث) ، وقد مكث في تصنيفه أربعين سنة ،(٧) وكتاب الغريب المصنف في اللغة ،(٨) وكتاب الأمثال ،(٩) وكتاب فضائل القرآن ،(١٠) وكتاب الايمان ،(١١) ومصنف في القراءات ، ذكره

---

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢/٤١٠ .   (٢) ابن حجر ، تهذيب ٨/٣١٧ .

(٣) الرازي ، الجرح والتعديل ٧/١١١ .   (٤) ابن حجر ، تهذيب ٨/٣١٨ .

(٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٠٧ .

(٦) أنظر مقدمة كتاب الايمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٥٠ .

(٧) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢/٤٠٧ وقد نشر الكتاب في حيدر أباد الهند في أربعة مجلدات عام ١٣٨٤هـ .

(٨) لا زال مخطوطا ومنه نسخ في أيا صوفيا والقاهرة .

(٩) كتاب الأمثال نشره مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بمكة بتحقيق د . عبد المجيد قطامش .

(١٠) حقق في كلية الشريعة بمكه رسالة ماجستير عام ١٣٩٢هـ حققه محمد تجاني جوهري .

(١١) نشر عدة مرات منها نشره بتحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني .

الذهبي وقال لم أره))[1]، وكتاب الأموال[2] ، وهو من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده[3]
وقد انتقد الخطيب البغدادي هذا الكتاب بقوله ((ان أضعف كتب أبي عبيد كتاب الأموال يجيء الى باب فيه ثلاثون حديثا وخمسون أصلا عن النبي صلى الله عليه وسلم فيجيء بحديث بحديثين يجمعهما من حديث الشام ويتكلم في ألفاظهما))[3] ووجه انتقاد الخطيب على كتاب الأموال أنه لم يحصر الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم في الباب الذي يبحثه ، ومن المعلوم أن أبا عبيد قليل الرواية للحديث كما قال الحربي[4] ، والا فانه قد امتدح هذا الكتاب في نفس ترجمة أبي عبيد وذلك بقوله ((وكتابه في الأموال من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده))[5]

منهج أبي عبيد في كتاب الأموال[6] :

يشمل هذا الكتاب مجموعة من المباحث الفقهية المتعلقة بالأموال وجباية موارد الدولة الاسلامية والوجوه الشرعية لنفقاتها . وقد قسمه الى ثمانية كتب ، والكتاب ينقسم الى مجموعة من الأبواب وقد مهد لهذه الكتب ببعض المباحث التي تعتبر بمثابة مدخل أو مقدمة الى موضوعات الكتاب مثل حق الامام على الرعيه وحق الرعية على الامام وصنوف الأموال التي يليها الأئمة للرعية[7] .

---

(١) أنظر سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٩١ وقد ترجم له الذهبي في كتابه معرفة القراء الكبار ١ / ١٤١ .
(٢) طبع مرارا بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي وطبعة أخرى بتعليق محمد خليل هراس.
(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢ / ٤١٢ .
(٤) تقدم قوله قريبا .
(٥) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢ / ٤٠٥ .
(٦) اعتمدنا في الدراسة على الطبعة التي حققها وعلق عليها الدكتور محمد خليل هراس ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، ودار الفكر العربي بالقاهرة .
(٧) أنظر كتاب الأموال ص ١٠ ، ١٤ .

وموضوعات الكتاب الرئيسية هي :-

١ - كتاب الفيء ووجوهه وسبله .

٢- كتاب سنن الفيء والخمس والصدقه وهي الأموال التي تليها الأئمة للرعية .

٣- كتاب فتوح الأرضين صلحا وسننها .

٤- كتاب فتوح الأرضين صلحا وأحكامها وسننها وهي من الفيء .

٥- كتاب مخارج الفيء ومواضعه التي يصرف فيها .

٦- كتاب أحكام الأرضين في اقطاعها واحيائها وحماها ومياهها .

٧- كتاب الخمس وأحكامه وسننه .

٨- كتاب الصدقه (١) وأحكامها وسننها .

ويلاحظ أن بين بعض هذه الكتب تداخلا في العناوين ومن الممكن ضم بعضها الى بعض وطريقة أبي عبيد في تسيير المادة العلمية أنه يضع عنوان الكتاب أو الباب ثم يبدأ بعده بسرد الأحاديث والآثار عن الصحابة والخلفاء الراشدين بأسانيدها ويعقب على الأخبار بايضاح مدلولها (٢) ويشرح ما فيها من الغريب (٣)، ويورد مذاهب الفقهاء (٤) في القضية موضوع البحث ويستدل لهم ويرد عليهم حتى يقرر المسألة ويقطع فيها برأي محدد ، وفي بعض الأحيان يقدم بعد وضع اسم الكتاب أو الباب الحكم الذي يذهب اليه (٥) ثم يورد الأدلة على ذلك الحكم من القرآن ومن السنة وبقضايا الخلفاء الراشدين (٦) والصحابة وبقضايا عمر بن عبد العزيز وبأقوال العلماء وفتاويهم (٧) ويبين وجوه الأدلة (٨) ويعللها (٩) ويتعقب

---

(١) أي الزكاة وقد أفاض فيها وبين مقاديرها في كل نوع من الأموال التي تزكى .المواشي والثمار وعروض التجارة من ص٤٣٧-٧٢٩ .

(٢) أنظر الصفحات ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٨٣، ٢٩٧، ٣٣٧ .

(٣) أنظر ص٤٦، ٥٩، ٧٢، ٧٤، ١٤٤، ٢٠٠، ٢٢٠، ٢٤٥، ٢٦٤ .

(٤) أنظر ص٤٥١، ٤٦٧، ٤٦٠-٤٦١، ٥٠٠-٥٠٥، ٥١٠-٥١٤، ٥٢٦-٥٢٧، ٥٩٧ .

(٥) أنظر ص١٤١، ١٦٥، ٢٦٢ .

(٦) أنظر الصفحات ٦٩، ٧١، ٩٠، ٢٤٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٤٤-٣٤٥، ٤٢٦، ٤٥٢ .

(٧) أنظر الصفحات ٣٢٣، ٣٢٤، ٤٢٤، ٥٠٩، ٥١٦ .

(٨) " " ٣٣٧، ٤٢٤، ٤٢٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥٦٨-٥٧٥ .

(٩) " " ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٥٥-٢٥٩ .

الأقوال ويرجح بعضها . وينقد الأسانيد ويبين عللها .(١) ويستعمل لنظر ويرجع لهلكنه يقدم النص عليه .(٢) ويحافظ على نصوص الأحاديث والآثار فاذا شك في كلمة قال أو شبهها واذا كان الشك منه قال شك أبو عبيد ـ(٣) واذا كان من غيره يسميه .(٤) واذا كان النص طويلا فانه يقتصر على موضع الشاهد ويشير الى أنه أقتصر على جزء منه بقوله . ثم ذكر حديثا طويلا .(٥) واذا لم يورد الكلام بنصه يوضح ذلك بقوله . . . كلام هذا معناه .(٦) ويرجع الى بعض الوثائق والسجلات .(٧) وبعض الأحاديث والأقوال يمليها من حفظه ويبين ذلك .(٨) ويعتذر عنها اذا نسيها .(٩) وهذا يدل على مبلغ تقدمه في التصنيف ودقته في نقل الأقوال والأحاديث .

وأسانيده التي روى عن طريقها الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة والخلفاء الراشدين مثل أسانيد غيره من الفقهاء وأصحاب السير تحتاج الى دارسة وتدقيق لمعرفة أحوال رجالها ومدى اتصالها من عدمه . لأن غالب أسانيد الفقهاء وأصحاب السير مرسلات .(١٠) وموقوفات .(١١) ومعضلات .(١٢)

---

(١) أنظر نماذج منها في الصفحات ٤٢٨ ، ٤٢٦ ، ٤٥٣ ، ٤٥١ ، ٥٠٥ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٦٠٦ - ٦٠٧ ، ٦٢١ ، ٦٥٣ ، ٦٦٩ .

(٢) أنظر الصفحات ٤١٥ ، ٥٤٢ ، ٥٤٦ ، ٥٥٩ ، ٧٠١ .

(٣) " " ١١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٩٣ ، ٤٠٠ .

(٤) ص ٤١٤ .

(٥) أنظر ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ١٠٥ ، ١٨٣ ، ٢٠٩ ، ٢٤٣ ، ٣٢١ ، ٦٩٢ .

(٦) ص ٢٧٦ ، ٦٣٠ .

(٧) أنظر ٢٢٣ ، ٢٥٢ .

(٨) ص ٣٣٧ .

(٩) أنظر ١٠٧ ، ١٤١ .

(١٠) الحديث المرسل هو ما سقط من آخر سنده من بعد التابعي ، شرح نخبة الفكر ٦٦ " .

(١١) الحديث الموقوف هو ما انتهى سنده الى الصحابي " شرح نخبة الفكر ١١٩ " .

(١٢) الحديث المعضل هو ما سقط من سنده اثنين فصاعدا على التوالي " شرح نخبة الفكر ٦٩ " .

والجديد في منهج أبي عبيد هو بروز شخصيته وبيان رأيه وتأويله للنصوص التي تخالفه ومناقشته للعلماء والرد عليهم وترجيحه للمسائل وقوة استدلاله مما كان يفتقد عند كثير من معاصريه اذ يختفون وراء الأسانيد ويكتفون بايرادها دون التدخل في مناقشتها والترجيح بينها . فهو أوضح من أبي يوسف رغم أن أبا يوسف من مدرسة الرأى ، وموضوع كتابي أبي يوسف وأبي عبيد واحد الا أن طريقة المعالجة تختلف فأبو يوسف كان مع بيانه للموارد المالية للدولة الاسلامية يركز على الوسائل التي تساعد على استقرار النظام المالي مثل اقامة العدل من أخذ الأموال من حقها وصرفها في مستحقها وتنفيذ الحدود الشرعية ،أما أبو عبيد فانه ركز على بيان الأحكام الشرعية في جباية موارد الدولة الاسلامية ومصارفها دون أن يجعل نصب عينيه انحرافا معينا يريد علاجه .

وما قلناه عن كتاب الخراج وأثره في الكتابة التاريخية يمكن أن يقال هنا عن كتاب الأموال لأبي عبيد .

التاريـــخ العـــام :

سلك المؤلفون في التاريخ العام منهجين متقاربين في ترتيب كتبهم فطائفـــة اتخذت التنظيم الموضوعي مع مراعاة الترتيب الزمني في سوق الموضوعات سواء في تواريـــخ الأمم السابقة أو التاريخ الاسلامي بعد البعثة النبوية .

وطائفة أتبعت التنظيم الموضوعي في تاريخ ما قبل البعثة النبوية لعدم وجود تاريـــخ زمني ثابت ومستر ولكنها اذا جاءت للتاريخ الاسلامي رتبت أحداثه حسب السنوات الهجرية وهو المعروف بالتاريخ الحولي ، حيث يسرد حوادث كل سنة هجرية على حدة . ثـــم التي تليها وهكذا ، مرتبة على التسلسل الزمني دون النظر الى التسلسل الموضوعـــي وقد سلك كل واحد من المنهجين مجموعة من المؤرخين المسلمين .

وسندرس مثلين من كل نوع ممن عاشوا في الفترة الزمنية موضوع البحث .

فمن الذين اتبعوا الترتيب الموضوعي نأخذ أبا حنيفة الدينوري وأحمد بن اسحاق اليعقوبي ، ومن المنهج الحولي نأخذ خليفة بن خياط ، ومحمد بن جرير الطبري .

أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢ هـ) :

هو العلامة ذو الفنون أحمد بن داود بن وتند (١) الدينوري النحوي . كان لغويا مهندسا منجما حاسبا . أخذ عن البصريين والكوفيين (٢) وأكثر أخذه عن ابن السكيت (٣). مات سنة ٢٨٢ هـ (٤) ولم أقف على تاريخ مولده أو عمره . له من المؤلفات كتاب النبات وقد أثنى عليه العلماء بسببه (٥) وكتاب الأنواء ، وكتاب الجبر والمقابلة ، وكتاب القبلة والزوال ، وكتاب الأخبار الطوال وكتاب الشعر والشعراء ، وكتاب ما يلحن فيه العامة (٦).

قال ابن النديم : ثقة فيما يرويه ويحكيه (٧).

وقال أبو حيان : أبو حنيفة الدينوري من نوادر الرجال جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب له في كل فن ساق وقدم ورواء وحكم (٨).

وقال الذهبي ((صدوق كبير الدائرة طويل الباع ألف في النحو واللغة والهندسة والهيئة وأشياء)) (٩)، فهو واسع الثقافة مشارك في كثير من العلوم حتى عده بعضهم من كبار علماء المذهب الحنفي (١٠).

---

(١) أنظر ، ياقوت ، معجم الأدباء ٣ / ٢٦ ((وجده وتند بفتح التاء وإسكان النون))

(٢) ابن النديم ، الفهرست ص ٨٦ .

(٣) هو شيخ العربية يعقوب بن إسحاق ابن السكيت البغدادي النحوي مؤلف كتاب إصلاح المنطق ، دين خير ، حجة في العربية ، قتله المتوكل سنة ٢٤٤ هـ ((أنظر ، الذهبي سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٦ .

(٤) ياقوت ، معجم الأدباء ٣ / ٢٦ والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٣ / ٤٢٢ وابن كثير ، البداية والنهاية ١١ / ٧٢ ، وقد ذكر ياقوت روايات أخرى في تاريخ وفاته كلها متقاربة .

(٥) ابن النديم - الفهرست ٨٦ .

(٦) أنظر فهرست ابن النديم ص ٨٦ ومعجم الأدباء ٣ / ٣٢ وقد طبع من كتبه كتاب الأخبار الطوال . وأجزاء من كتاب النبات كما قال الزركلي في الأعلام ١ / ١٢٣ ، وبقية كتبه لا نعلم عنها شيئا .

(٧) الفهرست ٨٦ . (٨) ياقوت ، معجم الأدباء ٣ / ٢٨

(٩) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٤٢٢ .

(١٠) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٣ / ٤٢٢ .

ومن خلال قراءتي للكتاب التاريخي ((الأخبار الطوال)) تبين أنه تخرجه عن فارسيه مع ميول شيعيه .

منهجه في كتابه الأخبار الطوال (١) :

يبدأ كتاب الأخبار الطوال بالحديث عن أولاد آدم عليه السلام وأنهم تفرقوا في الأرض بعد أن كثروا ووقع بينهم التنازع ثم يذكر الأنبياء الى اسماعيل عليه السلام باشارات موجزة ثم يدخل في التاريخ الفارسي فيؤرخ لملوكهم ويذكر من كان يعاصرهم في جزيرة العرب وفي بلاد الروم خاصة الاسكندر الروماني . ويسترسل في التاريخ الفارسي ويورد معلومات مفصلة وواسعة عن التاريخ الفارسي اذا قورنت مع ما يورده بقية المؤرخين المسلمين . وهو يذكر تاريخ المناطق المجاورة من خلال هذا التاريخ ويشير اشارة موجزة في أسطر الى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعثته وعدد سنوات لبثه في مكه والمدينة ثم وفاته . (٢)

ثم لا يذكر شيئا من تاريخ الخلفاء الراشدين ولا الأحداث الداخلية في جزيرة العرب مثل حروب الرده وانما يذكر الفتوحات الاسلامية في بلاد فارس دون غيرها من الفتوحات في الشام ومصر والمغرب . ويتتبع الأحداث في بلاد الفرس حتى سقوط أخر ملوكهم " يزدجرد " ومقتله في سنة ٣٠ هـ . (٣) وبعد ذلك يلتفت للأحداث والفتن المؤلمة التي وقعت بين المسلمين فيتتبعها بنفس طويل (٤) وتفصيل عجيب فيذكر مقتل عثمان وبيعه على

---

(١) اعتمدنا في الدراسة على الطبعة التي حققها عبد المنعم عامر ونشرتها وزارة الارشاد القومي بمصر في سلسلة تراثنا سنة ١٩٦٠ م .

(٢) أنظر الأخبار الطوال ٧٤ .

(٣) الأخبار الطوال ص ١٤٠ وغيره من المؤرخين يجعلون مقتله سنة ٣١ هـ ، أنظر الطبري ٤ / ٢٩٣ ، والبداية والنهاية ٧ / ١٥٨ .

(٤) بلغت ١٨٤ صفحة من الكتاب من ص ١٤١-٣٢٤ .

ابن أبي طالب في اشارة موجزة ثم يفصل في معركة الجمل وصفين وظهور الخوارج ومقتل علي على أيديهم وبيعة الحسن ومقتل الحسين ويفصل في ذلك تفصيلا دقيقا ثم يتعرض للحديث عن دعوة عبد الله بن الزبير ، وفتنة المختار بن أبي عبيد وثورة ابن الأشعث وثورات الخوارج المتعددة ، ودور المهلب بن أبي صفرة في حربهم ويذكر الخلفاء الأمويين من خلال الأحداث الداخلية في الدولة الاسلامية ثم يؤرخ لظهور الدعوة العباسية وتعاظمها حتى سقوط الدولة الأموية ثم يؤرخ للخلفاء العباسيين حتى وفاة المعتصم بن الرشيد سنة ٢٢٧ هـ ويقف عند هذا التاريخ مع أنه قد عاش الى سنة ٢٨٢ هـ .

وموارد أبو حنيفة الدينوري في كتابه هذا غير واضحة كثيرا لأنه لا يستعمل الاسناد ولا ينص على غالب مصادره وانما قال في أول كتابه " وجدت في كتب أهل العلم بالأخبار الأولى "(١) ثم يسرد الكتاب في أسلوب قصصي متماسك وعبارة واضحة . وعند بداية كل موضوع جديد يستعمل كلمة "قالوا" أي أهل العلم الذين وجد هذه الأخبار في كتبهم .

وأشار اشارات بسيطة الى أسماء بعض من أخذ عنهم فأشار الى عبيد بن شريه الجرهمي صاحب كتاب الملوك وأخبار الماضين بقوله " وذكر عن ابن الشريه "(٢) وأشار الى عالم نسابه هو ابن الكيس النمري(٣) . بقوله " وذكر عن ابن الكيس النمري أنه قال .."(٤) كما نقل عن الكلبي(٥) ، وعن الأصمعي(٦) ، وعن الشعبي(٧) . وأكثر من صرح بالنقل عنه الهيثم بن عدي(٨) فقد صرح باسمه في عشرة مواضع ، وتعليقاته على الأخبار التي يسوقها قليلة جدا(٩)

---

(١) الأخبار الطوال ص ١ .

(٢) نفس المصدر ص ٧ .

(٣) هو مالك بن عبيد بن شراحيل من ولد النمر بن قاسط عالم بالنسب وله كتاب في ذلك ((أنظر ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٢ ، الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر تحقيق عبد السلام هارون .

(٤) الأخبار الطوال ص ٧ . (٥) نفس المصدر ٣٢٠ .

(٦) نفس المصدر ص ٢٨٨ ، ٢٢٦ . (٧) نفسه ص ٢٨٨ ، ٢٨٦ - ٢٩٠ .

(٨) أنظر ص ٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ .

(٩) نفسه ص ٢٠ ، ٢٤ .

وترجيحه وموازنته بين الأخبار معدوم [١]، وهو يكتفي بذكر رواية واحدة يختارها ولا يشير الى خلافها . ولذلك وقع في بعض الأخطاء مثل قوله ان الاسكندر الروماني هو ذو القرنين الرجل الصالح الذي ذكر الله قصته في القرآن الكريم [٢]، ومثل قوله ان شعيب صاحب موسى هو شعيب النبي ، ولم يذكر الخلاف في ذلك مع أن الراجح تغاير شخصيتهما [٣] وكذلك قوله ان الذي صلبه اليهود وألقى شبه عيسى عليه هو يحى بن زكريا النبي [٤].

وبعض الأخبار يجتزئ منها ثم يقول ان ذلك حديث مشهور [٥]، وفي أخبار الأنبياء يحيل على الآيات القرآنية لا يورد نصها [٦]. ويستشهد بالأشعار كثيرا .

ويذكر في بعض السنوات أسماء من توفي فيها [٧]. وفي خلافة هارون الرشيد خرج على القاعدة التي سار عليها في ترتيب كتابه فساق أحداث خلافته على أساس الترتيب الحولي فيذكر ما صار في كل سنه [٨]، ويحدد غالبا عند ما يذكر وفاة أحد الخلفاء وخاصة العباسيين مدة خلافته وتاريخ ولادته وعمره .

وطريقة الدينوري هي انتقاء بعض الأحداث وبعض الروايات التي تخدم اتجاهه . والتركيز عليها ومتابعتها حتى تنتهي وخاصة في تاريخ الدولة الاسلامية ولذلك سمى كتابه الأخبار الطوال . فهو مجموعة أخبار منتقاة لا تاريخا شاملا . كما أنه يمثل الاخباريين الذين يكثر في كلامهم الخلط والتزيد على أصول الحوادث والأخبار مع عدم التحقيق ، أو ذكر الاسناد على الأقل . لتتضح الرؤية للناقد والمحقق بعدهم .

---

(١) لم أجد له الا مثالا واحدا في ص ٤٠٢ .

(٢) وهما مختلفان فذو القرنين رجل صالح عادل موحد وهو متقدم في الزمن والاسكندر المقدوني روماني وثني وزيره الفيلسوف أرسطاليس وهو الذي قتل دارا بن دارا الملك الفارسي وخرب أرضه ((أنظر تفسير ابن كثير ٥ / ١٨٥ ، والبداية والنهاية ٢ / ١٠٢-١٠٦ .

(٣) أنظر عن ذلك تفسير ابن كثير ٦ / ٢٢٨-٢٢٩ .

(٤) أنظر تفسير ابن كثير ٢ / ٣٩٦-٤٠١ ويحيى بن زكريا نبي بنص القرآن ((يا يحى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا)) وهو متقدم على عيسى فان عيسى آخر أنبياء بني اسرائيل وانما الذي صلب أحد حوارييه وقيل الرجل الذي دلهم على مكان عيسى عليه السلام .

(٥) الأخبار الطوال ص ٥٨ ، ١١٢ ، ١٢٨ ، ٤٠٥ . (٦) نفسه ٢ ، ١٦ ، ٢١ .

(٧) نفسه ٣١٦ . (٨) نفسه ص ٣٦٠-٣٦٢ .

والذى ينظر للتاريخ الاسلامى من خلال كتاب الأخبار الطوال لا يجد الا صورة قاتمة من الصراع الداخلى والتطاحن على الملك والعصبية ، ولا نتهم الدينورى باختراع الأخبار من عند نفسه لكن طريقة العرض والانتقاء كان لهما الدور فى رسم مثل هذه الصورة وكتاب الأخبار الطوال للدينورى غير واضح التأثير فى الكتابة التاريخية لاقتصاره على اتجاه واحد هو الاتجاه الشعوبى كما أن المؤرخين من بعده لم يحلوه بمنزله رفيعة كما فعلوا بتاريخ خليفة بن خياط رغم وجازته واختصاره أو تاريخ أبو جعفر الطبرى لذلك نجد الاقتباسات عنه فى المصادر المتأخرة قليلة .

اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ أو ٢٩٢) :

هو أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي مولى بني هاشم مؤرخ شيعي امامي كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية حتى لقب بالكاتب العباسي وتاريخ مولده غير معروف أما وفاته فقد ذكر ياقوت أنها سنة ٢٨٤هـ (١) ، وقال غيره سنة ٢٨٢هـ ، ورجح الزركلي في الأعلام أن وفاته كانت بعد سنة ٢٩٢هـ (٢) وذلك متابعة لناشر الطبعة الثانية من كتاب التاريخ لليعقوبي (٣) بناء على نص وجده في كتاب البلدان له (٤) .
واليعقوبي رحالة جغرافي جاب البلدان الاسلامية وكتب عنها وقد ساعدته خبرته العملية التي اكتسبها من الرحلات والسفر ومن العمل في دواوين الدولة من جمع معلوماته وتنظيمها في مؤلفاته التي كتبها وهي كتاب البلدان وهو من أقدم المؤلفات في الجغرافيا التاريخية عند المسلمين ، وكتاب أخبار الأمم السالفة ، وكتاب تاريخ اليعقوبي (٥) وكذلك رسالة صغيرة بعنوان ((مشاكلة الناس لزمانهم)) (٦) وكتابه في التاريخ ينقسم الى قسمين :-

القسم الأول في التاريخ القديم وقد تحدث فيه عن بدء الخليقة ، آدم عليه السلام

---

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ٥/١٥٤ . (٢) الزركلي ، الاعلام ١/٩٥ .
(٣) أنظر الاعلام ١/٩٥ والطبعة الثانية صدرت في النجف سنة ١٣٥١ ولم أقف عليها .
(٤) أنظر النص المشار اليه في كتاب البلدان ص ٢٧٢ ط ليدن سنة ١٨٩١م ضمن كتاب الاعلاق النفيسة لأحمد بن عمر بن رسته والنص من تعليقات الناشر منسوبا لليعقوبي يقول فيه لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة ٢٩٢هـ تذكرت ما كان فيه آل طولون في مثل هذه الليلة من الزي الحسن بالسلاح وملونات البنود والأعلام ، فاعترتني لذلك فكرة ونمت في ليلتي فسمعت هاتفا يقول . ذهب الملك والتملك والزينه لما مضى بنو طولون .
(٥) طبع في ليدن سنة ١٨٦٠م وفي النجف سنة ١٣٥١هـ وفي بيروت عن دار صادر .
(٦) طبعت في دار الكتاب الجديد في بيروت بتحقيق وليم ملورد ، والرسالة تبحث في تشبه الناس وتقليدهم لخلفائهم لكنه يبالغ في هذه الناحية ويذكر أمورا عظاما عن خلفاء بني أميه وبني العباس دون أن يذكر مستندا له ، ونشك في واقعيتها وهو غير ثقه بل شيعي غال في تشيعه .

وأولاده من بعده حتى عهد نوح وحدوث الطوفان ثم ساق تاريخ الأنبياء على ترتيب بعثتهم الى عيسى بن مريم ، ومعلوماته عن تاريخ الأنبياء اعتمد فيها على القصص الشعبي والاسرائيليات اليهودية والنصرانية ، وقد نقل من التوراة مباشرة (١) ومن الأناجيل التي بأيدي النصارى في عهده (٢) وساق اختلافاتها في ولادة المسيح عيسى بن مريم ، ولم يعتمد على القرآن الكريم ولا السنة النبوية اللذين هما المصدر الصحيح السالم من التحريف والتزيد وانما أشار اشارات مبطلة بمثل قوله عن سليمان ((وأتاه ملكا عظيما كما قص في كتابه العزيز)) (٣) وقوله عن مريم ((فكان من خبرها ماقصه الله عز وجل)) (٤)

وبعد ذكر الأنبياء تحدث في ايجاز عن تاريخ الممالك التي قامت في الزمن القديم مثل السريانيين والبابليين والهنود واليونانيين والروم والفرس والصين وممالك الجربي في أرمينيه والخزر وممالك الصين والقبط بمصر والبربر والحبشه والسودان وممالك العرب في اليمن والشام والحيره ، ثم ذكر ولد اسماعيل وتسلسلهم ثم ذكر أخبارا عن حكام العرب والذين يرجع اليهم وشعراء العرب وأسواقهم وأزلامهم ،

وحديثه عن هذه الممالك يجمع بين القصص التاريخي والوصف الجغرافي مع التركيز على الناحية الدينية ونوع دياناتهم وعن تاريخهم الذي يؤرخون به وعلى مالديهم من علوم وحكمه وما اختصوا به من ذلك ويستطرد في ذكر مؤلفاتهم والموضوعات التي بحثتها خاصة عند اليونان (٥) والهنود (٦) .

---

(١) أنظر تاريخ اليعقوبي ١/٣٦ .

(٢) أنظر ١/٦٨ وذكر أسماء الأناجيل التي نقل منها وهي انجيل متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا ١/٦٦ و ٧٢ و ٧٥ على التوالي .

(٣) تاريخ اليعقوبي ١/٥٧ ، ٦٠ . (٤) نفسه ١/٦٨ .

(٥) ذكر مؤلفات ابقراط ثم ساق محتوياتها من ١/٩٥-١١٤ ثم كتب جالينوس وسقراط وأقليدس ١/١١٤-١٤٢ .

(٦) أثنى على الهند وعلمائها ثم ذكر أبواب كتاب كليلة ودمنه وقام بتفسيرها من ١/٨٨-٩٥ .

وقد عرض ذلك باعجاب وإكبار لما عند القوم من علوم الحكمة والفلسفة،[1] وقد صرح بمصادره في تاريخ فارس[2] وانتقدها وذكر مصادره في تاريخ الصين[3] .

أما القسم الثاني من الكتاب فهو يبدأ من مولد النبي صلى الله عليه وسلم . فذكر سيرته ومغازيه وسراياه في اجمال موجز مركز ، وقد سرد أخبار التاريخ الاسلامي على حسب توالي الخلفاء ، فذكر الحوادث الهامة في حياة كل خليفة وقد ذكر في مقدمة هذا القسم من تاريخه شيئا من منهجه ، فقال ((ألفنا كتابنا هذا على ما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء والرواة وأصحاب السير والأخبار والتاريخات ولم نذهب الى التفرد بكتاب تصنفه لكنا ذهبنا الى جمع المقالات والروايات لأنا وجدناهم قد اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمال))[4] فكأنه أراد أن ينتقي على هواه من مجموع ما وصله ولم يكلف نفسه بذكر رواياتهم واختلافاتها ومحاولة الترجيح ليكون القارئ على بينة من كيفية الترجيح ومعرفة بالروايات وأسماء رواتها وانما اختار هو وسجل اختياره .

وقد سمى مصادره في هذا القسم من الكتاب وهم أحد عشر اخباريا ومنجمان[6] أثنان هما موسى الخوارزمي المنجم ، وماشاء الله الحاسب ، وقد أخذ عنهما الطوالع والنجوم التي يذكرها عند تولي كل خليفة أو وفاته وعند ولادة كل شخص عظيم أو وفاته كما فعل عند

---

(١) وهذا يدل على اتجاهه الفكري وتأثره بهذه العلوم الفلسفيه .

(٢) تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨ . (٣) نفس المصدر ١/١٨٠ .

(٤) نفس المصدر ٢/٥ . (٥) نفس المصدر ٢/٦ .

(٦) نفس ٢/٦ .

(٧) أنظر أسماءهم في مقدمة الجزء الثاني من تاريخه ٢/٦ وهم من الاخباريين الضعفاء باستثناء عبد الملك بن هشام وأبو حسان الزيادي وعلي بن محمد المدائني ، فاسحاق ابن سليمان لا يعرف حاله ، وأبو البختري كذاب متروك وأبان بن عثمان الأحمر من رجال الشيعة ومصنفي الامامية ، والواقدي متروك وعيسى بن يزيد بن داب منكر الحديث متروك والهيثم ابن عدي كذاب ، ومحمد بن كثير شيعي منكر الحديث ، وأبو معشر ضعيف ، فهؤلاء هم مصادره الذين صرح بهم وهو لا ينص القول عنهم وليس بثقة في نفسه بل شيعي امامي رافضي كما تبين من كتابه .

ولادة الحسين بن علي وعند مقتله وكذلك بقية الأئمة الاثنا عشر عند الشيعة الامامية (١) وقد اعتنى بابراز وفياتهم وذكر جمل من أقوالهم وحكمهم ، أما تاريخ الفترة التي عاصرها فقد يأخذ عن مصادر مباشرة نذكر بعضها (٢) ، ومن عادته أن يذكر في ترجمة كل خليفة من كان أكثر حظوة عنده ومن هو صاحب شرطته كما يقدم قوائم بأسماء من أقاموا الحج للناس وقوائم بأسماء الفقهاء والعلماء الذين كانوا في عهد الخليفة ويحرص على ذكر اسم أم الخليفة وعدد أولاده ويسميهم ، كما أنه يذكر الحوادث الشاملة كالمجاعات والأمراض والزلازل . وقد اقتصر اهتمامه في التركيز على تاريخ الخلافة في المشرق ولم يذكر الدولة الأموية في الأندلس

عقيدة اليعقوبي :

عرض اليعقوبي تاريخ الدولة الاسلامية من وجهة نظر الشيعة الامامية فهو لا يعترف بالخلافة الا لعلي بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة ويسمي علي بالوصي . وعندما أرخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يضف عليهم لقب الخلافة وانما قال تولى الأمر فلان . . ثم لم يترك واحدا منهم دون أن يطعن فيه وكذلك كبار الصحابة فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أخبارا سيئة (٣) وكذلك عن خالد بن الوليد (٤) وعمرو بن العاص (٥) ومعاويه بن أبي سفيان (٦) . وعرض خبر السقيفة عرضا مشينا (٧) ادعى فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي بن أبي طالب الذي هو الوصي في نظره . وبلغ به الغلو الى أن ذكر أن قول الله تعالى ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٨-٢١٥ ، ٢١٥-٢٢٨ ، ٢٤٣-٢٤٦ ، ٢٨١-٣٢١ ، ٤١٤-٤١٥ ، ٤١٥ .

(٢) نفس المصدر ٢ / ٤٠٨ و ٤٥٢ و ٤٧٧ .

(٣) نفس المصدر ٢ / ١٨٠-١٨٢ .

(٤) نفس المصدر ٢ / ١٣١ .

(٥) نفس المصدر ٢ / ١٢٢ .

(٦) نفس المصدر ٢ / ٢٢٢ ، ٢٣٨ .

(٧) نفس المصدر ٢ / ١٢٣-١٢٦ .

دينا))[1] قد نزلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم النفر[2]، وطريقته في سياق الاتهامات هي طريقة قومه من أهل التشيع والرفض وهي اما اختلاق الخبر بالكلية[3] أو التزيد في الخبر[4] والاضافة عليه أو عرضه في غير سياقه ومحله حتى يتحرف معناه.

ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتهم في كتابه البلدان بأنها الدولة المباركة[5] مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقيه وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابة التاريخ الاسلامي وهو مرجع لكثير من المستشرقين الذين طعنوا في التاريخ الاسلامي وسيرة رجاله . مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية اذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبيه ويفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي .

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٢ .

(٣) مثل القول الذي نسبوه للمقداد بن الأسود في وصف علي ٢ / ١٦٣ ومثل الخطبة المكذوبة على أبي ذر في مسجد رسول الله وفيها التصريح بأن علي بن أبي طالب الوصي على الخلافة ٢ / ١٧١ ومثل خطبة مالك بن الأشتر أمام علي رضي الله عنه والذي زعموا أنه وصفه بأنه وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء، أنظر ٢ / ١٧٩ .

(٤) مثل زياداته في خطبة داود بن علي عندما بويع للسفاح بالكوفة، أنظر ٢ / ٣٥٠ وقارن بالطبري ٧ / ٤٢٦ .

(٥) اليعقوبي، كتاب البلدان ص٣٠٢ .

" أصحاب الحوليات "

خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ)[1] :

هو خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العصفري[2] التميمي أبو عمرو البصري الملقب بـ ((شباب)) كان جده خليفة من أهل الحديث الثقات[3]، وكذلك والده خياط كان من أهل الحديث حيث قد روى عنه ابنه[4] ، وقد نشأ خليفة في هذا الوسط العلمي ، وفي مدينة البصره التي كانت في ذلك الوقت من أكبر المراكز العلمية ، وقد اهتم الى جانب الحديث بالتاريخ والسير وأيام الناس ، روى عن أبيه وعن زياد بن عبدالله البكائي ويزيد ابن زريع واسماعيل بن عليه ويحي القطان وابن مهدى ومعتمر بن سليمان وابن عيينة وهشام الكلبي وعلى بن محمد المدائني[5] .

وروى عنه البخارى ، وأبو يعلى الموصلي وعبدالله بن الامام أحمد والدارمي وحرب الكرماني وبقي بن مخلد القرطبي[6] .

قال ابن عدى ((له حديث كثير وتاريخ حسن وكتاب في الطبقات ، وهو مستقيم الحديث صدوق من متيقظى رواة الحديث))[7] وذكره ابن حبان في الثقات وقال ((كان متقنا عالما بأيام الناس وأنسابهم))[8]

قال الذهبي ((حدث عنه البخارى بسبعة أحاديث وأزيد في صحيحه))[9] وقال ((كان صدوقا نسابة عالما بالسير والأيام والرجال ، وثقه بعضهم ، . ولينه بعضهم بلا حجة))[10]

---

(١) قدم الدكتور أكرم ضياء العمرى دراسة وافية عن حياه خليفة في مقدمة كتابه التاريخ وكذلك في الطبقات.

(٢) بضم العين وسكون الصاد وضم الفاء ، والعصفر نبت تصبغ به الثياب ، (أنظر الرازى مختار الصحاح ٤٣٧ . (٣) أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢ / ١٦١ .

(٤) أنظر ابن أبي حاتم الجرح والتعديل ٢ / ٤٠٥ . (٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١ / ٤٧٢ .

(٦) نفس المصدر . (٧) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٢ / ١٦١ . (٨) نفس المصدر .

(٩) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١ / ٤٧٣ لكن قال ابن حجر في التهذيب ٢ / ١٦١ لم يحدث عنه البخارى الا مقرونا واذا حدث عنه مفردا علق أحاديثه .

(١٠) نفس المصدر .

منهجـــــه :

كتب ابن خياط كتابين في التاريخ أحدهما في الطبقات والآخر في التاريخ العـــام وهو معتبر من رجال الحديث ورواته ، ومعلوم دقة التزامهم بالاسناد خاصة في العصر الـذى عاش فيه خليفة ، وقد فرق ابن خياط في منهجه في الكتابين ففي كتاب الطبقات أهمـــل الاسناد واكتفى بتقديم قائمة مصادره في أول الكتاب[1] بينما التزم الاسناد في كتاب التاريخ ، وان كانت أسانيده ليست كلها من قبيل الصحيح المتصل وانما فيها ارسال وانقطاع واعضال وفي رجاله المجهولين والضعفاء الذين لا يحتج بروايتهم عند أهل الحديث ، ويرجع الدكتور أكرم ضياء العمري هذا التغاير في منهج خليفة الى أن التساهل في أسانيد الأخبـــار مما تعارف عليه المحدثون ، كما أن غلبة الانساب على مادة الطبقات تجعل التساهل فـــي الاسناد مقبولا اذ أن مجال التلاعب وأثر الأهواء يتقلص كثيرا في مادة قوامها الأنســـاب وسني الوفيات في حين يقوى ذلك في الأخبار ذات المساس بالعقائد الدينية والميــــول السياسية . ومن هنا نجد أن خليفة يعنى بذكر الاسناد في تاريخه أكثر من الطبقـــات))[2] وقد وضح خليفة فـــي مقدمة كتاب التاريخ شيئا من مفهومه للتاريخ وأنه يعني التوقيـــت وأن له فوائد شرعية مثل معرفة وقت الصيام والحج وعِدَد النساء وحلول الديون الى أشياء أخرى . وبعد أن بين كيفية حدوث التاريخ عند الناس بدأ بذكر ولادة الرســــــول صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم هو الأساس الحقيقي لوجود هذه الأمـــــة الاسلامية فانها بدعوته تكونت وبهجرته بدأ تاريخها . وقد رتب كتابه على السنوات مبتـدأ من السنة الأولى وحتى سنة ٢٣٢هـ . وكأنه أراد بذلك أن يسجل تاريخ الأمة الاسلاميـــة

---

(١) خليفة - كتاب الطبقات ص ٢ (ط ٢ دار طيبة - الرياض ١٤٠٢هـ) .

(٢) خليفة كتاب التاريخ ص ١٥ (ط ٢ - دار القلم - بيروت ١٣٩٧هـ) .

(٣) المصدر السابق ص ٥١ .

من أوثق المصادر التي وصلته ، والتزم منهجا من أدق المناهج العلمية في التوثيق وذلك بتوضيح مصادره وحرصه على الاسناد بذكر سلسلة الرجال الذين حملوا الخبر التاريخي حتى انتهائه اليه .

وقد غلب على خليفة بن خياط اهتمامه بعلم الحديث ورغبته في خدمته . فنجده يذكر في نهاية كل سنة وفيات العلماء والمشهورين ، فيركز على الصحابة رضي الله عنهم - والمشتغلين برواية الحديث النبوي ، لما لذلك من فوائد في علم الحديث وهي معرفة اللقاء والتعاصر ، كما أن كتابه الطبقات - موضوع أساسا لخدمة علم الحديث الشريف .

استعمل خليفة الاسناد الجمعي بكثرة ،(١) وأورد معلومات تاريخيه بدون اسناد وخاصة قوائم أسماء الموظفين والعاملين في الادارة الذين يذكرهم بعد نهاية حكم كل خليفة مثل حكام الأقاليم والقضاه وكتاب الديوان والخراج وامراء الحج . وقوائم من استشهد في المعارك . لكنه يلتزم الاسناد في المغازي النبوية وفي الأحداث الداخلية المهمة مثل مقتل عثمان رضي الله عنه وموقعتي الجمل وصفين وموقعة الحره وثورة ابن الأشعث . ففي مقتل عثمان بن عفان مثلا ذكر مجموعة من الروايات المسنده عن رجال معروفين تتفق كلها مع الصورة العامة لمجتمع الصحابة وسلامة قلوبهم ومع المكانة اللائقة بهم وأنهم استعدوا جميعا للدفاع عن الخليفة فلم يكن أحد منهم معرضا على قتله أو راغبا فيه ولكنه - رضي الله عنه - منعهم من ذلك وعزم عليهم أن يكفوا أيديهم ويخرجوا من عنده وأن لا يريقوا دما من أجله .

كما أنه قدم معلومات موجزة لكنها وافيه عن الفتوح الاسلامية في عصر الراشدين والعصر الأموي ، وهو لا يعنى بالتفصيلات كثيرا ولا تتبع أسباب الحوادث ولا نتائجها وانما يكتفي بعرض الحادثة ذاتها(٢) وبعض الأخبار يشير اليها اشارة ولا يذكرها مثل قوله ((ولهم حديث

---

(١) أمثلة ذلك في كتاب التاريخ ص/١١٨ ، ١٢١ ، ١٤٢ ، ١٦١ ، ١٨٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٦٨ ، ٢٨٢ .

(٢) من أمثلة ذلك مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ص ٢٢٤ .

بطول ذكره)) أو ((لهم حديث نذكره نكره))[1] ، كما أن نقده للأخبار قليل جداً[2]
وفي الفترة التي عاصرها فانه أورد المعلومات التاريخية موجزة ، ويكاد يقتصر في بعض
السنوات على ذكر الوفيات دون الأحداث ، ونلاحظ أن ثورات الخوارج والطالبيين قد
أخذت شيئا من اهتمامه بينما أهمل أحداثا ذات آثار فكرية واتجاهات سياسية مثل فتنة
القول بخلق القرآن ، رغم أن له موقفا مشرفا فيها حيث وقف الى جانب قاضي البصرة أحمد
ابن رياح الذي تولى قضاء البصرة سنة ٢٢٢ عندما شكته المعتزلة .[3]

يعد كتاب التاريخ لخليفة بن خياط من أقدم ما وصلنا من الكتب التاريخية المرتبة
على النظام الحولي وعلى الرغم من ايجازه فيه الا أن القارئ يستطيع من خلاله أن يرصد
حركة الأمة الاسلامية والاتجاهات التي سارت فيها ، خاصة نشاط الفتوح والجهاد في سبيل
الله ورسالة المجاهد المسلم وحرصه على ادخال الناس في الدين الحق ، وكيف تكون
هذا الكيان الكبير والدولة الاسلامية بمجتمعها المترابط ورقعتها الواسعة .

كما أنه لا يخلو من رصد للحركة الفكرية والاتجاهات الداخلية سواء أكان ذلك ايجابيا
أو سلبيا ، وهو يقدم معلومات موثقة بعبارات موجزة واضحة في دقة وأمانة علمية دون محاباه
لأحد أو تأثر بنظرة حزبيه ، وكتابته التاريخية بعيدة عن الحشو والمبالغة ومن أسلوب القصص
والأيام .

---

(١) نفس المصدر ١٨ ، ٨٨ ، ١٩٢ ، ٤٤٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ .

(٣) وكيع - أخبار القضاة ٢ / ١٧٥ .

محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) :

هو الامام المجتهد أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري البغدادي [١] ، ولد سنة ٢٢٤هـ . حفظ القرآن في بلده آمل [٢] بطبرستان ثم رحل في طلب العلم سنة ٢٣٦هـ وعمره ١٢ سنة فلم يزل طالبا للعلم مولعا به الى أن مات [٣] ، وقد أكثر الترحال ، ولقي نبلاء الرجال ، ثم استقر به المقام في بغداد حتى توفي سنة ٣١٠هـ وصفه الخطيب البغدادي بقوله ((كان أحد أئمة العلماء ، يحكم بقوله ، ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، فكان حافظا لكتاب الله ، عارفا بالقراءات ، بصيرا بالمعاني ، فقيها في أحكام القرآن ، عالما بالسنن وطرقها ، صحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين عارفا بأيام الناس وأخبارهم)) [٤] .

ويقول فيه الناقد الذهبي : كان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف ، قل أن ترى العيون مثله)) [٥] وقال في موضع آخر ((كان ثقة صادقا حافظا رأسا في التفسير ، اماما في الفقه والاجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ، عارفا بالقراءات وباللغة وغير ذلك)) [٦]

وكان رحمه الله عف النفس كريما ، وقد كانت له مواقف مع بعض الخلفاء والوزراء [٧] فلم يقبل صلاتهم وهداياهم ولا ماعرضوا عليه من المناصب . ورضي بالكفاف من العيش وزهد في

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٦٢/٢ .
(٢) آمل بضم الميم واللام اسم أكبر مدينة بطبرستان في السهل لأن طبرستان سهل وجبل وقد خرج منها كثير من العلماء لأنهم قلما ينسبون الى غير طبرستان يقال لهم الطبري أنظر ياقوت ، معجم البلدان ٥٧/١ ط دار الكتاب العربي ببيروت .
(٣) ابن حجر ، لسان الميزان ١٠٢/٥ . (٤) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق : ١٦٢/٢ . (٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٤ .
(٦) نفس المصدر ٢٧٠/١٤ .
(٧) أنظر سير أعلام النبلاء ٢٧١/١٤-٢٧٥ ولسان الميزان ١٠١/٥-١٠٢ .

الدنيا ورغب عنها وقنع بما كان يرد عليه من حصته في ضيعة يسيرة خلفها والده بطبرستان .(١)

وقصر حياته على طلب العلم وكان حصورا لا يعرف النساء.(٢) ولذلك كثرة تصانيفه وطال نفسه فيها فكتابه جامع البيان من أطول التفاسير وأشملها حتى قال في وصفه والثناء عليه أبو حامد الاسفراييني ((لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرا))(٣)

وكتابه تاريخ الرسل والملوك من أوسع كتب التاريخ وأغزرها مادة وكذلك يصف العلماء كتابه ((تهذيب الآثار))(٤) بأنه لم يصنف مثله ولا يستطيع أحد ذلك .

عقيدته :

محمد بن جرير الطبري من كبار علماء الأمة ومجتهديها حسن المذهب والاعتقاد ثقة في علمه وقد نقل الذهبي جملا من كتابه التبصير في معالم الدين)) لكي يدل على سلامة عقيدته ثم عقب على ذلك بقوله ((وهذا تفسير هذا الامام مشحون في آيات الصفات بأقوال السلف على الاثبات لها لا على النفي والتأويل وانها لا تشبه صفات المخلوقين أبدا)).(٥)

وقال في موضع آخر من ترجمته ((كان ابن جرير من رجال الكمال وشنع عليه بيسير تشيع وما رأينا الا الخير وبعضهم ينقل عنه أنه كان يجيز مسح الرجلين في الوضوء ولم نر ذلك في كتبه .(٦)

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٤/٢٧٤ .

(٢) ابن حجر ، لسان الميزان ٥/١٠٢ .

(٣) الذهبي ، المصدر السابق ١٤/٢٧٢ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ١١/١٤٥ وأنظر مقدمة تهذيب الآثار بقلم الشيخ عبدالله بن حميد ص ص ض من الجزء الأول الطبعة السعودية .

(٥) الذهبي ، المصدر السابق ١٤/٢٨٠ .

(٦) نفس المصدر ١٤/٢٧٧ والذي يرى هذا الرأي هم الشيعة الامامية الاثنا عشريه ولعل من نسب له هذا قد اختلط عليه الأمر بسبب تشابه اسمه مع اسم أحد الروافض، وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري كما سيأتي .

وللامام الطبري رسالة في بيان عقيدته[١] يقرر فيها صحة خلافة الخلفاء الراشدين وأن ترتيبهم في الفضل هو حسب ترتيبهم في الخلافة[٢]. وهذا هو مذهب أهل السنة وقد تكلم بعضهم في عقيدة الطبري وأنه يرى رأي الرافضة لكن هذا حصل بسبب اللبس في شخص آخر من علماء الامامية ومصنفيها يدعى ((أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري))[٣] فقد وافقه في كنيته وفي اسمه واسم أبيه ولقبه وعاصره ولا يفترقان الا في اسم الجد. ولهذا ترجم لها الذهبي في الميزان وفي سير أعلام النبلاء وكذلك ابن حجر في لسان الميزان بعد ترجمة الامام الطبري مباشرة ونبها لغلط من غلط في ذلك حتى قال ابن حجر ((ولو حلفت أن السليماني ما أراد الا الآتي - أي ابن رستم - لبررت ، والسليماني رجل حافظ متقن كان يدري ما يخرج من رأسه فلا أعتقد أنه يطعن في مثل هذا الامام بهذا الباطل))[٤] وقد قرأت - والحمد لله - كتابه في التاريخ بكامله ولم أر فيه شيئا ما يؤيد قول من قال ان فيه تشيعا .

منهجه في الكتابة التاريخية :

صنف الامام أبو جعفر الطبري كتابا حافلا في التاريخ البشري- وهو من كبار علماء الشريعة وأئمة الفقهاء متضلعا في كثير من العلوم مثل التفسير والقراءات والعربية ومذاهب الفقهاء ، والسير والأخبار - لذلك كان كتابه ((تاريخ الرسل والملوك)) منبئ عن هذه الثقافة الواسعة :

---

(١) طبعت في بومباي على الحجر سنة ١٣١١ هـ وطبعت مرة أخرى بتحقيق الشيخ عبد الله ابن محمد بن حميد بمكة سنة ١٣٩٤ هـ ضمن المجموعة العلمية السعودية .

(٢) المجموعة السعودية ص ١٠٤ .

(٣) أنظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٣/٤٩٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٤/٢٨٢ ، ولسان الميزان ٥/١٠٣ وطبقات أعلام الشيعه ٢٥٠-٢٥٢ ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء قول عبد العزيز الكتاني فيه ((هو من الروافض صنف كتبا كثيرة في ضلالتهم له كتاب الرواة عن أهل البيت وكتاب المسترشد في الامامه .

(٤) أنظر لسان الميزان ٥/١٠٠ .

وقد بدأ أبو جعفر كتابه بمقدمة عن الكون - الزمان والليل والنهار والسموات والأرض والشمس والقمر - وعن ابليس وما كان فيه من نعمه وكيف أنه كفر وأفسد، وعن خلق آدم وما صار عليه حتى أهبط الى الأرض (١).

ثم بدأ بالتاريخ للبشرية منذ هبوط آدم الى الأرض وما كان في عهده وعهد أبنائه من أحداث. وجعل تاريخ الأنبياء هو المنطلق لتاريخ الانسانية فيذكر النبي ومن يعاصره من الأمم والملوك، فعرض التاريخ الاسرائيلي من خلال ذكره لأنبيائهم كما أعطى معلومات واسعة عن التاريخ الفارسي وعقد مقابلة بين تاريخ مدة أيامهم وأيام تاريخ بني اسرائيل (٢).

أما تاريخ الروم فلم يذكر منه الا ما كان له علاقة بأرض النبوات - العراق والشام والجزيرة العربية - فهو يذكر قصة الاسكندر ومن ملك أرض الشام منذ رفع عيسى عليه السلام الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم (٣).

أما تاريخ العرب: فقد ذكره مفرقا من خلال تاريخ الأنبياء مثل هود وصالح عليهما السلام ومثل ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ومثل سليمان بن داود ومن خلال تاريخ الملوك والجبابرة (٤) من الفرس والروم وأعطى معلومات عن قريش ومن جاورها عند ذكره ولادة رسول الله ونشأته حتى بعثته وهجرته.

ومصادر الطبري (٥) فيما ذكر من تاريخ الرسل والملوك والأمم قبل البعثة النبوية هي القرآن الكريم وأقوال علماء التفسير التي يرويها عنهم بالأسانيد وأقوال من سماهم أهل

---

(١) أنظر تاريخ الطبري ١/٦٠-١٢٦ ط دار المعارف بمصر.

(٢) تاريخ الطبري ١/٥٧١.

(٣) لم يذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه معلومات ذات بال عن تاريخ الفراعنة أو الصين أو الترك.

(٤) تاريخ الطبري ١/٥٥٨-٥٦٠، ٥١٤-٥٦٧، ٦٠٩، ٦٢٢-٦٢٣، ٢/٨٨-٩٠، ٩٥-٦٨، ٢١٢-٢١٨.

(٥) كتب الدكتور جواد علي بحثا طويلا عن موارد تاريخ الطبري نشره في مجلة المجمع =

العلم بأخبار الماضين وأمور الأمم السالفين " مثل محمد بن اسحاق ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام ووهب بن منبه . ومحمد بن كعب وعبيد بن شريه . كما أن بعض الأخبار في تاريخ الفرس كان يوردها بدون اسناد فربما كان يأخذ من كتب القوم مباشرة - ومن المعروف أن الترجمة كانت قد انتشرت - ولم أره صرح بذلك وقد اكتفى الطبري في هذا القسم بأصول الحوادث ولم يبحث في تفصيلاتها ، اما خشية اطالة الكتاب (١) أو لعدم الثقة في صدق هذه التفصيلات نظرا لطول العهد ودخول التحريف وعدم اتصال الأسانيد وقد يكون لعدم أهميتها في نظره .

أما القسم الثاني : فقد خصصه لتاريخ المسلمين . ورتب حوادثه على النظام الحولي ابتداء من السنة الأولى الهجرية حتى سنة ٣٠٢ هـ ويختلف حجم الحوليات لديه بحسب كثرة وقوع الحوادث فيها وأهميتها وبلوغ أخبارها اليه فيطيل ويقصر حسب ذلك فبعض الحوليات لا تعد أسطرا (٢) ، وبعضها صفحة أو صفحتين (٣) ، وبعضها صفحات طويلة (٤) ، وطريقته في سرد أحداث كل حولية ليست على نسق واحد فمرة يذكر الحدث التاريخي ثم يبدأ في ذكر تفصيله والروايات فيه ومرة يذكر جملة الأحداث التي كانت في هذه الحولية ثم يعود اليها ويفصلها ، فان كان في تحديد زمن وقوعها خلاف بين الرواة فانه يذكره ، ثم يختم الحوليه بذكر بعض من توفي فيها من المشهورين وليس هذا مضطردا أما الذي لا يكاد يتركه في ختام كل حوليه فهو ذكر من أقام الحج للناس وأسماء الولاه على الأقاليم ، وفي الحوليات التي أعقبت هدوء حركة الفتوح نراه يحرص على ذكر أخبار المرابطين في الثغور للجهاد ، خاصة مع الروم ، ويسمي من أغزى الصائفة وابن شتى المسلمون ؟

= العراقي على ثلاث حلقات في العدد الأول من سنة ١٩٥٠ والثاني من سنة ١٩٥١ والجزء الأول من سنة ١٩٥٤ ولنا ملاحظات على بعض ما كتب وسيأتي بعضها .

(١) ولعل فيما رواه الخطيب في تاريخ بغداد ٢/١٦٢ من قصة أبي جعفر في املاء كتابيه التفسير والتاريخ وأنه قدر حجم كل واحد منهما بثلاثين ألف ورقة ثم اختصره الى ثلاثة آلاف ورقة ما يؤيد هذا التفسير .

(٢) أنظر الحوليات ٢٥ ، ٢٧٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠٠ .

(٣) أنظر الحوليات ١٩ ، ٢٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٧٠ ، ١٢٢ ، ١٥٢ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨١-١٨٥ ، ٢٧١-٢٧٧ ، ١٩٤-١٩٦ ، ٢٠١ .

(٤) يزيد بعضها على مائة صفحة مثل الحوليات ١١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، وبعضها يتراوح بين =

ويسمى الحصون والقلاع التى فتحوها ولا يفصل فى ذلك الا نادرا ، وقد ركز الطبرى اهتمامه في الفترة العباسية على أخبار المشرق وبلاد الحجاز والشام ، أما مصر وشمال أفريقيا والأندلس فلم يتعرض لها الا لماما . ولم يذكر عن الأمارة الأموية الا اشارة عابره عند تأسيسها (١) .

والطبرى يضع عناوين للحوادث التى يذكرها ويحرص على ذكر السبب فى كل حادث ويستطرد فى ذكر التفصيلات والحواشى المصاحبة للحادث ثم يعود الى الموضوع الرئيسى الذى يعنون له . ويذكر القارئ بقوله . نعود الى سياق خبر كذا وكذا أو سياق خبر فلان أى راوى الخبر . واذا كان الحادث يستغرق أكثر من حوليه فانه يجزئه على حسب تاريخ وقوعه وهذا قد يفقد الحادثة ميزة الترابط ويسبب تشويشا للقارئ ، واذا ذكر وفاة خليفة من الخلفاء ، فانه يذكر سبب وفاته ويسوق الروايات في ذلك ثم يذكر جملا من أحواله وأقواله وكأن هذا العمل ترجمة لحياته ويطيل فى بعضها . كما فعل فى تراجم الخلفاء الراشدين ومعاويه بن أبى سفيان وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز والمنصور والمهدى رضى الله عنهم . ومصادر الطبرى فى هذا القسم كثيرة ومتعددة فقد استوعب رحمه الله غالب المؤلفات التى سبقته وأدخلها فى كتابه وكان فى ذلك خيرا كثيرا ، اذ شاء الله أن يضيع الكثير من المصادر الأولى وتفقد ويبقى كتاب الطبرى موسوعة حافظة لها فلقد ضاعت مؤلفات المدائنى التى تزيد على خمسين ومأتى كتاب ومؤلفات عمر بن شبه وسيف بن عمر وأبو مخنف ومحمد بن السائب الكلبى وابنه هشام والواقدى والشعبى والأصمعى وأبو عبيدة وعوانه بن الحكم والهيثم بن عدى ومؤلفات ابن اسحاق فى غير السيرة النبوية وغيرهم كثير .

= السبعين والخمسين مثل ٢ ، ٤ ، ٦ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٦٤ ، ٦١ ، ٢٥١ .

(١) تاريخ الطبرى ٧/٥٠٠ فى حوادث السنة ١٣٩ .

وكان يروى هذه المؤلفات بالأسانيد الى مؤلفيها ، كما أضاف لها مئات الروايات التى أخذها عن شيوخه ومعاصريه .

فقد اعتمد في السيرة النبوية على محمد بن اسحاق بن يسار وأخذ مغازيه من رواية سلمة بن الفضل (١) من طريق شيخه محمد بن حميد الرازى (٢) ، ولم يأخذ من رواية زياد بن عبدالله البكائى لسيرة ابن اسحاق شيئا رغم أنها هى التى اشتهرت وقام بتهذيبها ابن هشام ، أما راوية ابن اسحاق الآخر يونس بن بكير فقد أخذ الطبرى من طريقه روايات معدودة ، وكان يعارض روايات ابن اسحاق برواية محمد بن عمر الواقدى وابن سعد صاحب الطبقات ، وبعض الروايات التى أخذها من طريق علماء الحديث والتفسير . ومن الملاحظ أنه لم يرو فى السيرة النبوية عن كتابها الأوائل مثل أبان بن عثمان وشرحبيل بن سعد وموسى بن عقبه ، أما عروة بن الزبير وعاصم بن عمر بن قتادة فقد روى عنهما من طريق ابن اسحاق (٣) .

---

(١) هو سلمة بن الفضل الرازى الأبرش أبو عبدالله الأنصارى قاضى الرى ، قال فيه جرير ابن عبدالحميد ليس من لدن بغداد الى أن تبلغ خراسان أثبت فى ابن اسحاق من سلمة بن الفضل ، وقال يحى بن معين ثقة . قد كتبنا عنه كان كيسا ، مغازيه أتم . ليس فى الكتب أتم من كتابه . وقال أبو حاتم ، صالح فى حديثه انكار ليس بالقوى ، يكتب حديثه ولا يحتج به ." أنظر الجرح والتعديل ٤/١٦٨-١٧٠ وقال فى التقريب ١/٣١٨ صدوق كثير الخطأ .

(٢) محمد بن حميد بن حيان الرازى من شيوخ الطبرى فى التاريخ والتفسير وروى مغازى ابن اسحاق من طريقه وهو حافظ مكثر من الحديث والرواية وقد روى عنه أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد بن حنبل ويحي بن معين وقال فيه يحى . ثقة لا بأس به رازى كيس. وقال ان الأحاديث المنكرة التى يحدث بها ليست من قبله انما هى من قبل الشيوخ .أما البخارى فقال فى حديثه نظر، وقال يعقوب بن أبى شيبه ابن حميد كثير المناكير. وقال النسائى ليس بثقه ، وقال الجوزجانى . ردى المذهب غير ثقه . وكان ابن خزيمه لا يروى عنه وقال أبو حاتم الرازى ضعيف جدا واتهمه بتعمد الكذب. ((أنظر تهذيب التهذيب: ٩/١٢٧-١٣١) وقال فى التقريب ٢/١٥٦ حافظ ضعيف

(٣) وليس بجيد ما قاله الدكتور أحمد محمد الحوفى بأن الطبرى قد عول فى السيرة النبوية على مؤلفات أبان ابن عثمان بن عفان وعروه بن الزبير وشرحبيل بن سعد وموسى بن عقبه ... (أنظر كتابه الطبرى ص ١٠٨) ويظهر أنه تابع جواد على فى دراسته لموارد الطبرى فى تاريخه ، أنظر العدد الأول من مجلة المجمع العلمى العراقى لسنة ١٩٥٠م ص ١٨٢ =

أما في حروب الردة والفتوح في عهد الخلفاء الراشدين فقد قدم رواية سيف بن عمر التميمي واعتمدها وأضاف لها رواية علي بن محمد المدائني التي أخذها من طريق أبو زيد عمر بن شبه . وفي بعض الأحيان يروي عن المدائني مباشرة بقوله ((قال المدائني)) كما روى في هذا القسم عن ابن اسحاق والواقدي وابن سعد وهشام الكلبي ومن طريقه عن أبي مخنف وروى عن أبي مخنف بدون واسطة بقوله ((قال أبو مخنف)) ، أما في أخبار الفتنة في عهد عثمان ومقتله رضي الله عنه فقد أعتمد على الواقدي وقدم روايته وأخذ يكملها بروايات أخرى عن سيف بن عمر وعن ابن شبه وابن اسحاق وغيرهم رغم أنه انتقد رواية الواقدي وذكر أنه أعرض عن كثير منها .(١)

وفي معركة الجمل اعتمد على رواية سيف بن عمر وعمر بن شبه وأكملها بروايات عن أحمد ابن زهير ابن أبي خيثمة وهشام الكلبي وأبي مخنف وغيرهم وفي معركة صفين قدم رواية أبي مخنف وأكملها بروايات أخرى . عن سيف بن عمر وثلاث روايات فقط عن نصر بن مزاحم العطار .(٢)

= لأننا لم نجد لكل من أبان وشرحبيل وموسى بن عقبة رواية عند الطبري في السيرة النبوية خاصة وقدم روايته عنهم في السيرة النبوية مع أن لهم روايات في ذلك ومدونات خاصة موسى بن عقبة الذي بقي كتابه الى أعصر متأخره لاأعرف له سببا وقد يرد احتمال أنها لم تصل اليه .

(١) أنظر التاريخ ٤/٣٥٦ حيث قال ((فأما الواقدي فانه ذكر في سبب مسير المصريين الى عثمان ونزولهم ذا خشب أمورا كثيرة منها ما قد تقدم ذكره . ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة مني لبشاعته .

(٢) مع أن لنصر بن مزاحم كتابا عن وقعة صفين أطال فيه الحديث عن هذه الموقعة وهو من علماء الشيعة الامامية ومؤلفيها ، وكتابه هذا نشر في طهران من سنة ١٣٠١ ثم أعيد نشره في القاهرة بتحقيق عبد السلام هارون ، وهذا يدل على أن الطبري رغم توسعه ينتقي في رواياته ويتحرى .

وفي تاريخ بني أميه أعتمد على مجموعة من الرواه والاخباريين كل حسب اهتمامه ، ففي أخبار الحجاز أخذ عن الواقدي وابن شبه وفي أخبار الخوارج أخذ عن أبي عبيده معمر ابن المثنى وعن أبي مخنف وروى خبر مقتل الحسين عن أبي مخنف وعوانه وهشام الكلبي . وفي الفتوح عن المدائني وسيف بن عمر . وفي الأخبار المتعلقة بالبصره أخذ من عمر بن شبه . وفي أخبار الخلافة والخلفاء أخذ عن عوانه بن الحكم وهشام الكلبي . وابن سعد والواقدي . والشعبي . وفي قوائم أمراء الحج وولاة الأقاليم وأخبار المرابطين والغزاة أخذ عن أبي معشر والواقدي .

وفي تاريخ بني العباس اعتمد على المدائني وعمر بن شبه وأحمد بن زهير بن أبي خيثمة والواقدي والهيثم بن عدي .

وفي الفترة التي عاصرها من التاريخ العباسي يقل استعماله للاسناد . وكان يجمع الأخبار من مصادر متنوعة فتراه يروي عن الخدم [١] وعن المغنين [٢] . وعن الكتاب والمؤلفين والقادة [٣] ، وعن من اشترك في الأحداث وعايشها [٤] أو كان قريبا منها وقد استعمل الاسناد الجمعي بقله [٥] ، أما نقده للأخبار ومناقشته للروايات وترجيحه فليس بالكثير [٦] ويذكر النقد والترجيح صراحة وقد

---

(١) تاريخ الطبري ٨/١٥٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٨/١٠ (٥-٢١٥ ، ٩/٢٢٤ ، ٦/٢٥٥ .

(٣) " " ٨/٤٨٤ ، ٥١٢ ، ٦١٥ ، ٦٤٤ .

(٤) " " ٩/٤١٣ و ٤٨٦ و ٥٢٥ و ٥٢٨ .

(٥) " " ٢/٢٤٧ و ٢/٢٦٧ و ٦/١٧٨ و ٦/٢١٤ و ٢٧١ و ٣٠٥ ، ٣٢٤ .

(٦) أنظر نماذج لذلك في ١/١٤٨ ، ١٥٤ ، ٢٧٦ ، ٢/٤٨١ ، ٣٨٧ ، ٤/٢٨٣ ، ٣٦٥ ، ٥٤٧ ، ٥٥٧ ، ٥/٦١ ، ٥/١٧٣ ، ١٨١ ، ٦/٨٤ .

يشير اشارة ، وطريقة عرضه لبعض الأحداث وملاحظاته عنها تعكس حكما تاريخيا عليها ! (١)

مميزات كتاب الطبري :

تاريخ الطبري يمثل بحق قمة التأليف التاريخي عند المسلمين في القرون الثلاثة الأولى ، من حيث الشمول الزماني والمكاني ، واطالة النفس في بسط الأحداث ومحاولة الاحاطة بكافة جوانبها وأيضا من حيث المنهجية العلمية وذلك بنسبته الأقوال الى أصحابها مع استقامة النظرة التاريخية واعطاء صورة متكاملة عن حياة الأمة في دقة وأمانة بعيدا عن النظرات الضيقة والأهواء الحزبية ..

ويمتاز كتاب الطبري بطول الفترة الزمنية التي يغطيها وبسعة معلوماته وتعدد مصادره . كما يمتاز بجمعه لروايات المؤرخين والأخباريين الذين سبقوه وحفظه لذلك حيث فقدت رسائلهم الصغيرة وبقى كتابه الموسوعي ، ولم يقتصر على روايات الاخباريين المشهورين بل أضاف لها مئات الروايات التي أخذها عن شيوخه وخاصة علماء التفسير والحديث ، ومن أهم مميزاته حفاظه على الاسناد ونسبة الأقوال الى أصحابها وبذلك يتمكن الباحث من معرفة قيمة هذه الرواية بواسطة نقد اسنادها ومعرفة مافيه من علل . ومن المعلوم أنه ليس كل رواية في الطبري صحيحه لأنه لم يلتزم ذلك بل صرح بأنه يذكر روايات فيها نكارة وشناعة ولكن ذلك ليس من قبله وانما هو من قبل الرواه الذين ذكرهم وسطهم ونسب الأقوال لهم (٢) وهذا منهج معلوم متبع عند علماء الحديث وغيرهم حيث يذكرون مايبلغهم ويسوقون سنده فالصحيح يؤخذ وغير الصحيح يعرف . فلم يكن الطبري بذلك العمل مغفلا أو جاهلا عندما

---

(١) أنظر نماذج لذلك في ٣٢٤/٧ و ٤٢٤/٩ و ٥٩٤ و ٥٩٥/١٠ و ١٠٠ .

(٢) أنظر ذلك في مقدمة كتابه ٧/١ - ٨ .

يورد مئات الروايات عن الضعفاء والمتروكين لكنه يتبع منهجا مرسوما عند أهل العلم ولا يلزم من ايراد أخبار المتروكين والضعفاء وتدوينها في كتاب من الكتب الاحتجاج بها .. فانك ترى في عبارات أهل الجرح والتعديل : ((يروى حديثه ولا يحتج به)) ((يذكر حديثه للاعتبار)) ويذكر حديثه للمعرفة)) ولذلك لا يكفي في المنهج العلمي السليم الاحالة على الطبري أو غيره من الكتب المسنده دون الحديث عن سند الرواية . لأن من أسند فقد برئ من العهدة وعطلك .

ومن مميزاته - وقد رتبه على السنين - تمكين الباحث من ملاحظه الأطوار التي مرت بها الأمة الاسلامية في بنائها الحضاري ومعرفة حالات الضعف والقوة التي مرت بها ، وملاحظة ارتباط هذا بحركة الجهاد في سبيل الله والالتزام بشريعته ، فكلما كانت الأمة ملتزمة بشريعة الله مجاهدة في سبيله كانت قويه مهيبة وكلما وقع فيها الانحراف وصرف الجهاد في سبيل الله الى الصراع الداخلي والحفاظ على كراسي الحكم ضعفت وأصابها الهوان .

وتاريخ الطبري وان جعل محوره وادارة حوادثه على الخلافة والخلفاء الا أنه لا يخلو من رصد وبيان للاتجاهات الاجتماعية فثورة القراء في العراق وثورة السودان في المدينة وثورات العامة في بغداد والتفافهم حول المطّوّعة والمحتسبين وثورة الزنج والصراع بين العصبيات العربية في البصره وخراسان والشام . والصراع بين العرب والموالي كل هذا ينبئ عن مظالم اجتماعية في الدوله وانحرافا عن الصراط السوي كما يستطيع الباحث ملاحظة الحركات المذهبية ذات الصبغة العسكرية مثل الخوارج والشيعة والخرميه والراونديه والقرامطة والأطوار التي مرت بها في دعواتها ،

وقد أعطى الطبري معلومات اداريه قيمة تتمثل في تقديم قوائم سنويه بعمال الخراج والديوان وامراء الحج وحكام الأقاليم والقضاة .

كما أعطى معلومات عمرانيه عن خطط المدن التي أنشئت في ظل الدولة الاسلامية خاصة بغداد حيث أطال في ذكر عمارتها والاطوار التي مرت بها كما أعطى معلومات عن الأطوار التي مرت بها عمارة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

نظرتـــه للتاريـــخ :

الامام الطبرى من كبار علماء الاسلام ونظرته للتاريخ - أو ما يسمى اليوم بفلسفة وتحليل الحوادث التاريخية - تنبثق من اعتقاده وتصوره الايمانى فهو مؤمن بالله وبأمره ونهيـــه ، وبعدله وبقضائه وقدره ، وبأن له سننا ماضية لا تبديل لها . ومؤمن بحرية الانسان وقدرته على الاختيار ، وأنه مكلف بوظيفة العبودية لله والخلافة فى الأرض ، وعمارتها بشرع اللـــه ومنهجه ، وبأن الله يثيب الطائع المستجيب ويعاقب العاصى الناكث ، ولذلك كانت أحكامه التاريخية على الحوادث تنبثق من هذه النظرة المؤمنة بالله العارفة بشرعه وأحكامه ، كمـــا أن تدوينه لتاريخه على حسب سنى الملوك والرسل - الذين كانت بأيديهم مهمة التوجيـــه وسلطة التنفيذ - هو من أجل أن يساعد على توضيح العبرة للمعتبرين ولكى يجلو للبشريـة واقعهم الذى كان ، صفحة وراء صفحة ويريهم كيفية تحقق سنن الله عليهم ، من نصـــرة المؤمنين المنفذين لشرعه من الرسل وأتباعهم وهلاك الظالمين المعادين لله ولرســـوله يقول الطبرى فى مقدمة كتابه موضحا هذه المعانى ((وأنا ذاكر فى كتابى هذا من ملـــوك كل زمان من لدن ابتدأ ربنا جل جلاله خلق خلقه الى حال فنائهم ، من انتهى الينـــا خبره ، فمن ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمه من رسول مرسل أو ملك مسلط أو خليفة مستخلف ، فزاده الى ما ابتدأه به من نعمة فى العاجل نعما والى ما تفضل به عليه فضلا ، ومن آخر ذلك له منهم وجعله له عنده ذخرا ، ومن كفر منهم نعمة فسلبه ما ابتدأه به من نعمه وعجل له نقمه ، ومن كفر منهم نعمه فمتعه بما أنعم به عليه الى حين وفاته وهلاكه ، مقرونـا ذكر كل من أنا ذاكره منهم فى كتابى هذا بذكر زمانه وجمل ما كان من حوادث الأمور فى عصره وأيامه))(١)

---

(١) الطبرى ، التاريخ ١/٦ .

فيقرر الطبرى رحمه الله فى هذه العبارات الموجزة أن الأمر كله لله والفضل بيده يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير .

وأن الناس أمام نعم الله فريقان - فريق شكر نعم الله فزاد من شاء منهم فى الحياة الدنيا اضافة الى ما ادخره له فى الآخرة ، ومنهم من لم يؤت شيئا من أجره فى الدنيا بل أجل ذلك له الى يوم القيامة.

وفريق كفر فسلب الله من شاء منهم عنه النعم وعجل له النقمة والهلاك اضافة الى ما يناله يوم القيامة .

ومنهم من زاده الله سعة فى الحياة الدنيا رغم كفرانه وهذا من باب الاستدراج له ، وأخر عذابه الى يوم القيامة .

فهذه هى فلسفة الطبرى ونظرته للتاريخ[(١)] أوضحها فى مقدمة كتابه وهى نظرة مستمدة من القرآن الكريم وما قصه الله سبحانه وتعالى من قصص الأنبياء والأمم السابقة . وهى نظرة ملحوظة عند كافة المؤرخين المسلمين وان لم يصرحوا بها ويدونوها فى كتبهم ولذلك لا تراهم

---

(١) اعتبر الدكتور جواد على فى بحثه عن موارد تاريخ الطبرى ((مجلة المجمع العلمى العراقى العدد الأول ص ١٧ لعام ١٩٥٠م)) تفسير الطبرى للتاريخ من نوع الدكتاتوريات التى ترى أن التاريخ من عمل الأفراد والأبطال وحدهم وأن التاريخ ما هو الا تاريخ الحكام والسلاطين والمعارك والجيوش لا تاريخ العلماء والشعوب. وفى هذا القول ظلم للامام الطبرى الذى أوضح منهجه ونظرته للتاريخ فى مقدمة كتابه والتى ذكرنا طرفا منها أعلاه كما أنه قد وضح السبب الذى دعاه الى تدوين تاريخه على هذا الأساس (أنظر تاريخ الطبرى ١/٤٧-١٤٨) .

أما الدكتور عبد العزيز الدورى فقد قرر فى كتابه ((بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب)) أن الطبرى يعتبر التاريخ تعبيرا عن المشيئة الالهيه)) وما أدرى ما مقصوده من هذه العبارة . خاصة وأنه قد ذكر فى مواضع كثيرة من كتابه هذا أن الدولة الأمويه قد شجعت الاتجاه الجبرى فى تفسير التاريخ . ((أنظر منها ص٢٢)) حيث يقول ((فنلاحظ التصادم بين فكرة الجبر فى الشؤون العامة كما يروجها الأمويون وفكرة حرية الارادة والمسؤلية البشرية كما ترى الأحزاب المعارضة)) .

يتدخلون في تفسير الحوادث وتحليلها بالطريقة المتبعة عند أصحاب المناهج التاريخية المعاصره ، وانما كان همهم، التدوين والتسجيل للأخبار ، وهم درجات في ذلك فمنهم من التزم بالاسناد وأوضح المصادر ومنهم لا يسند بل يكتفي بايضاح المصادر في أول كتابه ومنهم من لا يسند ولا يوضح المصادر ، كما أنهم درجات في الثقة والنزاهة ولهذا فلا بد لدارس التاريخ أن يلاحظ هذه الأمور ليعرف قيمة مصادره .

ومن المعلوم أن فلسفة المسلمين لحوادث التاريخ تعتمد على المصادر الشرعية القرآن الكريم والسنه الطاهرة ،فمن هذه المصادر الشرعيه يستمدون التصور الصحيح لفلسفة التاريخ وتفسير حوادثه لأنهم يعرفون من هذه المصادر .

- وحدة أصل البشرية .
- التفرقة بين الخالق والمخلوق ومشيئة كل منهما.
- وحدة الرسالات ووظيفة الرسل وأثرهم .
- يؤمنون باليوم الآخر ويؤمنون بالغيب ويحسبون لكل منهما حسابه .
- يعرفون مسؤلية الانسان عن عمله .
- " وظيفة الانسان في هذه الحياة .
- " أهمية النظر في التاريخ العالمي وقيمة التجارب البشرية .
- " أهمية ادراك السنن الربانية .

وهذه كلها فوارق أساسية بين النظرة الاسلامية للتاريخ والنظره الأوربية .. فالنظرة الاسلامية مستمدة من أصول الاسلام ، أما النظرة الأوربية فهي مستمدة من الأفكار والأهواء البشريه والفارق بينهما هو مثل الفارق بين الكفر والاسلام لذا نرى تعدد المدارس والمناهج الفكرية في تفسير التاريخ وتحليله عند القوم، ونراهم يحاولون أن يجدوا في التاريخ تحليلا لنشأة الكون والانسان ولتفسير حركته واتجاهاته، وقد ركزوا مع الأسف في دراساتهم على الفترات التاريخية التي سادت فيها الجاهلية وأهملوا تاريخ الرسل والأنبياء ، ولذلك ضلوا في تفسيراتهم وتحليلاتهم لحركة تاريخ البشرية فلم يستطيعوا أن يدركوا أثر العقيدة والايمان بالله في حياة الناس وتوجيه سلوكهم .

" الفصـــل الثالـــث "

تراجم لبعض الاخباريين والرواه :

في الفصل السابق عرضنا لمناهج مؤرخي القرون الثلاثة الأولى واخترنا أنموذجين من كل فن من الفنون التي شملتها الكتابة التاريخية في هذه الفترة ، ويبقى بعد ذلك مجموعة من الاخباريين والرواه الذين كان لمروياتهم وجهودهم دور في توفير المادة العلمية بما دونوا من رسائل وكتب غالبها مفقود ، لم يبق منها الا مانقل عنهم في مؤلفات الآخرين ، كما كان لهذه المرويات أيضا أثر في توجيه الكتابات التاريخية ، لما يحمله بعض الرواة من اتجاهات فكرية ، ونظرات مذهبية انعكست آثارها على صياغة المرويات ، والتركيز على نوع من هذه الأخبار دون نوع .

وبما أن هذه الرسالة محددة بزمن وحجم معينين فانه ليس بالامكان حصر كل الرواة والاخباريين الذين ساهموا في الكتابة التاريخية في القرون الثلاثة الأولى ، ودراسة مناهجهم ، لذا فاننا سنخصص هذا الفصل لتراجم موجزة لبعض هؤلاء الرواه ، ونحاول - في الترجمة - أن نوضح عقائد الرواة ، واتجاهاتهم ، وأقوال علماء الجرح والتعديل فيهم ، لما للاتجاهات والمذاهب الفكرية من أثر على صياغة المرويات بل وصحتها . وسوف نرتب أسماءهم على حسب حروف المعجم لتيسير المراجعة .

أبان بن عبدالحميد اللاحقي (ت ٢٠٠ هـ) :

أبان بن عبدالحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي اللاحقي ، كان شاعرا ، وقد أهتم بنقل الكتب المنثورة في الأدب الفارسي ونظمها شعرا ، ومما نقل : كتاب كليله ودمنه ، وكتاب سيرة أردشير ، وكتاب سيرة أنوشروان (١) ، وغيرها ، اتصل بالبرامكة وبهارون الرشيد ،

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ١٦٢ .

وله أخبار ومواقف ـ ذكرها صاحب كتاب الأغانى[١] ـ ليست جيدة ولا تدل على ثقته. فالله أعلم بحاله، ولم أجد له ترجمة فى كتب الرجال، وكانت وفاته سنة مائتين للهجرة.[٢]

ابراهيم بن محمد الثقفى (ت ٢٨٣ هـ) :

ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفى، قال أبو نعيم : كان غاليا فى الرفض، وذكره الطوسى فى رجال الشيعة،[٣] وقال : كان زيديا ثم صار اماميا، وقد هجره أخوه ـ على ـ وباينه بسبب الرفض، وله كتب تاريخية منها : كتاب المغازى، وكتاب السقيفة، وكتاب صفين، وكتاب الحكمين، وكتاب مقتل على، وكتاب مقتل الحسين، وقد أرخ الطوسى وفاته سنة مائتين وثلاث وثمانين للهجرة.[٤]

أحمد بن أعثم الكوفى (ت ٣١٤ هـ) :

أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفى، الاخبارى المؤرخ الشيعى، وهو ضعيف عند أهل الحديث،[٥] وصنف كتابا فى الفتوح الى أيام الرشيد،[٦] وكتابا آخر فى التاريخ العباسى

---

(١) أبو الفرج الأصبهانى، الأغانى ٤/٢٢ وما بعدها.
(٢) الأتابكى، النجوم الزاهرة ٢/١٦٧-١٦٨.
(٣) أنظر ترجمته فى ابن حجر : لسان الميزان ١/١٠٢-١٠٣.
(٤) المصدر السابق ١/١٠٣.
(٥) أنظر، ياقوت : معجم الأدباء ٢/٢٣٠، ولسان الميزان ١/١٣٨.
(٦) هذا كما يقول ابن حجر نقلا عن ياقوت، وقد سقطت هذه العبارة من مطبوعة معجم الأدباء، وكتاب الفتوح لابن أعثم طبع فى ثمانية أجزاء عن دائرة المعارف العثمانية ويبدأ الكتاب بذكر خبر السقيفة وبيعة أبى بكر لكن يوجد فيها سقط ثم يذكر حروب الردة والفتوح على عهد الراشدين والأحداث الداخلية والفتوح فى العهد الأموى ويطيل فى هذا كثيرا لأنه يعرض ذلك من وجهة النظر الشيعية، أما العهد العباسى فيوجز فيه ووصل فى كتابه الى أيام المعتصم وسجل وفاته ثم يشير فى أسطر الى خلافة المنتصر والمستعين وبذلك ينتهى الكتاب وكأن كتاب الفتوح قد دمج مع كتاب التاريخ العباسى =

من أيام المأمون حتى آخر دولة المقتدر ؛ قال ياقوت : يوشك أن يكون هذا ذيلا على الأول ، وقال : قد رأيت الكتابين ،(١) وقد طبع كتاب الفتوح لأول مرة على الحجر في الهند سنة ألف ومائتين وسبعين للهجرة ،(٢) ثم أعيد طبعه في دائرة المعارف العثمانية وصدرت طبعته الأولى سنة ألف وثلاثمائة وخمس وتسعين ، وذكر بروكلمان وفاته في حدود سنة ثلاثمائة وأربع عشرة(٣) ولم يوضح مصدره .

أحمد بن ثابت الرازي (ت ٣ هـ) :

أحمد بن ثابت بن عتاب الرازي المعروف بفرخويه ، روى عن عبد الرزاق ، وعمر بن عثمان الرقي ، وعفان ، والنضر بن محمد الجرشي ، وسمع منه أبو حاتم الرازي ، وأبو جعفر الطبري ، قال أبو العباس الطهراني : ((كانوا لا يشكون أن فرخويه كذاب))(٤) ، وهو من شيوخ الطبري في التفسير ، وفي التاريخ ، وأخذ عن طريقه مرويات أبي معشر ،(٥) وأكثر عنه ، حيث بلغت مروياته عنه في التاريخ مواضع مائة وتسعة.(٦)

( ) ربما سقط في آخر المخطوطة لأن ياقوت ذكر أنه رأى الكتابين وأنه وصل فيه الى آخر أيام المقتدر .

(١) المصدر السابق .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ٣/٥٦ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢/٤٤ .

(٥) أنظر - على سبيل المثال - تاريخ الطبري ٤/٦٠ ، ٦٦ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٤١ ، ويروى بهذا الاسناد : حدثني أحمد بن ثابت الرازي قال : حدثت عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر .

(٦) ينظر : فهرس تاريخ الطبري ١٠/٦٦ .

أحمد بن زهير بن أبي خيثمة (ت ٢٧٩ هـ) :

أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب بن شداد المعروف بابن أبي خيثمة الحافظ الكبير ابن الحافظ ، ولد سنة مائتين وخمسة للهجرة (١) ، سمع أباه ، وأبا نعيم ، وعفان ، وأبا غسان النهدي ، وأحمد بن حنبل ، وخلقا غيرهم ، وهو أوسع دائرة من أبيه (٢) ، قال الخطيب : كان ثقة ، عالما ، متقنا ، بصيرا بأيام الناس ، راوية للأدب ، أخذ علم الحديث عن : يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وعلم النسب عن : مصعب الزبيري ، وأيام الناس عن : أبي الحسن المدائني ، وله كتاب : التاريخ ؛ الذي أحسن تصنيفه وأكثر فائدته)) (٣) وقال في موضع آخر - ((لا أعرف أغزر فوائد من كتاب : التاريخ ؛ الذي صنفه ابن أبي خيثمة ، وكان لا يرويه الا على الوجه)) (٤) وذكره الدارقطني فقال : ((ثقة مأمون)) (٥) وكانت وفاته سنة مائتين وتسع وسبعين للهجرة (٦) ، وقد كان من مصادر الطبري في كتابه : التاريخ ، فقد روى عنه في ثمان وستين موضعا (٧) .

أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٠ هـ) :

أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (طيفور) الكاتب ، أحد الشعراء ، والبلغاء ، والرواة ، ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم ، كان مولده سنة مائتين وأربع للهجرة ، وهي السنة

---

(١) ابن حجر : فهرس تاريخ الطبري ١٠ / ١٦٩ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١١ / ٤٩٢ .

(٣) تاريخ بغداد ٤ / ١٦٢ ، ١٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ٤ / ١٦٢ .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١١ / ٤٩٢ .

(٦) تاريخ بغداد ٤ / ١٦٤ .

(٧) ينظر : فهرس الطبري ص ١٠ / ١٧ .

التي دخل فيها المأمون بغداد بعد مقتل أخيه الأمين ، وذكر له ابن النديم نيفا وأربعين كتابا[1] منها : كتاب بغداد ؛ المصنف في أخبار الخلفاء وأيامهم ، طبع منه الجزء السادس[2] عن : أيام المأمون ، ومن كتبه المطبوعة : كتاب بلاغات النساء ، وكانت وفاته سنة مائتين وثمانين للهجرة ، وترجم له الخطيب البغدادي في : تاريخ بغداد[3] ترجمة موجزة ، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، وترجم له ياقوت في : معجم الأدباء[4] ، وذكر له أخبارا ليست جيدة .

أحمد بن محمد البرقي (ت ٢٧٤هـ) :

أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، مؤرخ شيعي ، قتل جده في سجن الكوفة بسبب مناصرته لزيد بن علي ، فانتقل الى (قم) ، واشتغل بالتصنيف في اطار المذهب الشيعي ، ومن كتبه[5] : كتاب التاريخ وأنساب الأمم ، وكتاب الجمل ، وكتاب بنات النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكتاب التبيان في التاريخ ، وهذا الكتاب من مصادر المسعودي في كتابه : مروج الذهب[6] ، وله كتاب الرجال ، وقد طبع في طهران سنة ١٣٨٢هـ ، ورتب كتابه على طبقات حسب أصحاب الأئمة الاثنى عشر ، وختمه بفصل ذكر فيه أسماء الصحابة الذين زعم أنهم أنكروا خلافة أبي بكر وأرادوها لعلي بن أبي طالب[7] ، وقال الحافظ بن حجر في : لسان الميزان : ذكره ابن يونس وقال : كذاب ، وكان يفهم الحديث[8] ، وكانت وفاته في حدود سنة مائتين وأربع وسبعين للهجرة .

---

(١) ينظر قائمة كتبه في فهرست ابن النديم ص ١٦٣ .
(٢) طبعته مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٨٨هـ .
(٣) تاريخ بغداد ٤ / ٢١١ .
(٤) معجم الأدباء ٣ / ٨٧ وما بعدها .
(٥) أنظر قائمة كتبه في الخوانساري : روضات الجنات ١ / ٤٥ ط دار المعرفة - بيروت .
(٦) أنظر مروج الذهب ١ / ١٢ .
(٧) شاكر مصطفى : التاريخ والمؤرخون ١ / ٢٢١ .
(٨) أنظر لسان الميزان ١ / ٢٦٢ ، واسمه عنده ، أحمد بن محمد بن هارون أبو جعفر البرقي .

أحمد بن محمد الهروى (٢٢٤ هـ) :

أحمد بن محمد بن ياسين أبو اسحاق الهروى الحداد ، صاحب تاريخ هراة ، سمع عثمان الدارمى ، وحماد بن المثنى ، قال السلمى : سألت الدارقطنى عن أبى اسحاق ابن ياسين الهروى فقال : شرّ من أبى بشر المروزى وكذبهما [١] ، وقال الادريسى : كان يحفظ ، سمعت أهل بلده يطعنون فيه ولا يرضونه [٢] ، وقال الخليلى : ليس بالقوى ، روى نسخا لا يتابع عليها ، وقد كانت وفاته سنة مائتين وأربع وثلاثين للهجرة [٣].

اسحاق بن بشر البخارى (٢٠٦ هـ)

اسحاق بن بشر البخارى أبو حذيفه ، صاحب كتاب المبتدأ ، كذبه على بن المدينى ، وقال ابن حبان : لا يحل كتب حديثه الا على جهة التعجب ، وقال الدارقطنى : كذاب متروك ، وقال الذهبى : يروى العظائم عن ابن اسحاق وابن جريج والثورى [٤] ، وقال : تفرد الدارابجردى بتوثيق أبى حذيفه فلم يلتفت اليه أحد لأن أبا حذيفة بين الأمر لايخفى حاله على العميان [٥] ، وقد مات ببخارى سنة مائتين وستة للهجرة [٦].

أسلم بن سهل الواسطى (ت ٢٩٢ هـ) :

أسلم بن سهل بن زياد بن حبيب الرزاز أبو الحسن الواسطى المعروف ب (بحشل) لينه أبو الحسن الدارقطنى [٧] ، وقد ألف : تاريخ واسط ، وضبط أسماء أهلها ، ورتب طبقاتهم ، وكان لا مزيد عليه فى الحفظ والاتقان [٨] ،

(١) المصدر السابق ١/٢٦١ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) ابن حجر : لسان الميزان ١/٢٦١ .
(٤) ميزان الاعتدال ١/١٨٤، ١٨٥ .
(٥) الذهبى : ميزان الاعتدال ١/١٨٥ .
(٦) المصدر نفسه ١/١٨٦ .
(٧) ابن حجر : لسان الميزان ١/٣٨٨ .
(٨) ياقوت : معجم الأدباء ٦/١٢٧ .

وقال السلفي : سألت خميس الحوزي عن : بحشل ، فقال : امام ثبت جامع يصلح للصحيح .(١)

وقال أبو نعيم : كان من كبار الحفاظ العلماء(٢) ، وقيد الذهبي وفاته سنة مائتين واثنين وتسعين للهجرة،(٣) أما ياقوت فيرى أنها سنة مائتين وثمانية وثمانين قبلها أوبعدها بقليل،(٤) وكتابه : تاريخ واسط مطبوع متداول .

اسماعيل بن عيسى العطار (٢٣٢ هـ) :

أبو اسحاق اسماعيل بن عيسى العطار البغدادي، روى عن اسماعيل بن زكريا الخلقاني ، والمسيب بن شريك ،وزياد بن عبدالله البكائي ،وروى عن أبي حذيفة -المتقدم- كتاب المبتدأ والفتوح ،(٥) وله من الكتب غير هذا كتاب : الرده ، وكتاب الجمل ،وكتاب الألويه ، وكتاب صفين ، وكتاب حفر زمزم،(٦) وقد ضعفه الأزدي ، ووثقه الخطيب ، وابن حبان ، وأبو حاتم ، وتوفي سنة مائتين واثنين وثلاثين للهجرة.(٧)

الحارث بن أبي أسامه (ت ٢٨٢ هـ) :

الحارث بن محمد بن أبي أسامه التميمي ، سمع علي بن عاصم ، ويزيد بن هارون ، والواقدي ،ومحمد بن سعد ، كان حافظا عارفا بالحديث عالي الاسناد ، لقبه الذهبي بقوله : ((صاحب المسند)) ، وقال : ((تكلم فيه بلا حجة)) ،(٨) وقال الدارقطني : اختلف فيه ، وهو عندي صدوق(٩) ، وقال ابن حزم : ضعيف،(١٠) كما لينه بعض البغادده لكونه

---

(١) ابن حجر: لسان الميزان ١/ ٣٨٨ .
(٢) ابن حجر: لسان الميزان ١/ ٣٨٨ .
(٣) أنظر، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٤ .
(٤) معجم الأدباء ٦/ ١٢٧ .
(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ٦/ ٢٦٢ .
(٦) أنظر،الفهرست ١٢٢ .
(٧) ابن حجر:لسان الميزان ١/ ٤٢٦ .
(٨) الذهبي :ميزان الاعتدال ١/ ٤٤٢ .
(٩) ابن حجر: لسان الميزان ٢/ ١٥٧ .
(١٠) المصدر نفسه .

يأخذ أجرا على الرواية ، [1] ووثقه ابراهيم الحربي والخطيب البغدادي ، [2] روى عنه الطبري في تاريخه وأخذ من طريقه مرويات ابن سعد وكان الحارث قد تتلمذ لابن سعد وروى كتبه ، وبلغت مقتبسات الطبري عن ابن سعد من طريقه حوالي مائة وخمس عشرة قطعة ، [3] توفي سنة مائتين واثنين وثمانين عن ست وتسعين سنة . [4]

أبو حسان الزيادي (٢٤٢ هـ) :

الحسن بن عثمان بن حماد البغدادي الزيادي أبو حسان ، ولد في حدود سنة مائة وستين للهجرة ، [5] وسمع اسماعيل بن جعفر ، وابراهيم بن سعد ، وجرير بن عبد الحميد ، والوليد بن مسلم ، ومحمد بن عمر الواقدي ، والهيثم بن عدي ، وحدث عنه ابن أبي الدنيا ، واسحاق الحربي ، ومحمد الباغندي ، تولى قضاء شرقي بغداد في خلافة المتوكل ، [6] قال الخطيب : كان أبو حسان أحد العلماء الأفاضل ومن أهل المعرفة والثقة والأمانة [7] ، ووصفه الذهبي بقوله : الامام العلامة الحافظ مؤرخ العصر قاضي بغداد [8] ، وقد كانت له خزانة حسنة كبيرة كما يقول ابن النديم ، وله من الكتب : مغازي عروة بن الزبير ، وكتاب طبقات الشعراء ، [9] وله كتاب التاريخ ، وهو تاريخ حسن أمضى زمنا طويلا في جمع مادته ، [10] وقد كان من مصادر تاريخ الطبري [11] والمسعودي ، [12] ومات في رجب سنة مائتين واثنتين وأربعين للهجرة . [13]

---

(١) المصدر نفسه . (٢) الخطيب : تاريخ بغداد ٨/٢١٩ .
(٣) أنظر فهارس تاريخ الطبري ١٠/٢١٥ . (٤) الخطيب : تاريخ بغداد ٨/٢١٩ .
(٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١/٤٩٦ . (٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١/٤٩٧ .
(٧) تاريخ بغداد ٧/٢٥٦ . (٨) سير أعلام النبلاء ١١/٤٩٦ .
(٩) أنظر الفهرست ١٢٢ .
(١٠) يذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ١١/٤٩٧ عن سليمان الطوسي أنه سمع أبا حسان يقول أنا أعمل في التاريخ من ستين سنه .
(١١) أنظر فهارس تاريخ الطبري ١٠/٢٢٢ . (١٢) أنظر مروج الذهب ١/١٣ .
(١٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٧/٢٦٠ وكذا أرخه الطبري في تاريخه ٦/٢٠٨ .

الحسن بن علي الكوفي (ت ٢٢٤ هـ) :

الحسن بن علي بن فضال بن عمرو التيمي مولاهم الكوفي أبو بكر . روى عن موسى بن جعفر وابنه علي بن موسى ، وإبراهيم بن محمد الأشعري ، وروى عنه الفضل ابن شاذان وأثنى عليه ، ومحمد بن عبدالله التميمي ، وابن عقدة وغيرهم ، وهو من مصنفي الشيعة ، وله كتاب الزيارات والبشارات ، والنوادر ، وكتاب الابتداء والمبتدأ [١] ، وله كتاب في تراجم الرجال عند الشيعة [٢] ، ومات سنة مائتين وأربع وعشرين للهجرة [٣] .

ابـــن زنجويـــــه (٢٥١ هـ) :

حميد بن مخلد بن قتيبة الأزدي النسائي ، المعروف بابن زنجويه امام حافظ كبير ، كان مولده في حدود سنة مائة وثمانين للهجرة [٤] ، سمع النضر بن شميل ، ويزيد بن هارون ، ووهب بن جرير ، ومحمد بن يوسف الفريابي ، وحدث عنه أبو داود ، والنسائي ، وإبراهيم الحربي ، والبخاري ومسلم في غير صحيحيهما [٥] ، وقال النسائي : ثقة ، وقال أبو حاتم ((هو الذي أظهر السنة بنسا)) [٦] وكان واسع الرحلة ، حيث ارتحل في آخر عمره ناشرا لعلمه حتى وصل الى مصر ، ثم خرج فأدركته المنية في سنة احدى وخمسين ومائتين [٧] ، وله كتاب الترغيب والترهيب ، وهو مجموعة أحاديث ، وله كتاب في النظام المالي سماه كتاب ((الأموال)) [٨] ، وكان معاصرا لأبي عبيد ، الذي ألف كتابا بهذا العنوان ، وقد أثنى أبو عبيد على ابن زنجويه [٩] .

---

(١) ابن حجر، لسان الميزان ٢ / ٢٢٥ .
(٢) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ص ٥٧٦ ط روزنتال .
(٣) ابن حجر، لسان الميزان .
(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٩-٢٠ .
(٥) المصدر نفسه ١٢ / ٢٠ (٦) المصدر نفسه .
(٧) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٢١ .
(٨) لا زال هذا الكتاب مخطوطا لم ينشر فيما أعلم، وقد سجل أحد الباحثين رسالة علمية على تحقيقه في جامعة أم القرى .
(٨) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٢١ .

الزبير بن بكار الزبيري (ت ٢٥٦هـ) :

أبو عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت الزبيري المدني المكي ، مولده سنة مائة واثنتين وسبعين للهجرة،(١) تولى قضاء مكة وبقي عليها حتى توفي ، وقدم بغداد عدة مرات ، وقد سمع سفيان بن عيينه ، والنضر بن شميل ، وأبا الحسن المدائني ومحمد بن الحسن بن زبالة،(٢) وحدث عنه ابن ماجه في سننه ،وأبو حاتم الرازي ، وأبو بكر ابن أبي الدنيا ، وأحمد بن يحيى ثعلب ،(٣) قال الدارقطني : ((ثقة))(٤) ،وقال الخطيب ، كان ثقة ،عالما بالنسب عارفا بأخبار المتقدمين وسائر الماضين،(٥) وصنف كثيرا من الكتب في : الأنساب ،والأخبار ، ومن أهمها : كتاب نسب قريش وأخبارها ،(٦) وكتاب الموفقيات في الأخبار ألفه للأمير الموفق بن الخليفه العباسي المتوكل على الله ، وله كتب كثيرة ذكرها ابن النديم ،(٧) وقد دافع الذهبي في الميزان،(٨) وابن حجر في تهذيب التهذيب ،(٩) عن عدالة الزبير بن بكار وردا جرح السليماني له ، وكانت وفاته بمكة سنة مائتين وست وخمسين للهجرة .(١٠)

السري بن يحيى التميمي (ق ٣هـ) :

السري بن يحيى بن السري التميمي الكوفي ،روى عنه قبيصة ، وأبو غسان ،وعثمان ابن زفر ،قال ابن أبي حاتم : لم يقض لنا السماع منه ، وكتب الينا بشيء من حديثه ، وكان صدوقا ،(١١) والسري هذا من أكثر الشيوخ الذين روى عنهم الطبري ، حيث روى عنه في تاريخه

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٢/٣١٢ .
(٢) البغدادي ، تاريخ بغداد ٨/٤٦٧ .
(٣) أنظر قائمة شيوخه وتلاميذه في : تاريخ بغداد ٨/٤٦٧ ،وسير أعلام النبلاء ١٢/٣١٢ .
(٤) البغدادي ،تاريخ بغداد ٨/٤٦٩ . (٥) البغدادي ،تاريخ بغداد ٨/٤٦٧ .
(٦) طبع جزء من هذا الكتاب بتحقيق أحمد محمد شاكر .
(٧) أنظر الفهرست ١٢٣ . (٨) أنظر ميزان الاعتدال ٢/٦٦ .
(٩) أنظر التهذيب ٣/٣١٢ ،وقال : هذا جرح مردود ولعله استنكر اكثاره عن الضعفاء مثل محمد بن الحسن بن زباله ،وعمر بن أبي بكر المؤملي ، وعامر بن صالح الزبيري وغيرهم ،فان في كتاب : النسب عن هؤلاء أشياء كثيرة منكرة . (١٠) الخطيب البغدادي ،تاريخ بغداد ٨/٤٧١ . (١١) الجرح والتعديل ٤/٢٨٥ .

مائتين وثمان وأربعين قطعة،(١) وغالبها بهذا الاسناد : ((كتب اليّ السري عن شعيب عن سيف)) ،فكأن السري يروي كتاب الفتوح والردة للاخباري سيف بن عمر التميمي .

سليمان بن داود الشاذكوني (ت ٢٣٤هـ) :

سليمان بن داود بن بشر المنقري البصري الشاذكوني ، روى عن حماد بن زيد ، وجعفر ابن سليمان ، ومعتمر بن سليمان وابقتهم ،وحدث عنه أبو قلابة الرقاشي ، وابراهيم ابن محمد الأصبهاني ، والحسن بن سفيان ،وأبو يعلى الموصلي، وكانا يدلسانه ويقولان حدثنا أبو أيوب المنقري ،(٢) كان له علم بأحوال الرجال ونقدهم حتى ذهب عمرو الناقد ، وأحمد بن حنبل ليتعلما منه(٣) وعلق -على هذا - الذهبي بقوله : ((كفى بها مصيبة أن يكون رأسا في نقد الرجال ولا ينقد نفسه))(٤) وكان قد وصفه بقوله ((أحد الهلكى))(٥) ، واتهمه ابن معين وصالح جزره بالكذب في الحديث ،وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال البخاري : هو أضعف عندي من كل ضعيف ،(٦) وله تاريخ في طبقات أهل العلم ومن نسب منهم الى مذهب ،رواه ابن خير الأشبيلي من طريق ابن عبد البر النمري،(٧) وكانت وفاته سنة مائتين وأربع وثلاثين للهجرة.(٨)

سهل بن هارون الفارسي (ت ٢١٥هـ) :

سهل بن هارون بن راهبون أبو محمد الفارسي الأصل ،دخل البصرة ،واتصل بالمأمون فولاه خزانة بيت الحكمة،(٩) وكان أديبا شاعرا شعوبي المذهب ،شديد العصبية على العرب،(١٠)

(١) أنظر فهارس تاريخ الطبري ١٠ / ٢٦١ .
(٢) أنظر عن شيوخه وتلاميذه تاريخ بغداد ٩/ ٤٠ ،وميزان الاعتدال ٢ / ٢٠٥ ،وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٧٩ . (٣) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٧٩ .
(٤) المصدر نفسه . (٥) المصدر نفسه . (٦) الذهبي ،سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٧٩ .
(٧) أنظر فهرسة ما رواه ابن خير الاشبيلي عن شيوخه ٢١١ .
(٨) البغدادي ،تاريخ بغداد ٩/ ٤٨ .
(٩) ياقوت ،معجم الأدباء ١١ / ٢٦٦ .
(١٠) ابن النديم ،الفهرست ١٢٢ .

وكان مشهورا بالبخل ، وله في ذلك أخبار ، وله من الكتب كتاب ديوان الرسائل ، وكتاب تدبير الملك والسياسة ، وكتاب ثعلة وعفراء على مثال كليلة ودمنه ، (١) وغيرها ، توفي سنة خمس عشرة ومائتين للهجرة. (٢)

سيف بن عمر التميمي (ت ١٨٠هـ) :

سيف بن عمر التميمي البرجمي ، ويقال السعدي الضبي ، ويقال الأسدي ، صاحب كتاب الردة والفتوح ، روى عن هشام بن عروة ، وموسى بن عقبة ، ويحي ابن سعيد الأنصاري ، ومحمد بن اسحاق ، ومحمد بن السائب الكلبي ، وغيرهم ، (٣) اعتمده أبو جعفر الطبري في أخبار الفتوح ، وذكر رواياته في الفتنة ، وقد أكثر عنه بهذا الاسناد : ((كتب الى السرى عن شعيب عن سيف بن عمر ، أو ((حدثني السرى عن شعيب ، عن سيف بن عمر)) ومجموع مروياته في الطبري مائتين وست وستين رواية ، (٤) وهو ضعيف في الحديث ، عمدة في التاريخ ، (٥) قال أبو حاتم : متروك يشبه حديثه حديث الواقدي ، (٦) وقال ابن معين : ضعيف ، وقال النسائي والدارقطني : ضعيف ، (٧) وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الأثبات ، واتهم بالزندقة ، (٨) ولم يرض ابن حجر بهذا الاتهام فقال - في التقريب - : أفحش ابن حبان القول فيه ، (٩) وذكر الذهبي أنه مات زمن الرشيد . (١٠)

---

(١) أنظر قائمة كتبه لدى ابن النديم ١٣٤ ، ومعجم الأدباء ١١/٢٦٧ .

(٢) ياقوت ، المصدر السابق ١١/٢٦٧ .

(٣) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤/٢٩٥ .

(٤) أنظر فهرس الطبري ص ١٠/٢٨٠ .

(٥) ابن حجر ، تقريب التهذيب ١/٣٤٤ .

(٦) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٤/٢٧٨ .

(٧) أنظر تهذيب التهذيب ٤/٢٩٥ .

(٨) ابن حبان ، المجروحين والضعفاء ١/٣٤٥ .

(٩) أنظر التقريب ١/٣٤٤ .

(١٠) أنظر الميزان ٢/٢٥٦ .

شعيب بن ابراهيم الكوفي :

هو راوية كتب سيف بن عمر التميمي عنه ، ذكره ابن عدي وقال : ((ليس بالمعروف ، وله أحاديث وأخبار ، وفيه بعض النكره ، وفيها ما فيه تحامل على السلف))(١) ، وقال الذهبي - في الميزان - : ((فيه جهاله))(٢) ، وقال ابن حجر: ((في ثقات ابن حبان ، شعيب بن ابراهيم من أهل الكوفه يروي عن محمد بن أبان البلخي ، وروى عنه يعقوب بن سفيان ، فيحتمل أنه هو ، والظاهر أنه غيره))(٣) ، وقد روى عنه الطبري في تاريخه بواسطة شيخه السري بن يحيى ، ومقتبسات الطبري عن طريقه أكثر من خمسين ومائتين مره .(٤)

أبو اليقظان النسابه (ت ١٧٠ هـ)(٥) :

عامر بن حفص المعروف بسحيم ، عاش في البصره في القرن الثاني الهجري ، روى عنه المدائني ، وله أسماء كثيرة أوضحها المدائني بقوله ((اذا قلت حدثنا أبو اليقظان فهو أبو اليقظان ، واذا قلت سحيم بن حفص ، وعامر بن حفص ، وعامر بن أبي محمد ، وعامر بن الأسود ، وسحيم بن الأسود ، وعبيد الله بن فايد ، وأبو اسحاق فهو أبو اليقظان ،(٦) ووصفه ابن النديم بقوله ((كان عالما بالأخبار ، والأنساب ، والمآثر ، والمثالب ، ثقة فيما يرويه ،(٧) وكانت وفاته سنة سبعين ومائه للهجرة ،(٨) وله كتب في الأنساب والأخبار ،(٩)

---

(١) ابن حجر ، لسان الميزان ٢/١٤٥ .

(٢) الذهبي ، ميزان الاعتدال ٢/٢٧٥ .

(٣) ابن حجر ، لسان الميزان ٢/١٤٥ .

(٤) أنظر فهارس تاريخ الطبري ١٠/٢٨٤ .

(٥) هكذا في الفهرست طبعة طهران المحققه ص١٠٧ ، أما في طبعة بيروت المصورة عن الطبعة المصرية فيها أن وفاته سنة ١٩٠ هـ وكذا قيد ياقوت في معجم الأدباء ١١/١٨٠ نقلا عن ابن النديم وقد أشار محقق طبعة طهران (رضا تجدد) في الهامش بأن سنة وفاته في طبعة فلوجل ١٩٠ وهذا يوافق النسخة التي نقل منها ياقوت .

(٦) ابن النديم ، الفهرست ١٠٧ .   (٧) المصدر السابق .

(٨) المصدر السابق ص ١٠٧ .

(٩) أنظر أسماء كتبه في المصدر السابق وفي معجم الأدباء ١١/١٨٠ .

واستفاد منها الاخباريون من بعده مثل محمد بن حبيب ، وخليفة بن خياط ، والبلاذري[١] ، ولم يكن له عناية برواية الحديث ، ولذلك لم يترجم له المحدثون في كتبهم .

عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٤ هـ) :

ولد في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ورأى جمعا من الصحابة ، وحدث عنهم ، وأخرج حديثه الجماعة[٢] ، وكان راوية للشعر ، والأخبار ، والسير ، والأنساب ، شديد الحافظة يقول عن نفسه ((ما كتبت سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بحديث الا حفظته[٣] ، وقد وقف عبد الله بن عمر على حلقة الشعبي - وهو يحدث بالمغازي - فقال : ((لقد شهدت القوم فلهو أحفظ لها وأعلم بها[٤])) قال ابن حجر - في التقريب - ((ثقة مشهور وفقيه فاضل))[٥] ، مات بعد المائة ، ورجح الذهبي سنة وفاته سنة أربع بعد المائة[٦] .

العباس بن بكار الضبي (ت ٢٢٢ هـ) :

ويقال له العباس بن الوليد ، بصري النشأة والوفاة ، وهو شيعي غال في التشيع ، وذكر ابن حجر نماذج من أكاذيبه منها أنه اذا كان يوم القيامة نادى مناد يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة حتى تمر على الصراط[٧] ، وكانت ولادته سنة مائة وتسعة وعشرين للهجرة ووفاته سنة ثنتين وعشرين ومائتين للهجرة[٨] ، وله كتاب الوافدين والوافدات على معاوية من أهل الكوفة والبصرة[٩] .

---

(١) أنظر مقدمة طبقات خليفة بن خياط التي كتبها د . أكرم ضياء العمري عن موارد ابن خياط في الطبقات ص ١٥-٢٢ .

(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥ / ٦٥ .

(٣) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥ / ٦٧ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ابن حجر ، تقريب التهذيب ١ / ٣٨٧ .

(٦) أنظر سير أعلام النبلاء ٤ / ٣١٨ .

(٧) أنظر لسان الميزان ٣ / ٢٣٧ .

(٨) أنظر الزركلي ، الأعلام ٣ / ٢٥٦ .

(٩) يوجد منه نسخة في مكتبة الأسكوريال كما يذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي : ٣ / ٨٢ .

عبدالله بن جبله (ت ٢١٩ هـ) :

عبدالله بن جبله بن الحر الكناني ، من الشيعة الامامية ، له كتاب في رجال الشيعة، توفي سنة تسع عشرة ومائتين للهجرة. (١)

عبدالله بن عبدالحكم المصري (ت ٢١٤ هـ) :

عبدالله بن عبدالحكم بن أعين بن ليث أبو محمد المصري المالكي ، ولد سنة خمس وخمسين ومائة للهجرة ، سمع الليث بن سعد ، ومالك بن أنس ، وحدث عنه بنوه : محمد ، وسعد ، وعبدالرحمن وعبدالحكم ، والربيع بن سليمان ، وعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، (٢) وثقه أبو زرعه ، وقال بن يونس : كان فقيها حسن العقل ، وقال العجلي : مصري ثقة ، (٣) وقال الساجي : كذبه يحيى بن معين ، (٤) وقال الذهبي : لم يثبت قول بن معين أنه كذاب، (٥) وكانت وفاته سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة ، (٦) وذكر له الذهبي كتاب : الأموال ، وكتاب فضائل عمر بن عبدالعزيز ، (٧) وهذا الكتاب الأخير طبع بعنوان : ((سيرة عمر بن عبدالعزيز - على مارواه الامام مالك وأصحابه -)) (٨) ، وهي من رواية ابن المؤلف محمد بن عبدالله ، وأخبار هذه السيرة غير مسندة وانما اكتفى المؤلف باسناد جمعي في أولها ، حيث قال : حدثني مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، وعبدالله بن لهيعة ، وعبدالله بن وهب ، وعبدالرحمن ابن القاسم ، وموسى بن صالح ، وغيرهم من أهل العلم ممن لم أسم بجميع ما في هذا الكتاب بأمر عمر بن العزيز على ما سميت ورسمت وفسرت ، وكل واحد منهم قد أخبرني بطائفة فجمعت ذلك كله)) . (٩)

---

(١) أنظر عنه ، الزركلي ، الأعلام ٤ / ٧٦ ، وشاكر مصطفى ، التاريخ والمؤرخون ١ / ٢٠٦ .
(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٢٠-٢٢١ . (٣) أنظر هذه الأقوال في المصدر السابق .
(٤) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥ / ٢٨٩ . (٥) أنظر سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٢١ .
(٦) المصدر السابق ١٠ / ٢٢٢ . (٧) المصدر نفسه ١٠ / ٢٢٢ .
(٨) طبع بتحقيق أحمد عبيد عن دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٣٤٦ هـ .
(٩) أنظر ص ٢٢ من الطبعة الخامسة سنة ١٣٨٧ هـ .

أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٢٥ هـ) :

عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان أبو بكر العيسي الكوفي المعروف بابن أبي شيبة ولد سنة ١٥٩ هـ صاحب كتاب المسند المصنف وغيره[1] . روى عنه البخاري ومسلم وأكثر عنه مسلم فأخرج من طريقه ألف وخمسمائة وأربعين حديثا[2] وهو امام حافظ ثقة ثبت . قال الذهبي وثقه الجماعة وكان يسلم وقال أيضا أبو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى في الثقة))[3] وتوفي في المحرم من سنة ٢٢٥ هـ[4] . وذكر له ابن النديم كتاب التاريخ وصفين والجمل والفتوح[5] .

ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) :

أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي الأموي مولاهم المعروف بابن أبي الدنيا البغدادي صاحب التصانيف المشهورة ومؤدب أولاد الخلفاء له كتب في المواعظ ومؤلفات في التاريخ مثل تاريخ الخلفاء[6] والنوادر وأخبار قريش[8] . قال عنه أبو حاتم صدوق[8] وكانت ولادته سنة ٢٠٨ ووفاته سنة ٢٨١ هـ[9] .

ابن المقفع (ت ١٤٥ هـ) :

عبد الله بن المقفع كاتب مشهور كان مجوسيا فأسلم ونقل الى العربية كثيرا من آداب الفرس وكتب حكمتهم ونظمهم مثل كليلة ودمنه وسير ملوك العجم وخداي نامه وأيين نامه وكتاب مزدك[10] ، اتهم بالزندقه ، وقيل انه واضع الرسالة التي عارض بها القرآن ،[11] وقد رد على

---

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٠/٦٦ .
(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٦/٤ .
(٣) أنظر ميزان الاعتدال ٢/٤٩٠ .
(٤) الخطيب ، المصدر السابق ١٠/٧١ .
(٥) أنظر الفهرست ص ٢٨٥ .
(٦) شاكر مصطفى ، التاريخ والمؤرخون ١/٢٢٥ .
(٧) ابن النديم ، الفهرست ص ٢٣٧ .
(٨) ابن حجر ، التهذيب ٦/١٣ .
(٩) نفس المصدر .
(١٠) ابن النديم الفهرست ص ١٣٢ .
(١١) أنظر بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ٣/١٠١ .

هذه الرسالة الامام الزيدى القاسم بن ابراهيم العلوى المتوفى سنة ٢٤٦هـ (١) وقتل سنة ١٤٥هـ (٢).

عبدالملك بن حبيب (ت ٢٣٨هـ) :

٥٢- عبدالملك بن حبيب بن سليمان السلمى المرداسى القرطبى أبو مروان . رحل الى المشرق ثم رجع الى الأندلس وقد حصل علما كثيرا وسمع فى رحلته من عبدالملك بن الماجشون وابراهيم ابن المنذر وأسد بن موسى وغيرهم (٣).

قال ابن الفرضى : ((كان عبدالملك بن حبيب نحويا عروضيا شاعرا حافظا للأخبار والأنساب والأشعار طويل اللسان متصرفا فى فنون العلوم ، روى عنه مطرف بن قيس وبقى ابن مخلد وابن وضاح (٤). وله مؤلفات فى الفقه والتواريخ والآداب منها الواضحة وكتاب فضل الصحابة ، وغريب الحديث وحروب الاسلام ، وطبقات الفقهاء والتابعين (٥) ، وقال أيضا لم يكن له علم بالحديث ولا كان يعرف صحيحه من سقيمه (٦). وقال ابن أبى شيبه ضعفه غير واحد (٧).

وقال ابن حجر : وقد أفحش ابن حزم القول فيه ونسبه الى الكذب ، وتعقبه جماعة بأنه لم يسبقه أحد الى رميه بالكذب (٨). وكانت وفاته سنة ٢٣٨ هـ (٩).

---

(١) المصدر السابق ص ٣/١٠١ .

(٢) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ٦/٢٠٦ وابن كثير ، البداية والنهاية ١٠/٩٦ .

(٣) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ١/٢٧٠ وقد أرخ ابن حجر فى التهذيب ٦/٣٩٠ - رحلته الى المشرق سنة ٢٥٨هـ مع أنه سجل وفاته سنة ٢٣٨هـ ولم يبد اعتراضا مما يدل على أن هذا الرقم قد تصحف .

(٤) نفس المصدر ١/٢٧٢ . (٥) نفس المصدر ١/٢٧٠ .

(٦) نفس المصدر . (٧) ابن حجر ، التهذيب ٦/٣٩١ .

(٨) نفس المصدر السابق .

(٩) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ١/٢٧٢ وابن حجر ، التهذيب ٦/٣٩١ .

ابن هشام (ت ٢١٨هـ) :

هو أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الذهلي وقيل الحميري (١) روى سيرة ابن اسحاق عن زياد بن عبدالله البكائي وقام بتهذيبها فخفف من الأشعار وزاد فيها ونقص منها وحرر أماكن واستدرك أشياء ونسبت السيرة له فيقال سيرة ابن هشام. (٢) وهو من أئمة اللغة والنحو كان مقيما بمصر واجتمع بالشافعي حين وردها وتناشدا من أشعار العرب شيئا كثيرا (٣) ، وينسب له كتاب التيجان في ملوك حمير والصحيح أنه لوهب بن منبه ولكنه وصلنا من طريق ابن هشام . وكانت وفاته سنة ٢١٨هـ (٤) . وليس لابن هشام رواية في الكتب الستة فهو من أهل اللغة والأخبار وليس من أهل الحديث .

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٢٨ .

(٢) ابن كثير . البداية والنهاية ١٠ / ٢٨١ .

(٣) السيوطي ، حسن المحاضره ١ / ٥٣١ ، وأنظر المصدرين السابقين .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٢٩ وخطأ السهيلي الذى قال ان وفاته سنة ٢١٣هـ .

الأصمعي (ت ٢١٥هـ):

أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ولد سنة بضع وعشرين ومائة[1]، لغوي، اخباري، أحد الأعلام الحفاظ قال عمر بن شبه سمعت الأصمعي يقول ((أحفظ ستة عشر ألف أرجوزه))[2] وله تصانيف كثيرة في اللغة والأدب والتاريخ والنوادر[3]، وقد فقد أكثرها ومما بقي من كتبه ((كتاب تاريخ ملوك العرب الأولية))[4]

قال أبو داود ((صدوق)) وقال ابن معين ((لم يكن ممن يكذب)) وقال الأزدي ((ضعيف في الحديث))[5] مات سنة ٢١٥ هـ وقيل ٢١٦هـ[6].

ابن خرداذبه (ت حوالي ٣٠٠ هـ):

أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه، مؤرخ جغرافي، أصله من فارس، تولى البريد والخبر في نواحي الجبل للمعتمد العباسي[7] (٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ)، ألف عديدا من الكتب ذكرها بن النديم[8]، وله كتاب في التاريخ بالغ المسعودي في الثناء عليه، وكان من مصادره في كتابه : مروج الذهب[9].

قال ابن حجر : كان يأتي في تصانيفه بالغرائب، حتى قال بعضهم في شيء نقله عنه : كذا زعم بن خرداذبه، وإن يك كاذبا فعليه كذبه، وقال : وممن كذبه أبو الفرج الأصبهاني[10].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٠/١٧٦.

(٢) نفس المصدر ١٠/١٧٧.

(٣) أنظرها في فهرست ابن النديم ص ٦٠.

(٤) طبع بالعراق سنة ١٣٧٩ هـ بتحقيق محمد حسن آل ياسين.

(٥) أنظر هذه الأقوال في الذهبي، ميزان الاعتدال ٢/٦٦٢.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٠/١٨١.

(٧) الزركلي، الأعلام ٤/١٩٠.

(٨) أنظر الفهرست ١٦٥.

(٩) أنظر مروج الذهب ١/١٤.

(١٠) أنظر لسان الميزان ٤/٩٧، على ما في أبي الفرج من الكذب.

عبيـد بن شـرية الجرهمي (مخضرم) :

اخباري راوية من أهل اليمن ، عمر طويلا فقد عاش في الجاهلية وأدرك حرب داحـس والغبراء[١] وبقى الى أيام معاويه بن أبي سفيان رضي الله عنه وقيل ـ الى أيام عبد الملك بن مروان وقد استقدمه معاويه من صنعاء وسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب وسـبب تبلبل الألسنة[٢] وغير ذلك .

وأمر معاويه كتابه أن يدونوا مايتحدث به عبيد الله بن شرية في كل مجلس سمر وأن ينسب ذلك له ،[٣] فكتبوا ما أملاه فكان في كتابين أحدهما في أخبار اليمن وأشعارها والثانـي في الأمثال .

وقد طبع الكتاب الأول في دائرة المعارف العثمانية سنة ١٢٤٧ هـ ملحقا بكتـاب ((التيجان في ملوك حمير)) لوهب بن منبه رواية عبد الملك بن هشام تحت اسم ((أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ، والكتاب عبارة عن أسـئلة من معاوية واجابات عبيد بن شرية عليها ، وقد أديرت بطريقة حواريه في أسلوب قصصي رائق ، يناسب المجالس والمسامرات ، ويظهر فيها المبالغة والتهويل واعلاء شأن اليمن ، ولذلك لا يمكن اعتباره كتابا في التاريخ ولا يوثق بأخباره ، ويظهر أنه قد تصرف في صياغتـه في وقت متأخر ، وعلى كل فانه اذا صح هذا الكتاب فانه يعتبر أول كتاب وصل الينا من كتب الأيام والأخبار .

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان في ملوك حمير ص ٣١٢ .
(٢) ابن النديم ، الفهرست ص ١٠٢ .
(٣) أخبار عبيد بن شريه ص ٣٢٧ .
(٤) ذهب المستشرق الألماني (كرنكو) الى أن عبيد بن شرية شخص خيالي لا وجود له واتهم ابن النديم باختراع اسمه ولكن في الحقيقة أن ابن النديم لم ينفرد بذكره بل ذكره قبله ابن هشام في كتاب التيجان ص ٣١٢ وأبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين ، كما أن المسعودي قد نقل عن كتاب عبيد بن شريه وقد ذكر ابن شريه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق كما نقل ذلك ياقوت في ترجمة عبيد بن شريه ، ولمزيد من المعلومات عن هذه المسألة أنظر فؤاد سزكين ، تاريخ التراث ١ / ٩ ، ٤١ .

علي بن مجاهد الكابلي (ت بعد ١٨٢ هـ) :

علي بن مجاهد بن مسلم بن رفيع أبو مجاهد الرازي المعروف بالكابلي روى عن محمد ابن اسحاق ، وأبي معشر ، والثوري ، وروى عنه جرير بن عبد الحميد ، ومحمد بن عيسى الطباع ، وأحمد بن حنبل ، سئل عنه ابن معين فقال كان يضع الحديث ، وصنف كتاب المغازي فكان يضع للكلام اسنادا ،(١) وقال يحيى بن الضريس : لم يسمع علي بن مجاهد من أبيه اسحاق))(٢) ، وقال أحمد : كتبنا عنه وما أرى به بأسا))(٣) وقال ابن حجر ، متروك(٤) ولعلي بن مجاهد مرويات عند الطبري بلغ مجموعها خمسا وثلاثين رواية.(٥)

المدائني (ت ٢٢٤ هـ) :

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني . اخباري حافظ صنف الكثير من الكتب والرسائل في شتى الحوادث والموضوعات التاريخية(٦) ، قال الذهبي ((كان عجبا في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب مصدقا فيما ينقله على الاسناد.(٧) ولد عام ١٣٢ هـ ونشأ بالبصرة وسمع شعبه وعوانه بن الحكم وحماد بن سلمه وطبقتهم وحدث عنه خليفة بن خياط والزبير بن بكار والحارث بن أبي أسامه وأحمد بن أبي خيثمه وابن شبه.(٨) قال ابن معين ثقه ثقه ثقه.(٩) وقال أبو العباس النحوي ((من أراد أخبار الجاهلية

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٢) نفس المصدر ٧/ ٣٧٨.

(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٧.

(٤) ابن حجر، تقريب التهذيب ٢/ ٤٢.

(٥) أنظر فهارس تاريخ الطبري ١٠/ ٣٤٢.

(٦) أنظر قائمة مؤلفاته عند ابن النديم ص١١٣ـ١١٧

(٧) أنظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٠-٤٠١.

(٨) الذهبي ، المصدر السابق ١/ ٤٠١.

(٩) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢/ ٥٥.

فعليه بكتب أبي عبيدة ومن أراد أخبار الاسلام فعليه بكتب المدائني[١] . وقال الطبري كان عالما بأيام الناس صدوقا في ذلك))[٢] وذكره ابن عدي في كتاب الكامل في الضعفاء وقال ليس بالقوي .[٣] وقال ابن حجر لم أره في ثقات ابن حبان وهو على شرطه))[٤] أكثر ابن جرير عنه في تاريخه[٥] وغالب رواياته أخذها من طريق ابن شبه وبعضها من كتبه مباشرة ، ومات سنة ٢٢٤هـ وقيل ٢٢٥هـ[٦] . وجعلها الطبري في سنة ٢٢٨هـ[٧]

عمارة بن وثيمه (ت ٢٨٩هـ) :

هو عماره بن وثيمه بن موسى أبو رفاعة الفارسي . كان والده وثيمة بن موسى راويه لأخبار الأوائل وله كتاب في الرده وآخر في المبتدأ وقصص الأنبياء وفي هذا الكتاب أحاديث كثيرة موضوعة كما يقول ابن حجر.[٨]

أما ابنه عماره فقد ألف كتابا في التاريخ ورتبه على السنين ، ذكره الحافظ بن كثير في وفيات سنة تسع وثمانين ومائتين وقال ولد بمصر وحدث عن أبي صالح كاتب الليث وغيره ،[٩] وذكره السيوطي في حسن المحاضره .[١٠]

وقال الزركلي ان جزءا من كتابه التاريخ على السنين يوجد ضمن مخطوطات الفاتيكان .[١١]

---

(١) المصدر السابق .
(٢) ابن حجر ، لسان الميزان ٤ / ٢٥٢ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) نفس المصدر .
(٥) أنظر فهارس تاريخ الطبري ١ / ٣٤٤ ، وقد تكرر ذكره ٢٢٩ مره .
(٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٠٢ .
(٧) تاريخ الطبري ٩ / ١٢٤ .
(٨) ابن حجر ، لسان الميزان ٦ / ٢١٧ ، وأنظر ياقوت معجم الأدباء ١٩ / ٢٤٧ .
(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ١١ / ٩٦ .
(١٠) السيوطي ، حسن المحاضره ١ / ٥٥٣ .
(١١) الزركلي الأعلام ٥ / ٣٨ .

عمر بن سعد الأسدي (ت حوالي ١٨٠ هـ) :

عمر بن سعد الأسدي الشيعي ، روى عن الأعمش ، ومحمد بن اسحاق ، وليث بن سليم ، وروى عنه أبو سعيد الأشج وغيره ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : شيخ قديم من عتق الشيعة متروك الحديث)) [١] ، وقال الذهبي : ((شيعي بغيض)) [٢] أكثر عنه نصر بن مزاحم في كتابه صفين ، وصرح في بعض المواضع بالنقل من كتاب عمر ابن سعد [٣] : فربما كان له كتاب في أخبار صفين ، كما أخذ عنه أبو الفرج في كتابه : مقاتل الطالبين [٤] .

أبو حفص عمرو الفلاس (ت ٢٤٩ هـ) :

عمرو بن علي بن بحر أبو حفص الباهلي البصري الصيرفي الفلاس ، امام حافظ ، ولد سنة نيف وستين ومائة ، حدث عنه الأئمة الستة في كتبهم [٥] ، قال الدارقطني : أبو حفص من الحفاظ الثقات [٦] ، له كتاب في التاريخ رواه ابن خير الأشبيلي في فهرسته [٧] ، وذكره الذهبي من مصادره في تاريخ الاسلام [٨] كما ذكره السخاوي [٩] ، وقد روى له ابن خير كتابا آخر في تضعيف الرجال [١٠] ، وتوفي سنة تسع وأربعين ومائتين للهجرة وهو من الرواة في تاريخ الطبري [١١] .

---

(١) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٦ / ١١٢ .
(٢) الذهبي ، ميزان الاعتدال ٢ / ١٩٩ .
(٣) نصر بن مزاحم ، كتاب صفين ص ٥٠٨ .
(٤) فؤاد سزكين ، تاريخ التراث ١ / ٤٩٨ .
(٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١ / ٤٧١ .
(٦) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢ / ٢١١ .
(٧) أنظر فهرست ابن خير ص ٢١٢ .
(٨) أنظر التاريخ الكبير الجزء الأول القسم الأول ص ٦٨ تحقيق محمد عبد الهادي شعيره ط الهيئة المصرية عام ١٩٧٥ م .
(٩) الاعلان بالتوبيخ ص ٥٢٢ ط روزنتال .
(١٠) ابن خير ، في فهرسته ص ٢١٢ .
(١١) أنظر فهارس تاريخ الطبري ١٠ / ٣٥٤ .

عوانة بن الحكم الكلبي (ت ١٤٧ هـ) :

عوانة بن الحكم الكلبي ، من أهل الكوفة ، كان عالما بالأخبار ، والآثار ، والشعر ، والنسب ، وكان فصيحا ضريرا ،(١) روى عن كثير من التابعين ، وروى عنه الأصمعي والهيثم ابن عدي ،(٢) وهشام الكلبي ،(٣) وأكثر عنه المدائني ، قال الذهبي ((قل أن روى حديثا مسندا))(٤) وقال ابن حجر كان صدوقا في نقله ،(٥) وله كتاب التاريخ ، وكتاب سيرة معاوية وبني أمية))(٦) مات سنة سبع وأربعين ومائة للهجرة ، وقيل سنة ثمان وخمسين ومائة ،(٧) وقيل كان عثمانيا يضع أخبارا لبني أمية .(٨)

عيسى بن داب :

عيسى بن يزيد بن بكر بن داب الليثي المدني ، قدم بغداد وأقام بها ، وحدث عن صالح بن كيسان ، وهشام بن عروة وابن أبي ذئب ، وروى عنه محمد بن سلام الجمحي ، وشبابة بن سوار ،(٩) .

قال الخطيب ((وكان ابن داب راوية عن العرب ، وافر الأدب عالما بالنسب ، عارفا بأيام الناس . حافظا للسير))(١٠) ، وكان من أكثر أهل الحجاز أدبا وأعذبهم ألفاظا ، ولذلك حظي عند موسى الهادي وأجازه مرة بثلاثين ألف دينار ،(١١) وقد اتهم ابن داب بالوضع

---

(١) الزركلي ، الأعلام ٥ / ٣٨ .
(٢) أنظر الفهرست ص ١٠٢ .
(٣) ياقوت ، معجم الأدباء ١٦ / ١٣٤ .
(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٠١ .
(٥) ابن حجر ، لسان الميزان ٤ / ٣٨٦ .
(٦) الذهبي ، المصدر السابق .
(٧) ابن النديم ، الفهرست ص ١٠٢ .
(٨) المصدر السابق ، ومعجم الأدباء ١٦ / ١٣٦ .
(٩) الخطيب : تاريخ بغداد ١١ / ١٤٨ .
(١٠) المصدر السابق ١١ / ١٤٨ .
(١١) المصدر نفسه ١١ / ١٥٠ .

في الأحاديث ، قال البخاري : منكر الحديث ،(١) وقال خلف الأحمر آفتنا بين المشرق والمغرب ابن داب يضع الحديث بالمدينة وابن شوكر يضع الحديث بالسند))(٢) ، وقال ابن حجر : ((كان اخباريا علامة نسابة لكن حديثه واه))(٣) .

أبو مخنف (ت ١٥٧ هـ) :

لوط بن يحي الأزدي الكوفي صاحب تصانيف ورسائل مفردة في الأحداث الكائنة في صدر الدولة الاسلامية . روى عن جابر الجعفي ومجالد بن سعيد وصقعب بن زهير وطائفة من المجهولين وعنه عبد الرحمن بن مغراء ولوط بن محمد المدائني(٤) ، قال يحي ابن معين ليس بثقه وقال مرة ليس بشئ ، وقال الدارقطني ضعيف ، وقال ابن عدي شيعي محترق صاحب أخبارهم ، وقال أبو عبيد الآجري سألت أبا حاتم عنه فنفض يده وقال أحد يسأل عن هذا ،(٥) وقد ذكر ابن النديم قائمة بأسماء كتبه تقارب الخمسين كتابا .(٦) قال أحمد بن الحارث الخزاز ((ان العلماء قالوا أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره ، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس ، والواقدي بأمر بالحجاز والسيره ، واشتركوا في فتوح الشام))(٧)

---

(١) ابن حجر ، لسان الميزان ٤ / ٤٠٨ .

(٢) الخطيب ١١ / ١٥٢ وقد نبه ابن حجر في اللسان ٤ / ٤٠٦ الى أن قوله ابن شوكر وهم وأن المراد شوكر نفسه لا ابنه .

(٣) لسان الميزان ٤ / ٤٠٨ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٥) أنظر هذه الأقوال في لسان الميزان ٤ / ٤٩٢ .

(٦) أنظر الفهرست ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٧) نفس المصدر السابق .

وقال الذهبي في الميزان ((لوط بن يحيى اخباري تالف لا يوثق به تركه أبو حاتم وغيره))[1] وقال في سير أعلام النبلاء ((هو من بابة سيف بن عمر التميمي صاحب الرده وعبد الله بن عياش المنتوف[2] وعوانه بن الحكم))[3] أي أن أبا مخنف مثل هؤلاء الاخباريين في اهتمامه وضعفه - وإن كان يزيد عليهم بتشيعه الشديد .

وكتب أبي مخنف كانت من المصادر التي أخذ عنها الطبري[4] والدينوري والمسعودي وغيرهم . وكانت وفاته سنة ١٥٧ هـ.[5]

الفاكهي (ت بعد ٢٧٢ هـ) :

محمد بن اسحاق بن العباس الفاكهي المكي ، مؤلف أخبار مكه وروى فيه عن أبي عمر العدني وحسين بن حسن المروزي وغيرهم . ذكره ابن النديم في كتابه ولم يترجم له واكتفى بذكر كتابه ((أخبار مكه))[6]

وقد أثنى تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢) في كتابه العقد الثمين على كتاب الفاكهي فقال ((وكتابه في أخبار مكه حسن جدا لكثرة ما فيه من الفوائد النفيسه ، وفيه غنية عن كتاب الأزرقي ، وكتاب الأزرقي لا يغني عنه . لأنه ذكر فيه أشياء كثيرة حسنه مفيدة جدا ، لم يذكرها الأزرقي ، وأفاد في المعنى الذي ذكر الأزرقي أشياء كثيرة لم يفدها الأزرقي))[7]

---

(١) أنظر ميزان الاعتدال ٣ / ٤١٩ .
(٢) أنظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٢ / ٤٧٠ حيث قال اخباري صدوق توفي سنة ١٥٨ هـ.
(٣) أنظر سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٠٢ .
(٤) أنظر فهارس تاريخ الطبري ١٠ / ٣٨٢ فقد روى له ٣٤٦ رواية كلها في أحداث وقعت في تاريخ الخلفاء الراشدين والعهد الأموي وقيام الدولة العباسية .
(٥) سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٠٢ .
(٦) ابن النديم الفهرست ص ١٢٢ .
(٧) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ١ / ٤١١ .

وليس للفاكهي ترجمة في كتب العلماء السابقين ، وقد تعجب الفاسي من هذا الاهمال له وللأزرقي صاحب أخبار مكه . وقال ((ان كتابه يدل على أنه من أهل الفضل))(١)

ولعدم ذكر السابقين له فانه يعتبر في حكم المستور الحال بالنسبة للجرح والتعديل . وسنة ولادته غير معروفة وكذلك سنة وفاته الا أنه يستفاد من غير ذكره في كتابه أنه كان حيا سنة ثنتين وسبعين ومائتين للهجرة.(٢) وكتابه أخبار مكه طبع خلاصة منه ضمن مجموعة تواريخ مكه التي نشرها المستشرق وستنفلد سنة ١٨٥٨م ولم ينشر كاملا .

محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ) :

محمد بن السائب بن بشر أبو النضر الكلبي العلامة الاخباري المفسر كان رأسا في الأنساب الا أنه شيعي متروك الحديث،(٣) كان يتتبع الآثار ويأخذ من المدونات في كنائس الحيره . قال ابن حبان ((الناس مجمعون على ترك حديثه وهو ذاهب الحديث لا يشتغل به))(٤) ، وقال النسائي ليس بثقه ولا يكتب حديثه(٥) ، وقال البخاري تركوه(٦) ، وقال أحمد ابن حنبل تفسير الكلبي كذب لا يحل النظر فيه .(٧)

وقال ابن حبان ((كان سبائيا من أولئك الذين يقولون ان عليا لم يمت وانه راجع الى الدنيا واذا رأوا سحابة قالوا أمير المؤمنين فيها))(٨) وقال أيضا : مذهبه في الدين

---

(١) نفس المصدر . (٢) نفس المصدر .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٤٨ وقال في ترجمة ابنه هشام في سير أعلام النبلاء : ١٠ / ١٠٢ وكان أبوه مفسرا ولكنه لا يوثق به أيضا وفيه رفض كابنه .

(٤) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٦/ ١٨٠ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) الذهبي ، ميزان الاعتدال ٢/ ٥٥٧ .

(٧) أبو حاتم بن حبان ، المجروحين من المحدثين ٣/ ٢٥٤ .

(٨) الذهبي ، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٨ . وقارن بابن حبان ٢/ ٢٥٣

ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج الى الاغراق في وصفه . فهو يروى عن أبي صالح عن ابن عباس وأبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع منه ولا سمع الكلبي من أبي صالح الا الحرف بعد الحرف ـ فما رواه الكلبي لا يحل ذكره في الكتب فكيف الاحتجاج به))[1] وكانت وفاة الكلبي سنة ١٤٦ هـ ، وقد ذكر ابن النديم مصادره في علم الأنساب[2] .

أبو اسماعيل الأزدي (ت في القرن الثاني) :

أبو اسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي (صاحب كتاب فتوح الشام) ذكر كتابه منسوبا له ابن خير الأشبيلي في فهرسته[3] والمزي في تهذيب الكمال[4] ، ولم يترجمه ، وكذا الحافظ ابن حجر[5] كما ذكره السخاوي[6] . وقد كان معاصرا لأبي مخنف لوط بن يحي حيث اشتركا في الرواية عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق[7] ، وفي مخطوطة كتاب الثقات لابن حبان ، ترجمه لمحمد بن عبد الله الأزدي من أهل البصره ، روى عن عاصم بن هلال وعبد الوهاب بن عطاء حدثنا عنه الحسن بن سفيان أبو يعلى ربما خالف وكان من الحفاظ))[8] والذي يظهر أن لفظه الأزدي في مخطوطة كتاب الثقات مصحفة من الأزرى بدلالة أن كلا من الحافظ المزي[9] والذهبي[10] وابن حجر[11] قد نقلوا كلام ابن حبان في ترجمه أبو جعفر محمد بن عبد الله

---

(١) ابن حبان ، المجروحين من المحدثين ٢ / ٢٥٥ .

(٢) الفهرست ١٠٧ - ١٠٨ .

(٣) فهرست ابن خير ص ٢٣٨ .

(٤) المزي ، تهذيب الكمال خ ٢ / ٨٦٤ ، ٢ / ١٥٤٠ مصورة دار المأمون .

(٥) أنظر تهذيب التهذيب ٦ / ٤٢٨ .

(٦) أنظر الاعلان بالتوبيخ ص ١٢٦ .

(٧) أنظر ترجمة عبد الملك بن نوفل بن مساحق في تهذيب التهذيب ٦ / ٤٢٨ .

(٨) ابن حبان ((كتاب الثقات خ ٢ / ٢٦ / أ مصورة دار الكتب الوطنية بالقاهرة .

(٩) المزي ، تهذيب الكمال خ ٣ / ١٢٢٨ .

(١٠) الذهبي ، تذهيب التهذيب خ ٣ / ٢٢٢ / أ .

(١١) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٨٥ .

الارزى ويقال الرزى[1] ولم يترجموا لأبى اسماعيل الأزدى وانما ذكروه عرضا . ومما يؤيد هذا أن الشيوخ الذين ذكرهم ابن حبان فى ترجمة الأزدى هم شيوخ الأرزى كما فى تهذيب الكمال[2] .

والأزدى صاحب فتوح الشام لم يروعن هؤلاء الشيوخ فى كتابه[3] ، وكتاب فتوح الشام لأبى اسماعيل الأزدى نشره المستشرق الايرلندى ناسوليس سنة ١٨٥٤م[4] ثم أعاد نشره بالقاهرة عبد المنعم محمد عامر لكنه كتب ترجمة للمؤلف أخطأ فيها فنقل ترجمة محمد بن عبد الله أبو جعفر الرزى على أنها ترجمة لأبى اسماعيل الأزدى وقال انه روى له مسلم وأبو داود[5] بينما أبو اسماعيل الأزدى غير معروف الحال ولم يترجم له الذهبى فى كتاب الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة)) وانما ترجم لأبى جعفر الرزى[6] ، كما أننى لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من كتب الرجال[7] وذكر الزركلى فى الاعلام بأن أبا اسماعيل الأزدى ليس له ذكر فى المتقدمين وجعل وفاته فى حدود سنة ١٦٥هـ ولم يوضح مستنده فى هذا التحديد ، لكنه ليس بعيدا ، خاصة وقد تبين أنه كان معاصرا للأخبارى الشيعى لوط بن يحى (ت ١٥٧) ، ومن شيوخ أبو اسماعيل فى كتاب فتوح الشام يزيد بن يزيد بن جابر الأزدى (ت ١٣٣)[8] وهشام بن عروه (ت ١٤٦)[9] والمجالد بن سعيد (ت ١٤٤)[10] ، وعبد الملك بن نوفل بن مساحق ، وبهذا يتضح أن أبا اسماعيل قد عاش فى القرن الثانى الهجرى وهو فى حكم المستورين من جهة التعديل والتجريح .

---

(١) أنظر ضبط هذا فى الأنساب للسمعانى ورقة ٢٥ ب .

(٢) راجع تهذيب الكمال ٢/ ٦٤٠ و ٨٧٠ و ٣/ ١٢٢٨ .

(٣) راجع فهرس الأعلام فى كتاب فتوح الشام للأزدى .

(٤) أكرم العمرى ، دراسات تاريخية ص ٧٠ .

(٥) أنظر مقدمة فتوح الشام للأزدى ص /ك .

(٦) الذهبى ، الكاشف ٣/ ٦٦ .

(٧) كتب الدكتور أكرم ضياء العمرى دراسة نقدية لكتاب فتوح الشام للأزدى نشرها فى كتابه دراسات تاريخية وقال انه لم يعثر له على ترجمة وأن هناك شخصا ينقل عنه الطبرى كثيرا هو محمد بن عبد الله بن سويد بن نويره قد يكون هو ولكن لم يجزم بذلك .

(٨) الزركلى ، الاعلام ٦/ ٢٢١ . (٩) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٧١ .

(١٠) نفسه ١١/ ٥١ . (١١) نفسه ١٠/ ٤٠ .

أبو غسان المدني (ت بعد المائتين) :

محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد الكناني أبو غسان المدني ، روى عن مالك ابن أنس ، وابن عيينه ، وابن مهدي ، وحسين بن زيد بن علي العلوي ، وروى عنه الزبير ابن بكار والذهلي وعمر بن شبه ؛ (١) قال النسائي : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : ربما خالف ، وقال الدارقطني : ثقة ، (٢) ورد ابن حجر كلام السليماني فيه ، وكلام ابن حزم ، الذي قال : ((ان أبا غسان مجهول)) ، (٣) وقد أخرج له البخاري ، ويظهر من مرويات ابن شبه عنه في تاريخ المدينة أن له كتابا في خططها وتاريخها ، وقد صرح ابن شبه بالنقل من كتاب لأبي غسان ولكنه لم يسمه ، (٤) وقد اقتبس الطبري في تاريخه عن أبي غسان في سبعة وثلاثين موضعا ، (٥) وأخذها من طريق عمر بن شبه الذي يظهر أنه روى كتب أبي غسان ، وقد جعله ابن حجر في التقريب من الطبقة العاشرة. (٦)

محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) :

هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد البصري اخباري ولغوي مشهور ، وثقه الخطيب وجماعه. (٧) قال نفطويه ((ما رأيت أحفظ للأخبار بالأسانيد منه)) (٨) له كتاب الكامل وتصانيف أخرى كثيره ، (٩) وكتاب الكامل لا يمكن اعتباره مصدرا تاريخيا موثقا انما هو من جنس كتب الحكايات والقصص والنوادر والطرف التي يغلب على أخبارها التزيد والتحسين ، وقد كانت ولادته سنة ٢٠٦ هـ ، وتوفي سنة ٢٨٦ هـ. (١٠)

---

(١) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٩ / ٥١٧ .

(٢) المصدر نفسه ٩ / ٥١٨ . (٣) المصدر نفسه .

(٤) تاريخ المدينة لابن شبه ٢ / ٦٨٨ . (٥) أنظر فهارس تاريخ الطبري ١٠ / ٤٠٨ .

(٦) أنظر التقريب ٢ / ٢١٨ . (٧) ابن حجر ، لسان الميزان ٥ / ٤٣٠ .

(٨) نفس المصدر .

(٩) أنظر قائمة مؤلفاته عند ابن النديم في الفهرست ص ٦٥ .

(١٠) الذهبي سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥٧٧ ، وابن حجر لسان الميزان ٥ / ٤٣٢ .

معمر بن المثنى (ت ٢١١هـ) :

أبو عبيده معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري النحوي روى عن هشام بن عروه وأبي عمرو بن العلاء وعنه أبو عبيد القاسم بن سلام وعمر بن شبه واسحاق الموصلي (١) وكان من أعلم الناس بأنساب العرب وأيامهم وهو كثير التصانيف وقد عد ابن النديم من كتبه مائة وعشرة كتب (٢) ، قال الجاحظ : ((لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه)) (٣) وقد أثنى عليه ابن المديني وذكره البخاري في صحيحه (٤) لا على سبيل الرواية وانما استشهد بكلامه في تفسير بعض الألفاظ وقال ابن معين ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات. (٥)

وقال ابن قتيبه ((كان الغريب وأيام العرب أغلب عليه .. ويخطئ اذا قرأ القرآن نظرا وكان يبغض العرب وألف في مثالبها كتبا وكان يرى رأي الخوارج)) (٦) وقال أبو حاتم السجستاني كان يميل الي لأنه يظنني من خوارج سجستان. (٧) وقال الدارقطني لا بأس به الا أنه كان يتهم بشيء من رأي الخوارج (٨) ، وقال أبو منصور الأزهري في تهذيب اللغة ((كان متهما في روايته مغرى بنشر مثالب العرب فهو مذموم من هذه الجهة غير موثوق به (٩) ، وقال الذهبي : وقد كان هذا المرء من بحور العلم ومع ذلك فلم يكن بالماهر بكتاب الله ولا العارف بسنه رسول الله ولا البصير بالفقه)) (١٠) وقد كانت كتبه من المصادر التي اعتمد عليها جلة المؤرخين من بعده فقد ذكر الطبري له في تاريخه ٤٦ رواية (١١) غالبها يتعلق بأخبار الخوارج . كما أن المسعودي قد ذكر أبو عبيده ضمن مصادره في كتابه مروج الذهب. (١٢) وله من الكتب مجاز القرآن وغريب الحديث ومقتل عثمان وأخبار الحجاز وفضائل الفرس . وقد كانت ولادته سنة ١١٤ ووفاته ٢١١هـ. (١٣)

---

(١) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٢٤٦/١٠.
(٢) أنظر المصدر السابق وفهرست ابن النديم ٥٩-٦٠ وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء : ٤٤٦/٩ أنها تقارب مئتي مصنف.
(٣) ابن حجر ، المصدر السابق ٢٤٧/١٠. (٤) نفس المصدر. (٥) نفس المصدر.
(٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٤٦/١.
(٧) ابن حجر المصدر السابق ٢٤٨/١٠، وأنظر سير أعلام النبلاء ٤٤٧/٩.
(٨) المصدر السابق. (٩) نفس المصدر. (١٠) سير أعلام النبلاء ٤٤٧/٩.
(١١) أنظر فهرست تاريخ الطبري ٤٢. (١٢) مروج الذهب ١٢/١. (١٣) الفهرست ٥٩.

نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) :

أبو الفضل نصر بن مزاحم المنقري العطار الكوفي . أحد علماء الشيعة ومؤلفيها من طبقة أبي مخنف . كان عارفا بالتاريخ والأخبار من الغلاة جلد في ذلك.(١)

قال الخليلي شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير . وقال أبو حاتم زائغ الحديث متروك وقال العجلي كان رافضيا غاليا وكان على السوق أيام أبي السرايا ليس بثقة ولا مأمون ، وقال الخليلي ضعفه الحفاظ جدا . وقال أبو خيثمة كان كذابا(٢) وقال الذهبي رافضي جلد تركوه.(٣)

وقال الجوزجاني : نصر بن مزاحم العطار كان زائغا عن الحق مائلا .

قال الخطيب أراد بذلك غلوه في الرفض.(٤) ومات سنة ٢١٢(٥) له كتاب صفين ، الغارات كتاب الجمل ، مقتل حجر بن عدى ، مقتل الحسين بن علي.(٦)

وكتاب وقعة صفين طبع قديما على الحجر في ايران ثم طبع في القاهرة بتحقيق عبد السلام هارون ومعظمه عند ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه.(٧)

هشام بن الكلبي (٢٠٤ هـ) :

هشام بن محمد بن السائب الكلبي أبو المنذر الكوفي الرافضي(٨) علامة ، اخباري ، نسابة حافظ ، لكنه متروك كأبيه روى عن أبيه وعن مجالد وأبي مخنف وطائفة وعنه ابنه العباس ومحمد ابن سعد وخليفة بن خياط وابن أبي السري.(٩) قال الامام أحمد ((انما كان صاحب سمر ونسب

---

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ٩ / ٢٢٥ ، وأنظر الفهرست ص ١٠٦ .
(٢) أنظر هذه الأقوال في لسان الميزان ٦ / ١٥٧ .
(٣) أنظر ميزان الاعتدال ٤ / ٢٥٢ .
(٤) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٨٣ .
(٥) المصدر السابق .
(٦) أنظر قائمة كتبه في ابن النديم ص ١٠٦ وياقوت ١٩ / ٢٢٥
(٧) أنظر مقدمة المحقق لكتاب وقعة صفين وقد عمل جدولا بالنقول التي أخذها ابن أبي الحديد ص ت ـ ث الطبعة ٣ .
(٨) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٤٣ .
(٩) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٠١ .

ما ظننت أحدا يحدث عنه))[(١)] وقال الدارقطني وغيره متروك الحديث ، وقال ابن عساكر رافضي ليس بثقة .[(٢)] وقال يحيى بن معين : ليس بثقة ولا يروى عن مثله الحديث .

واتهمه الأصمعي وذكره العقيلي وابن الجارود وابن السكن وغيرهم في الضعفاء[(٣)]. ومصنفاته كثيرة في الأنساب والمثالب وأخبار الأوائل وأخبار الخلفاء وفي البلدان وأخبار الشعراء وأيام العرب وفي القصص والأسمار وقد أورد ابن النديم قائمة بها[(٤)] وكذلك ياقوت في معجم الأدباء.[(٥)] ومن أجود كتبه كتاب النسب الكبير ولكنه مفقود الا بعض ورقات ، ويوجد مختصر له عمله ياقوت الحموي في ١٦٧ ورقة .[(٦)]

ومن كتبه المطبوعة كتاب نسب الخيل وكتاب الأصنام كلاهما طبع بالقاهرة بتحقيق أحمد زكي . ورغم ضعف هشام الكلبي وأبيه الا أن المؤرخين كابن سعد وخليفة بن خياط والطبري قد أكثروا الرواية والنقل عنهما في الأخبار والأنساب والطرائف ولكن يذكرون ذلك مسندا لهما وقد ينبهون في مواضع من كتبهم الى ضعفهما ورد مروياتهما .

وكانت وفاة هشام الكلبي سنة ٢٠٤ هـ وقيل ٢٠٦ هـ.[(٧)]

الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧ هـ) :

الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي الكوفي النسابة المؤرخ حدث عن هشام بن عروة ومحمد بن اسحاق ومجالد بن سعيد ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وروى عنه محمد ابن سعد وعلي بن عمرو الأنصاري وأحمد بن عبيد بن ناصح .[(٨)]

قال يحيى بن معين : الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب وقال مرة ليس بشيء وقال علي ابن المديني الهيثم بن عدي أوثق عندي من الواقدي ولا أرضاه في الحديث ولا في الأنساب ولا في شيء .

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٤/٤٦ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠/١٠١-١٠٢ .

(٣) ابن حجر ، لسان الميزان ٦/١٩٧ .

(٤) أنظر الفهرست ص ١٠٨-١١١ وقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/١٠٢ أن مصنفاته تبلغ ١٥٠ مصنفا . (٥) ياقوت ، معجم الأدباء ١٩/٢٧٧-٢٩١ .

(٦) أنظر سير أعلام النبلاء ١٠/١٠٢ في الهامش. (٧) أنظر الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤/٤٦ .

(٨) المصدر السابق ١٤/٥٠ - ٥١ .

وقال الجوزجاني ، ساقط قد كشف قناعه.(١) وقال يعقوب بن شيبه كانت له معرفة بأمور الناس وأخبارهم ولم يكن في الحديث بالقوى ولا كانت له معرفة به وبعض الناس يحمل عليه في صدقه.(٢) وقال أحمد بن حنبل . كان صاحب أخبار وتدليس.(٣)

وقال الحاكم . . حدث عن الثقات بأحاديث منكرة وذلك مع علمه ومحله .(٤)

وقال أبو حاتم : متروك الحديث محله محل الواقدى .(٥)

وقال البخارى : سكتوا عنه .(٦)

وقال النسائي وغيره . متروك الحديث .(٧)

وقال الذهبى : هو من بابة الواقدى وقلما روى من المسند .(٨)

وقال في ترجمة الواقدى : قلت أجمعوا على ضعف الهيثم.(٩)

وتوفى سنة ٢٠٧ هـ وله ثلاث وتسعون سنه .(١٠)

وله مصنفات كثيرة في الأخبار والمثالب والمناقب والأنساب ذكرها محمد بن اسحاق النديم(١١) وعنه ياقوت الحموى في معجم الأدباء.(١٢)

وكل هذه الكتب مفقودة ولكن منها روايات عند المؤرخين الذين جاءوا من بعده كالطبرى والدينورى والمسعودى .(١٣)

---

(١) أنظر هذه الأقوال في المصدر السابق ٤ / ٣٢٥ .

(٢) ابن حجر لسان الميزان ٦ / ٢١٠ .

(٣) نفس المصدر .   (٤) نفس المصدر .

(٥) المصدر السابق .

(٦) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٠٤ .

(٧) المصدر السابق .

(٨) نفس المصدر .   (٩) نفس المصدر ٦ / ٤٦٢ .

(١٠) نفس المصدر ١٠ / ١٠٤ .

(١١) أنظر الفهرست ص ١١٢-١١٣ .

(١٢) أنظر ١٩ / ٣٠٦-٣١٠ .

(١٣) أنظر فهارس تاريخ الطبرى ١٠ / ٤٤٦ ومقدمة كتاب مروج الذهب للمسعودى ١ / ١٢ .

" الخاتمـــــــــــــة "

- تعليقه عن الانحرافات الواقعة في كتابة التاريخ الاسلامي
- نتائـــــج البحـــث .

تعليقة عن الانحرافات الواقعة فى كتابة التاريخ الاسلامى :

بعد الفتن والأحداث الداخلية التى وقعت فى صدر الدولة الاسلامية والتى كان وراء اثارتها أيدى شريرة تعمل فى الخفاء من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم - الذين أخبر الله عن عداوتهم وكيدهم لهذا الدين - نشأت الفرق والأحزاب وظهرت الطوائف والأهواء المنحرفة عن السبيل السوى فأخذت كل فرقة تلبس ثوب الحق زورا وتدعى أنها تعمل لأجله ، وتضع من الأحاديث التى تنسبها الى النبى - صلى الله عليه وسلم - ما يؤيد مذهبها الذى ابتدعته ، وتؤول من آيات القرآن الكريم ما استطاعت - لأنها لا تستطيع أن تضع الآيات القرآنية أو تزيد فيها كما وضعت الأحاديث لأن القرآن محفوظ فى الصدور ومدون بكامله فى المصاحف - (١) وبهذا نشأ الوضع فى الحديث النبوى كما شمل الوضع الأخبار والأحداث التاريخية ، مما جعل علماء المسلمين يطبقون فى المرويات مبدأ من أين لك هذا ؟ . فاذا جاء شخص برواية سئل عمن حدثه بها ، فسجلت الأخبار والأحداث بأسانيدها فى غالب الأحيان ، غير أنها لم تلق من النقد والتمحيص مالقى الحديث النبوى ، بل كان من مناهج العلماء التساهل فى رواية الأخبار كما قدمنا ولقد دخل لميدان التاريخ من أتباع الفرق المنحرفة وأهل الأهواء العديد من الرواه والاخباريين والقصاص والمؤرخين فابتدعوا الروايات الكاذبة ونشروها مما أصاب تاريخ الصدر الأول بكثير من التشويه والتحريف .

---

(١) ورغم هذا فقد كذبت الشيعة الامامية فادعت أن فى القرآن نقصا وزيادة وأن عندهم مصحفا يسمونه مصحف فاطمه مافيه مما فى القرآن حرف واحد ، وأصدر علامتهم المفترى المسمى بالنورى كتابا سماه ((فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب)) اطلعت على نسخة مصورة لمخطوطته ، ولدى نسخة عنها .

وان من أعظم الفرق أثرا فى تحريف التاريخ الاسلامى الشيعة بمختلف طوائفها وفرقها ، فهم من أقدم الفرق ظهورا ولهم تنظيم سياسى وتصور عقائدى ومنهج فكرى ، وهم أخلاط من اليهود والنصارى والمجوس والملاحدة والباطنية الذين اتخذوا سمة التشيع لآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ستارا لبلوغ أغراضهم فى هدم الدين الاسلامى وتحريف تعاليمه (١)، وهم أكثر الطوائف كذبا على خصومهم وهم يدينون بالتقية التى هى كذب فى حقيقتها ويزعمون أن جعفر الصادق قال ((التقية دينى ودين آبائى)) (٢) وقد وصفهم شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله ((ولا يوجد فى جميع الطوائف أكذب منهم ولا أظلم منهم ولا أجهل منهم ، وشيوخهم يقرون بألسنتهم يقولون : ياأهل السنة أنتم فيكم فتوة ولو قدرنا عليكم ماعاملناكم بما تعاملونا به عند القدرة علينا)) (٣) ويقول الشيخ طاهر الجزائرى أثناء محاورة جرت بينه وبين أحد علماء الشيعة هو الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ((... ونحن قد راقبنا سيرة أهل العلم والأدب فى مختلف الطوائف فرأينا أكثر ماخولف به الحق تعصبا وتعنتا كان من ناحيتكم ، بل لاحظت أن كل أديب ومؤرخ منكم يرى فرضا عليه أن يخترع مالم يسبقه اليه سلفه من خبر موضوع أو قصة مخترعه تشويها لسيرة السلف ، فاذا رجعنا الى الكتب المتقدمة عليه لانجد لذلك أثرا فكأن الواحد منهم يرى من زكاة تشيعه أن يخترع مايشين سيرة خيار المسلمين ليتناقله الناس من بعده ويحسبه الجاهلون حقا)) (٤).

---

(١) راجع أبو الحسين الملطى ، التنبيه والرد ص ١٨-٣٤ ، واحسان الهى ظهير الشيعة والسنه ص ٢٤-٢٩ ود / عبد الله محمد الغريب ، وجاء دور المجوس فصل ماذا وراء تشيع المجوس لأهل البيت ص ٥٦ ومابعدها .

(٢) الذهبى ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٦٨ .

(٣) نفس المصدر ص ١٨٨ .

(٤) نفس المصدر فى الحاشية ص ١٨٨-١٨٩ .

كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة رضى الله عنهم ، وسب الصحابة وتكفيرهم (١) من أساسيات معتقدهم وأركانه وخاصة الشيخين أبى بكر وعمر ويسمونهما الجبت والطاغوت (٢).

وقد كان للشيعة أكبر عدد من الرواه والاخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم ، وتدوينها فى كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الاسلامى ، خاصة الأحداث الداخلية .

كما كان للشعوبية والعصبية أثر فى وضع الأخبار التاريخية والحكايات والقصص الرامية الى تشويه التاريخ الاسلامى والى اعلاء طائفة على طائفة أو أهل بلد على أخر ، أو جنس على جنس ، وابعاد الميزان الشرعى فى التفاضل وهو ميزان التقوى ((ان أكرمكم عند الله أتقاكم (٣)))

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصاص وانتشارهم وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنه ، وانحراف طائفة منهم تبتغى العيش والكسب ، فنشروا بينهم أكاذيبهم وحكاياتهم وقصصهم الموضوعة ، فتلقفها هؤلاء القصاص دون وعى وادراك ، ونشروها بين العامة ، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة على النبى صلى الله عليه وسلم وعدد لا يحصى من الأخبار والأقوال المكذوبة على الصحابة والتابعين وعلماء الاسلام ، مما يسئ لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم .

وقد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيض مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهد فى نقد الرواة والمرويات فبينوا الزائف من الصحيح ، ودافعوا عن عقيدة الأمة وتاريخها وجهد علماء السنة فى بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها وبيان الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء وبرسم المنهج فى نقد الروايات وقبولها جهد كبير وموفق .

---

(١) قالوا - أخزاهم الله - ان الصحابة قد كفروا بعد النبى صلى الله عليه وسلم الا خمسة هم على وعمار والمقداد وسلمان وأبو ذر .

(٢) أنظر احسان الهى ظهير ، الشيعة والسنة ص٣٢ ومابعدها و د/عبد الله الغريب وجاء دور المجوس ص ١٢٢ . (٣) سورة الحجرات آية ١٣ .

ومن أبرز من تصدى لايضاح المغالط التاريخية ورد زيوف الروايات المكذوبة القاضي ابن العربى فى كتاب ((العواصم من القواصم)) [١] والامام ابن تيميه فى كثير من كتبه ورسائله [٢] ، خاصة كتابه القيم ((منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية)) وكذا الحافظ الناقد الذهبى فى كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب ((سير أعلام النبلاء)) و ((تاريخ الاسلام ومشاهير الأعلام)) و ((ميزان الاعتدال فى نقد الرجال)) وأيضا الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ فى كتابه ((البداية والنهاية)) وأيضا الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه ((فتح البارى شرح صحيح البخارى)) وكتاب ((لسان الميزان)) و ((تهذيب التهذيب)) و ((الاصابة فى معرفة الصحابة)) .

أما الوسائل التى استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين فهى كثيرة ونذكر منها :

- الاختلاق والكذب أنظر النص رقم ١ و ٣ من ملحق النصوص.
- الاتيان لخبر أو حادثة صحيحة فيزيدون فيها وينقصون منها حتى تتشوه وتخرج عن أصلها ، أنظر النص رقم ٢ من الملحق .
- وضع الخبر فى غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده .
- التأويل والتفسير الباطل للأحداث .
- ابراز المثالث والأخطاء واخفاء الحقائق والصور المستقيمة .
- صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة لأن الشعر العربى ينظر له كوثيقه تاريخيه ومستند يساعد فى توثيق الخبر وتأييده .

---

(١) نشر هذا الكتاب فى القاهره وفى بيروت عدة طبعات بتعليقات ضافية للاستاذ محب الدين الخطيب كما قام محمود مهدى الاستانبولى بتخريج نصوصه الحديثيه .

(٢) من رسائل ابن تيميه التى تعرض فيها لبحث وتحقيق بعض القضايا التاريخيه الرسائل الآتية سؤال فى معاويه ، سؤال فى يزيد ، رأس الحسين ، الوصيه الكبرى .

- وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة كما وضعت الرافضة كتاب نهج البلاغة (١) ونحلته الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكتاب الامامة والسياسة (٢) الذى نحلته أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به .

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات فى القرن الماضى علماء الغرب وكتابه من المستشرقين والمنصرين - ابان غزوهم واستعمارهم للبلدان الاسلامية - فوجدوا فيها ضالتهم ، وأخذوا يعملون على ابرازها والتركيز عليها مع مازادوه من عندهم - بدافع من عصبيتهم وكرههم للمسلمين - من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشويه أو التفسير الخاطئ تبعا للمتصور والاعتقاد الذى يدينون به . ثم شايع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين فى البلاد العربية والاسلامية ، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم فى البحث ، وأفكارهم وتصوراتهم فى الفهم والتحليل وتفسير التاريخ وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين وكان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين ، ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق الكفر والضلال ، وذلك أنهم ادعوا - كأساتذتهم - اتباع الروح العلمية والمتجرده ، والمنهج العلمى فى البحث والحقيقة أن غالبهم لم يتجرد الا من عقيدته ، أما التجرد بمعنى الاخلاص

---

(١) الكتاب عبارة عن مجموعة من الخطب والحكم جمعها الشريف الرضي وهى لا تثبت كلها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، بل منها ما هو مقطوع بكذبه ، كما قام العالم الشيعى ابن أبى الحديد بشرح الكتاب وتوسع فيه حتى صار فى مجلدات كثيرة .

(٢) حول عدم صحة هذا الكتاب لابن قتيبه ، أنظر رسالة الماجستير المقدمة لكلية الشريعة بجامعة أم القرى عام ١٤٠٠ هـ من الباحث على نفيع العليانى بعنوان ((موقف ابن قتيبه من عقيدة السلف)) ص ١٠٦-١١٥ حيث أثبت بالعديد من الأدلة ان مؤلف كتاب الامامة والسياسة من الرافضة وأن مافى هذا الكتاب يخالف عقيدة ابن قتيبة الثابتة فى مؤلفاته الكثيرة .

للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في اثبات الواقعات التاريخية، كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون اليها، ومدى أمانة الناقلين وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأخبار واعتبارها بأحوال العمران البشري وطبائعه (١)، فلا أثر له عند القوم، فلم يتقنوا من المنهج العلمي الا الأمور الشكلية مثل الحواشي وترتيب المراجع وما شابهها وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم (٢).

يقول الاستاذ محب الدين الخطيب ((ان الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضي، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء النيابة من المتهمين. بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر المتجرد عن كل أصرة بماضي العروبة والاسلام جريا وراء المستشرقين في ارتيابهم حيث تحسن الطمأنينة وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق الى التثبت وفي انشائهم الحكم وارتياحهم اليه قبل أن تكون في أيديهم أشباه الدلائل عليه)) (٣) ثم يذكر أن من مواطن الضعف في كتابات هؤلاء ((اشتباه الأدلة التاريخية على المؤرخين المعاصرين وحيرتهم بين جيدها وأجودها. بل فيهم من

---

(١) حول النقطة الأخيرة، أنظر ابن خلدون، المقدمة ص ٣٧.

(٢) بل اننا نجد من بين تلاميذ المستشرقين من لا يعنى بشئ من ذلك كله رغم كثرة مؤلفاتهم وشهرتها فلا نجد مصادر للبحث ولا نقد للروايات ولا موازنة بينها ولا تحرير لها، بل ميزان النقد لديهم هو العقل والهوى فما استحسنه أحدهم بعقله فهو الحسن وما لا يهواه ولا يعجبه يرده بكل سهولة حتى وان كان حديثا ثابتا في صحاح السنه، أنظر النص رقم ٦ من الملحق ويمثل هذا المنهج كتابات طه حسين ومحمود العقاد والشيخ الخضري، ومحمد حسين هيكل وخالد محمد خالد، وأحمد أمين وحسن ابراهيم حسن ومحمد عبد الله عنان الا أن الثلاثة الأخيرين يمتازون بذكر مصادرهم وان كانوا لا يحافظون على ايراد الأقوال بنصوصها وانما يعبرون عنها من عندهم.

(٣) محب الدين الخطيب، المصادر الأولى لتاريخنا، مجلة الأزهر سنة ٢٤ الجزء الثاني سنة ١٣٧٢هـ.

لا يميز بين الجيد والردىء مع أن ذلك كان فى متناول يده لو سبق له معرفة موازين رواتنا فى النقد أو وقف على مناهجهم فى التأليف ومصطلحاتهم فى الرواية ومراميهم فى الاستشهاد)) (١) ولذلك لا نجد فى كتاباتهم نقدا للأخبار والحوادث وفقا للأصول المتبعة عند العلماء ولا تحرير للمسائل المختلف فيها ، بل لا نجد لديهم المحافظة على نقل النصوص كما هى انما ينقل أحدهم فهمه لها وربما كان خاطئا فى فهمه فيبنى على ذلك الفهم استنتاجات وأحكام بعيدة عن معنى النص الأصلى ودلالته. (٢)

ومن أهم الوسائل التى اتبعها المستشرقون وتلاميذهم فى تشويه وتحريف حقائق التاريخ الاسلامى .

ـ التدخل بالتفسير الخاطىء للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذى يعيشون هم فيه وحسبما يجول بخواطرهم ، دون أن يحققوا أولا الواقعة التاريخية حتى تثبت ودون أن يراعوا ظروف العصر الذى وقعت فيه الحادثة وأحوال الناس وتوجهاتهم فى ذلك الوقت ، والعقيدة التى تحكمهم ويدينون بها ((أنظر النص رقم ٦ ورقم ٧)) فانه قبل تفسير الحادثة لا بد من ثبوت وقوعها وليس وجودها فى كتاب من الكتب كافيا لثبوتها . (٣)

---

(١) المصدر السابق .

(٢) أنظر مثالا على ذلك أحمد أمين ، فجر الاسلام ص ٢٨٠ حيث جعل نواة فرقة المرجئة هم الصحابة الذين تركوا القتال فى الفتنة كما جعلهم نواة لفرقة المعتزلة كما فى ص ٢٩١ .

(٣) ينبغى التنبه الى أن ثقات المؤرخين مثل ابن خياط وابن شبة والطبرى عندما دونوا الروايات الضعيفة والمنقطعة لم يقصدوا الاحتجاج بها وانما دونوها بأسانيدها وأسماء رواتها لتعرف ، وكانوا على منهج علمى مرسوم يكفى فيه ايضاح السند لتعرف قيمة الرواية كما فعل علماء الحديث النبوى من ذكر كل ما بلغهم وان كان رواته لا يحتج بهم وانما يدونون مثل ذلك للمعرفة ولمرحلة الجمع التى يعقبها مرحلة التنقيه والفرز لمعرفة الصحيح من المكذوب ، والى هذا أشار الحافظ بن حجر فى لسان الميزان ٣ / ٧٥ فقال تعليقا على من انتقد الطبرانى جمعه الأحاديث =

لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة للبحث فى تفسير الواقعة التاريخية. كما ينبغى أن يكون التفسير متمشيا مع منطوق الخبر التاريخى موضوع البحث ومع الطابع العام للمجتمع أو العصر والبيئة التى حدثت فيها الواقعة ، كما يشترط أن لا يكون هذا التفسير متعارضا مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابته .

كما أنه لا ينبغى أن ينظر فى التفسير الى عامل واحد -كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصره - وانما ينظر فيه الى جملة العوامل المؤثرة فى الحدث وخاصة العوامل العقيدية والفكرية . . ثم ان التفسير التاريخى للحوادث بعد هذا كله لا يعدو كونه اجتهادا بشريا يحتمل الصواب والخطأ . . . فاذا كان العلم فى ميدان العلوم المعملية لا يعرف القطع والحسم فان ذلك أولى فى مجال الدراسات النظرية . اللهم الا اذا كان هناك نصا شرعيا موجبا لهذا القطع . ولقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة وعمد الى تضخيم أدوارها وتصويرها بصورة المصلح المظلوم وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها ، فالقرامطة والاسماعيلية والرافضة الامامية والفاطمية والزنج واخوان الصفا والخوارج كلهم فى نظرهم واعتبارهم دعاة اصلاح وعدالة وحرية ومساواة وثوراتهم كانت ثورات اصلاح للظلم والجور.(١)

= بالافراد مع ما فيها من النكارة الشديدة والموضوعات وفى بعضها القدح فى كثير من القدماء من الصحابة وغيرهم ((ان هذا أمر لا يختص به الطبرانى فلا معنى لافراده اليوم بل أكثر المحدثين فى الأعصار الماضية من سنة مائتين وهلم جرا اذا ساقوا الحديث باسناده اعتقدوا أنهم برؤا من عهدته)) .

(١) طرح الفكره طه حسين فى كثير من كتبه كما فى كتابه مرآة الاسلام ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ والذى هو أخر ماكتب من اسلامياته وقيل انه أقوم كتبه عن الاسلام . وقام بتنفيذها بعض الكتاب المنحرفين المهووسين بالعلمانية والاشتراكية =

فهذا الشغب والارجاف على التاريخ الاسلامى ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالاسلام فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل جهد مستطاع ، ليلا ونهارا وسرا وجهارا ولا يتوقع من مطموسى الايمان وملل الكفر الا مناصرة اخوانهم فى الضلال . ولكن الأمر الذى قد يحدث استغرابا عند البعض أن يحمل راية التشويه والتحريف بعد سقوط دولة الاستشراق كتاب يحملون أسماء اسلاميه ومن أبناء المسلمين ويقومون بنشر مثل هذه السموم على بنى جلدتهم ليصرفوا بها الأغرار عن الصراط المستقيم .

ولقد عمد هؤلاء الى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة والساقطة يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشعبية والكتب المنحولة والضعيفة مثل كتاب الأغانى والبيان والتبيين والبخلاء

= من أمثال الدكتور محمود اسماعيل فى كتابه الحركات السرية فى الاسلام . وهو من المعجبين بمنهج طه حسين فى تفسير التاريخ الاسلامى تفسيرا علمانيا ، ولذلك خصه بفصل من كتابه الذى سماه ((قضايا فى التاريخ الاسلامى)) وقال عنه ان طه حسين المؤرخ بمنهجه ورؤيته للتاريخ الاسلامى كان له فضل السبق والريادة فى وضع هذا التاريخ على الطريق القويم !! ومهد بذلك الطريق ((لعلمته)) هذا الفرع من الدراسات الانسانية الذى ظل لقرون طويلة حبيس سحب كثيفة من الخرافات والأساطير (ص١٨٧) وهذا العمل على ابراز تاريخ الفرق المنحرفة وتحسين صورتها لدى ناشئة المسلمين كان مما قرره المؤتمر الصهيونى فى بلتيمور بأمريكا عام ١٩٤٣ والذى حضره اليهودى ابن جوريون حيث قرر المؤتمر مضاعفة الجهود لتزييف التاريخ الاسلامى والتركيز على ثورات الزنج والقرامطة والباطنية وتصويرها على أنها حركات تقدميه تمثل العدل الاجتماعى بينما هى فى الحقيقة قد استهدفت تدمير القيم الاسلامية فى المجتمع وصولا الى اسقاط الدولة الاسلامية .
((أنظر أنور الجندى ، تاريخ الاسلام فى مواجهة التحديات ص١٥٤)) .

وعيون الأخبار والكامل فى الأدب وحياة الحيوان ونهج البلاغة وشرحه وغيرها فهذه الكتب هى مستنداتهم فى الغالب مع مايجدونه من الروايات المكذوبة فى الطبرى والمسعودى مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها ((أنظر النص رقم ٨)) وهم يكفيهم اشاره هامشيه لكى يبادروا الى تضخيمها والتوسع فى اعطاء الشروح والتفسيرات لها والبناء عليها وهكذا نراهم يعمدون الى الأمر اليسير يجعلونه عظيما ويبنون عليه قضايا كبيرة ، ((أنظر النص رقم ٤ ورقم ٩ من الملحق)) .

ولقد وقع الاعتداء على التاريخ الاسلامى - خاصة تاريخ الصدر الأول - بالتشويه عن طريق اختيار مواقف مختارة والتركيز عليها كالمعارك والحروب مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد فى سبيل الله أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد اظهار خلافات الصحابة رضى الله عنهم وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية فى وقتنا الحاضر وبالتجهيل وهو اهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة .

وبالتشكيك وهو توجيه السهام الى التاريخ ورجاله والى المؤرخين المسلمين أنفسهم والتشكيك فى معلوماتهم وصدقهم .

وبالتجزئة وهى محاولة تجزئة التاريخ الاسلامى الى أوصال وأشتات وكأنها لا رابط بينها كالتوزيع الأقليمى والعرقى ونحوه .

فكل هذه الوسائل والحملات تسعى الى تدمير تاريخنا الاسلامى ومحو معانيه النيرة وابعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة لذا ينبغى على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين فى أرائهم ومناهجهم وعدم التلقى منهم الا بحذر شديد . فاذا كان علماؤنا رحمهم الله - قد نقدوا كثيرا من الرواة وضعفوا روايتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب وروايتهم الاسرائيليات فانه ينبغى لنا التوقف فى قبول أقوال وتفسيرات من يتلقى من المستشرقين بل اسقاطها وعدم اعتبارها الا بدليل وبرهان واضح .

نتائج البحث :

الحمد لله الذى هدانا وأعاننا على اخراج هذا البحث بالصورة التى يراها القارئ ولقد أوضحت هذه الدراسة :-

- ضرورة الربط بين العلم والعمل به حتى يؤتى العلم ثماره ولكى يصح العمل ويستقيم السلوك ، وأن العلم انما يتلقى لأجل العمل .

- بطلان المنهج القائم على طلب ((العلم للعلم)) و ((الفن للفن)) و ((والأدب للأدب)) لأن تلقى العلم فى الاسلام محكوم بضوابط شرعيه فى منهجه وفى أهدافه وفى وسائله كما أنه مرتبط بالغاية الأساسية من خلق الانسان ووظيفته فى هذا الكون .

- أهمية علم التاريخ وفائدته فى التعرف على السنن الربانية وملاحظتها من خلال الأحداث المتعاقبه ، ومعرفة المعالم المهمة فى تاريخ البشرية ، والتأكيد على اثبات مجموعة من الحقائق الكبيرة فى حياة الانسان ، وأن دراسة التاريخ ليست قاصرة على سرد الحوادث ومعرفة سنى الوفيات ، وخاصة فى عصرنا الحاضر الذى صار فيه التاريخ أحد الأسلحة التى تستخدم فى مجال التوجيه وصياغة الأفكار ونشر المذاهب وتأييدها ، كما أنه قد أصبح يأخذ مكانته ودورة فى الصراع العقائدى بين الأمم ، فدراسة التاريخ وتفسيره مرتبطة بالعقائد والتصورات والأفكار التى يحملها الباحثون والكتاب .

ولأجل هذا الأثر الخطير الذى تؤديه الدراسات التاريخة فقد كان من أول ما اعتنى به الاستشراق ، كما كان من أقوى الأسلحة التى استخدمها الغزو الفكرى الأوربى للبلاد الاسلامية وبث أفكاره وعقائده وأخلاقه وتثبيت دعائم استعماره .

ـ وجوب الالتزام بالمنهج الاسلامى فى الدراسة التاريخية ، وأن هذا الالتزام ضرورة علميه ووظيفة شرعية وحاجة انسانية ،الاخلال بها اخلال بموازين العلم الصحيحة وبالأحكام الشرعية ،ويسبب نقصا كبيرا فى الدراسة وتشويها للوقائع التاريخية ، بل يسبب انحرافا خطيرا فى التفسير والفهم والسلوك تجاه الأحداث التاريخية .

ـ بيان المصادر التى يستقى منها المنهج الاسلامى لكتابة التاريخ وأنها تنقسم الى قسمين :ـ

١ ـ مصادر طرق اثبات الحقائق ،وقد رسم العلماء المسلمون لذلك مناهج غاية فى الدقة والاتقان ،خاصة مناهج علماء الحديث النبوى .

٢ ـ مصادر تفسير الحوادث والحكم عليها وهذه متعلقة بالتصورات والعقائد فلا بد من تلقيها من المصادر الشرعية ،لكى يستقيم منهج التفسير وتصح الأحكام التاريخية وأنه لا يجوز فى هذا الجانب الاستقاء من أى مصدر أخر .

ـ بيان خصائص المنهج الاسلامى فى كتابة التاريخ ، ومن أهم هذه الخصائص التميز فى التصور والمفاهيم وأن هذا التميز يوجب الاستغناء والاستقلال عن كافة المناهج البشرية ومفاهيمها الوضعية ، ومن أبرز المفاهيم فى هذا المجال معرفة التصور الصحيح فى الاسلام عن الانسان ، والكون ،والحياة ،وارتباطها بالخالق جل وعلا . لأن هذه العناصر هى اطار الحركة التاريخية ومجالها،كما أن التصور الصحيح عنها هو مفرق الطريق وأس الخلاف فى النظرة الى التاريخ بين المسلم وغير المسلم ، لأن التصور العقدى هو الذى يحكم مناهج البحث ويمدها بالمقاييس والموازين التى تضعها ،فاذا كان التصور صحيحا كانت المقاييس صحيحة . ذلك ان المناهج انما هى أثر من آثار التصور العقيدى ،وتابعة له ومتأثرة به ، كما أنها وسيلة

من وسائل تحقيقه فى الواقع العملى .

وهذا المنهج له وسائل وغايات ترتبط كلها وتنبثق من الغاية الأساسية من خلق الانسان ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) .

ــ بيان جملة من القواعد المهمة التى يجب أن يراعيها المسلم فى كتابة التاريخ الاسلامى وفى تدريسه ، ومن أهم هذه القواعد :

١ - معرفة الحكم الشرعى فى المخلفات والآثار الحضارية عن الأمم السابقة

٢ - معرفة حق الصحابة رضى الله عنهم والموقف من الفتن التى وقعت فى عصرهم .

٣ - التفريق بين أخطاء البشر وأحكام الاسلام .

٤ - اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر .

٥ - معرفة حدود الأخذ من كتب أهل الأهواء والزندقة .

٦ - معرفة ضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين .

٧ - الالتزام بالعقيدة الاسلامية وأحكامها والتركيز فى الدراسة على الأهداف والغايات .

٨ - ابراز دور الأنبياء عليهم السلام وأثر الوحى الذى جاءوا به فى تاريخ البشرية .

٩ - تحرى استعمال المصطلحات الاسلامية .

الى غير ذلك من القواعد الموضحة فى مواضعها .

ــ بيان كيفية التدوين والمراحل التى مرّ بها تدوين التاريخ الاسلامى مع الرد على المزاعم الباطلة بان العلم الاسلامى قد جرى نقله رواية شفويه دون تدوين طوال القرن الأول الهجرى وحتى منتصف القرن الثانى ، وايضاح أن التدوين غير التأليف .

ـ تعدد الموضوعات التى شملها التدوين التاريخى فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرية النبوية وأن ذلك راجع الى سعة المفهوم التاريخى عند العلماء المسلمين .

ـ أن السيرة النبوية قد لقيت عناية فائقة فى التدوين والتأليف وفى النقد والتحقيق على يد علماء الحديث النبوى زيادة على اهتمام المؤرخين بها بشكل مستقل أو ضمن مؤلفاتهم فى التاريخ العام ، وأنها قد وصلتنا ـ ولله الحمد ـ من طرق مأمونة ولم يتفرد الاخباريون والمتكلم فى عدالتهم بنقلها .

ـ عرض مناهج مجموعة من المؤرخين المسلمين ، وقد اتضح أن مناهجهم فى التأليف متعددة الصور ، فيها سلبيات وايجابيات وهم ليسوا سواء فى التدقيق والثقه وايضاح المصادر . فان منهم من التزم بالاسناد بصفة عامة مثل خليفة ابن خياط وأبى عبيد وابن شبة والبلاذرى وأبو زرعة وابن عبد الحكم والطبرى .

ومنهم من ذكر الأسانيد لكنه يجمعها مرة ويفردها مرة مثل ابن اسحاق والواقدى وابن سعد ومنهم من ترك الأسانيد بالكلية واكتفى بايضاح بعض المصادر اما فى المقدمة أو أثناء الكتاب . مثل الدينورى واليعقوبى .

ـ ولقد شارك فى تدوين أخبار التاريخ الاسلامى وروايتها مجموعة من الرواة والاخباريين والمؤرخين ، الضعفاء أو المتهمين والمطعون فى عدالتهم من أتباع الفرق الضاله كالشيعة والخوارج والشعوبية والزنادقة ، لذا فانه لابد من معرفة عقائد الرواه وأقوال علماء الجرح والتعديل فيهم مع التدقيق فى الكتب والمرويات التى تأتى عن طريقهم .

* ملحـــق النصـــوص *

النـــص رقم (١)

((وبلغ عثمان أن أبا ذر يقعد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجتمع اليه الناس ، فيحدث بما فيه الطعن عليه ، وأنه وقف بباب المسجد فقال : أيها الناس : من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أبو ذر الغفارى أنا جندب بن جنادة الربذى ، ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، محمـــد الصفوة من نوح ، فالأول من ابراهيم ، والسلالة من اسماعيل ، والعـــترة الهادية من محمد ، انه شرف شريفهم ، استحقوا الفضل فى قوم هم فينـــا كالسماء المرفوعة ، وكالكعبة المستورة ، أو كالقبلة المنصوبة ، أو كالشمـــس الضاحية ، أو كالقمر السارى ، أو كالنجوم الهادية ، أو كالشجرة الزيتونيـــة ، أضاء زيتها ، وبورك زبدها ، ومحمد وارث علم آدم ، وما فضل به النبيـــون وعلى بن أبى طالب وصى محمد ووارث علمه .

أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها : أما لو قدمتم من قدم اللـــــه وأخرتم من أخر الله ، وأقررتم الولاية ، والوراثة فى بيت نبيكم لأكلتم مـــن فوق رؤوسكم ، ومن تحت أقدامكم ، ولما عال ولي الله ولما طاش سهم مـــن فرائض الله ، ولا اختلف اثنان فى حكم الله الا وجدتم علم ذلك عندهـــم ، من كتاب الله وسنة نبيه ، فأما اذ فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركـــم ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .)) (١) تاريخ اليعقوبى ٢ / ١٧١ .

---

(١) هذه الخطبة المنسوبة لأبى ذر أوردها اليعقوبى - وهو شيعى جلد كما أوضحنا فى ترجمته - دون اسناد ، وهذا كاف فى ردها ، حيث لم يروها أحد من المؤرخين غيره ، وفيها أمور من عقائد الشيعة الفاسدة لم يقل بها أحد من الصحابة ولا على رضى الله عنه أو أحد من أبنائـــه ، كما أن أسلوب الخطبة وعباراتها المتكلفة يدل على وضعها .

النص رقم (٢)

((وكان أول صارخة ، صرخت في المدينة أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دفع اليها قارورة فيها تربة ، وقال لها ان جبريل أعلمني أن أمتي تقتل الحسين ، وأعطاني هذه التربة ، وقال لي اذا صارت دما عبيطا فاعلمي أن الحسين قد قتل ، فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر الى القارورة في كل ساعة ، فلما رأتها صارت دما صاحت واحسيناه ، وابن رسول الله ، وتصارخت النساء من كل ناحية حتى ارتفعت المدينة بالرجة التي ماسمع بمثلها قط .))(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٦ .

---

(١) وهذا نوع من الأساطير التي روجها الشيعة ، وأدخلوها الى التاريخ الاسلامي ، وقد ذكرها اليعقوبي دون اسناد ، وفيها من الكذب مالا يخفى . ولا يعترض على هذا بما في المسند ٦/٢٩٤ عن عائشة أو أم سلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأحدهما ((لقد دخل على البيت ملك لم يدخل عليّ قبلها فقال لي ان ابنك هذا حسين مقتول وان شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها قال فأخرج تربة حمراء)) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٨٧ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . فليس في الحديث القارورة المزعومة ولا أن التراب الذي فيها يتحول دما عبيطا . ولهذا علق الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٢٠٢ بعد سياقه بعض الأخبار في مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه بقوله ((وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطله وفيما ذكرنا كفاية ، وفي بعض ما أوردناه نظر ، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ماسقته وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحى وقد كان شيعيا وهو ضعيف الحديث عند الأئمة)) .

النص رقم (٣)

((نصر . عمرو بن شمر ،عن جابر ،عن أبى جعفر وزيد بن حسن قالا : طلب معاوية الى عمرو بن العاص أن يسوى صفوف أهل الشام ، فقال له عمرو : على أن لى حكمى ان قتل الله بن أبى طالب واستوسقت لك البلاد ،قال أليس حكمك فى مصر ؟ قال : وهل مصر تكون عوضا عن الجنة ، وقتل بن أبى طالب ثمنا لعذاب النار الذى لا يفتر عنهم وهم مبلسون ؟ فقال معاوية : ان لك حكمك أبا عبدالله ان قتل بن أبى طالب، رويدا ،لا يسمع الناس كلامك ،فقال لهم عمرو : يامعشر أهل الشام سووا صفوفكم ....))(١)

وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم ص ٢٣٧.

---

(١) قلت : هذه رواية مسلسلة الاسناد بالروافض ،فنصر بن مزاحم رافضى جلد ،تركوه كما يقول الذهبى فى الميزان ٢٥٣/٤.

وعمرو بن شمر الجعفى الكوفى : زائغ كذاب ،رافضى يشتم الصحابة ((ميزان الاعتدال ٢٦٨/٣)).

وجابر بن يزيد الجعفى الكوفى : شيعى كذاب ، يقول بالرجعة ، ويسب الصحابة ، ميزان الاعتدال ٣٨٠/١.

ومضمون الرواية ومتنها يشهد بهذا .

النص رقم (٤)

على أثر انتصار على فى موقعة الجمل انحصر النزاع بين حزبين اثنين

١ - حزب عثمان ، وعلى رأسه معاوية بن أبى سفيان أعظم قرابة عثمان شأنا والمطالب بدمه .

٢ - حزب على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين ورأس بنى هاشم الذين كان العداء بينهم وبين بنى أمية قديما . منذ الجاهلية ، ولم يزده الاسلام الا شدة ، فبنو حرب لم ينسوا ماكان من حمزه وماكان من على يوم بدر كما أن بنى هاشم لم ينسوا ماكان من هند يوم أحد ، وقد صورت أم الخير بنت الحريش البارقيه الخلاف بين على ومعاوية وذكرت أسبابه فى تلك الخطبة التى ألقتها يوم صفين ...)) (١)

حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى ١/٣٦٧ .

---

(١) فقد فسر المؤلف النزاع بين على ومعاويه على أساس العصبية الجاهلية القديمة والتى زادها الاسلام قوة فى زعمه !! سبحانك هذا بهتان عظيم . وقد كرر هذا القول غير مرة فى كتابه هذا ، أنظر على سبيل المثال ١/٢٧٦ و ٢٧٨ فهل الاسلام أتى ليؤجج العصبيات أم ليمحوها ويحل مكانها الأخوة فى الله والتعاون على البر والتقوى والمحبة والتآلف. قال تعالى (لو أنفقت مافى الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) الانفال ٦٣ .

النص رقم (٥)

((نظرا لمصاهرة على بن أبى طالب للنبى ولكونه من أهل بيته ومن المقربين اليه ، والمضحين فى سبيله ، كان من المرجح أن يكون خلفا له على أمارة المسلمين لذلك . فلما قبض الرسول لقى العباس بن عبد المطلب كلا من أبى بكر ثم عمر وسألهما اذا كان الرسول أوصاهما بشئ ، واذ علم منهما أنه لم يوص ، قال لعلى أبسط يدك أبايعك فيقال عم رسول الله بايع ابن عمه ويبايعك أهل بيتك ، فقال له على ومن يطلب هذا الأمر غيرنا ؟ .

وجواب على هذا - كرم الله وجهه - يدل على مقدار سلامة قلبه وقلة حذره ، كما يدل على ابتعاده عن آلاعيب السياسة ، فهو قد أهمل مبادرة عمه العباس بعد وفاة النبى كما أهمل من قبل وصيته بأن يسأل النبى قبل موته ان كان الأمر لهم أو ان كان لغيرهم يوصى بهم خيرا . وفى غضون ماكان على مطمئن البال على الخلافة استنادا الى اعتقاده أنه حقه للاعتبارات المذكورة ، كان الأخرون يفكرون فيها ويعقدون الاجتماعات للتشاور حولها ، وكل منهم يريدها لنفسه وفقا لناموس تنازع البقاء وكانت النتيجة صرفها عن على خلافا لما كان يترقب هو وعامة المسلمين)) (١)

محمد جميل بيهم ، دراسة وتحليل للعهد العربى الاصيل ص ١٦٤-١٦٥ .

---

(١) ماذكر المؤلف من خبر تاريخى لم يبين مصدره ليتم على ضوء ذلك نقده والتحقق من ثبوته ، أما تفسيره للحوادث التاريخية فمبنى على قيم جاهلية ليس لها مستند شرعى ، وقد قال المشركون قبله فيما حكاه الله عنهم ((وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)) (٣١ الزخرف) كما أن حكايته عما فى نفس على بن أبى طالب هو تقول عليه بل هو كذب عليه وعلى الحقائق التاريخية لأن عامة المسلمين هم الذين بايعوا أبا بكر لما علموه من النصوص والاشارات النبوية بتقديمه وأسلوب المؤلف كله اتهامات واساءة الظن ببقية الصحابة رضى الله عنهم ويظهر أنه شيعى .

النص رقم (٦)

((ويقال ان بني هاشم كانوا يرون لأنفسهم الحق في خلافة النبي صلى الله عليه وسلم فهم رهطه الأدنون ، وهم أقرب اليه من تيم قوم أبي بكر ومن عدي قوم عمر ومن أمية قوم عثمان ، ولكنهم رأوا اجماع الناس على أبي بكر كما رأوا اجماع الناس على عمر ومن بعده على عثمان فكرهوا أن يثيروا الفتنة ، أو أن يحدثوا في الاسلام حدثا ، وأذعنوا لاجماع المسلمين ، ويقال كذلك ان النبي قال لبعض أصحابه في مرضه الذي توفي فيه إيتوني بصحيفة أكتب لكم مالا تضلون بعده أبدا فاختلفوا وتنازعوا ، يقول بعضهم ان النبي قد اشتد عليه الوجع وعندنا كتاب الله ويقول بعضهم الآخر بل دعوا رسول الله يكتب فلما أكثروا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قوموا عني ، قالوا فكان ابن عباس يرى أن الرزية كل الرزية أنهم لم يخلوا بين رسول الله وبين ما أراد .

وأكاد أقطع أن هذا الحديث - مهما كان سنده - غير صحيح ...)) (١)

طه حسين ، مرآة الاسلام ص ١٣٢-١٣٣ .

---

(١) أين المنهج العلمي في مثل هذه الكتابة وهذا الأسلوب ؟ !! اشارة للشكوك وتوزيع للتهم بهذا الاسلوب يقال ، وقيل ، ويروى ، وأكاد أقطع ، وأكبر الظن !! ... دون الرجوع للمصادر ، هذا بالاضافة الى رده لصحاح الأخبار التي ثبتت بأعلى منهج علمي عرفته البشرية ، فالحديث الذي رده بمجرد التحكم العقلي والهوى ثابت في الصحيحين وقد رده وهو يعلم ذلك (أنظر عن الحديث اللؤلؤ والمرجان فيما تفق عليه الشيخان ٢/١٦٧) .

النص رقـم (٧)

((من أجل الفصل فى قضية طلحة والزبير من علي واختلاف هـذا الموقف قبل بيعته وبعدها لابد أن نعود للتذكير بما أسلفنا من حديث عن أسباب النقمة على عثمان ولاسيما الجانب الاقتصادى من هذه النقمة ، بسبب توقف الفتوح واستئناف الأرستقراطيه المكية القديمة نشاطها التجارى ونقلها لهذا النشاط من الحجاز الىالأمصار ، حيث أثرى بعض رجالات قريش ثراءا فاحشا ، وكنا قد ضربنا مثلا بما حصل عليه كل من طلحة والزبير من أموال ومتاع وعقار وعبيد جعلتهما من كبار رجال رأس المال الذين يهمهم جدا أن تكون أمور الدولة بيد رجل يقبل بأن تسير الأمور على هواهما . وعلي رجل جد واستقامه ودين ويعرفان سلفا أنه قد يقف حجر عثرة فى طريق مصالحهما المادية ، ولو آلت الخلافة لواحد منهما على ماله من سابقه فى الاسلام وعضوية فى شورى عمر لضمنا لأنفسهما يسرا فى الأمور لن يتحقق لهما فى ظل خلافة شخص كعلي . . .

وبعد أن يورد اعتراضا على هذه الفرضيه كما يقول ويجيب عليه يعود فيقول ((وعلى بن أبى طالب الذى استقطب ولاء غالبية الثائرين على عثمان ولاسيما رجال الأمصار والقبائل ، لابد أخذ بمطالب الثائرين ومن بينها القضايا الاقتصادية واثراء البعض على حساب مجموع الأمه ، فخلافته خطر على مصالح طلحة والزبير ولا بد من ايجاد وسيلة أو حجة يتستران بها لتبرير ثورتهما عليه فكان اعلانهما بأن الثائرين على عثمان غوغاء وعبيد وأعراب ، وفى هذا مبرر كاف للانقلاب على على الذى ناصر هؤلاء الغوغاء والعبيد والأعراب وقبل الخلافة منهم على حد زعم طلحة والزبير . . .)) (١)

د / نبيه عاقل ، خلافة بنى أميه ص ٢٣ و ٢٧ - ٢٨ .

---

(١) وهذا الكلام أشبه بالبيانات الحزبيه منه بالكتابة التاريخية وينبئ عن سوء =

. . . .

التفسير للحوادث التاريخية وكيفية استغلالها وتوجيهها حسب المذهب الفكرى والتوجيه السياسى الذى يعتقده الباحث دون النظر لواقع من تتحدث عنهم الأخبار وطبيعة مجتمعهم ومعتقداتهم ، وفى هذا الكتاب من السفاهة والسماجه وتهافت التحليل والافتراضات مالا يحصى ولولا أن الكتاب منشور فى الأسواق وصاحبه يتربع على كراسى للتعليم بالجامعات لما ذكرته وما هو فى الحقيقة الا نموذج من الانحرافات التى أصابت تاريخنا الاسلامى ، فهو يمثل مجموعة من المهووسين بالأفكار العلمانية والبعثية والشيوعية .

النص رقم (٨)

قال أحمد أمين في تعليله لظاهرة الغناء بالحجاز

((وقد يكون السبب أن الحجاز كان به أرستقراطية العرب وهم العنصر الفاتح وقد نال هؤلاء الأرستقراطيون خير الجوارى وأرفعهن نسبا وأكثرهن تأدبا ومنهن من تربى ببيت الملوك والأمراء ، وتأدب بآداب الحضاره ، فنقلن ذلك الى الحجاز وصبغنه بالصيغة العربية وكان لهن الفضل في تأسيس مدرسة الغناء في الحجاز وقد يكون العله أن البدو اذا تحضروا وبسط لهم في العيش أسرفوا في اللهو شأن كثير ممن غنى بعد الحرمان .

وربما كان السبب أن الأمويين تبوءوا الخلافة وحصروها فيهم بل في بيت من بيوتهم وضيقوا على من عداهم في بطون قريش ، وحجروا عليهم في التفكير في الشؤون السياسية وكان الشام هو العنصر المؤيد لخلفاء بني أمية ، والعراق هو العنصر المعارض ، فانصرف فتيان الحجاز بما لهم من مال وفير وجاه عزيز عن الامارة والخلافة والسياسة الى اللهو ، فكان الظرف وكان الغناء وكان الشراب وكان المجون . (١)))

فجر الاسلام ص ١٧٩ .

---

(١) ونحن لا نعترض على صحة التعليل من عدمها ، ولا ندافع عن المنحرفين اذا صح ما ذكر لكن تصوير المجتمع في قاعدة الاسلام الأولى وموطن كبار الصحابة وأبناءهم بهذه الصورة من المجون والشراب والطرب من أجل بعض الشواذ من العبيد والجوارى أمر لا يعقل ، بل ان المؤلف جعل للغناء مدرسة في الحجاز ،
وكل أخبارهفى هذا الموضوع منقولة عن كتاب الأغانى وهو كتاب حكايات وسمر ومؤلفه ليس بعدل ولا ثقه . وقد ذهب هذا المذهب من تضخيم دور المنحرفين في مجتمع الحجاز الدكتور شوقي ضيف في كتابه الذى سماه الشعر والغناء في المدينة ومكه لعصر بني أميه ، وكل اعتماده فيما يورد من أخبار على كتاب الأغانى ،

النص رقم (٩)

((والاشتراكية الاسلامية لا تقتضى الغاء التملك اطلاقا كما تقتضيه الاشتراكية الغربية ، وقد أثبت الواقع فى روسيا البلشفيه وفى كل بلاد سادتها الاشتراكية أن الغاء التملك اطلاقا أمر غير ممكن ، لكن المرافق العامة يجب أن تكون ملكا عاما مشاعا بين الناس جميعا ، وتحديد المرافق العامه ، متروك أمره للدوله ولذلك وقع الخلاف على هذا التحديد منذ الصدر الأول للاسلام ، فكان من بين أصحاب النبى غلاة فى الاشتراكيه يجعلون كل ما خلق الله ملكا مشاعا ومرفقا عاما . ولذلك يجعلون شأن الأرض وما تحتويه شأن الماء والهواء لا يجوز تملك شئ منه . وانما يقع التملك على الثمرات ، ينال كل منها على قدر سعيه ومجهوده . وكان منهم من لا يرون هذا الرأى ويقولون بجواز تملك الأرض ، ويعتبرونها من العروض التى يقع عليها التبادل . على أن الاتفاق منعقد بينهم على قاعدة اشتراكية مقررة اليوم فى أوربا ، !! تقضى بأنه يجب على كل انسان أن يبذل للجماعة كل كفاياته ويجب على الجماعة أن تبذل لكل فرد منها ما يسد حاجاته ...)) (١)

محمد حسين هيكل ، حياة محمد ص ٥٤٢ - ٥٤٣ .

---

(١) لم يوضح سيادة المؤلف القدير مصدر معلوماته عندما وصف بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم غلاة فى الاشتراكية فهى من بنات أفكاره أو لعله أقام بالتقاطها من أحد المستشرقين وقد صرح فى مقدمة كتابه أنه لا يعتمد على كتّاب السيره لأنه يكتب كتابه وفقا للمنهج العلمى (الأوربى) الحديث !! .

الفهـــــــــــــارس :

١ - فهرس الأعـــلام المترجمين .

٢ - ثبـــت المصادر والمراجـــع .

٣ - فهـــرس موضوعات الرسالـــه .

فهرس الأعلام المترجمين في البحث :

ثبت المصـــادر والمراجـــع

١ - القرآن الكريـــم

ابن الأثير ،على بن محمد الشيبانى ،ت ٦٣٠ هـ.

٢ - جامع الأصول من أحاديث الرسول (١١جزء) تحقيق الأرناؤوط ١٣٩٠

دمشـــق .

٣ - الكامل فى التاريخ ،(١٣ جزء) دار صادر ودار بيروت

احسان الهى ظهير .

٤ - الشيعة والسنة ط ١١ ادارة ترجمان السنه باكستان ١٤٠٢هـ

أحمد أمين .

٥ - فجر الاسلام ط ١٠ ، دار الكتاب العربى - بيروت .

٦ - ضحى الاسلام ط ١٠ دار الكتاب العربى - بيروت .

أحمد شـــلبى

٧ - التاريخ والحضارة الاسلامية . ط مكتبة وهبه .

أحمد فكرى .

٨ - مساجد القاهرة ومدارسها ،دار المعارف بمصر ١٩٦٥م

أحمد بن حنبل الشيبانى . ت ٢٤١هـ

٩ - المسند (٦ أجزاء) دار صادر - بيروت .

١٠- السنه ،بتصحيح اسماعيل الأنصارى ،طبع دار الافتاء بالرياض .

أحمد محمد الحوفى .

١١- الطبرى ، نشر فى سلسلة أعلام العرب عن دار المعارف بالقاهرة .

أرنولد توينبى .

١٢- مختصر دراسة للتاريخ ،ترجمة فؤاد محمد شبل ط ٢ عام ١٩٦٦ لجنـــة

التأليف .

أكرم ضياء العمرى .

١٣- بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ط ٣ مؤسسة دار الرسالة .

١٤- اعادة كتابة تاريخ صدر الاسلام ، بحث مطبوع على الآله الكاتبه .

١٥- دراسات تاريخيه ، طبع الجامعة الاسلامية بالمدينة ١٤٠٣هـ

أرنست كونل .

١٦- الفن الاسلامى ، ترجمة أحمد موسى ، دار صادر بيروت

الأزرقى (محمد بن عبدالله) ت بعد ٢٤٤هـ .

١٧- أخبار مكه وماجاء فيها من الأثار ، تحقيق رشدى ملحس ط ٣ دار الثقافه بمكـــه ١٣٩٨ هـ .

الأمدى ((على بن أبى على بن محمد . ت ٦٣١هـ)) .

١٨- الاحكام فى أصول الأحكام ، مكتبة محمد على صبيح وأولاده عام ١٣٨٧هـ

أنور الجندى .

١٩- تاريخ الاسلام فى مواجهة التحديات ، دار الاعتصام بالقاهرة .

البخارى (محمد بن اسماعيل) ت ٢٥٦هـ .

٢٠- الجامع الصحيح (٨ أجزاء) المكتبة الاسلامية بتركيا ١٩٧٩م

٢١- التاريخ الصغير . تحقيق محمود ابراهيم زايد ط ١ ، دار التراث بمصر

برتراند رسل .

٢٢- العقل والماده ، ترجمة ابراهيم الشريف مصر ١٩٧٥م

بروكلمان

٢٣- تاريخ الأدب العربى ، ترجمة عبد الحليم النجار ط ٤ دار المعارف بمصر .

البغوى (الحسين بن مسعود) ت ٥١٦هـ .

٢٤- شرح السنه (١٦ جزء) المكتب الاسلامى ، بيروت .

البلاذرى (أحمد بن يحى بن جابر) ت ٢٧٩هـ .

٢٥- فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية .

٢٦- أنساب الاشراف . تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر

البهى الخولى .

٢٧- تذكرة الدعاه ، دار القلم بيروت ودار الفلاح الكويت ط ٥ عام ١٣٩٧هـ

البيهقى (أحمد بن الحسين . ت ٤٥٨ .

٢٨- دلائل النبوه ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفيه بالمدينة .

التبريزى (محمد بن عبد الله الخطيب) ت بعد ٧٣٧هـ

٢٩- مشكاة المصابيح ، تحقيق الألبانى ، المكتب الاسلامى ط ٢ سنة ١٣٩٩هـ

الترمذى (محمد بن عيسى) ت ٢٧٩ هـ

٣٠- سنن الترمذى المسماه بالجامع الصحيح (٥ أجزاء) تحقيق أحمد شاكر ، دار احياء التراث العربى

ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف الأتابكى) ت ٨٧٤هـ.

٣١- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (١٦ مجلد) المؤسسة المصرية للترجمـــة .

توفيق أحمد عبد الجواد .

٣٢- تاريخ العماره ، القاهرة المطبعة الفنية الحديثه ١٩٧١م

ابن تيميه (أحمد بن عبد الحليم الحرانى) ت ٧٢٨هـ

٣٣- مجموع الفتاوى (٣٧ جزء) الطبعة الثانية ، مكتبة ابن تيميه بالقاهره .

٣٤- العبوديه ، تحقيق عبد الرحمن البانى ، المكتبة الاسلامى بيروت ط ٤ .

٣٥- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، طبع دار الافتاء بالرياض

٣٦- العقيدة الواسطية بشرح محمد خليل هراس ، طبع الجامعة الاسلامية ط ٤ .

٣٧- شرح حديث انما الأعمال بالنيات مع مجموعة الرسائل الكمالية مجلد ٢ قسم الحديث مكتبة المعارف بالطائف .

٣٨- درء تعارض العقل والنقل (١١ جزء) تحقيق محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الامام محمد بن سعود ١٣٩٩هـ.

٣٩- رأس الحسين ، تقديم محمد جميل غازى ، مطبعة المدنى - القاهرة .

٤٠- مقدمة فى أصول التفسير ، تحقيق عدنان زرزور ط ١ دار القرآن - الكويت

٤١- الرد على البكرى ،المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٦هـ

٤٢- منهاج السنه النبويه في نقض كلام الشيعه والقدريه ، مكتبة الرياض الحديثه .

٤٣- جامع الرسائل ، تحقيق محمد رشاد سالم ،مطبعة المدنى ط ١

جلال محمد موسى

٤٤- منهج البحث العلمى عند العرب ،دار الكتاب اللبنانى

جمال عبدالهادى .

٤٥- تاريخ وحضارة مصر والعراق وبلاد الشام منذ أقدم العصور ، دار الشروق جده .

جواد على .

٤٦- موارد تاريخ الطبرى، مجلة المجمع العلمى العراقى العدد الأول سنة ١٩٥٠م والثانى سنة ١٩٥١م والثالث من سنة ١٩٥٤م والثامن من سنة ١٩٦١م

ابن الجوزى (عبدالرحمن بن على) ت ٥٩٧ .

٤٧- مناقب عمر بن الخطاب ، تحقيق الدكتوره زينب القاروط ،ط١ دار الكتب العلمية بيروت.

٤٨- صفة الصفوة ،تحقيق محمود فاخورى ،ط ٢ ١٣٩٩هـ دار المعرفه بيروت .

الجوهرى(اسماعيل بن حماد) ت ٣٩٨ هـ .

٤٩- الصحاح . تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ط ٢ دار العلم للملايين بيروت

حاجى خليفه .

٥٠- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ،مكتبة المثنى ببغداد .

الحازمى (محمد بن موسى الهمدانى) ت ٥٨٤ .

٥١- الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار ،نشره راتب حاكمى حمص ١٣٨٦هـ

حافظ أحمد حكمى (ت ١٣٧٧هـ) .

٥٢- معارج القبول ، ط الثانية ، جماعة احياء التراث بالقاهرة

الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ت ٤٠٥هـ

٥٣- المستدرك على الصحيحين نشر دار الكتاب العربى بيروت

٥٤- معرفة علوم الحديث ، تصحيح معظم حسين ، المكتب التجارى للطباعة بيروت ط ٢ سنة ١٩٧٧م

ابن حبان (محمد بن حبان البستى) ت ٣٥٤هـ .

٥٥- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، تحقيق محمود زايد ، دار الوعى بحلب .

٥٦- الثقات (مخطوطة دار الكتب الوطنية) نسخة مصوره

ابن حجر (أحمد بن على العسقلانى) ت ٨٥٢هـ .

٥٧- فتح البارى شرح صحيح البخارى (١٤ مجلد) ، المكتبة السلفية بالقاهرة .

٥٨- الاصابة فى معرفة الصحابة (٨ مجلدات) تحقيق على محمد البجاوى ، دار نهضة مصر .

٥٩- تهذيب التهذيب (١٢ مجلد) صوره عن طبعة المعارف العثمانية بالهند .

٦٠- تقريب التهذيب ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعرفة بيروت .

٦١- لسان الميزان (٧ أجزاء) ط الثانية دار الأعلمى للمطبوعات بيروت .

٦٢- شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر ، مكتبة الغزالى ، سوريا

ابن حزم (على بن حزم الظاهرى) ت ٤٥٦ هـ .

٦٣- الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، مكتبة المثنى ببغداد والخانجى بالقاهرة .

٦٤- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ط ٤ دار المعارف بالقاهرة .

حسن ابراهيم حسن

٦٥- تاريخ الاسلام السياسى ، مكتبة نهضة مصر ط ٧ سنة ١٩٦٤م

حسن عثمان .

٦٦- منهج البحث التاريخى ، دار المعارف الطبعة الرابعة

أبو الحسن الندوى .

٦٧- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . ط العاشره ، دار الأنصار بالقاهرة .

حسين عمر حماده

٦٨- شهادات ماسونيه ، دار قتيبة بدمشق ط الأولى ١٤٠٠هـ .

حسين نصار .

٦٩- نشأة التدوين التاريخى عند العرب ، مكتبة النهضة المصرية

أبو حنيفه الدينورى (أحمد بن داود) ت ٢٨٢ هـ.

٧٠- الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، نشر وزارة الثقافة والارشاد القومى بمصر .

الخطابى (حمد بن محمد أبو سليمان) ت ٣٨٨ هـ.

٧١- معالم السنن ، مطبوع مع مختصر سنن أبى داود للمنذرى ، تحقيق أحمد شاكر دار الباز ١٤٠٠هـ .

الخطيب (أحمد بن على ثابت البغدادى) ت ٤٦٣ هـ.

٧٢- تاريخ بغداد (١٤ مجلد) ، المكتبة السلفية بالمدينة .

٧٣- اقتضاء العلم العمل ، تحقيق الألبانى ، المكتب الاسلامى ط٣ سنة ١٣٨٩هـ

٧٤- الكفاية فى علم الرواية ، طبع دار الكتب الحديثه بالقاهره .

٧٥- تقييد العلم ، تحقيق يوسف العش ، دار احياء السنة ط ٢ سنة ١٩٧٤م

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمى) ت٨٠٨هـ.

٧٦- مقدمة ابن خلدون ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

خليفه بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) .

٧٧- تاريخ خليفه ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، مؤسسة الرسالة ودار القلم ط ٢ سنة ١٣٩٧هـ.

٧٨- الطبقات ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، دار طيبه بالرياض ١٤٠٢هـ

الخوارزمى (محمد بن أحمد بن يوسف)

٧٩- مفاتيح العلوم ط ٣ سنة ١٤٠١هـ مكتبة الكليات الأزهريـة بمصر.

الخوانسـارى .

٨٠- روضات الجنات فى أحوال العلماء السادات ، دار المعرفة ، بيروت.

ابن أبى خيثمه (زهير بن حرب) ت ٢٣٤هـ

٨١- كتاب العلم تحقيق الألبانى ط دار الأرقم بالكويت ضمن مجمـوع من كنوز السنه .

ابن خير (محمد بن خير الأشبيلى) ت ٥٧٥هـ .

٨٢- فهرست مارواه عن شيوخه ، مكتبة المثنى ببغداد والخانجى بالقاهرة.

أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستانى) ت ٢٧٥هـ

٨٣- السنن ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، طبع دار الفكر بيروت.

٨٤- مسائل الامام أحمد ، تحقيق محمد رشيد رضا ، توزيع دار الباز بمكه د يورانت .

٨٥- قصة الفلسفة ، ترجمة فتح الله المشعشع مكتبة المعارف بيروت ط ٤ سنة ١٩٧٩م

الذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان) ت ٧٤٨هـ.

٨٦- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (٤ مجلدات) تحقيق على البجـاوى ، دار المعرفة بيروت.

٨٧- معرفة القراء الكبار ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، ط الأولى دار الكتب الحديثة .

٨٨- المنتقى من منهاج الاعتدال تحقيق محب الدين الخطيب ، مكتبة دار البيان دمشق .

٨٩- سير أعلام النبلاء (صدر منه ١٥ مجلد) مؤسسة الرسالة بيروت .

٩٠- تذكرة الحفاظ (مجلدان) تصحيح عبد الرحمن المعلمى ، دار احياء التراث العربى .

٩١- الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ، دار الكتب الحديثه .

٩٢- تذهيب التهذيب ، خط على ميكروفيلم بمركز البحث العلمى واحياء التراث بمكه .

٩٣- التاريخ الكبير ، تحقيق محمد عبد الهادى شعيره ، الهيئة المصرية ١٩٧٥م

الرازى (عبد الرحمن بن أبى حاتم) ت ٣٢٧ هـ .

٩٤- الجرح والتعديل (٩ أجزاء) دار الكتب العلمية بيروت .

الرازى (محمد بن أبى بكر) ت ٦٦٦ هـ .

٩٥- مختار الصحاح ، دار الكتاب العربى ط الأولى ١٩٦٧م

ابن رجب (عبد الرحمن بن أحمد الحنبلى) ت ٧٩٥ هـ .

٩٦- جامع العلوم والحكم ، دار المعرفة ، بيروت .

الزبيدى (محمد بن محمد بن مرتضى) ت ١٢٠٥

٩٧- تاج العروس ، شرح القاموس ، طبع دار الحياه بيروت .

أبو زرعة الدمشقى (عبد الرحمن بن عمرو) ت ٢٨١ هـ .

٩٨- تاريخ أبى زرعة ، تحقيق شكرالله نعمة الله القوجانى ، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق .

الزركشى (محمد بن عبد الله) ت ٧٩٤ هـ .

٩٩- البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط ٣ عيسى البابى الحلبى .

الزركلى (خير الدين) .

١٠٠- الاعلام (٨ أجزاء) دار العلم للملايين ط ٤ سنة ١٩٧٩م

عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ)

١٠١- رسالة ابن أبى زيد : طبع جامعة الامام محمد بن سعود سنة ١٣٩٦هـ

١٠٢- كتاب الجامع ، تحقيق أبو الأجفان وعثمان بطيخ ، المكتبة العتيقة بتونس ودار الرسالة .

الساعاتى (عبد الرحمن البنا)

١٠٣- الفتح الربانى بترتيب مسند الامام أحمد ، دار الحديث بالقاهرة .

السبكى (عبد الوهاب بن على) ت ٧٧١هـ.

١٠٤- قاعدة فى المؤرخين ، تحقيق عبد الفتاح أبو غده ، دار الوعى ، حلب ط٢

١٠٥- طبقات الشافعية (١٠ مجلدات) تحقيق الطناحى والحلو ط الأولى البابى الحلبى .

السخاوى (محمد بن عبد الرحمن) ت ٩٠٢ هـ

١٠٦- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ طبعة حسام القدسى عن دار الكتاب العربى وطبعة روزنثال ضمن كتابه علم التاريخ عند المسلمين .

سعاد ماهر .

١٠٧- مساجد القاهره وأولياؤها الصالحون ، طبع المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية سنة ١٩٧١م

ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهرى) ت ٢٣٠هـ

١٠٨- الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت

السعدى (عبد الرحمن بن ناصر) .

١٠٩- القواعد الحسان لتفسير القرآن ، مكتبة المعارف بالرياض .

السفارينى (محمد بن أحمد) ت ١١٨٨هـ .

١١٠- لوامع الأنوار البهيه ، مؤسسة الخافقين بدمشق ط ٢ سنة ١٤٠٢هـ.

سفر عبد الرحمن الحوالى .

١١١- العلمانية ، نشأتها وتطورها . طبع مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بمكه .

سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب .

١١٢- حكم موالاة أهل الاشراك ، ضمن مجموعة التوحيد ، طبع دار الافتاء بالرياض .

١١٣- حكم السفر الى بلاد الشرك ، ضمن مجموعة التوحيد ، طبع دار الافتاء بالرياض .

السمعانى (عبد الكريم بن محمد) ت ٥٦٢هـ.

١١٤- الأنساب مصوره عن المخطوطة نشر مكتبة المثنى بغداد .

السمهودى (على بن أحمد المصرى) ت ٩١١هـ.

١١٥- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار احياء التراث العربى .

السهيلى (عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٥٨١هـ.

١١٦- الروض الأنف مكتبة الكليات الأزهرية بمصر

ابن سيد الناس (محمد بن محمد اليعمرى) ت ٧٣٤هـ

١١٧- عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، دار الآفاق الجديدة ط الأولى ١٩٧٧م

سيد قطب.

١١٨- فى ظلال القرآن (٦ مجلدات) طبع دار الشروق ببيروت .

١١٩- معالم فى الطريق " " " "

١٢٠- الاسلام ومشكلات الحضارة " " " "

١٢١- خصائص التصور الاسلامى ومقوماته " " " "

١٢٢- فى التاريخ فكرة ومنهاج ، الدار السعودية للنشر جده ط ١ سنة ١٣٨٧هـ.

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) ت ٩١١هـ.

١٢٣- تدريب الراوى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف الطبعة الثانية دار الكتب الحديثة .

١٢٤- تاريخ الخلفاء ، محمد محى الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى المكتبة التجارية سنة ١٣٧١هـ .

١٢٥- الشماريخ فى علم التاريخ ،تحقيق محمد ابراهيم الشيبانى ، الدار السلفية ،الكويت .

١٢٦- حسن المحاضره فى تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،احياء الكتب العربية ط ١

أ . ل . شاتليه .

١٢٧- الغاره على العالم الاسلامى ، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى ،منشورات العصر الحديث .

الشاطبى (ابراهيم بن موسى القرناطى) ت ٧٩٠هـ.

١٢٨- الموافقات (٤ أجزاء) بتعليق عبدالله دراز ،المكتبة التجارية الكبرى .

شاكر مصطفى .

١٢٩- التاريخ العربى والمؤرخون ،دار العلم للملايين ط ١ سنة ١٩٧٨م

١٣٠- دولة بنى العباس ، وكالة المطبوعات ،الكويت

الشنقيطى (محمد الأمين) .

١٣١- مذكرة فى أصول الفقه على روضة الناظر ،المكتبة السلفيةبالمدينة

ابن شهاب (محمد بن مسلم الزهرى) ت ١٢٤هـ .

١٣٢- المغازى النبويه ،طبع سهيل زكار ،دار الفكر بيروت .

شوقى ضيف .

١٣٣- الشعر والغناء فى المدينة ومكه ،دار الثقافة بيروت .

الشوكانى (محمد بن على) ت ١٢٥٠ هـ.

١٣٤- ارشاد السائل الى دلائل المسائل ،مجموعة رسائل نشر دار البار بمكه

١٣٥- البدر الطالع ،نشر دار الباز بمكه .

ابن أبى شيبة (عبدالله بن محمد العبسى)ت ٢٣٥هـ.

١٣٦- كتاب الايمان ،تحقيق الألبانى ،مطبوعات المدرسة السلفية .

الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ.

١٣٧- الوافى بالوفيات ، بيروت .

ابن الصلاح (عثمان بن عبد الرحمن) ت ٦٤٣هـ.

١٣٨- فتاوى ابن الصلاح ، مجموعة الرسائل المنيريه المجلد الثانى ، مكتبة المؤيد - الطائف .

الطبرى (محمد بن جرير) ت ٣١٠ هـ .

١٣٩- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط ٢ دار المعارف بمصر .

١٤٠- تهذيب الآثار ، تحقيق ناصر الرشيد وعبد القيوم ، مطابع الصفا بمكه .

١٤١- عقيدة الطبرى ، تحقيق الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ، المجموعة العلمية السعودية سنة ١٣٩٤هـ .

طه حسين .

١٤٢- مرآة الاسلام ، دار المعارف بمصر .

ابن عبد البر (يوسف النمرى القرطبى) ت ٤٦٣هـ.

١٤٣- الدرر فى اختصار المغازى والسير ، تحقيق شوقى ضيف ، المجلد الأعلى للشؤون الاسلامية .

١٤٤- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، تحقيق على محمد البجاوى ، مكتبة نهضة مصر .

١٤٥- جامع بيان العلم وفضله ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٥٧هـ.

١٤٦- فتوح مصر والمغرب ، القسم التاريخى ، تحقيق عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربى .

ابن عبد الحكم (عبد الله المصرى) ت ٢١٤هـ.

١٤٧- سيرة عمر بن عبد العزيز ، تصحيح أحمد عبيد ، ط ٥ دار العلم للملايين بيروت

عبد الحميد صديقي .

١٤٨- تفسير التاريخ ، ترجمة كاظم الجواري ، دار القلم ، الكويت .

عبد الحميد العبادي .

١٤٩- علم التاريخ عند العرب ، فصل ملحق بعلم التاريخ لهرنشو ، لجنة التأليف والترجمة - القاهرة .

عبد الرحمن بدوي .

١٥٠- النقد التاريخي ، ط ٣ وكالة المطبوعات - الكويت .

١٥١- مناهج البحث العلمي ط ٣ وكالة المطبوعات - الكويت .

عبد الرحمن المعلمي اليماني .

١٥٢- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، تحقيق الألباني ، المطبعة العربية ، لاهور باكستان .

عبد الرزاق الصنعاني . ت ٢١١هـ .

١٥٣- المصنف ، طبع دائرة المعارف العثمانية بالهند .

عبد العزيز الدوري .

١٥٤- نشأة علم التاريخ عند العرب ، المطبعة الكاثوليكيه ، بيروت .

عبد القادر بدران الحنبلي . ت ١٣٤٦هـ .

١٥٥- تهذيب تاريخ دمشق (صدر منه ٧ مجلدات) دار المسيرة بيروت .

عبد اللطيف شراره .

١٥٦- ايليا أبو ماضي ونماذج من شعره ، دار صادر بيروت ١٩٦٥م

عبد المحسن العباد .

١٥٧- الرد على من كذب بالمهدي المنتظر ، مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة عدد ٤٥ و ٤٦ .

عبيد بن شريه

١٥٨- أخبار عبيد بن شريه ، طبع مع كتاب التيجان لوهب ، دار الدراسات اليمنيه صنعاء .

أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ.

١٥٩- كتاب الايمان ، تحقيق الألبانى ، دار الأرقم الكويت .

١٦٠- الأموال . تحقيق محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر العربى .

ابن عدى (عبد الله بن عدى) ت ٣٦٥هـ .

١٦١- مقدمة الكامل فى ضعفاء الرجال . تحقيق صبحى السامرائى ، مطبعة الأعظمى بغداد ١٩٧٧م

العراقى (عبد الرحيم بن الحسين) ت ٨٠٦ هـ

١٦٢- التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ط ١٤٠٠هـ .

ابن العربى (محمد بن عبد الله المعافرى) ٥٤٣هـ.

١٦٣- العواصم من القواصم ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية

عروة بن الزبير بن العوام . ت ٩٤ .

١٦٤- مغازى رسول الله ، جمع وترتيب محمد مصطفى الأعظمى مكتب التربية بدول الخليج - الرياض ١٤٠١هـ .

ابن أبى العز (على بن محمد الحنفى) ت ٧٩٢ هـ

١٦٥- شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق الألبانى ، طبع المكتب الاسلامى بيروت .

العز بن عبد السلام السلمى . ت ٦٦٠هـ .

١٦٦- قواعد الأحكام ، دار الكتب العلمية بيروت .

عطاء الحديثى ، وهناء عبد الخالق .

١٦٧- القباب المخروطيه فى العراق ، طبع وزارة الاعلام العراقية .

عفت محمد الشرقاوى .

١٦٨- أدب التاريخ عند العرب ، دار العوده بيروت

علي نفيع العلياني .

١٦٩- موقف ابن قتيبة من عقيدة السلف ، رسالة ماجستير بكلية الشـــريعة جامعة أم القرى عام ١٤٠٠هـ

ابن العماد (عبد الحي بن أحمد الحنبلي) ت ١٠٨٩هـ

١٧٠- شذرات الذهب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

عماد الدين خليل .

١٧١- تفسير التاريخ الاسلامي ، الطبعة الأولى ١٩٧٥م ، دار العلم للملايين

عمر بن شبه النميري . ت ٢٦٢هـ.

١٧٢- تاريخ المدينة (٤ أجزاء) تحقيق فهيم شلتوت ، دار الأصفهانـــي جده .

عمر عوده الخطيب .

١٧٣- المسألة الاجتماعية . ط ١ سنة ١٣٩٠هـ مؤسسة دار الرســـالة بيروت .

عياض بن موسى القاضي اليحصبي . ت ٥٤٤ .

١٧٤- الالماع الى معرفة الرواية وتقييد السماع ، تحقيق أحمد صقر ، ط ٢ دار التراث .

فاروق حماده .

١٧٥- مصادر السيره النبويه وتقويمها ، دار الثقافة الجديدة - الـــدار البيضاء ط ١ سنة ١٤٠٠هـ.

الفاسي (محمد بن أحمد الحسني) ت ٨٣٢هـ.

١٧٦- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٨ أجزاء) تحقيق محمد حامد الفقـــي ، مطبعة السنه المحمديه

فرانز روزنثال .

١٧٧- علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ط مكتبة المثنى بغداد .

١٧٨- مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ، ترجمة فريحه وليد عرفات ، دار الثقافة بيروت .

أبو الفرج (على بن الحسين الأصبهانى) ت ٣٥٦هـ.

١٧٩- الأغانى (٢٤ جزء) مؤسسة جمال للطباعة ، بيروت .

ابن الفرضى (عبد الله بن محمد) ت ٤٠٣ هـ.

١٨٠- تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م

فؤاد سزكين .

١٨١- تاريخ التراث العربى ، ترجمة محمود حجازى ، الهيئة المصرية للكتاب .

قسطنطين زريق .

١٨٢- نحن والتاريخ ، دار العلم للملايين ط ٤ سنة ١٩٧٩م .

القلقشندى (أحمد بن على) ت ٨٢١ هـ.

١٨٣- صبح الأعشى . (١٤ مجلد) المؤسسة المصرية للطباعة والترجمة .

ابن القيم (محمد بن أبى بكر الزرعى) ت ٧٥١هـ.

١٨٤- المنار المنيف فى معرفة الحديث الصحيح من الضعيف ، تحقيق عبد الفتاح أبو غده الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ، مكتب المطبوعات الاسلامية حلب .

١٨٥- اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تصحيح محمد حامد الفقى ، دار المعرفة بيروت .

الكافيجى (محمد بن سليمان الحنفى) ت ٨٧٩هـ.

١٨٦- المختصر فى علم التاريخ ، طبع مع علم التاريخ عند المسلمين ، مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٣م

الكتاني محمد بن جعفر ت ١٣٤٥ هـ .

١٨٧- الرسالة المستطرفه ، دار الفكر بدمشق الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ

ابن كثير (اسماعيل بن عمر) ت ٧٧٤هـ .

١٨٨- تفسير القرآن الكريم (٨ مجلدات) تحقيق محمد ابراهيم البنا وزميليه ط دار الشعب بمصر .

١٨٩- البداية والنهاية ، ط ٣ سنة ١٩٨٠م مكتبة دار المعارف بيروت .

١٩٠- اختصار علوم الحديث ، شرح أحمد شاكر ، ط ٣ محمد على صبيح وأولاده بالقاهرة .

ابن ماجة (محمد بن يزيد القزوينى) ت ٢٧٥هـ .

١٩١- سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، البابى الحلبى بمصر .

المباركفورى (محمد بن عبد الرحمن) .

١٩٢- تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى (١٠ أجزاء) دار الفكر بيروت

محب الدين الخطيب .

١٩٣- المصادر الأولى لتاريخنا ، مجلة الأزهر عدد ٢ مجلد ٢٤ عام ١٣٧٢هـ

محمد أبو زهره .

١٩٤- تاريخ المذاهب الاسلامية دار الفكر العربى

محمد بن اسحاق المطلبى ت ١٥١ هـ

١٩٥- المبتدأ والمبعث والمغازى ، قطعة من السيرة بتحقيق محمد حميد الله ، نشر معهد الدراسات والأبحاث والتعريب بالمغرب سنة ١٣٩٦هـ .

١٩٦- السير والمغازى ، نفس القطع السابقة ، نشر سهيل زكار طبع دار الفكر سنة ١٣٩٨ هـ .

محمد أســد .

١٩٧- الاسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين

محمد أمين المصرى .

١٩٨- المجتمع الاسلامى ، دار الأرقم الكويت ، ط الأولى ١٤٠٠هـ .

١٩٩- لمحات فى التربية ،طبع دار الفكر بيروت ط ٤ سنة ١٣٩٨هـ.

محمد جميل بيهم .

٢٠٠- دراسة للعهد العربى الأصيل ،دار الشروق بيروت

محمد بن حبيب البغدادى . ت ٢٤٥هـ.

٢٠١- المحبر ،بتعليق محمد حميد الله ،دار الآفاق الجديدة مصورة عن طبعة الهند .

محمد حسين هيكل .

٢٠٢- حياة محمد ،مكتبة النهضة المصرية الطبعة التاسعة .

محمد زيان عمر .

٢٠٣- البحث العلمى مناهجه وتقنياته ،الطبعة الأولى .

محمد سعيد البوطى .

٢٠٤- كبرى اليقينيات الكونيه ،دار الفكر دمشق الطبعة السادسة .

محمد الطيب النجار .

٢٠٥- الدولة الأمويه فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ط ٣ سنة ١٣٩٧هـ

محمد بن عبد الله الأزدى (ت فى القرن الثانى).

٢٠٦- فتوح الشام ،تحقيق عبد المنعم عامر ،سجل العرب بالقاهرة .

محمد عبد الله عنان

٢٠٧- مواقف حاسمه فى تاريخ الاسلام ،ط ٤ سنة ١٣٨٢هـ الخانجى بالقاهرة

محمد عبد الله الغريب .

٢٠٨- وجاء دور المجوس ، القاهرة دار الجيل ١٩٨١ هـ

محمد عجاج الخطيب .

٢٠٩- السنه قبل التدوين ،ط الأولى سنة ١٩٨٣م مكتبة وهبه .

محمد عيسى فهيم .

٢١٠- الموضوعيه فى الدراسات النظريه حقيقة أم خيال ،جريدة الرياض ٦/١/١٤٠٢هـ

محمد فؤاد عبدالباقى .

٢١١- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، نشر دار الباز بمكه

محمد قطب .

٢١٢- الانسان بين الماديه والاسلام ، ط. بيروت الرابعة .

٢١٣- التطور والثبات فى حياة البشريه ، مكتبة وهبه بمصر .

٢١٤- معركة التقاليد ، دار الشروق ، بيروت

محمد المبارك .

٢١٥- النظره الاسلامية الى الكون والانسان والحياه . كتاب الندوه العالمية للشباب الاسلامى ، الحلقه الرابعة بعنوان الاسلام والحضاره .

محمد محمد أبو زهو .

٢١٦- الحديث والمحدثون ، مطبعة مصر ط. الأولى ١٣٧٨هـ

محمد محمد حسين .

٢١٧- الاسلام والحضاره الغربية ، المكتب الاسلامى الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ

محمد محمود صبحى .

٢١٨- فى فلسفة التاريخ ، مؤسسة الثقافة الجامعية .

محمد حمود قاسم .

٢١٩- المنطق الحديث ومناهج البحث العلمى ، مكتبة الأنجلو المصرية

محمد مصطفى الأعظمى .

٢٢٠- دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه ، طبعة جامعة الرياض

٢٢١- كتاب النبى ، المكتب الاسلامى بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

محمد منير الدمشقى .

٢٢٢- مجموعة الرسائل المنيريه ، مكتبة المؤيد بالطائف

محمد ناصر الدين الألبانى .

٢٢٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، طبع المكتب الاسلامى .

٢٢٤- ضعيف الجامع الصغير " " " .

٢٢٥- صفة صلاة النبى ، طبع المكتب الاسلامى .

٢٢٦- فهرست مخطوطات الظاهريه قسم الحديث طبع مجمع اللغة العربية
بدمشق سنة ١٣٩٠هـ

محمود اسماعيل .

٢٢٧- قضايا فى التاريخ الاسلامى ، دار العوده بيروت .

٢٢٨- الحركات السرية فى الاسلام ، دار القلم بيروت .

محمود الطحان .

٢٢٩- تيسير مصطلح الحديث ، دار القرآن الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

ابن المدينى (على بن عبدالله السعدى) ت ٢٣٤هـ.

٢٣٠- علل الحديث ومعرفة الرجال ، تحقيق عبد المعطى قلعجى ، دار الوعى
حلب .

المزى (جمال الدين يوسف) ت ٧٤٢هـ.

٢٣١- تهذيب الكمال (مخطوط فى ثلاثة مجلدات) تصوير دار المأمون
دمشق .

المسعودى (على بن حسين) ت ٣٤٦هـ.

٢٣٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ،
المكتبة التجارية الكبرى .

مسلم بن الحجاج القشيرى . ت ٢٦١هـ.

٢٣٣- صحيح مسلم (٥ أجزاء) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ، دار احياء
التراث العربى

مصطفى السباعى .

٢٣٤- السنه ومكانتها فى التشريع ، المكتب الاسلامى ط ٢ سنة ١٣٩٨هـ

مصعب الزبيرى . ت ٢٣٦هـ.

٢٣٥- نسب قريش تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية

الملطى (أبو الحسين الشافعى) ت ٣٧٧هـ.

٢٣٦- التنبيه والرد ،مكتبة المثنى ببغداد والمعارف ببيروت سنة ١٣٨٨هـ

ابن منظور (محمد بن مكرم الأفريقى)ت ٧١١هـ.

٢٣٧- لسان العرب ، دار صادر بيروت .

٢٣٨- الموسوعة العربية الميسره دار الشعب بالقاهرة وفرانكلين للطباعه

نيويورك . طبعة عام ١٩٧٢م .

ناصر الدين الأسد .

٢٣٩- مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية .

نبيه عاقـــل .

٢٤٠- خلافة بنى أمية ،دار الفكر ،بيروت .

ابن النديم (محمد بن اسحاق) ت ٣٧٧هـ .

٢٤١- الفهرست طبعة رضا تجـدد طهران سنة ١٩٧١م

وطبعة بيروت المصوره عن الطبعة المصرية ،نشر دار المعرفة بيروت .

نصر بن مزاحم المنقرى . ت ٢١٢ .

٢٤٢- وقعة صفين ،تحقيق عبد السلام هارون ط ٣ سنة ١٩٨١م مكتبـــة

الخانجى .

أبو نعيم (أحمد بن عبدالله) ت ٤٣٠ هـ .

٢٤٣- حلية الأولياء ،مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٩٤ .

نور الدين حاطــوم وزملاؤه .

٢٤٤- المدخل الى التاريخ .

نورالدين عـــتر .

٢٤٥- منهج النقد فى علوم الحديث ،دار الفكر ، دمشق ١٣٩٩هـ.

النووى (يحى بن شرف بن مرى الشافعى) ت ٦٧٦هـ.

٢٤٦- شرح صحيح مسلم (١٨ جزء) دار احياء التراث العربى بيروت .

ابن هشام (عبد الملك الحميرى) ت ٢١٨هـ

٢٤٧- السيرة النبويه تحقيق مصطفى السقا وزميليه ، البابى الحلبى ط ٢ سنة ١٣٧٥هـ

همام عبد الرحيم سعيد

٢٤٨- العلل فى الحديث ، دار العدوى - عمان الاردن ط ١ سنة ١٤٠٠هـ

الهيثمى (على بن أبى بكر) ٨٠٧هـ .

٢٤٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتاب العربى ط ٣

وكيع (محمد بن خلف القاضى) ت ٣٠٦هـ.

٢٥٠- أخبار القضاه ، عالم الكتب بيروت

الواقدى (محمد بن عمر) ت ٢٠٧هـ .

٢٥١- مغازى الواقدى ، تحقيق مارسدن جونس ، عالم الكتب بيروت .

وهب بن منبه . ت ١١٤هـ.

٢٥٢- التيجان فى ملوك حمير ، نشر مركز الأبحاث والدراسات اليمنية صنعاء
الطبعة الثانية .

هـ . ح ويلز ،

٢٥٣- معالم تاريخ الانسانيه ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، لجنة التأليف
والترجمة بالقاهرة

ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى . ت ٦٢٦هـ .

٢٥٤- معجم الأدباء (٢٠ جزءا) دار احياء التراث العربى بيروت .

٢٥٥- معجم البلدان ، دار الكتاب العربى بيروت .

اليعقوبى (أحمد بن اسحاق) ت ٢٨٤هـ .

٢٥٦- البلدان ، نشر مع الاعلاق النفيسه لابن رسته طبعة ليدن ١٨٩١م

٢٥٧- تاريخ اليعقوبى طبع دار صادر بيروت .

أبو يعلى (محمد بن الحسين) ت ٤٥٨هـ.

٢٥٨- طبقات الحنابله ، توزيع دار الباز بمكه .

أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم القاضي) ت ١٨٢ هـ

٢٥٩- الخراج ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، دار الاصلاح بالدمام

يوسف خياط وند يم مرعشلي .

٢٦٠- ملحق لسان العرب ، دار لسان العرب بيروت .

يوسف هورفتش .

٢٦١- المغازي الأولى ومؤلفوها ، ترجمة حسين نصار ، البابي الحلبي ط ١ سنة ١٣٦٩ هـ .

المجلات والصحف

٢٦٢- جريدة الجمهورية القاهرية عدد يوم ١٨ / ١٢ / ١٩٧٤ م .

٢٦٣- مجلة المجتمع الكويتيه عدد رقم ٢٣٢ شهر محرم ١٣٩٥ هـ .

٢٦٤- مجلة المعرفة السوريه (حكوميه) ملحق خاص بعنوان كيف نكتب تاريخنا القومي . دمشق ١٩٦٦ م .

فهرس موضوعات الرسالة :